
قصة
حمزة البهلوان



سيرة الامير

حمزة البهلوان

فارس برية الحجاز وسلطان العرب

وما جرى له مع كسرى انور شروان صاحب التاج والايوان

حاكم الدنيا بما فيها من بني الانسان ومع ابنته

فريدة الحسن والجمال مهر كدار

من مطبوعات

مطبعة كرم ومكتبتها بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كان في قديم الزمان دولة عظيمة هي (الفرس) ، وقد اتسع ملكها شرقاً وغرباً ، وكانت العرب تطيعها وتؤدي لها الجزية في كل عام يجمعها ملك النعمان بن المنذر أحد ملوك الحيرة ، وكان يرسلها الى الملك الاكبر (كسرى انور شروان) صاحب التاج والايوان ، وكان تاجه يجمع من جميع انواع الحجارة الكريمة حتى ضرب به المثل بين الناس في ذلك الزمن ، وكانت سائر ملوك الارض تحسده عليه ، واما الايوان فكان عالياً وقد قيل ان قنطرته كانت عالية جداً ، وفي نصف تلك القنطرة حلقة من الذهب كبيرة الحجم .

وكان مذهب العجم في تلك الايام المجوسية ، يعبدون النار دون الواحد الجبار ، وكانوا يحتفلون عندها اثناء المواسم والاعياد ، ويقدمون الهدايا الى المرازبة الموكلون بخدمتها .

وكان الملك في زمن روايتنا هذه أحد ملوك الاكاسرة وقد اشتهر بالحلم والرافة ، وعنده وزيران عاقلان احدهما يدعى بزرجمهر يعبد الله تعالى وهو على جانب عظيم من العقل والادب يندر وجوده في ذلك الزمن والوزير الثاني اسمه بختك من اشراف البلاد واعيانها وهو محبوب من الملك والرعية .

وكان ديوان الملك يجمع تسعمائة الف نسمة من العجم ماعدا الغرباء الذين كانوا يتقاطرون على المدينة لعرض قضاياهم على الملك الاكبر ، وقيل ان الفاً من الحجاب يقفون بين يديه شاهري السيوف ، وقيل ان السرير الذي كان يجلس عليه من الذهب الابريز الخالص الذي يبلغ ثقله عشرين قنطاراً وجميع ماحواليه من الكراسي

المعدة لرجال دولته من الذهب أيضاً ، والخلاصة ان هذا الملك كان اغنى ملوك العالم حتى وصل الى درجة تفوق تصور العقل الانساني .

ففي احد الايام جلس على سرير نومه وهو يفكر بما وصلت اليه دولته وماله من الحكم وطاعة العباد له ، وبعد أن غرق في نومه حلم حلماً مزعجاً واستيقظ فزعاً منه ، واستمر اكثر من ساعتين مضطرباً الى أن عاودته سنة الكرى وما لبث ان راى نفس الحلم فاستيقظ ولم يعد يأخذه النوم قط .

ولما اشرق الصباح دخل الى ديوانه وقص على وزيره بزرجمهر مارآه في منامه وطلب منه تفسير هذا الحلم ، اما الحلم فهو كما يلي قال :

اعلم ايها الوزير انني رايت نفسي جالساً في ايواني هذا منفرداً عن حاشيتي اشعر بجوع عظيم فطلبت الطعام فقدموا لي المائدة على طبق من العاج منقوش بالنقوش الفارسية وداخل الطبق وزة كبيرة مقلية بالسمن وبينما انا امد يدي الى الوزة اذا بكلب هائل المنظر هجم علي مكشراً انيابه ففزعت منه ورجعت الى الوراء ، فتقدم من الوزة والتقطها بفمه واراد الخروج من الايوان وانا اتحرق واتألم من الجوع ولم أقدر على استخلاص طعامي من فم الكلب ، وبعد ذلك رايت أسداً عظيما قد دخل من الباب قبل أن يخرج الكلب منه وانقض على ذلك الكلب وضربه بيده فألقاه ميتاً ، ثم تناول الوزة واعادها الي دون أن يلحق بها كره ، فاستيقظت من نومي مرعوباً هذا ماريد تفسيره ايها الوزير .

فلما سمع الوزير من الملك حلمه اطرق الى الارض برهة وهو يسأل الله توضيح الحقيقة واظهار الخفايا وبعد أن بان له كل مايدل على ذلك الحلم رفع راسه وقال :

اعلم يامولاي ان الله سبحانه وتعالى وهو الاله الذي اعبده قد اطلعني على مكنونات هذا الحلم . فالمائدة التي رايتها يا مولاي من الذهب الوهاج هي مدينتك وعاصمة ملكك التي نقيم فيها نحن ، والطبق والوزة التي عليه هما خزينتك وسريرك الذي تجلس عليه الآن ، والكلب الذي اختطف الوزة هو فارس يظهر في حصن خيبر يطرق بلادك بالجيوش ، والأسد الذي نظرته هو فارس عربي صغير يظهر في الحجاز عظيم القدر والشان وأما الفارس الخيبري فيقصد بلادك بجنده فيحتلها وبعد حروب بيننا وبينه يملك الكرسي ويطردك من بلادك ويملكها وبعد ذلك يأتي ذلك الفارس الذي اخبرتك عنه من

برية الحجاز فيستخلص لك ملكك ويرجعك الى سريرك ويقتل عدولك، وهذا الذي رايته في منامك .

فلما سمع الملك كسرى من وزيره هذا الكلام وقع في ذهنه موقع الصدق ، وعرف من نفسه ان ذلك يمكن وقوعه ولذلك قال له :هل يمكن أن تعرف أيها الوزير ان كان الفارس العربي الذي شرت اليه قد ظهر في الحجاز ام لم يظهر ؟

فقال : ان ذلك لا اعرفه ياسيدي ، والذي ظهر لي هو ماأخبرتك به .

قال الملك : الا تعرف في اي مكان من الحجاز يظهر هذا الرجل ؟ قال نعم انه يظهر في مكة ، وهي البلد التي يأتي اليها العرب كل عام .

فأمر كسرى في الحال أن تحضر الهدايا الثمينة من جواهر وذهب وقال لوزيره اريد منك أن تذهب الى مكة منذ اليوم وتنظر لي مكان هذا الفارس وتعطي هذه الهدايا الى أبيه أن كان الولد صغيراً فدعه يربي الغلام على نفقتي ويخصه بدولة الفرس ويجعل له كل الاسباب النافعة لحياته حتى اذا وصلنا الى الزمان الذي أشرت اليه يكون في طاعتنا وتحت أمرتنا فنرسل اليه ونستدعيه في الحال .

فأجاب الوزير امر سيده وركب في نفس اليوم واخذ معه الهدايا والتحف وسار قاصداً بلاد العرب وهو مسرور جداً بمسيره الى مكة لزيارة بيت الله الحرام، لمشاهدة الحدث الذي دلت عليه الدلائل بانه سيكون سعيداً جداً ويخلص العرب من ظلم الفرس ويذل الدولة الكسروية ويهدم معابد النيران ويصبح له اعظم شأن .

واستمر الوزير سائراً حتى وصل الى الحيرة فخرج لملاقاته الملك النعمان ورحب به عدة أيام ثم سأله عن سبب حضوره فأخبره بانه يقصد مكة المكرمة وبعد أن أقام ثلاثة ايام اخرى سار الى مكة حتى وصلها فارسل رسوله الى حاكمها واسمه ابراهيم وكان يخاف الله ويكرس اوقاته في العبادة ، فلما سمع بقدوم وزير الملك الاكبر خرج بجماعته الى خارج المدينة ولاقاه بالترحيب والاكرام وهو لايعرف الغاية التي جاء لاجلها ، وزاد له التعظيم والاكرام لعلمه انه من رجال الله وعباده الأتقياء فرجع بصحبته الى المدينة بكل تبجل واحترام ، ولما استقر به المقام اجتمع الوزير بالامير ابراهيم وسأله : هل امراتك حامل ؟ قال نعم وهي في الشهر الاخير ، قال اني بالهامه تعالى اتيت

لاخبرك انها ستلد لك غلاماً كأنه القمر يرتفع مقامه ويعلو شأنه ويكون أشجع اهل زمانه ، ثم انه سرد ماكان من أمر كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان واعلمه بأن خلاص العرب من العجم سيكون على يده .

ففرح الأمير ابراهيم بهذه البشرى لاسيما عندما علم ان ولده سيكون سبباً لخلاص العرب من العجم ، وسبب تدمير معابد النيران ، وقلع آثار الكفار عباد النار .

وبقي الوزير في المدينة المنورة نحواً من خمسة عشر يوماً وفي اليوم السادس عشر بينما كان يجلس في ديوان الامير جاء المبشر يبشر بولادة زوجته وان المولود ذكراً ، فكاد يطير من الفرح اذ ان هذا الغلام هو البكر ، وكذلك الوزير عرف ان هذا الغلام هو الذي دلت عليه الدلائل والذي رآه كسرى في حلمه ولذلك خلع على المبشر الخلع السنية ومثل ذلك على الامير ابراهيم فغمره بالعطاء وجعل ذلك اليوم يوم شكر الله سبحانه وتعالى وفي اليوم الثاني اقام الافراح وجاء اهل قبيلته يهنئونه بالمولود وانتظروا احضاره الى الديوان حسب العادة المألوفة عندهم ، ولم يمض الا وقت قليل حتى جيء بالطفل محمولا على ايدي العبيد وقدم الى ابيه فأخذه ونظر في وجهه وقد دهش لكبر جسمه وحسن طلعته ، وبعد ان قبله قدمه للوزير بزرجمهر فأخذه وأمعن النظر في وجهه وجعل يسبح الله سبحانه وتعالى وتأكد كل التأكيد من سعادة ذلك الغلام وثبت لديه أنه هو الاسد الذي رآه سيده في حلمه ، ثم التفت الى الامير ابراهيم وقال له :

اوصيك ايها الامير الكريم على مسمع من رجالك وقومك بالاعتناء بهذا الغلام وتربيته تربية حميدة لانه هو نفسه صاحب السيف والقلم الذي يشتهر بين العرب والعجم ، واني ماأتيت هذه البلاد الا لأجل رؤيته والبحث عنه ليكون على اسم الدولة الكسروية فكل ماأتيت به من قبل الملك الاكبر هو على اسمه ولأجل نفقته .

فقال الامير : ان هذا ولدي وانا ملزم بالاعتناء به ولاسيما وانك اخبرتني بمستقبل حياته بما اعطيت من الحكمة ، فسمه بالاسم الذي تريده . قال أن اسمه :

« حمزة »

وكان يعرف بزرجمهر ان ذلك اليوم يوم سعيد ، وكل مولود يلد

فيه يكون سعيدا ، فامر بأن يؤتى بكل ذكر ولد في نفس ذاك اليوم الى الديوان فأتوا بالجميع الى بين يدي الوزير فجعل يسمي كل واحد باسمه ويدفع لابيه الاموال ليربيه على نفقة الملك كسرى ويكتب اسمه عنده ويوصي به حتى فرغ من الجميع .

وبالصدفة والعناية كان احد عبيد الامير متزوجاً بجارية سوداء وكانت حامل وهي في الشهر السابع اي لم يتم حملها بعد ، فلما رأى ان الوزير يدفع الاموال الى آباء الاولاد لاجل ان يربوهم على نفقة الملك كسرى ويكتبوا من رجاله لعب به الطمع واخذه الحسد وركض الى زوجته وقال لها : ان الوزير يدفع الاموال الى آباء الاولاد الذين ولدوا اليوم فضعي ما في بطنك عسى ان تضعيه ذكراً فيكون لنا الخير العظيم ، فقالت له : ليس الآن وقت ولادتي فكيف يمكن ان الد اليوم ، والله لم يسمح بعد ، فحنق منها فنهض الى عصاه وانهال بها ضربا على ظهرها وهي تصيح وهو يضربها حتى سقط الولد واذا هو ذكر اسود فأسرع في الحال وقطع سرته ولفه بخرقة قديمة والدم يغطي كل جسده واسرع الى الوزير وكان احد جيرانه قد سبقه واخبر الامير ابراهيم بما وقع بينه وبين زوجته وكيف انه تركها مغمى عليها ، فلما وصل العبد امر الامير ابراهيم ان يؤخذ منه الغلام ويضرب الضرب الوجيع وقال له : الاتخاف الله كيف تفعل هذه الافعال ، فامر الوزير ان يقدم اليه الولد فاخذه ونظر في وجهه وفي الحال امر ان يطلق العبد وقال للامير ان ذلك من الله سبحانه وتعالى ليكتب هذا الغلام مع رفاق ابنك حمزه ، وسيكون له ساعداً قوياً عند شدته ويخلصه على الدوام عند وقوعه في الشدائد والمصاعب . فخذه وربه مع ابنك واعتني به كل الاعتناء فهو عصا ابنك يتوكأ عليها في حياته ويحتاجه في كل اوقاته ، وكان وجه هذا الغلام صغيراً مستديراً وعيناه صغيرتان .

فاجاب الامير طلب الوزير ودفع الغلام الى المراضع ليكون على الدوام مع ولده وقد سماه عمر وهو عمر العيار ، ويكون رفيق الامير حمزة كما يأتي معنا ان شاء الله .

وبعد ان انتهى الوزير من كل عمله ركب وودع الامير ورجال قبيلته وخرج من هناك قاصداً المدائن وبقي سائراً مدة ايام وقد مر على الحيرة ونزل ضيفاً على النعمان عدة ايام وقد اخبره بما كان له

في مكة ، وعند وصوله الى بلاد الاعجام دخل على الملك كسرى وبشره بكل خير وسعادة وحكى له عن النجاح الذي صادفه وقال له:
كان وصولي الى مكة قبل ولادة هذا المولود الذي نحن نقصد ان نتوصل اليه ، فأقمت الى ان ولد واتيته ورايت ماعطاه الله من الحسن والجمال فقيدت اسمه من رجالك وقد سميته (حمزة العرب) واردت ان اكتب كل ذكر يلد في ذلك اليوم من رجالنا فاذا بتمانمائة غلام ولد في نفس ذلك اليوم وهذا من عجائب الدهر ، ففرح كسرى بما سمعه من وزيره وانعم عليه مزيد الانعام ، واقام كسرى مرتاح البال تتقلب عليه الليالي والايام هذا ما كان من امره .
واما ما كان من الامير ابراهيم امير مكة فانه اقام على الاعتناء بولده وهو مسرور دائما بما سمعه من ان ابنه سيكون السبب في خلاص العرب من العجم ويعزز الدولة العربية ويبيد الدولةالكسروية وكان يعتني ايضا بتربية عمر بن العبد لعلمه انه سيكون بخدمةولده كما اشار الوزير حتى مضى على حمزة اربعة اعوام وكان الذي يراه يظنه ابن عشرة اعوام لامتلاء جسمه فدفعه الى معلمين ومهذبين ليتعلم العلوم ويتربى التربية الحسنة على التقوى والعبادة .
فأخذ يتدرج في العمر ويعي على نفسه يوماً بعد يوم وكلماتقدم بـ عمر تقدم بالمعرفة والادراك ، وعمر بن العبد لايفارقه مطلقاً وهو يدعوه بأخيه ، وقد احبا بعضهما حباً عظيما ، وكان عمر سريع الجري لدقة ساقيه وهزال جسمه ، وكان قوي العصب تولع من حين صغره بالركض والقفز من الاماكن العالية حتى اعتاد عليها وصار آفة من الآفات وما وصل سنه الى العشرة اعوام حتى صار يحسب من ابرع العيارين واشدهم ، وقد تعلم رمي النبال حتى اصبحت نبلته لاتخطيء مطلقاً وكان يسطو على البساتين ويعتدي على الاولاد في الشوارع والناس تشكوه الى حمزة كونه يبقى معه على الدوام وهو لا يلتفت الى شكاويهم لصغر سنه وهم لا يخبرون بذلك الامير ابراهيم خوفاً منه .
وقد كان في ذات يوم بالقرب من بستان فنظر بداخله شجرة رمان كبيرة الثمر فاعجبته وقال : لابد ان آخذ لاخي حمزة منها ، فضرب رجليه بالارض فارتفع الى اعلى الحائط وقفز الى الداخل كأنهعفريت وركض الى شجرة الرمان فتسلقها وجعل يقطف من ثمرها ويضع في عبه وبينما هو على مثل ذلك اذا بصاحب البستان قد وقف تحت

الشجرة فصاح به : ويلك ياعبد السوء هذا انت الذي يأتي كل يوم الى البستان وينهب الاثمار ؟ فقال له : اني ما اتيت بستانك الا في هذه المرة فقط .

فقال له انزل عن الشجرة والا صعدت اليك ورميتك من اعلاها، فقفز باسرع من البرق من اعلى الشجرة الى الارض والرمان ملءعبه وقبل ان يتمكن الرجل من الدنو منه اخذ قبضة رمل من الارض ورشقها في وجه الرجل فوقعت في عينيه حتى كادت تعميه ، وفر هاربا ونجا بنفسه .

فبقي الرجل يتوجع من فعل عمر وهو يتمنى أن يقبض عليه ليقتله ، وقضى اكثر من ساعة ينفض الرمل من عينيه ويغسلها ، ولما صار يقدر على المسير سار الى ديوان الامير ابراهيم وشكا اليه الغلام عمر وما فعل معه فاغتاظ الامير عند سماعه هذا الخبر وامر أن يؤتى بعمر في الحال ، فسار خلفه أحد العبيد وكان عمر وصل الى اخيه حمزة ودفع اليه الرمان .

فقال له : من اين هذا ؟ فحكى له قصته مع الرجل ولم يخفه عنه شيئاً ، فلم يسمع حمزة الا الضحك واخيراً لامه على ذلك وقال له : ان مال الناس محفوظ وليس من حقنا التعدي عليه ، فقال له اني اريد ان اطيعك لكني رأيت هذا فتقت ان اطعمك منه ، وفي هذه الاثناء وصل اليه رسول ابيه وقال له :

ان اباك ارسلني لآخذ له عمر ، فعرف حمزة سبب ذلك فنهض حمزة وسار معه الى أن دخل على ابيه وقبل يديه ثم تقدم عمر واراد ان يقبل يديه فمنعه وقال له : كيف تتعدى على اموال الناس؟ ثم امر خمسة من العبيد ان يهجموا عليه ويضعوه على الارض ويضربوه خمسين سوطاً ، فاحتاط به العبيد وحاولوا التمكن منه فلم يقدروا عليه وهو يدافع عن نفسه وصاح مستجيراً بأخيه حمزة ففي الحال دبت النخوة براس حمزة فانقض على العبيد فأخذ واحدا بين يديه ورفعه فوق راسه وضرب به الباقين فوقع على اثنين اماتهما فلما راى ذلك الامير ابراهيم زاد به الغضب من فعل ابنه وصاح به : اتخرق حرمتي ولا تراعي جانبي ؟ .

فوعي حمزة على ما فعله فأراد اباه ان يؤدبه فقام اليه السادات ومنعوه وقد تعجبوا من فعل حمزة على صغر سنه ، فتقدم حمزة من ابيه وساله العفو والسماح وقال : ان الحدة قد دفعتني الى ذلك

وانا اعلم ان عمر مظلوم بضربه لانه لم يقصد سرقة الرمان إلا لاجلي وحكى له السبب الذي حملـه على النزول الى البستان .

ففي الحال أصلح السادات امر الرجل واستعطفوا بخاطر الامير على ولده وعمر فصفح عنهما وارجعهما الى مكان اقامتهما وامر ان يدفن العبيد الثلاثة الذين ماتوا من فعل حمزة فدفنوا .

وفي اليوم الثاني اتفق سادات المدينة وجـاءوا الى الامـير ابراهيم وسلموا عليه وجلسوا بين يديه ، وبعد أن استقربهم الجلوس قالوا له : اعلم ايها الامير اننا تذكرنا كلام الوزير بزرجمهر وما اشار اليه من امر ابنك الامير حمزة وقد ثبت عندنا ذلك بما رايناه منه فـي الامس فهو لم يبلغ من العمر العشر سنوات ومع هذا فعل فعلالاتفعله الجبابرة ولذلك ترانا الآن وقد جئنا اليك لنعرض عليك أن تعلم ابنك فنون القتال وتعوده على ركوب الخيل لكي يتم ماسبق بارادته تعالى .

فقال لهم : لقد أصبتم بذلك واني كنت افكر فيه على الدوام ، وان ما فعله بالامس اظهر لي قوته ووجـوب تعليمه ، ثـم امـر أن ينصب ميدان في خارج البلد من سادات القبيلة وفرسانها فحضرت جميع الرجال الى الساحة التي عينها الامير وبعد ذلك حضر حمزة ومعه عمر العيار ولما صار امام أبيه قبل يديه وسأله ماذا يريد ؟

قال له : اعلم ياولدي ان اعداءنا كثيرون ، ومن صفات العرب أن يتعلموا فنون القتال ولا سيما رؤساء القبائل لانهم ملزمون بالدفـاع عن القبيلة ومن كان اشد بأساً كان له الفوز والنجاح ، ولهذا عنيت هذا المكان ليقام فيه كل يوم سوق للسباق وقصدي منه ان تتعلـم فنون الحرب لعل الله يرزقنا على يديك فرجاً ننتظره .

فاظهر حمزة فرحه من ابيه وقال له : هذا الذي اريده ولطالمـا كانت نفسي تتوق اليه .

ثم امر الامير ان يقدم الى ولده جواد فقدم له وركب عليه واطلق له العنان فكان على ظهره كقطعة من حديد ، واخذت الفرسان تحتاط به من كل مكان ، وتعدو امامه بخيولها فيتأثرها ثم ينطلق امامهـا فتتأثره وكـأنه الاسـد الكاسر ، وقضوا ذلك النهـار عـلى تلـك الحالة ، وهكذا الى تمام الشهر حتى تعلم كامل فنون اللعب عـلى الخيل اصبـح يقفـز الـى الارض بسرعة البرق ويعـود الى ظهـر الجواد وهو غائر ، ويختفي تحت بطنه ويستتر به من كل جنب اثناء السباق ففاق على كل من ركب جواد .

ثم عكف على تعلم فنون استعمال السـلاح وضروب القتال ، وما

مضت مدة الا واصبح يتفنها جميعها وصار في اعلى درجة ولم يعد يصعب عليه باب من ابواب القتال ، واخيراً امر الامير ابراهيم ذات يوم ان ينصب الميدان لاختبار ولده فاجتمع خلق كثير للتفرج وحينئذ اقبل الامير حمزة وهو على ظهر جواده كأنه البرج الحصين ، وعلى راسه خوذة من الحديد وقد تدجج بكامل السلاح ، وبين يديه عمر كأنه النار يسبق بمسيره الخيل ، ولما وصل الى الميدان تقدم من ابيه وقبل يديه وقال له : اني اسألك امراً ياوالدي ، قال : ماذا تريد ؟ قال : اريد منك ان تأمر فرسانك وابطالك ان تكون في جهة واحدة واكون انا وحدي في الجهة الثانية، فمن اصابته جريدتي خرج من الميدان ، ومن اصابتني جريدته كان له علي حق التقدم، فاستعظم الامير هذا الطلب وقال له ، ان ذلك يغيظ قومنا وانك لاتقدر على ماتقول ، ويصعب على كل فارس ان يقاتل وحده مع انك لم تقاتل قبل الان فقال : سوف تنظر بعينيك ما افعل امامك ، فأمر والده ان ينفرد ابنه الى جهة وجميع الفرسان الى جهة ثانية وهكذا كان ، ولم تمض الادقائق قليلة حتى ابتدأ اللعب، فجعل حمزة يضرب بجريدته فيصيب بها الرجال وكلما رمى جريدة واصاب رجلا يسرع عمر ويلتقطها قبل ان تصل الى الارض ويعيدها اليه باسرع من لمح البصر والفرسان تنحدر اليه من كل مكان وترميه بعصيها فيضعها بمعرفته فتتخطاه ولا تصيبه وبقي هكذا وعمر يقفز كالغزال ويدخل من تحت بطون الخيل ولايدع جريدة أخيه تلحق الارض ، وما انتصف النهار حتى اصاب جميع الفرسان وقد اخذتهم الدهشة وعظم في نظرهم وقد القى جريدته من يده وتناول رمحه وقلع منه السنان وطلب ان يبرز اليه جميع الفرسان دفعة واحدة .

وكان والده قد دهش من فعاله ورقص قلبه طرباً ولذلك امر الفرسان ان تنزل الى ابنه وتجيب طلبه ، فصاحوا وهجموا عليه من جميع الجهات ، فالتقاهم واخذ يطعنهم برمحه ويصيب الجميع ولم يتمكن احداً منهم ان يصيبه بضربة لانه كان ينحدر الى الارض ويقفز الى ظهر الجواد بسرعة البرق وعمر يدور حوله كاللولب يسبق الجواد ، ولم يمض النهار حتى فرغ من الجميع ونزل عن جواده وتقدم من ابيه وقبل يده فأخذه الى صدره وقبله وهو يذرف الدموع ويشكر الله على ماكان من ولده وتوسم فيه الخير .

ثم رجع من الميدان وهو مسرور منتظراً الزمان المناسب لاشهار ولده وتنفيذ مقاصده وكذلك فرسان القبيلة فانهم احبوا الامير حمزة

واحبوا ان يكونوا على الدوام بين يديه، وكان الثمانمائة غلام الذين ولدوا يوم ولادته قد تعلموا فنون الحرب فحضروا الميدان مع من حضروا وما منهم احد الا واحب ان يخدم الامير حمزة ويتقرب منه ويبغي رضــاه .

من ذلك الحين اخذ الامير حمزة يخرج للصيد مع عمر العيار ويتوغل في البراري والادغال ويأتي بالوحوش والغزلان ، فاتفق ذات يوم انه خرج ومعه اخوه عمر منطلقاً كالشهاب وبعد عن الديار لان الوحوش قد جفلت منه والتجأت الى الكهوف وفيما هو على ذلك رأى أسداً رابضاً في تلك الناحية واعينه تقدح شرار النار ، فلما رآه عمر قال لاخيه ارجع بنا ولا تعرض نفسك للخطر خوفاً من هجومه علينا ويفترسنا ، فصاح فيه وقال له : ويلك ياوجه القرد اتخاف من كلب البرية وتريد أن تخيفني معك فما الاسد لدي الا كالارانب التي اصطادها في كل يوم ، ثم انه نزل عن جواده واخذ سيفه بيده وتقدم من الاسد يبغي قتله فلما رآه الاسد لعب به الحنق فوثب واقفاً وكشر عن انيابه ولوح بذنبه وانقض على الامير حمزه ينوي افتراسه ولكن الامير لم يترك مجالا للوصول اليه بل عالجه بضربة حسام وقعت على أم راسه فوقع قتيلا يتخبط بدمه فدنا منه الامير وكان قد سمع أن من يأكل من قلبه يشتد ساعده اكثر فبدأ يأكل قلب الاسد وعمر ينظر ويتعجب وتقدم من اخيه واطعمه من قلب الاسد ، فقال له : والله ان عملك هذا يستحق الفخر وبعد ان اكلا وشبعا رجعا الى جهة المدينة وفيما هما سائران قال حمزة لعمر : اذا وصلنا المدينة لا تخبر قومنا بقتل الاسد لئلا يضحكوا علينا ويظنوا باني اباهي بقتل كلاب البر وذلك عار عند العرب فوعده بأن لايخبر احداً بذلك .

ولما وصلا الى المدينة صار عمر يخبر من رآه ان اخاه قتل اسداً في المكان الفلاني والناس تتعجب من عمله فلم يرق ذلك لحمزة فلام عمراً عليه ، فقال له : ان مثل هذا الامر لايمكن اخفاؤه ووصل الخبر الى الامير ابراهيم ، فاستدعى ولده وعمر وسألهما عن قتل الاسد فقص له عمر كل ماجرى لهما ، فتعجب من ذلك ولام حمزة وقال له لاتخرج ثانية الى البر خوفاً من ان تلتقي ذات مرة بأسد ليس لك قدرة عليه اوتقع في مأزق آخر فقال له سادات قومه : لاتخف ايها الامير صدق قولهم وتأكد ان ابنه سيبقى زمناً طويلا بمساعدة الله تعالى ويكون له الاسم الاول في ايامه . وبقي الامير حمزة يخرج

للصيد مع عمر كل يوم لانه كان قد تولع به ولم يعد باستطاعته ان يرجع عن عادته .

فذات يوم ذهب برفقتــه عمر في طريق غير الطريق العادي فاشتد عليهما الحر فطلبا الماء لشدة العطش فلم يجدا في تلـك البقعة أي أثر للماء ، وكان قد اشتد العطش بالامير حمزة فصاح بعمر قائلا : ويلك اين نجد الماء ؟ فلا طاقة لي على الصبر أكثر من ذلك وانــي هالك لا محالة فقال له : سأحضر لك الماء بعد قليل ، فاذهب انت الى تلك الشجرة واستتر بظلها ريثما آتي لك بالماء .

ثم اطلق ساقيه للريـح وبأسرع من البرق غاب عن الانظـار ، وسار حمزة الى شجرة كبيرة هناك وقبل ان يصل اليها لاح لـــه فارس عن بعد يتقدم نحوه وهو راكب فوق جواد ابيض كالثلج وتحته قربة من الماء فتاقت نفسه الى الشرب فسار الى جهة الفارس وعند وصوله اليه وجده بلحية بيضاء يشع النور منها فطلب منه شربـة ماء ، فاجابه الفارس بكل هدوء وقال له : قف مكانك فهذا الماء لك ، فقال : من انت ياسيدي ومن اين عرفت أنني عطشان ؟ فقال لـه : اعلم انني انا الخضر ابو العباس (عليه السلام) عرفت ما حدث وما يحدث فاقترب اولا من هذه القربة واشرب منها فماؤها لذيذ جداً وبعد أن تروي عطشك احدثك بحديث ذي شأن فاني جئتك لاخبرك به ، فارتاح حمزة عند سماعه ان الـذي يكلمه هـو الامام الاعظـم فاطاع قوله ونزل عن جواده وتقدم فشرب من القربة حتى اكتفـى ورجع الى الوراء ووقف بأدب وقال له : ارجوك ياسيدي أن تكون مساعدي ومعيني في حياتي وغوثي عند ضيقتي ، فقال له :

اني مجيبك باذن الله تعالى على الدوام وقد اتيتك الآن لاخبـرك انك انت الرجل الذي يرتفع به شأن العرب في هذه الايام وسيكون خلاصهم من مظالم الفرس على يديك ، وتذل الدولة الكسروية الـى اخر الايام لان الله لا يحب ان يذل هذه الامة لمقاصد له فيها وسوف يعززهـا ويرفع مقامهـا فيما يأتي بعدي من الايام ، ولكن في البداية يكون معيناً لكسرى وترفع عنه الشدة ، ثم ان الخضر حكى لحمزة عن حكم كسـرى وما يكون منـه وكيف يخرج عليـه فارس خبـير يتسلط على بلاده فيأتي هو ويخلص له البلاد ويعيده الى كرسـي ملكـه .

وبعد ان اخبره بكل ذلك قال له : ارجع الآن الى ابيك واطلب منه ان يسلمك الغلمان الذين ولدوا معك فاجعلهم رجالك واعتني بهم وعلمهم



سيدنا الخضر يسقي الماء الى حمزة

بتمسك كل فنون الحرب لانهم وجدوا لهذه الغاية واذا غزوت قبيلة عاصية وقاتلت ملكاً على غير دين الله فيكونوا رفاقك ، فأراد حمزة ان يقبل يديه ولما دنا منه غاب عن عينيه ولم يعد له اثر فوقف حمزة باهتاً ، بينما هو كذلك واذا بأخيه عمر قد اقبل حاملا وعاء الماء على عاتقه فوجد حمزة على تلك الحالة فظنه يفعل ذلك من العطش فدفع اليه الماء وقال له : خذواشرب ، فقال له : لا حاجة لي بالماء ، فان الله قد بعث لي ماء لذيذاً كل من يشرب منه لايعطش ابداً قال : من اين لك الماء وانت باق في مكانك ؟

فحكى له ما كان بينه وبين الخضر عليه السلام ، فتعجب عمر من ذلك واندهش وقال : ان كان الخضر وعدك بالمساعدة فانك لاتخشى مكدراً فهو قادر على اغاثتك في كل حياتك .

ثم انهما رجعا الى المدينة وقد انتبه حمزة وعمد الى ترك العبيد والاعتناء بالذين اخبره عنهم الخضر فدخل على ابيه وطلب اليه ان يسلمه الغلمان الذين ولدوا يوم ولادته ، فسأله ابوه عن السبب ، فأعاد عليه القصة بتمامها ففرح ابيه وتعجب من محبة الله سبحانه وتعالى لولده وكيف يريد أن يجعل الفرج للعرب على يده والتغلب على ملوك الفرس وغيرهم من كبار ملوك العالم بواسطة ولده . وفي الحال احضر الشبان المذكورين ودفعهم اليه فاخذهم وجعل يعلمهم ويدربهم الحرب والطعان حتى صار الجميع ابطالا اشداء ، ورأى عمر فعل أخيه حمزة وكيف انه اتخذ لنفسه جنداً فأراد هو ان يجاريه بذلك . فانتخب لنفسه اربعين غلاماً وجعل يعلمهم العيارة وابواب الحيل والخداع ، ومنذ ذاك الحين بدأ الامير حمزة يقصد القبائل ومن تعرض له قتله وسبى قومه ونهب رحاله حتى انتشر صيته فصار اذا ركب وصادفه عشرة آلاف فارس لا يتعرضون له اذا عرفوه وتأكدوا انه الامير حمزة بن الامير ابراهيم خوفاً من سطوته وبأسه وعلمهم انه من اشراف العرب وساداتهم واصحاب البيت الحرام .

ففي ذات يوم خرج على حسب عادته وطرق قبيلة من قبائل العرب كانت قد تعدت على بعض قومه فغار عليهم ونهب القبيلة واخذ ما وصلت اليه يده من النوق والاغنام وعاد كاسباً منصوراً ولما وصل الى ضواحي مكة وجد خياما هناك وعندها جماعة من الجند يظهر ان بعضهم من العرب وبعضهم من العجم فارسل اخاه عمر في الحال ان يكشف له خبرهم فانطلق عمر اليهم وعاد في الحال وقال

ان سكان هذه الخيام من العرب والاعجام قد جاءوا حسب العادة لاجل ان يجبوا الاموال ويرفعوها الى كسرى ، فالعرب من جماعة النعمان والاعجام هم من جماعة كسرى انوشروان .

فقال الامير حمزة : اني اسمع بذلك على الدوام ، واعجب كيف ان الاعجام يجسرون على المجيء الى بلاد العرب والعرب هم اشد بأساً واقوى مراساً بخلاف الاعجام اصحاب البذخ واللهو فما هم الا شبه بالنساء ، فقال عمر : اعلم ان العجم اكثر من العرب وكلهم تحت امرة ملك واحد .

فقال حمزة : وما دين النعمان ملك العرب ؟ قال : كان يعبد الله ولا يزال انما يجاري الاعجام فيكرم النار ويقدم لها مزيد الاعتبار ، فلما سمع الامير حمزة كلام عمر لعب به الغيظ وقال لاخيه هيا بنا نكبس هؤلاء الاعراب والاعجام حتى لايتجراوا ان يأتوا الينا مرة ثانية لاننا احرار في بلادنا لانقبل الذل وتأنف انفسنا الا الطاعة لله سبحانه وتعالى ، واذا اغاظ عملي هذا كسرى ملك الاعجام اوالنعمان ملك العربان سرت اليهما وخربت بلادهما ولااخشى بأس احد .

فأجاب عمر سؤاله وفي الحال هجم على الخيام المقيمة فيها الاعجام واوقع السيف فيهم ، وكانوا آمنين ولم يخطر في بالهم عملاً مثل هذا حتى رأوا الامير حمزة وقد انحط عليهم بجماعته وقد اعمى بصائرهم فنهضوا الى خيولهم وهم يودون النجاة والخلاص ، ودام ذلك الى الليل ومن ثم رجع الامير حمزة بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة والباقون طلبوا الفرار وبعدوا عن تلك الديار .

فجمع الامير حمزة الاسلاب والخيول والاموال التي جمعت من العرب لترسل الى كسرى ودخل المدينة فرحاً بعمله ، ثم انه وزع من الغنيمة على جماعته لكل واحد نصيبه واخذ هو الباقي ، وبلغ الخبر الامير ابراهيم وسادات مكة فاغتاظوا وحسبوا حساب النعمان والملك كسرى وقالوا لا بد من انهما يبعثا الينا بالعساكر بسبب ما كان منا .

ثم ان الامير ابراهيم دعا بولده وعنفه على فعله وقال له : لا ريب انك جلبت الينا شرا عظيما ، وأرى انه من الاوفق ان ابعثك الى النعمان تعتذر اليه ونرجع اموال كسرى ونزيدها ترضية له .

فقال حمزة اني اعجب منك يابي كيف ان الخوف يتسلط عليك وتدفع الجزية وعندك رجال وابطال وابنك حمزة لايخاف احداً في هذه الدنيا ولابد لي من ان اسير الى الملك النعمان واخرب الحيرة واذبحه ذبح الاغنام ، فقال له ابيه : ياولدي انت تتكلم عن جهل

وعدم ادراك اتظن الملك النعمان ، قليل الانصار والاعوان ، الاتعلم انه ملك العرب وصاحب الراية الكبرى ، اولا تعلم من هو كسرى ، أتظنه من بعض رؤساء القبائل الذين تقصدهم وتقاتلهم ، عد الى نفسك واعلم ان الملك كسرى اكبر ملوك هذا الزمان يملك مالايعلمه الا اللـه سبحانه وتعالى، ومن المقرر انعساكره لاتنقص عن الكرات والملايين، فمن نحن ومن منا يذكر لدى ذكر الملك كسرى فالتبصر بالعواقب افضل لنا .

فقال له حمزة : انا لا اندم عمـا فعلته ، واما من جهة مسيري الى الملك النعمان واجباره على ترك عبادة النيران لابد منه ، فـلا تحـاول اقناعي عن رجوعي عما نويت . فأجلس انت على سريـرك وكن براحة ، واذا سئلت فقل ان ابني حمزة فعل ما فعل ودعهـم يأتون الي ويرون مني مايسرهم .

فلما رأى سادات مكة اصرار حمزة على قوله التفتوا الى ابيـه وقالوا : ايها الامير ان ابنك من رجال كسرى ، وكذلك الذين معـه يعيشون على حسابه، فاذا سئلت عما كان يفعل فقل لهم : ان الذي فعل تلك الفعال هم قومكم ولا ريب ان كسرى يسامح حمزة على فعلـه لعله انه بحاجة اليه كما أخبره وزيره بزرجمهر ولايرضى بقصاصة، فاترك ابنك على زعمه فعسى ان الله جعل ذلك قصداً لانفاذ مشيئته وخلاصنا من الذل وكذلك أخبر وزير كسرى فسكت الأمير ابراهيم عند ذلك وسأل الله نهاية الحال على أتم منوال وبات ينتظر ما يكون من أمر الاعجام والملك النعمان عند وصول الاخبار اليهما بما وقع من حمزه على قومهما .

واما الامير حمزة فانه بقي مصراً على عزمه بالمسير الى الحيرة ومحاربة الملك النعمان وارجاعه عن عبادة النار الى عبادة الملك الديان. واعلم بذلك قومه وقال لهم كونوا على استعداد للرحيل بعد قليـل من الايام فأجابوا على سؤاله وقالوا : نحن لك وبين يديك، فشكرهم على ذلك واقام مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن اراد الركوب لتنفيذ النية التي عزم عليها ، فاتى اليه ابوه وسادات قومه وصاروا ينصحونه ويلومونه وهو مصر على السفر الى الحيرة واتمام ماعزم عليه ، فلما راى ابوه اصراره سلمه لله ودعا له بالنجاح وفي يقينه انه لن يحصل على النجاح ، ولابد من ان الملك النعمان يقبض عليه ويجازيه على عملـه .

وركب حمزة من مكة المكرمة وركب لركوبه سائر رجالـه وكلهم شبان مردان من سنة وسار بين يديه عمر العيار كأنـه عفريت من

عفاريت سيدنا سليمان ينطلق في ذلك البر فيغيب عن الابصار ثم يعود بأسرع من هبوب الرياح الى ان بعدوا عن تلك البلاد وتبطنوا في البراري والقفار والامير حمزة يتمنى ان يصل الى الحيرة ليهدمها بغتة ويوقع فيها ويود ان يمسك الملك النعمان مسك اليد ويجازيه على فعله وبينما هو سائر اذا بأخيه عمر قد جاء اليه وقال له إعرج بنا يا أخي عن هذه الطريق ولا ترم بنفسك الى الخطر فاني رايت اسداً هائلاً لاظن انه يوجد اعظم منه قد انحدر من الجبل ووقف في الطريق يمنع مرورنا واخاف ان لاتصادف معه نجاحاً فيفترسك ونوقع نحن من بعدك باليأس .

فقال له ويلك ياعمر هل انت تمتحنني بهذا الكلام ام تخوفني فيه ؟ اما رايت فعلي بالاسد قبل اليوم ! وانت تعلم انه لو اجتمعت على الوف من الاسود لما تمكن واحد منها من اغتيال نفسي بل كنت اهلكها عن بكرة ابيها ، فما الاسود عندي الا اشبه بهرة برية وسوف ترى بعينيك ما يكون من هذا الاسد الذي اشرت اليه .

وبقي الامير حمزة سائرا في طريقه الى ان التقى بالاسد وهو رابض في وسط الطريق . فلما راى الامير مقبلا وقف على قوائمه ورفع ذنبه الى أعلى ظهره وكشر على انيابه وفي عزمه ان ينخط على الامير فيضربه بيده غير ان الامير كان يتقدم اليه بتأن وثبات وقيد نزل عن جواده ومشى وبيده الحسام الى ان اقترب من الاسد واذا بالاسد قد بعث بصوت قوي جفلت منه الخيول وارتاعت الفرسان وانحط دفعة واحدة على الامير حمزة ، فأجابه صوت اشد من صوته واسرع بضربة حسام على راس الاسد صادرة من يد بطل من ابطال ذلك الزمان فوقعت بين عيني الاسد فشقت راسه نصفين فوقع الاسد الى الارض قتيلا في الحال ، وقد تعجب رجاله من فعله وما ابداه في قتال الاسد ، فاراد الامير ان يتقدم من الاسد وينتزع قلبه ليأكله واذا به سمع صوتا على بعد فمال بنظره فاذا به يرى فارسا منحدرا من الجبل وهو يسرع الى نحوه فصبر عليه الى حين قرب منه ووصل اليه فرآه من الفرسان وتحته جواد من الخيول الحسان متقلداً بسائر انواع السلاح فقال له الامير : ما تريد ايها الفارس ؟ قال : جئت لانتقم منك ، واعجل من هذه الدنيا مرتحلك حيث قتلت انيسي ورفيقي ثم انه صدمه صدمة قوية فالتقاه الامير حمزه بهمة وحمية واخذا في القتال وداما على مثل تلك ساعة من الزمن وفرسان مكة تنتظر وترى واذا بها قد رات فارس الجبل قد قام في ركابه وضرب

الامير حمزة ضربة بحسامه فضيعها بمعرفته وبعد ذلك صاح الامير صيحة ارتجت منها الوديان وضايق خصمه ومد يده الى جلبات درعه واقتلعه من بحر سرجه واصبح بيده كالعصفور واراد ان يضرب بـه الارض فصاح مستجيراً به وطلب منه الامان ، فشفق عليه والقـاه بتان الى الارض وقال له :

احك لي قصتك وما سبب سكنك في هذه البريـة وكيف كـان الاسد رفيقك وانيسك ، مع اني لم اسمع ان الانسان يألف الاسود ويقيم معها في البراري والكهوف ويترك معاشرة ابناء قومه . !!

فقال الفارس : اعـلم اني ما تركت الناس الا لأمر عظيم وطلبت نفسي الانفراد بين الوهاد ، وذلك لاني من رجال الحيرة ومن قـوم الملك النعمان وكان لي عنده مقام وعلو شأن ، الى أن علقت ببنتـه وطلبت نفسي زواجها وهي تدعى القناصة لأنها اعتادت على ركـوب الخيل ومنازلة الابطال ، ومع ما هي عليه من الصفات الحسنة كانت كاذبة مخادعة وكنت اتمنى رضاها ولكني كنت اكتم امري عنها وعن ابيها ، ففي ذات يوم ونحن قائمون في المدينة واذا بأحد الفرسان قد جاء الى الملك النعمان واخبره انه رأى جيشاً عظيما خارج المدينـة فاضطربنا جميعاً وبينما نحن كـذلك واذا بـرسول قد دخل عـلى الملك يحمل كتابا فدفعه اليه ، وبعد أن قرأه قال : اعلموا ان هـذا الكتاب من الامير هشام احد أمراء العراق أرسل يطلب ابنتي القناصة ويقول انه اذا لم اجب سؤاله اخذها مني غصباً فما قولكم في ذلـك؟ فقلنا له : اسأل بنتك اولا فاذا قبلت به أعطه اياها واذا رفضت تماطل هذا الامير بالمواعيد لبينما نكاتب قبائل العربـان ونجمـع العساكر وكانت رجال الملك النعمان تتكلم وأنـا خشيت ان تقبل القنـاصة بالامير هشام فالتزمت أن أمون في الحال .

فدعاها ابوها اليه فحضرت وهي اشبه بالغزال الشارد فسألها ابوها عن الامير هشام واخبرها بغايته فقالت: اني لا ارضى به مطلقاً كونه جاء مهدداً ، واني اقسم بحياتك ان لابـد لي ماالقاه في حومـة الميدان فاما ان ياخذني رغماً عنـي واما انـي اقتله وارجع قومـه بالخيبة والفشل ، فسرني ما سمعته منها وقلت في نفسي ان الدهر سيساعدني في هذه المرة فاذا لم تقتل الامير هشام هي قتلتـه انـا فاكون فعلت جميلا معها ومع ابيها ويعرف اني كفؤ لها .

فقال لها ابوها : اخاف ان ياسرك وياخذك بالرغم عنا فتكونـين كسبية وهذا عار عند العرب ، فارى من الموافق ان نزفك عليـه

بالرضا والاختيار ، فقالت : انني افضل الموت على ذلك ، ولا بد لي من قتاله واني اعتقد من نفسي باني قادرة على قتله وسترى ذلك بعينك .

فلما سمع ابوها كلامها لم يسعه الا الاجابة وعرف ان ابنته لا تقدر على الامير هشام وقال في نفسه ربما تخدعها الصدف وتقتله فلذلك سمح لها وكتب كتاباً الى الامير هشام بما كان من امر ابنته ويدعوه لمبارزتها لأنها لاتقبل به الا ان كان اشد منا بأساً .

وفي اليوم الثاني ركبت جوادي وتقلدت بعدتي ووقفت على حدة ولم يطل بي الوقوف الا واتى الملك النعمان مع جماعة من الابطال ، ومن ثم جاءت القناصة وهي غائصه بالحديدوتحتهاجواد من الابطال ، من خيول ابيها الجياد ، واذا بالامير هشام قد اقبل من الجهة الثانية وفي الحال اسرع الى وسط الساحة وجال ولعب برمحه العسال ثم طلب براز القناصة فاسرعت اليه وانقضت عليه وقام بينهماسوق الحرب وهما تارة يفترقان وتارة يجتمعان والفرسان ينظرون اليهما بأعينهم ، ولم تكن القناصة من رجال الامير لكنه كان يطاولها ولايريد ان يقهرها امام الفرسان وبقيا هكذا الى ان قرب الزوال وعند ذلك صاح فيها وهجم عليها واقتلعها من ظهر جوادها ورجع بها الى قومه .

وقد عاد الملك النعمان حزيناً على ابنته ، اما انا فلم ارجع وبقيت في مكاني مبهوتاً حائراً وبقيت هكذا الى نصف الليل واذ ذاك خطر في بالي ان اسير الى صيوان الامير هشام واخاطر بنفسي عساي اقدر على خلاصها وبذلك أكون قد فعلت جميلا معها واسألها ان تكافئني على ذلك بقبولي زوجاً لها ، ثم ربطت جوادي وسرت تحت الظلام الى ان اختلطت بالعراقيين وتوصلت الى صيوان الامير فقتلت الحارس ودخلت الصيوان فوجدت الامير نائماً على سريره والقناصة مقيدة على الارض فاسرعت الى الامير وضربته بسيفي فقتلته واسرعت اليها وحللت وثاقها وكانت قد راتني وعرفت اني من قومها ففرحت مزيد الفرح ، فقلت لها اتبعيني فأسرعت خلفي وخرجنا من بين الاعداء والليل يسترنا وما بعدنا عنهم وآمنا على انفسنا ودنت مني وجعلت تشكرني على فعلي وقالت لي : ما الذي حملك على ان تخاطر بنفسك من اجلي ؟

فقلت لها عن سبب ماوقع بقلبي من حبها ، ثم قلت لها : ارجوك ان لاتضيعي لي تعباً واريد منك ان تعديني وعداً صادقاً على الحب والولاء ، فوعدتني ان لاتتزوج بأحد غيري فاطمأن قلبي لوعدها

وسرت معها الى ان اوصلتها الى قصرها وتركتها على امل أن تحدث اباها في اليوم الثاني عما فعلته معها من المعروف .

وفي اليوم الثاني دخلت الى حضرة النعمان فوجدته قد بكر الى ديوانه واجتمع عنده رجال دولته واخذوا يتشاورون في أمر خلاص القناصة وبينما نحن جالسون واذا بالقناصة داخلة وعلى ثغرها ابتسامةحارةوحالمارآها ابوهاوالجميع اندهشوا واسرعالكل وهنؤوها بالخلاص ، فدنت من أبيها وقبلت يديه فسألها عن سبب خلاصها وكان بزعمي انها تخبره بما فعلته معها فقالت :

اعلم ياأبي انني ماسلمت نفسي للامير غشام الا وفي ظني أناحتال عليه واقتله ، وبعد ان حاربته كل النهار وجدته فارساً صنديداً فخطرت في بالي حيلة تمكني من قتله فسلمته نفسي كأسيرة ، ولما اخذني الى صيوانه اخذ يهددني فقلت له : لاحق لك بهذا وما انا الا راضية بك لانك من فرسان هذا الزمان ، واني كنت احب أنلاأتزوج الا بمن يفوقني بالبسالة حتى رايت منك ما رايت ، وهكذا كانالشرط بينك وبين أبي ، ولا يحق لك أن تعاملني كسبية غنمتها اثناء القتال ، واني أرى من اللائق ان تذهب في الغد الى أبي وتسأله زواجي وهو يجيبك فتأخذني على الشرف فذلك أليق بمقامك ، فاعجبه كلامي وصدقه وقال لي ابقي هذه الليلة عندي وعند الصباح نذهب سوية الى ابيك وانت مكرمة معززة ، فصبرت عليه الى أن نام مطمئنافقمت الى سيفه واخذته ثم تقدمت من سريره وضربته ضربة واحدة فصلت راسه عن جسده وخرجت من الصيوان تحت ستر الظلام واتيت الى قصري ولم يشعر بي أحد .

فنهضت قائماً ولم يسعني الاخفاءوقلت لابيها انهالم تقل الصدق ياسيدي وقد قصدت اخفاء الحقيقة ثم شرحت له الواقعة بتمامها، فنظرت الى نظرة احتقار وقالت لابيها : ماهذا الى كذاب منافق يمني نفسه بزواجي وقد تحرش بي مراراً فصددته ووبخته فلم يرتدع ، فاردت أن اتكلم فمنعني النعمان عن الكلام ولامني على ماصدر مني بحق ابنته ، فقلت له : اني لا اخاف الحق ، وان ماقلته صحيحاً وانها تكذبني وما ظهر الكذب الا منها .

فلم يصدق كلامي هذالذي النعمان فطردني من ديوانه فخرجت والغضب يفعل بي اشده وقد ضاع عقلي ، وبعد أن بعدت عن القبيلة ارسل في اثري مائة فارس من فرسانه يقصدون قتلي ففلبتهم وشتتشملهم واتيت الى هذه البرية وجعلت الزم الطيش والحدة ورميت نفسيفي

وهدة الغضب فانفردت في هذه الحال اعيش كما تعيش الوحوش ، وبينما أنا كذلك اعترضني هذا الاسد الـذي قتلته فتنازلت وايـاه وقد تغلبت عليه واسرعت الى سيفي واردت ان اجز رقبته فرايت الدموع تسيل من عينيه فأغمدت سيفي ومسحت دموعه فكأنه شعر بمعروفي فنهض وهو يلوح بذنبه واظهر كل طاعة لي ، ومنذ ذلك الحين الفته وصار لايفارقني وربطت في هذه الطريق وكلما رايت قافلة أطلق عليها الاسد فيبددهم واسير اليهم واغنم مامعهم وبقيت على هـذه الحالة الى ان اتيت انت وفرقت بيننا بقتلك للاسد .

فلما سمع الامير حمزة كلامه تعجب منه وقال له : ماأسمك ؟ قال : اسمي مخلوف ، قال : اعلم اني ذاهب الى النعمان للانتقام منه على كفره وطاعته للاعجام واريدك أن تذهب معي واني اعدك اني لابد وان ازوجك من القناصة بالرغم عن ابيها وانولك مرادك منها شفقـة مني عليك .

فلما سمع مخلوف كلام الامير حمزة فرح غاية الفرح وقال لـه : اني منذ هذه الساعة وعلى الدوام اكون في ركابك ، ثم سار والامير حمزة يقصدان جهة بلاد النعمان ومخلوف يسير امامهم يدلهم على الطريق .

ثم طلب الامير حمزة ان يسير امام رجاله لوحده واوصاهم أن يتأثروه وبين يديه عمر الخطاف فقط ، فأوسع في البر وتوغل في تلك الجنبات الى ان وصل الى طريق ضيق ينتهي منه الى جبل عال فأراد الدخول في ذلك الطريق واذا به يرى اربعة اشخاص من الاعجام فبعث اخاه عمر أن يأتيه بهم فسار اليهم واحضرهم بين يديه فرآهم حفـاة عراة فلما راوه بكوا وناحوا على انفسهم وطلبوا منه الامان وقالـوا : كفانا مانحن فيه من العذاب ، فليس معنا مانسد به رمقنـا ونحـن الآن نموت جوعاً ، فقال لهم الامير : لاتخافوا واخبروني بأمركم ومن الذي فعل معكم هذه الافعال ، ثم أمر اخاه عمر ابن يأتيهم بالطعام ففعل واكلوا واستراحوا ، ثم تقدم احدهم واخذ يشرح للامير امرهم فقال :

اعلم ايها الاسد والسيد المعظم اننا من الاعجام من قوم كسـرى أنوشروان وقد تعودنا على تعاطي التجارة وقد اتخذنا هـذه المهنـة سبباً لمعيشتنا ، الى ان كانت هذه المرة فحملنا بضائعنا واتينا بـلاد اليمن فبعناها كلها ومن ثم قصدنا الرجوع الى بلادنا فاخترنا المرور على الحيرة ومنها الى المدائن لظننا انها اكثر امناً وبقينا سائرين الى

ان وصلنا خلف هذا الجبل فصادف مرورنا عند طريق واسع ونحن مسرورين وفيما نحن كذلك اذ خرج علينا فارس طويل القامة مدجج بالسلاح ومن خلفه اربعون فارسا كلهم مسلحون فتقدم منا كبيرهم وسألنا عن حالنا فقلت له اننا من جماعة الملك كسرى وقد طفنا البلاد والعواصم وكانت الملوك تكرمنا وترسل له معنا الاموال وما معنا الآن فهو من امواله ، فما كان منه الا ان اخذ منا كل ما معنا وفعل بنا ما ترى وقال لنا انطلقوا الى ملككم واخبروه بما جرى عليكم وقولوا له ان الذي فعل بنا هذه الفعال هو اصفران الدربندي صاحب الحصن ، واسألوه ان كان يقدر ان يخلص امواله من يدي ، وان شاء فليبعث بكل جنوده ورجاله ، ثم تركنا وسار في طريقه .

فلما سمع الامير حمزة كلامهم ازداد به الغيظ من اصفران الدربندي وحدثته نفسه ان يخلص لهم اموالهم فقال لهم : سيروا امامي ودلوني على الذي فعل معكم هذه الافعال لاخلص لكم اموالكم ، فقالوا له : انك لاتقدر فلاتخاطر بنفسك من اجلنا ، فقال لهم : سوف ترون ماسيحل بعدوكم وما يكون من امره ، وإن كنتم تخافون على انفسكم فقفوا عن بعد وانظروا مايجري بيننا ، ثم سار في الطريق نفسه وساروا هم من خلفه وفي ظنهم انه لايقدر على خلاص اموالهم واستمروا سائرين الى ان اكتشفوا قلعة الدبندري عن بعد فقالوا له : ان هذه القلعة هي مقره ومحل اقامته ولا بد انه سيخرج اليك ونحن لانقدر على الظهور امامه ، فعذرهم الامير حمزة وعرف ان الخوف مخلوف واداموا السير وعمر يقول له : تمهل حتى تصل رجالنا لانه ليس من الصواب ان تقاتل وانت وحيد ، فقال له : ويلك اتظنني ارجو مساعدة احد لأمر اريده . ؟ فسوف ترى ما يكون مني ومن اصفران الدربندي هذا وقومه .

وكان صاحب الحصن يحسب من ابطال ذاك الزمان وقد اتخذ تلك القلعة مكانا له ، واتخذ اربعين صاحباً من الفرسان المعدودين يركبون لركوبه ويسيرون تحت امره .

وكان في يوم وصول الامير حمزة جالساً في القلعة بين اصحابه وفيما هو على هذا الحال اذ سمع صوت الامير حمزة يناديه من اسفل القلعة ، فاطل من النافذة ونظر الى الامير حمزة فاستصغره وقال له : ماذا تريد ومن تطلب وما معك ؟ قال : ليس معي الا هذا السيف الذي اعددته لقطع راسك فانزل حالا ولاتطل الكلام .

فلما سمع الاصفران كلام الامير حمزة اشتد به الغضب وقد فكر

ان يرسل اليه احد رجاله لينهي امره ، الا انه من شدة مالحق به من الغيظ نظراليه نظرة المختبر فراى ان للشجاعة دليل على جبهته تشهد له ولا تشهد عليه :

فقال له : ما انت ايها الغلام ؟ قال اما انا فما من وسيلة لتعرفني الآن واما سبب مجيئي فهو اني اتيت منتصراً للاعجام الذين سلبتهم ثيابهم وتركتهم عبرة للناس ، فارجع اليهم اموالهم ، وعدني انك لم تعد تتعدى على عباد الله والرجوع عن هذه المظالم ، ولاتظن انك تتخلص من يدي أو تقدر على الفرار .

فلم يجبه الدربندي بل استل الحسام وانقض عليه انقضاض الصاعقة ، فالتقاه الامير حمزة كما تلتقي الارض الجافة سيل الامطار واخذ معه بالعراك والصدام وفي تلك الساعة وصلت جماعة الامير حمزة الى محل القتال وشاهدت اميرها على تلك الحال فوقفت تنظر مايكون من امرهما ، وكذلك وقف جماعة اصفران ينتظرون مايكون وداما على مثل هذا الحال الى بعد الظهر بثلاث ساعات وعند ذلك اسرع الاصفران الى الامير حمزة بطعنة بفكره انها مصيبة ففطس الامير حمزة تحت بطن الجواد واضاعها بمعرفته ، ثم اعتدل على ظهر جواده وقرب من الاصفران ومد يده وانتشله من ظهر جواده والقاه الى اخيه عمر وقال له : شد وثاقه بينما ابدد رفاقه ، فصاح به الاصفران : العفو يا امير فاني وقيعك على طول الزمان ، والخدم ركابك اين سرت ولا تعاملني بغير الرحمة فما انت ممن ظلم .

فتعجب الامير عند ذكر اسمه وقال له : من اين تعرفني وانا لم اذكر إسمي امامك ؟ قال : اعلم ياسيدي اني قصدت ذات يوم التوسع في البراري فصادف مروري على مغارة في كهف جبل فأردت ان انزوي اليها واستظل من حرارة الشمس فرايت شيخاً قد طال شعره حتى كاد يعجز عن القيام فسلمت عليه فلما سمع صوتي قال لي : ادخل يااصفران فاني موعود بك لانك تأتي الى وتواريني التراب لان يومي قد جاء ولم يبق في العمر مطمع فزادت حيرتي منه وقلت له: متى عرفتني ومن اخبرك بي ؟ قال : ان ربي اعطاني من سابق المعرفة ماامكنني ان اعرف به ما لايعرفه غيري ، وقد جاءني وحي في الليل وقال لي : ن الله تعالى سيسخرلي رجلا يدعى اصفران الدربندي صاحب الحصن فيمر من هنا ويشتد عليه الحر فيلتجيء الى هذه المغارة وهو الذي يدفنني في التراب .

فلما سمعت كلامه فرحت غاية الفرح وقلت له : ياسيدي هل

لك ان تجيبني عن سؤال اريد اسالك اياه ؟ قال : ماذا تريد ياولدي، قلت : انني منذ نشأت في هذه الدنيا نشأت على حب القتال فخرجت فارساً معدوداً ومن حين وعيت الى الآن وانا اقاتل الفرسان حتى القيت الرعب في قلوب الملوك الكبار ، فقال لي لاتغتر بنفسك ياولدي فاني اخبرك خبراً اكيدا وهو انه ولد منذ أعوام قليلة غلام سعيد في مكة المطهرة اسمه الامير حمزة ابن الامير ابراهيم وهذا الولد هو الذي يكيدك وانت تكون من اتباعه فيما بعد ويكون لك في خدمته الشرف الاكبر وهو يخلص العرب من العجم ويمتلك المدن والبلدان فاياك ان تكابر في قتاله أو تطمع به واقراه مني السلام .

فلما سمع الامير حمزة كلام اصفران الدربندي تعجب مزيد العجب ثم أمر عمر أن يترك اسيره وقال له : انت منذ هذه الساعة مقدم على رجالي كونك مستحق ذلك ، والان اريد منك ان ترجع اموال الاعجام التي سلبتها منهم ، فقال اصفران : الاتعلم ياسيدي ان الاعجام هم بالفعل من اعداء العرب ، وملكهم يأخذ الجزية منهم ؟ فكيف بعد أن وصلت أموالهم الينا نرجعها لهم وهم يعبدون النار دون الملك الجبار ...

قال : اني اعرف ذلك ، ولكن سلب الاموال على هذه الطريقة لاترضي الله تعالى ، فلذلك فاني اريد ان ارجع اموال هؤلاء الاعجام لسببين الاول اني وعدتهم بها والثاني ليصل خبري الى الوزير بزرجمهر لانه ينتظر ظهوري فقال له : ان الاموال جميعها داخل القلعة وهي كلها تحت امرك ، ثم لك عندي وديعة امرني الحبيس أن اسلمك اياها وهي ستة معاضيد من الذهب الواحدة لك والخمسة لاولاد يولدون لك تحتفظ بها لحين ظهورهم فقال وما نفع هذه المعاضيد ؟ قال : ان لابسها يحفظ من الشر والضرر فلا تنفذ فيه المكائد فزاد فرح الامير حمزة بما سمعه فسار مع الامير الى داخل القلعة وارجع اموال التجار فتقدموا واخذوها فشكروه وساروا لحال سبيلهم وبعد ثلاثة ايام طلب الامير حمزة الرحيل الى الحيرة وطلب الاصفران الركوب معه فصدع للامر وحمل مافي القلعة من الاموال والجواهر واعطى المعاضيد الى الامير حمزة فأخذها لما رأى عليها من الاسماء المكتوبة ولم يعرف ان يقرأ منها الا اسم الله فقط فلبس واحد منها وركب جواده وساروا جميعاً عن تلك الناحية يقصدون طريق الحيرة والامير حمزة مسرور غاية السرور لما وصل اليه من عناية الله تعالى .

وبقوا سائرين عدة ايام حتى اقتربوا من بلاد النعمان ودخلوا حدود اراضيه فانتشر الخبر بأن الامير حمزة دخل الحدود فبلغ الخبر مسامع ملك النعمان فغضب مزيد الغضب واراد ان يجمع العساكر ويرسلها الى مكة فاعترض عليه وزيره وقال له: اعلم ياسيدي ان من الصواب ان تعلم بذلك كسرى لانك ان سرت انت الى مكة اوقعت بالعرب فتنة لاتنقضي الابهلاك العرب لان العرب لاتتخلى عن مكة وتدافع عن عيالها المالكة الشريفة، ولا سيما الامير حمزة فانه من رجال كسرى وربما مسيرك الى مكة يغيظ الملك كسرى انوشروان.

فقال: اصبت ايها الوزير، وارى من الصواب ان ارسل كتاباً الى الملك كسرى اطلعه على مايجري، وكتب كتاباً الى الملك يشرح له ما كان من الامير حمزة ومجيئه الى بلاده بصفة عدائية وبقي الملك النعمان ينتظر اوامر كسرى سيده، ثم جمع النعمان رجاله واستشارهم فيما يفعل فقالوا له ان الامير حمزة ماجاء بلادنا إلا بقصد العداوة، ونرى من الصواب مصاولته الى حين ورود الجواب من كسرى.

وكانت القناصة موجودة في الديوان فقالت: اعلم ياابي ان هذا الامير ماجاء الينا الا ليخرب بلادنا ويفعل ما يفعله العدو الالد، فلذلك أرى من اللازم ردعه وكفائة شره قبل ان يوصل شره الينا، واني اتعهد لكم بذلك واعدكم الوعد الصادق اني اسير اليه وآتيكم به أسيراً او افعل به ما فعلت بالامير هشام.

فقال لها ابوها: ماهذا الكلام الا ممن قبيل الجهل والأوهام فانك لاتقدرين على الثبات بين يدي الامير حمزة، وهو وان كان غلاماً الا انه شديد العزم والحيل هي صاحبة مكر وخداع عند القتال فلا يقدر عليها الرجال ولا بد لي من انفاذ ماخطر بفكري كيف كان الحال.

فلما سمع النعمان كلامها سكت عنها، فنهضت في الحال واخذت معها جماعة من البنات كانت اتخذتهن كرفاق الغزو وسارت من المدينة لتلاقي الامير حمزة بعيداً عن الحيرة وفي نيتها ان تحتال عليه اذ لم تقدر بالبراز فتأسره وتقتله. وكان الامير حمزة يتقدم بجماعته ومعه اصفران صاحب الحصن ومخلوف عاشق القناصة وبقوا في مسيرهم الى ان بقي بينهم وبين مدينة النعمان مسافة اثني عشر ساعة تماماً فنزل في تلك الارض وامر قومه بالنزول للراحة وتناول الطعام.

وفي المساء تبينوا القناصة ومن معها من البنات وقد وصلت وضربت خيامها في تلك الارض، وكان حمزة يجهلها ولم يعرف من

هي ولم يهتم بهذا الامر لانه راى شرذمة قليلة لا تزيد عن المائتين نفس لكنه تعجب كيف انهم اقاموا في ناحية ثانية ، فدعي اليه مخلوفاً وسأله عن اولئك القوم ؟ فقال له : لاخفاك ياسيدي ان هذه هي القناصه بنت النعمان ولاريب ان خبرنا وصل الى ابيها فاخذت المسألة على نفسها وتعهدت له بانها تنهي الامر وحدها لاعتمادها على الحيل والخداع ، فغضب حمزة من ذلك وصعب عليه كيف انه يقاتل البنات وهن لم يخلقن للقتال وقتاله لهن عار عليه ، غير انه توجع في داخله من عمل القناصة وقال لمخلوف : لابد لي من تأديب هذه الجاهلة وتربيتها لتعرف حدود نفسها ولا تجسر ثانية للتعرض للفرسان .

قال مخلوف انت تعلم ياسيدي ماكان بيني وبينها فارجوك أن ان تسمح لي ان ابرز لها في الغد اذا كانت جاءت للقتال فطاوعه الامير حمزة على ماأراد وبعد ذلك وصل اليه كتاب من القناصة تدعوه الى الحرب في الصباح وانها جاءت لقتاله ، فجاوبها لطيفاً ونصح بها أن ترجع الى ابيها والا ستلاقي في الغد مالا يخطر لها ببال .

وفي الصباح نهض الامير مخلوف قبل الجميع فركب جواده وبرز الى ساحة الميدان وجعل يلعب على جواده واذا بالقناصة قد برزت الى ساحة القتال ، فلما رأته ارتاعت وقالت له ويلك هل انت باق على قيد الحياة واناظنك هلكت ، وانا كنت اريد أن ابارز الامير حمزة لاريه قيمة نفسه غير اني الان ارغب ان اميتك شر ميتة حيث كذبتني عند ابي وبين قومي واردت ان تجعلني موضع اهانة .

فقال لها : مافعلت ذلك الا بعد ان انكرتيني فعرفت خيانة نيتك واحناث وعدك ، ثم انه هجم عليها فالتقته واخذا في القتال وكل منهما يطلب اسر صاحبه والحصول عليه ، واستمر على تلك الحال مدة من الزمن حتى هال الامر على القناصة ورات منها التقصير فارادت ان تعمد الى الحيلة لذلك عادت الى الوراء وقالت له : تمهل قليلا في قتالي لان الحر قد ضايقني واريد تخفيف ما علي من الحديد فقال لها : افعلي مابدا لك فانت اصبحت في حوزتي ولم يعد لك خلاص من يدي .

واذا ذاك ازاحت لثامها فبان منه وجهها الفتان ثم اخذت منديلا ورفعت الخوذة عن راسها ومسحت بها وجهها واسدلت شعرها على كتفيها ثم فكت ازرار صدريتها فأبانت صدرها ، فلما راى مخلوف ماراى اشتدبه الوجد وضاع عقله ولم يعد باستطاعته ان يتمالك نفسه

فلما رات منه ذلك صاحت به ووثبت عليه كانها الاسد وهي عالمه بشدة حبه لها ورفعت الدبوس وضربته به وقبل ان تصل الضربةاليه وقع على الارض خلف جواده فضحكت منه وارادت ان تكمل عليه واذا بالامير حمزة قد صاح صيحة كالرعد القاصف وهجم عليها هجوم الاسد الكاسر وقد خاف على الامير مخلوف وعرف ان الحب ضعفه حتى حل به ما حل وهو يتألم من خداعها له ، ولما انقض عليها انقضاض الصواعق واخذ معها في القتال والصدام فراته كالجبل الراسي وانها لاتقدر ان تثبت امامه اكثر من نصف ساعة فيهلكها ، فارادات ان تعمد الى حيلة ثانية تتخلص بها منه ، فقالت له : مهلاً ياسيدي ، فقال لها اني لست ممن يؤخذ بالحيل والخداع فسلمي الي نفسك في الحال والا انزلت بك الوبال .

ثم زاد عليها في القتال فدهشت من فعله ولم تر بدأ تر تد من التسليم وطلبت الامان فأمنها على نفسها واقتادها الى قومه وكان مخلوف قد علم الامر فنهض وهو مرضوض من تلك الصدمة ، انما كان العشق قد غير حاله وقد فرح فرحاً شديداً وأمل بالفوز والنجاح بأن يأخذها في تلك الليلةعروساً له واما بقيةالبنات اللاتي كن التي كانت معها فقد رجعن الى الوراء وانهزمن في الحال .

واما الامير حمزة فانه امر ان تقام الافراح في الحال ويعمل عرس للامير مخلوف لانه كان قد وعده واقسم له انه لابد وان يزوجه بها، ولذلك دعاها اليه وقال لها : اعلمي انك اصبحت الآن في قبضة يدي واريد ان ازفك الى مخلوف فهو اصبح من رجالي ومقدم بينهم، ومن الصواب ان تصغي وتطيعي ، واني لاارجع عن هذا العزم واريد أن اقيمه في هذه الليلة .

فسكتت ولم تبد خطاباً وعلمت انها وقعت وان لاخلاص لها الا بالصبر واستعمال الحيلة عسى ان الصدف تساعدها وتبعدها عن مخلوف، وبقي الفرح قائما الى الليل، وفي الليل اخذ مخلوف زوجته ودخل بها صيوانه واراد ان يقترب منها فقالت : تمهل الآن اتريد أن تغتصبني اغتصاباً ؟ فأنا ارتضيك زوجاً لي ولكني لاارضى انالبس العار على نفسي واجعل نفسي عبرة لدى الكبير والصغير وانت تعلم انني ابنة الملك النعمان ، فاذا كان الامير حمزة لا يعرف عظيم مقدرة ابي وقوة سلطانه فانت تعرف ذلك وتعلم مقامه عند الملك كسرى فمن الصواب ان تصبر وتبقيني عندك الى ان ينتهي الامر وتاخذني بخاطر ابي وبرضاه . فقال لها : كفاني مالقيت منك قبلاً واما من جهة

العار فقد عرفت الجميع اني تزوجتك ولايظن احد الا بأنك زوجتي فلا تطمعي نفسك بالمحال فجعلت تحاوله وتخدعه وتظنه يقبل منها وهو لايقبل ولايرضى ان يضيع فرصة حصل عليها بعد ان عانى اهوال وصعاب ، وكانت الطبيعة لاتسلم معه باجابة طلبه ولما عهده فيها من الكذب مما جعله ان لايأمنها .

وباختصار رأته اتاهابالرغم عنها فصبرت عليه ولم تر ان حالتها تسمح لها بتدبير اي مخرج آخر للخلاص منه .

وكان الامير حمزة قد نام تلك الليلة مرتاحاً ولم يكن لديه علم بما جرى الا انه عند الصباح نهض من فراشه وتذكر ما كان من امر هشام والقصة التي حكتها لابيها، فخاف ان تفعل امراً مضراً بحليفه مخلوف ولما خطر له هذا الخاطر تكدر منه ونهض حالا وسار الى صيوان مخلوف وناداه ان يخرج اليه فلم يسمع صوتاً فخفق قلبه عليه وعلم انه ربما يكون قد قتل ، فدخل الصيوان وعند دخوله وجد مخلوف مقتولا والدماء تسيل على الارض فغاب وعيه وكاد يغمى عليه فصاح بأخيه عمر وقال له : اسرع الى جوادي وائتني به مع عدتي فاني ارغب ان اتبع هذه الخبيثة الخادعة وسوف لاانام الليلة ان لم انتقم منها لانها قتلت مخلوفاً وخدعتني .

فاسرع عمر وجاءه بكل ما طلب فركب في الحال وانطلق اسرع من البرق الخاطف ولما راى اصفران الدربندي ركوبه وعلم الحقيقة ركب هو ايضاً وركب رجال الامير حمزة وكان كبير الرجال يدعى الامير عقيل ، وانطلقوا في اثره الا انه كان قد غاب عن بصرهم بسرعة وبقي سائراً وعمر في اثره والغضب يفعل به اشده ودخل المدينة دون ان يعرفه أحد او يفكر بانه الامير حمزة وبقي في مسيره الى ان وصل الى ديوان الملك النعمان فنزل عن جواده واوقف عمر عنده وبقي سائراً الى صدر الديوان فراى النعمان جالساً مع اعيان قومه وبنته القناصة واقفه امامه وبيدها راس مخلوف وهي تقول لابيها :

لقد قتلت اليوم مخلوفاً ولابد في الغد من قتل الامير حمزة وصادف دخول الامير حمزة في تلك الساعة وسمع كلامها فهاج من الغضب وراى راس مخلوف بين يديها فلم يسعه الا الانتقام منها فصاح بها وقال لها : ويلك ايتها الشقية اتجسرين على قتل مخلوف زوجك وتعدين اباك بقتلي ، ثم ضربها بالسيف على وسطها فقطعها نصفين وصاح بابيها وقال له : اني احترم دواوين الملوك فلا اقتلك تعدياً في ديوانك ثم خرج من الديوان فأعترضه الحجاب وارادوا الايقاع به

فضرب فيهم بسيفه البتار حتى فتحوا له الطريق فصار في فسحة القصر واذابالجنود قد هجمت عليه فالتقاهم بقوةوعزم وثبات وارسل سيفه يعمل في صدورهم فطرحهم في تلك الفسحة وطير الرؤوس عن اجسادها وباذل من نصف ساعة قتل نحواً من خمسة عشر رجلا حتى وصل الى الباب واذا بعمر واقف عند الجواد فاعتلى ظهره واراد الرجوع الى الوراء واذا بالجنود قد اقبلت من كل مكان لان الملك النعمان قد خرج من باب آخر وجمع تلك الجنود وامرها بالتقدم نحو الامير حمزة وحثها على الهجوم عليه فصاح الامير حمزة فيهم صياح الابطال وانقض عليهم انقضاض البواشق على اضعف الحجال واخذ يجول فيهم ذات اليمين وذات الشمال واتسع امامه المجال وكان اخوه عمر يحمي ظهره ولايدع احداً يصل اليه وهو كصغار الجان .

وصول الدربندي

وفي تلك اللحظة وصل اصفران الدربندي وجماعة الامير حمزة وشاهدوا مايجري في المدينة فهجموا وصاحوا يدافعون عن اميرهم فاشتد القتال وقد بقي هكذا الى قرب الزوال فحينئذ تفرق جنود النعمان ، وكان الامير حمزة قد وصل الى النعمان وهو يطلب الهرب فامسكه مسكاً باليد وسلمه الى اخيه عمر وعند ئذ ذلك رجع الامير حمزة من ساحة القتال ودخل ديوان النعمان وجلس مكانه وجمع قومه وامر ان يؤتى بالنعمان الى بين يديه فاحضروه وهو ذليل حقير بعد ان كان عزيزاً مهاباً .

وعند وقوفه بين يديه قال لأخيه عمر : اقطع رقبة هذا الطاغي ولاتدعني اراه بعد الآن ، فتقدم عمر منه واراد ان ينفذ فيه امر اخيه الامير فاستجار الملك وقال :

ماهو الذنب الذي فعلته حتى وجب علي القتل ؟ فقال حمزة ان ما تزعمه من مجيء العرب والعجم فهذا لااخافه ، واما سؤالك عن الذنب الذي فعلته فهو ان اباك واجدادك كانوا يعبدون الله ويكرمون مكة المطهرة ويأتون اليها كل عام فرجعت عما كان عليه اجدادك وصرت الى عبادة النيران وهذا الذنب وحده كاف لموتك ، واني اطلب اليك مالا مناص لك منه وهو ان تعبد الله تعالى .

فقال النعمان هذا ما اريده واتمناه ، وما تركت طريقة آبائي

واجدادي الا كرهاً عني واجابة لطلب كسرى انور شروان ، فقال له الامير: لا تخف احداً وان كان كسرى يعترضك فاني اسير اليه واخرب الايوان على راسه ، فقال النعمان : اني اعدك ياحمزة من هذه الساعة ان اعبد الله تعالى ومهما جرى يجري ، لان نفسي مضطربة من عبادة النيران .

فلما سمع الامير حمزة كلامه نهض اليه بنفسه وحل وثاقه وطلب اليه ان يجلس على كرسيه وصافح كل منهم الآخر .

ثم دعا الملك النعمان رجاله واصلحهم مع الامير حمزة وعرفهم انه مال قلبه الى عبادة الله تعالى وترك عبادة النيران ، ففرح الجميع وقالوا اننا دائماً بعذاب الضمير وكل منا لايرضى بغير عبادة الله تعالى وشكروا الامير حمزه على عمله ومدحوه .

ثم امر الملك النعمان أن تمد الولائم وتذبح الذبائح تكريماً للامير حمزة ورجاله وباتوا تلك الليلة وفي الصباح عاد الامير حمزة الى الديوان فوجد الولائم قائمة فبقي خمسة عشر يوماً عند النعمان وفي كل يوم يزيد له بالاكرام ، وفي اليوم السادس عشر قال النعمان : مرادي ان اذهب الى المدائن وانظر حالة كسرى انور شروان فان كان على وفاق معنا سالمناه ، وان كان يخاصمنا خاصمناه وانزلنا به العبر .

فقال النعمان : اني لا اشور عليك الآن بالمسير الى بلاد الاعجام لان كسرى كثير الجنود والاعوان وبلاده واسعة جداً لا يكاد ملك من ملوك العالم يقارنه ، فاذا سرنا اليه لايكفل النجاح ، وان كسرى نفسه لابد من ان يحتاجك ويستند بك ، والراي عندي ان تعود الآن الى ابيك وتقيم عنده الى حين احتياجك ويدعوك اليه فتنال بذلك الشرف والفخار ويكون لك عنده العظمة والاعتبار .

فقال حمزة : لقد اصبت بذلك ، ولا بد لي من القيام بمكة الى حين احتياج كسرى الي واقام بعد ذلك يوماً واحداً وبعده ركب بجماعته وودع الملك النعمان وسار قاصداً بلاده والاوطان ، وقد خرج النعمان لوداعه الى خارج المدينة ومن ثم رجع الى الحيرة وسار حمزة على طريق بلاده .

وبعدما سار الامير حمزة رجع النعمان مسروراً بمصاحبته الامير حمزة ورجوعه الى عبادة الله ، لكنه حسب حساب كسرى وفكر انه لا بد ان يغضب اذا عرف بذلك ، وبقي ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خطر له ان يذهب الى المدائن ويدخل على كسرى ليعلم ماهناك من الاخبار

عن الامير حمزة وعن العرب ولابد ان يكون وصل الى كسرى خبر حمزة من رجاله ومن المكتوب الذي ارسله له ، ولما قوي في باله هذا الخاطر استعد للذهاب فاحضر موكبه وركب بجماعته من الحيرة قاصداً بلاد العجم وبقي في مسيره الى ان وصل الى المدائن مقر الملك كسرى .

وكان كما تقدم لايقدر احد ان يدخل على الملك كسرى الا بالاذن لكثرة الحجاب المقيمين في ايوانه ، فذهب الى القصر المعد لنزول الضيوف من الامراء والملوك الى اليوم الثاني لما عرف ان الملك كسرى قد خرج فذهب الى ايوانه وجاءالىالباب الخارجيواستاذنبالدخول فاذنوا له فدخل وقبل ، وقال لكسرى اعلم ايها الملك الاعظم ان فارساً من مكة جاء بلادي وقتل رجالي واحرمني بنتي القناصة وقد بعثت بكتاب عن ذلك ولم اعلم ماذا حصل من عظمتك ، فاضطرب الملك كسرى من هذا الخبر وتكدر مزيدالكدر وقال :

مااسم هذا الفرس ؟ قال الامير حمزة بن الامير ابراهيم .

فقال : لابد لي من خراب مكة وقتل هذا الامير ، وكان قيصر قد سهى عن باله ما كان من نحو عشرين سنة من امر الحلم ، والمكتوب الذي بعثه النعمان اخذه الوزير بزرجمهر ولم يعرضه على كسرى فوقف الوزير وقال : اعلم ياسيدي ان الملك النعمان كان بعث اليك بكتاب فكتمت عنك خبره .

فقال : وكيف لم تطلعني عليه بوقته ؟

قال اني اخفيت ذلك لما ثبت عندي ان هذا الامير هو من رجال كسرى ، ومن اقرب الناس اليه واحبهم عنده .

فزاد عجب كسرى بذلك وقال : ما معنى هذا الكلام ؟ واي علاقة بيني وبين اخلاف العرب ، ومن هو الذي تزعم انه اعز الناس عندي ؟
قال : هذا ياسيدي الاسد الذي رايته في حلمك منذ زمان طويل ، وقد بعثني لاجله الى مكة المطهرة لاكتبه من قومك وهو تربى على مالك الخاص فلما سمع كسرى فرح كل الفرح وقال :
هذا الذي اخبرتني عنه انه يخلص ملكي من عدوي ؟

قال : نعم هذا هو ياسيدي قد ظهر للوجود واخذت افعاله تنمو وتزيد حتى خافته اكثر العرب ، فأمر كسرى ان تخلع على النعمان الخلع السنية جزاء على وصول هذا الخبر اليه ، ثم ان النعمان ودع الملك كسرى ومضى .

وبعد مضي عدة ايام بلغه ان خارتين صاحب حصن خيبر قد

خرج بعساكره وعددها اربعمائة الف مقاتل ودخل حدود البلاد فاغتاظ كسرى وتكدر ثم امر ان تجمع العساكر وتكون على اهبة القتال وفوض امر ذلك الى وزيره بختك وبعد مدة قليلة قال له الوزير : لقد نفذ امرك ولم يبق من حاجة لاكثر وقد تجمع عندنا نحو تسعمائة الف فارس من الفرسان والابطال .

فقال له : اذن اريد منك ان تذهب بهم الى ملاقاة خارتين وتحاربه على بعد عن المدائن قبل ان يصل الينا ، فلم يوافق هذا الأمر بختك لانه خاف أن يقع بين يدي خارتين فقال لكسرى : ليس من الصواب ياسيدي ان تلاقيه عن بعد من هذه المدينة بل من الصواب أن تبقى العساكر خارج المدينة حتى اذا وصل دافعت عنها وارجعته بالخيبة والفشل ، والا تفرقت عساكرنا فلا تعود تقدر على التجمع والدفاع عن المدينة قبل وصوله اليها .

فاستحسن كسرى قوله وامر ان تقيم العساكر خارج البلد وتنصب خيامها في ضواحيها ، وبقيت على هذا الانتظار مدة اثنا عشر يوماً الى ان بلغ كسرى ان خارتين المذكور قد قرب من المدائن ولم يبق بينه وبين جيوشه الا مدة يوم وانه امتلك كل العواصم التي مر بها وعند ذلك امر العساكر ان تستعد للقتال وتتحضر لملاقاة المهاجمين وفرق عليهم المؤن والذخائر وبقيت هكذا الى اليوم الثاني وفيه طلت عساكر خارتين واقبلت الى جهة العاصمة وهي منتشرة كالجراد وضربت خيامها مقابل عساكر الاعجام وقامت بقية ذاك النهار الى اليوم الثاني ركب خارتين جواده وكان هو قبيح المنظر ولكنه من الابطال المعدودين .

ولما راته عساكر الاعجام قد ركب بقومه ركبت وتقدمت باذن العساكر على بعضها واشتعلت فيما بينها نيران الحرب . وكان يوماً عظيم الاهوال وكان خارتين صاحب حصن خيبر يزار كالاسد ، ويسطو سطوة الليث القسور ، هذا وصارت فرسان العجم تتأخر وفرسان خيبر تتقدم وقد اشتدت همتها بما فعله خارتين .وبقي هكذا الى وقت الزوال فضربت طبول الانفصال فرجع الفريقان الى الخيام وما كان احد يصدق ان يرجع بسلام .

وعندما رجعت الاعجام الى خيامها دخل بختك الوزير المدينة واجتمع بالملك كسرى وباقي الوزراء فقال له كسرى :

اني اخاف عساكري ان تفشل في هذه المرة فيلحق بنا الويل . وكان بودي منذ اليوم الاول ان ارسل الى الملك النعمان واستدعي

جماعة العربان للحضور لمساعدتنا فمنعتني انت ووعدتني بالنصر والظفر .

فقال له : كن ياسيدي مطمئن البال فان جيوشنا كثيرة ولا بد ان يكون الفوز لنا ولا حاجة لاتيان العرب لانهم اذا حضروا معنا حربا وانتصرنا بها يلبسون النصر لهم وبسببهم ، وعليه فلا اريد وصولهم الينا وحضورهم واكره مساعدتهم ، فتأثر الوزير بزرجمهر من كلام بختك وعرف ان في هذه المرة لا بد للعجم ان يحتاجوا العرب ولاسيما الامير حمزة فهو وحده الذي يقتل خارتين ويكون ذلك سبب وصوله ودعوتهم لمساعدتنا من باب الخطأ والغلط لانهم من عمالنا ملزمون بخدمتنا اثناء القتال والدفاع عنا .

فقال بختك ان امر القتال منوط بي ولا يمكن ان تتأخر ببركة النيران كيف لا وعدد عساكرنا يفوق عساكر خيبر .

واما خارتين فانه عند المساء امر ان تنتقل خيامه الى الامام وقد سر بما وقع له من النجاح في ذاك اليوم ، واوصى كل عساكره ان لا احد يدعوه منذ ذلك الحين الا بالملك كسرى ملك العجم والعرب ، وصبر طول تلك الليلة الى ان اشرق الصباح فنهض الى جواده فركبه وتقلد بسلاحه وتقدم في اول عساكره فركب بختك وامر عساكر العجم ان تتقدم فتقدمت الى ساحة القتال ولم يكن الا القليل حتى اشتبك القومان وبقي القتال الى الزوال فضربت طبول الانفصال ، وقد حل بالعجم اعظم مما حل بالاول وتأخروا الى الوراء بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة .

ودام الامر على هذا المنوال مدة عشر ايام حتى لجأ الفرس الى المدينة وتأخروا وتبدد شملهم وثبت عند كسرى ان العدو لابد ان يدخل بلاده فلذلك طلب من وزيره بزرجمهر ان يسعى له بطريقة تخلصه من هذا العدو ، فقال له : ما من وسيلة لنجاتنا من هذا الطاغي الا ان نبعث في هذه الليلة باولادنا وعيالنا الى مدينة طهران ، وبعد ذلك نسير نحن لهناك ننظر في امر خلاصنا لان الخيبريين سيدخلون المدينة في الغد ويمتلكونها وحينئذ نتركها نحن موقتاً ومن ثم نعود اليها ، وسوف ترى بعينيك ما يكون من امر العرب الذين تتم النصرة على ايديهم .

فاستصوب كسرى هذا الراي وامر ان ترسل الحريم والعيال الى طهران وصرفوا تلك الليلة على ماتقدم وفي اليوم التالي نهض خارتين وهو مؤمل بالفوز والنجاح وهجم على بقية جنود العجم وضربها بقومه ضربا اليما موجعاً فبددها وما جاء آخر ذاك النهار حتى ضايق

المدينة كل المضايقة وانزل بها الويل والعبرة فالتزم كسرى ان يتركها ويصير عنها من جهة ثانية برجاله قاصـداً مدينة طهران .

وبعد ذلك سلمت المدينة الى خارتين فدخلها منتصراً فائزاً وتملكها بقوة سيفه وقبض على كل عاص فيها ونهب اموالها وذهب الـى الديوان الاكبر وجلس على تخت الملـك كسرى واعتز بنفسه وقـال لرجاله : الآن صح ماكنت افكر به من ان عرش كسرى سيكون لـي واكون انا الملك على العرب والعجم وكل ما يملكه كسرى سيكـون لي فهنأه الجميع على ما وصل اليه ونام تلك الليلة وفي الصباح كتب الى كل نواحي بلاد فارس والعرب الى داخل المدن وما ترك بلد الا دعا عاملها اليه وهددهم بأن كل من امتنع عن الحضور بعث اليـه العساكر وانزل به العبر ، وقد سمى نفسه كسرى الخيبري . وبعد ان ارسل الكتب جعل ينتظر وصول المرسل اليهم فلم يقدم عليه احد ولا جاءه خبر . فأراد ان يذهب بالعساكر الى اولئك العمال غير انـه راى نفسه في ذلك الوقت غير قادر على المسير خوفاً من رجـوع كسرى الى تلك البلاد فيكون ضيع تلك النصرة سدى ، فبقي فـي المدينة وفي نفسه الشر لكل اولئك العمال ولاسيما الملك النعمان ملك العرب ، الذي كان ينتظر وصوله قبل الجميع لانه كان يخالـف العرب لعلمه ان فرسانها كثيرة وابطالها مشهورة .

هذا ماكان منه واما ما كان من الملك كسرى وقومه فانهم داموا في مسيرهم الى ان وصـلوا الى طهران وهي احـدى مـدن كسرى فدخلوها وهم ملهوفون مكدرون لضياع بلادهم .

وبعد ان استقر بهم المقر وارتاحوا اجتمع كسرى بوزيريه لينظر في امر خلاص بلاده ، فقال بختك لكسرى : قد جاء بفكري كلام كنت سمعته منذ سنين وقد تبين لي كذبة الآن .

فقال كسرى : وما هو هذا الكلام ؟ .

قال ان وزيرك بزرجمهر قال : ان رجلا من العرب يخلص بلادك ويردها اليك ومما ظهر الآن انه لم يصب في قوله .

قال : صدقت ، فلم ار صحة لذلك مع اني سمعت بهذا الرجل العربي من الملك النعمان ، ثم التفت الى بزرجمهر وقال له : ايـن هذا الذي اشرت عليه فقد احتجنا الى مساعدته ولم يات لمساعدتنا مع اننا صرفنا عليه الاموال وخسرنا الخسائر الباهظة وربيناه على حسابنا .

قال : اني لم اغلط في قولي فان الامير حمزة هو الآن في مكة لا يعلم ماذا جرى علينا من خارتين ، وهو ينتظر اشارة منا ليأتي ويخلص بلادنا ، ثم انه كان من رضى الله الذي اعبده انا ويعبده الامير حمزة منذ عشرين سنة وقد ظهر لك في الحلم لتستدرك نفسك ولا تسلم بلادك للاعداء .

قال كسرى : انا نحن الذين اخطانا بحق انفسنا وقبائلنا وارى الآن من اللازم ان تذهب انت بنفسك وتدخل بلاد العرب وتجمع الجيوش وتأتي معها بهذا الفارس المدعوحمزة العرب لخلاصنا وخلاص بلادنا فقم الآن وخذ معك هدية للامير حمزة ولابيه .

فاستحسن الوزير كلامه وقال : اني في هذه الليلة استعد لذلك وعند الصباح اكون في الطريق كي لا يضيع معنا الوقوف ، ثم انه قام ليستعد وفي الصباح اخذ جماعة من الاعجام وسار من طهران على طريق الحيرة فوصلها بعد ايام فدخل على الملك النعمان وسلم عليه فلاقاه ورحب به واطلعه على رسائل خارتين التي يدعوه فيها للطاعة ، وقال له : انني الآن آخذ في جمع الجيوش العربية حتى اسير بها لقتال الخيبريين .

فشكره بزرجمهر وقال له : لايجب ان تسير الا انا والامير حمزة في مقدمة الجيوش لانه هو وحده عليه المعول ، فثابر انت في جمع جيوشك وانتظرني الى ان اعود اليك بالامير حمزة لاني ذاهب اليه في مكة المطهرة لاحضاره ، ثم اقام ثلاثة ايام في ضيافة النعمان ومن هناك يقصد بيت الله الحرام الى ان وصل اليه وعرف به الامير ابراهيم فخرج اليه وسلم عليه ومعه ابنه الامير حمزة ، فلما رآه بزرجمهر نزل عن جواده وتقدم اليه وقبله بين عينيه وبعد رجوعهم الى الخيام قال الوزير : اعلم ياحمزة اني ماجئت الا لاجلك ولاذهب بك الى كسرى ثم حكى لهم كل ما كان من امر خارتين وكيف انه استولى على عاصمة المملكة وجلس على كرسي العجم وفي ظنه انه يمتلك البلاد ، وقد بعثه كسرى اليه وارسل له الهدايا والتحف ويرجوك المسير لخلاص بلاده .

فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام اشتد به الغيظ ولعبت برأسه النشوة العربية وقال : وحق البيت والصفا لابد لي من المسير الى هذا الخيبري واذبحه ذبح الاغنام وذلك اكراما لك ولاابخل بروحي من اجلك .

فسر الوزير من كلامه فصافحه لسانه وقال له : سوف يكون لك المقام الاول وتسود على كل قائم وقاعد ؛ وان الله سبحانه وتعالى مؤيدك بنصره وسينتشر صيتك في الآفاق وتطيعك العواصم والبلاد ، ففرح الامير بكل ما سمعه من اول الحظ الاوفر والسعد الاعظم ..

وبعد ذلك قام الوزير الى البيت فطاف حوله ثلاث مرات وادى الفروض المتوجبة على العرب ، ثم رجع الى بيت الامير ابراهيم فأقام في ضيافته ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع سأله ان يتأهب للسفر فأجابه وأمر اصفر الدربندي ان يستعد وجماعته واستعدت رجاله واخصائه وهو فرحان بنفسه لامرين ، أولا لحبه بخوض مثل هذه المهمة ، وثانياً ليرى الفرس شجاعة العرب ويدعوهم الى الاعتراف بانهم اشد منهم بأساً .

وفي اليوم التالي نهض الامير حمزه وقبل يد ابيه وطلب منه الدعاء ودخل الى بيت الله وطلب من الله المساعدة والتوفيق ، ثم ركب جواده وصاح بأخيه عمر ان يركب فأجابه لذلك واخذ معه قناته وقميصه وتقمط بقماط من الجلد كما يظهر البرق ، وقد تعجب الوزير منه وكاد لايصدق انه من الانس .

ثم تقدم الوزير فودع ابراهيم ، وكان قد خرج لوداعهم وقد أوصى الوزير بابيه فوعده بكل خير وساروا محفوفين بالسعادة والسرور مع بزرجمهر وحوله جماعته ورفاقه ، وكان عمر يعلو الآكام والجبال ويبحث في الطرق والمغائر ويعود الى بين يدي اخيه باسرع من طرفه عين وداموا مسيرهم الى ان وصلوا الى الحيرة وعرف الملك النعمان بقدومهم فخرج الى ملتقاهم وكان قد جمع العساكر والرجال وفرح بقدومهم وترحب بهما وسلم على الامير حمزة ودخل بهم المدينة وعمل لهم الولائم الفاخرة واضافهم كعادة العرب ثلاثة ايام ثم طلب منه الوزير ان يسيروا معه الى طهران ليجتمعوا بالملك كسرى ليسيروا معاً لمقاتلة خارتين .

فقال حمزة : واي فضل للعرب اذا قامت مع العجم وهم باقون على العظمة والكبرياء ، الا ينسبون الفوز لهم ؟ فاني اريد ان اذهب بنفسي مع جماعتي الاخصاء الذين جئت بهم من مكة فقط .

فقال الوزير : لاتسلك طرق الخطأ ياولدي ، لان خارتين قائد صنديد فلذلك ارى من الصواب ان تسير الى كسرى وتقاتل معه ولا تضيع الفرصة فقال : اقسم بالرب العظيم رب زمزم والحطيم انـي لااقاتل مع العجم ولا احب ان اضيع تعب العرب بكبرهم وعظمتهم ،

فتبسم الوزير من كلامه وقال : لقد اصبت ياولدي فانك قادر على ما تقول ، أريد منك فقط ان تصحب معك الملك النعمان برجاله وما تجمع عنده من الجنود وليس في ذلك عار ، وانت تكون القائد والآمر عليهم ، فافعل ذلك اكراماً لخاطري ، قال : هذا افعله لالكوني محتاج اليه ، لكن ليقال ان العرب اهل غزوات وحرب ويكسبون الفخر على العجم ويرتفع بذلك شرفهم وناموسهم على عبدة النار .

فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح به وقال في نفسه الحق بيده ومن كان مثله لاخوف عليه لانه يعبد الله ويطيعه ، ومن يحب الله لايتخلى عنه ، وبعد اخذ الملك يأمر جيوشه التي تجمعت بالركوب كل فرقة بفرقتها وكان عددهم نحوا من خمسين الفا ، ولما انتهوا ركب كل واحد جواده وركب الامير حمزة وكانه الطود ومن خلفه اخوته بالسن والى جانبه الملك النعمان ولم تمض الا ساعات قليلة حتى تحركت الكتائب في تلك الارض .

واذ ذاك تقدم الوزير من الامير حمزة فودعه ودعا له بالتوفيق والنجاح وودع النعمان وسائر الامراء وسار من هناك في طريق طهران وسار حمزة في طريق المدائن .

هذا واستمروا سائرين الى ان قربوا من المدائن وتبينوا عاصمة الفرس واذ ذاك امر الملك النعمان بالنزول في تلك الارض وقال للامير حمزة : يجب ان لا نتقدم اكثر من ذلك فاجابه الى ذلك واقامت العرب في تلك الارض وقد ضربت خيامها وسرحت خيولها منتظرين ما يكون من امرهم مع الخيبريين . وبعد ان استقر بهم المقام سأل النعمان الامير حمزة ان يكتب كتاباً الى خارتين يهدده به فكتب اليه مايلي :

(اعلم ايها الخيبري الطاغي الذي ظن بنفسه الكفاءة لاختلاس المدائن ومنازلة الابطال ؛ الا فاعلم باني آليت على نفسي بان اقاتل كل عدو يتسلط على بلاد الملك كسرى وها قد اتيت اليك على نفسي لانذرك بان تخرج في الحال بجميع رجالك وتغادر المدينة واذا امتنعت عن الخروج دخلت عليك وانت في وسط الديوان وقتلتك ، وهذا عار يبقى عليك مدى الزمان وهذا آخر ماأكتبه اليك وسيجمعنا الميدان والسلام) .

ثم طوى الكتاب بعد ان وقع عليه وسلمه الى اخيه عمر وامره ان يوصله الى خارتين ويعود منه بالجواب ، فاخذه وسار نحو المدينة وكان خارتين قد عرف بوصول الملك النعمان ورجال العرب

فظن انه جاء لتقديم الطاعة فقال لمن حوله : كنت اظن بالملك النعمان العصيان والعناد فها هو الآن جاء بقومه وفيما هم على مثل ذلك اذ بعمر قد دخل عليه بكتاب اخيه ، ولما قراه ضحك منه حتى استلقى على ظهره ولم يات على آخره حتى ارغى وازبد وقام وقعد وقال لعمر : من هذا الذي يقال له حمزة وقد تجاسر على كتابة هذا الكتاب وهو بدوي لا اصل له ويريد ان يتعرض لي ويجعل لنفسه مقاماً بين الناس ؟ فلا بد لي من قتله مجازاة له على تعديه حيث دعاني لقتاله ، فقال عمر : ان كنت لاتعرفه فسوف تعرفه اذا اجتمعت به في ساحة الميدان ورايت منه شدة بأسه وخبرته بمعرفة الطعان ، ومن المقرر الثابت انه لابد أن يقتلك ويرجع البلاد الى كسرى ، فاكتب له الجواب لاسير به اليه لأنه في انتظار الجواب ، فقال انه لايستحق عندي كتاباً ولا بد ان اخرج اليه في الغد واقتله واقتل الملك النعمان وكل من جاء لاجل هذه الطاغية واقيم حاكما على على العرب قبلي فاذهب وبلغه ان يلاقيني في الغد الى ساحة الميدان لاذهب بعمره وارى فرسان العرب والعجم وكل من يكون حاضراً ما يحل به وبل من يجسر ان يلاقيني او يعصاني . فخرج عمر من الديوان وهو يتعجب من قباحة منظر هذا الرجل وضخامة جسمه وطول شعره .

ولما صار امام اخيه حمزة أخبره بما كان من امر خارتين فقال حمزة : لا بد لي من قتله في الغد او ما بعد الغد ، وباتوا تلك الليلة ينتظرون خروج الخيبريين . وفي الصباح نهض امير حمزة من فراشه وخرج من صيوانه فراى ابواب المدينة قد فتحت واخذت الجنود تخرج منها ودامت على هذه الحال طوال النهار حتى سدت ذلك المكان .

فبهت النعمان من كثرة عددهم وخاف من الفشل فقال للامير حمزة : ان جنود خارتين كثيرة العدد واخشى ان يدب الرعب في قلوب رجالنا ، وقد جال بخاطري ان اطلب نجدة من الملك كسرى فقال له الامير حمزة : اني كنت أحب ان لا تاتي انت ولا اصحب معي غير رجالي واني بحول الله تعالى قادر على ان القى الالف والالفين واكثر من ذلك ، فاذا كنت قد خفت وتوهمت فارجع بقومك ودعني اقضي الامر بنفسي ، وقد اخبرتك باني لااحب ان اخلط عبدة النيران بعباد الله ورجاله ، وسوف ترى بعينيك حالة الخيبرين وما سيحل بهم وبقائدهم خارتين .

فسكت النعمان واصبح ينتظر ما سيكون من امر الأمير حمزة والاعداء ورای ان الفرس ذو عادة على الكبرياء والعظمة فباتوا لايعترفون بشجاعة العرب . فانقضى ذاك النهار دون حرب وفي اليوم التالي قرعت الطبول واسرعت الرجال من كل ناحية الى خيولها واعتلت ظهورها وتقدمت الى ساحة الميدان ، فجمع الامير حمزة رجاله وامرهم ان ينقضوا في كل مكان ينقض هو فيه ليحموا له ظهره ويقاتلون كقتاله ، فقال له اصفران الدربندي : اني اعلم اننا نحن وحدنا نكفي لهؤلاء الخيبريين مهما بلغوا من العدد ولا حاجة لنا بقوم النعمان ، وسوف ترى بعينيك ماسيكون لنا ، واذا شئت اسمح لي ان اقاتل هذا اليوم وحدي برجالي وعند نهاية النهار تظهر الحقيقة ، ويعلم الملك النعمان ان اربعين من خدامك ورجالك لاقوا اربعمائة الف من رجال العدو وعادوا منتصرين باذن الله .

فأثنى حمزة عليه وعرف انه يقدر على ما يقول لعلمه ببسالته . وبينما هم في ذلك الحديث واذ بجنود خارتين قد هجمت دفعة واحدة واندفعت كأنها السيل فالتقتها العرب واخذت معها في القتال والكفاح وحمل الامير حمزة بقلب قد من الصخر ، وباقل من نصف ساعة اختلط الخيبريون بالعرب واشتد لهيب المعركة وعلا الصياح حتى خيل للناظر ان يوم القيامة قد حل . وكان الامير حمزة قد رأى ازدحام الجنود فانقض على الخيبريين انقضاض الصاعقة ففرق شملهم وشتت جمعهم وشردهم في البراري والقفار ومن خلفه الدربندي وبقية الرجال واستمر القتال على تلك الحالة الا ان قرب الزوال فضربت طبول الانفصال ورجع حمزة برجاله والدماء تغطي جسده وكأنه الليث فتلقاه الملك النعمان بالاحتضان وقبل ما بين عينيه وشكره عظيم الشكر وقال له :

في الحقيقة انك فارس هذا الزمان ومشرف العربان ملله درك من بطل .

فقال له حمزة : اني اقاتل لاحياء شرف العربان وارتفاع مقامهم الى اوج الفخار ؟ فقال له النعمان : انني ارى انه ليس في المبارزة من فائدة ومن الاوفق ان تبقى الحرب على ماهي عليه وان شاء الله ستضعف شوكة الخيبريين ويفر خارتين ويترك هذه الديار .

فقال حمزة : اني لا ازال خائفاً من خارتين ، وتأكد بانه لم يبق من عمره غير هذه الليلة ، وفي اليوم الآتي يمسي تحت التراب وتحت نعال الخيال ، وبات حمزة تلك الليلة ينتظر بزوغ الفجر ، ولما بزغ

الفجر نهض من فراشه الى سلاحه فأفرغه عليه وركب جواده وركبت رجاله وتقدموا الى ساحة القتال فاسرع الامير حمزة الى وسط الميدان كأنه الاسد الفضبان فصال وجال وطلب ملاقاة الابطال، فبرز اليه خارتين كأنه الغول في قباحة منظره وقال لحمزة : انت هو حمزة صاحب الكتاب ؟ فقال له نعم انا هو الاسد وانت انت الكلب واي نسبة بين الاسد والكلب وفي هذا اليوم سترى ماسيحل بك ولسوف يشاهد الناس مصرعك .

فلعب الغيظ برأس خارتين وتمزقت احشاءه فامتشق حسامه وضرب به حمزة فالتقاه بقوة ساعده وأخذ معه في القتال فشخصت اليهما الابصار وهما تارة يجتمعان وتارة يتفرقان ، ودامت الحالة بينهما على هذا الشكل نحو خمس ساعات واذذاك سمعوا صيحة عظيمة ارتجت لها السهول وجفلت منها الخيول ، وكانت هذه صيحة الامير حمزة الذي انقض على خصمه انقضاض الصواعق وضربه بسيفه الماحق فوقع على عاتقه الايمن فقطعه وخرج السيف من تحت ابطه الايسر فمال خارتين عن ظهر جواده يتخبط بدمه وخرجت روحه من جسده، فلما رأى العرب ان اميرهم قد قتل خارتين فرحوا غاية الفرح وأملوا بالفوز والنجاح ، وثبت لدى النعمان بأن الأمير حمزة هو وحيد عصره فأمر رجال العرب ان تحمل حملة واحدة واشتبك القتال وصاح على رؤوسهما غراب البين وحل على الخيبريين الدمار وايقنوا انهم يلجؤون الى المدينة للخلاص من قتال العرب ، غير أنه قد خاب ظنهم لان العجم كانوا بانتظار النهاية حتى رأوا ان خارتين قد قتل فتجمعوا وحملوا السلاح ووقفوا عند الابواب لمنع الخيبريين من الدخول ولما تعذر عليهم الدخول فلم يروا امامهم الا الهرب والفرار فتفرقوا في البراري والقفار والامير حمزة يضرب فيهم وقد شفي غليله وما جاء آخر النهار الا وهم بعيدون عن تلك الديار وقد امتلأت الارض من قتلاهم ، وبعد ذلك اجتمع الامير حمزة بالنعمان فقبله بين الاعيان وشكره على ما فعله وقال له : مثلك تكون الابطال ولابد ان يحلك كسرى محل الاسياد العظام وتصير لك عنده المنزلة الرفيعة على الدوام .

فقال حمزة : اني لا اطلب المنزلة لنفسي ولا اريد من كسرى الا ان يعترف بفضل العرب وبسالتهم لأني لا احتاج الى التفاته وما زلت قادر ان انشيء الشرف لنفسي ، واذا لم يعترف كسرى بفضل

العرب الزمته الى ذلك بقوة سيفي الاحدب وما اعطاني الله من قوة الجنان .

ثم جاء بعد ذلك الامير حمزة الى نحو ابواب المدينة فتلقاه اهلها بالترحاب والاكرام وقدموا له مزيد الاعتبار وادخلوه المدينة بالفرح والسرور ونظر الامير الى اخيه عمر فوجده يحمل راس خارتين .

فقال له الامير حمزة : ما حملك على هذا يا عمر ؟

فقال : لا اخفاك يا اخي انك لابد ان تبعثني الى كسرى لابشره فاذا كان معي الراس ورآه كان فرحه اعظم فاحصل منه على المكافاة لان جماعتي العيارين يحبون المال ولي ثقة كبرى بانه من الآن وصاعداً سيحصل لي كل ماطلبه بمساعدتك فوعده حمزة بكل جميل ودخل واياه المدينة ومعهما الملك النعمان ودخلوا قصر الملك كسرى وناموا فيه تلك الليلة وفي الصباح جاءوا الى الديوان وصعدوا عليه ونظر جمزة الى كثرة لاموال التي كان جمعها خارتين وابقاها في الخزائن، فقال النعمان : ان هذا المال هو مالنا لنا الحق بالتصرف فيه ومن الواجب ان ناخذه لانه من مال خارتين وقد قتلناه واصبح ماله مباحاً لنا .

فقال حمزة : هذا لا اوافق عليه ولا اريده فهو الآن في قبضة الملك كسرى وصار ملكه ، لاننا نحن نقاتل عنه وله كل ما يقع في ايدينا فهو من ماله دون شك ، فان انعم علينا به كان خيراً والافاننا في غنى عن ذلك ولكي اظهر للفرس عفة نفوس العرب ، فانتبه النعمان الى كلامه ووعاه وعرف ان الحق بيده وان الله قد جمع به كل الخصائل الحميدة .

ثم كتب الامير حمزة كتاباً الى الملك كسرى يخبره بما كان ودفعه الى اخيه عمر وقال له : خذ هذا الكتاب واذهب الى طهران وادخل على كسرى وارفعه اليه واقراه مني السلام .

ففرح عمر بهذه الرسالة وقال في نفسه لابدلي من ان احصل في هذه المرة على لاموال الغزيره ونال ماتمناه وبعد ذلك انعم على اصحابي والعيارين الذين اتخذتهم لنفسي وخرج فرحاً مسروراً .

وبقي سائراً الى ان وصل الى طهران وهي البلاد التي فيها الملك كسرى كما تقدم معنا الكلام .

وكان لوزير بزرجمهر بعد ان ودع الامير حمزة بقي سائراً الى ان وصل الى طهران ودخل على كسرى فقال له بشرني ايها الوزير العاقل ؟ قال : قد جاء الامر على حسب ما تريد ، وانتصر الفارس الذي نحن

نرتجي منه النصر ففرح كسرى وقال : لابد لنا من مكافاته اذا تم لنا المطلوب ، وبقي كسرى في طهران ينتظر خبراً من قبل حمزة هذا وقد وصل عمر العيار بكتاب اخيه فدخل المدينة وجاء الديوان وكان فيه الوزراء وجمع من الاعيان ولما رآهم عمر اراد ان يسبق بالبشارة فصاح وهو في الباب وقال : ابشر ايها الملك العظيم ان عدوك خارتين قتله فارس هذا الزمان الأمير حمزة وقد اعاد البلاد اليك ، والديوان فانبهر كسرى وصاح صياح الفرح وصفق بيديه وقال لوزيره بزرجمهر لقد صدق وعدك ايها الوزير وهذه بلادي عادت الي .

ثم تقدم عمر وسلم الكتاب الى الملك كسرى فأعطاه الى وزيره بزرجمهر ليقرأه عليه فأخذه وفضه فاذا به :

(ـ من الامير حمزة عابد الرحمن ومبيد اهل الكفر والطغيان ، الى الملك كسرى انوشروان، اني لما كنت قد ربيت على نعمتك ونشأت تحت عنايتك صار من الواجب علي خدمتك والدفاع عن بلادك وتاجك ولهذا السبب قد سرت بأمر وزيرك الكريم بزرجمهر الى المدائن والتقيت بعدوك خارتين فقتلته وشتت شمل رجاله ودخلت المدينة محفوفاً بالنصر وقد اجليت الأعداء عنها تاركين اموالهم وغنائمهم وقد ارسلت لك راس خارتين لتدوسه برجلك وانا باق في المدينة لحين حضورك وتجلس على كرسيك وتأخذ الاموال التي تركها عدوك ولازالت عساكر العرب خارج المدينة ولم تدخل الا اذا امرتها انت والسلام مني اليك) .

فلما سمع كسرى ما في الكتاب فرح فرحاً عظيماً وقال لقومه لابد لنا من الذهاب الى المدائن لنشاهد الأمير حمزة ونكافئه على معروفه ، وقال لوزيره بزرجمهر اخبر عمر الذي جاءنا بالبشارة انني الآن لا مانع عندي لاكافئه ومتى عدت الى المدينة اغمره بالعطاء فبلغه الوزير كلام كسرى فتكدر وخاف أن يذهب تعبه سدى ، فأكد له الوزير بأنه متى وصلوا المدينة سيذكر كسرى بالانعام عليه.

وبعد ذلك امر كسرى ان يسير عمر مع الوزير الى المدائن ثم امر الوزير ان يزيد بالاكرام حمزة ويقوم بما يليق بشانه ، فركب الوزير وبين يديه عمر وداوما على المسير حتى وصلا الى المدينة .

اقام الامير حمزة بعد مسير اخيه عمر بين رجاله خارج البلد، وكان يدخل احياناً مع الملك النعمان الى المدينة ويتفرج عليها ثم يعود الى رجاله وقد اعاد الى المدينة الراحة والسلام .

وفي ذات يوم وهو اليوم الذي وصل به الوزير بزرجمهر دخل

حمزة ومعه الملك النعمان الى ديوان كسرى فوجد كرسيه يتلألأ كلمعان البرق لعظم ما عليها من الجواهر ، فقال النعمان للأمير حمزة: اصعد الى هذا الكرسي واجلس عليه لانك تستحق اكثر من ذلك ، قال : ان نفسي لاتطمع بأن اجلس على هذا الكرسي ، غير اني اجلس عليه على سبيل التجربة فقط ، ثم انه نهض بخفة وسرعة الى الكرسي وجلس عليه ففرق لوسطه لانها كانت مشدودة بالمخمل الثمين ومحشوة بريش النعام فانسر وقال للنعمان هنيئاً لكسرى ، فانه يتنعم بجلوسه على هذا الكرسي الناعم

فقال النعمان : انني اريد ان اسألك امراً فهل ترضاه وتقبل به او ترجعني عنه وتحرمني منه ؟

قال اني لا امنعك من امر تريده وذمة العرب ، فامرني بما تشاء، قال : اني اريد ان تجرب التاج على راسك لارى جلوسك على هذا الكرسي ، فقا له : اني كنت لااحب ان اجري هذا الامر كون لا يلبس التاج الا الملوك ، غير اني لا اريد ان احرمك من امر تريده قال النعمان : اننا نعترف بشرفك وعلو نسبك ، فما انت الا ابن امير مكة المكرمة وفي الحال دعا النعمان بعض خدمة الديوان وامره ان يأتي بتاج من تيجان كسرى الذي كان يلبسه خارتين فأتى به وهو مرصع بالجواهر الكريمة .

فلبس الامير حمزة التاج على راسه فزاد بهاء وكان جميل الصورة فانبهر النعمان منه وقال له : ان التاج يليق بك اكثر من كسرى ، وفيما الامير حمزة على مثل ذلك مع الملك النعمان واذا بالوزير قد دخل وراى الأمير حمزة على تلك الحالة فهجم عليه واحتضنه وقال له : لم ارابهى منظراً ولااجمل بحياتي من هذا المنظر البهيج ، فنزع حالا التاج على راسه وقال لاتؤاخذني ياسيدي فاني فعلت ذلك تجربة بطلب الملك النعمان .

قال : لابأس ، فأنت ابهى من كسرى واليق ، ثم سلم النعمان على الوزير وتقدم حمزة وقبل يده فشكره الوزير على كل ما فعل وبلغه رسالة كسرى ثم ان بزرجمهر عمل لهم وليمة فاخرة واكرمهم غاية الاكرام الى ان قرب مجيء كسرى ، فقال للنعمان وللامير حمزة ان يقيموا في الخيام حتى اذا جاء كسرى لايكون هناك بل يكونوا في معسكرهم فيدعونهم اليه او يأتي هو بنفسه اذا عرف حق الجميل.

فاستحسن الامير حمزة ذلك وخرج مع النعمان الى خيامهم واقاموا فيها مسرورين بتقدم العرب واجتماعهم بكسرى بعد قليل،

وفي اليوم التالي لمجيئهم جاءت الاخبار بقدوم كسرى فخرجت الرجال والنساء لملاقاة ملكهم ، ولما التقوا به ابدوا له احسن الملتقى ولما دخل المدينة وجلس على كرسيه وحوله الوزراء سال عن الامير حمزة فقال له بزرجمهر : انه لم يدخل المدينة ، قال : ولما ذلك ؟ قال : انه لم يقبل مفارقة قومه ولامد يده الى اموال خارتين بل ابقاها الى حين مجيئك لتراها وما ذلك الا من عزة نفس العرب .

فضحك بختك من كلامه وقال : من اين للعرب مثل هذه اللغة وهم مشهورون بالسلب والنهب وغير ذلك ، فقال له بزرجمهر : ان عملهم لا يحسب من قبيل السرقة على حفظ الزمام والمروءة عندهم ، واكبر دليل على ذلك عمل الامير وقومه ، واني اعرف تماماً انه لو اخذ مال خارتين بل مال المدينة باجمعه لما غاظ الملك كسرى بل كان يسر منه لعمله انه له الفضل الاكبر والمعروف الذي يكافأ بأعظم الاشياء واثمنها .

وفيما هم بمثل ذلك اذ بالامير عمر العيار قد دخل الديوان لانه كان قد عرف بقدوم كسرى فلما رآه كسرى عرفه وامر له بعشرة آلاف دينار فأخذها وعاد مسرعاً الى معسكرهم ووصل الى اصحابه وقال لهم : اتبعوني فقد جئتكم بالمطلوب وسار أمامهم فانطلقوا في اثره فوزع عليهم المال كله ولم يبق لنفسه شيئاً .

اما كسرى فانه اقام في المدينة الى اليوم التالي بقصد الراحة ثم خرج من قصره وقصد ديوانه ودخل الديوان وجلس في صدره والتفت الى الوزير بزرجمهر وقال : انني اريد ان ارى الامير حمزة فاذهب اليه ودعه على لساني ان يأتي الي لأراه ، فأجاب الوزير امر سيده وخرج بالزينة الفاخرة وجاء خدام الأمير حمزة فخرج اليه وتلقاه وسلم عليه ودخل واياه صيوان الملك النعمان فترحب بهما واجلسهما عنده في اعز مقام .

هذا وقد بلغ الوزير الأمير حمزة دعوة الملك كسرى وانه بعثه اليه ليأتيه به ، فقال له حمزة : انني لاضيع لك تعباً ومن الواجب ان اسير بخدمتك الى ديوان الملك كسرى حتى اراه واسم عليه، فقال النعمان ان ذلك لايوافق وقد يحصل منه ضرر وربما تخرب لاجله المدائن ويقع ما ليس في الحساب ، فقال حمزة : وكيف ذلك ؟ قال : اعلم ان العجم منكبون ويعاملون العرب معاملة الهزء والسخرية، فسلم الوزير بزرجمهر بذلك ، وقال له : لقد اصبت ومن الواجب

ان تسعوا في كلمابه راحة العرب ورفع شأنهم فقال الامير حمزة : طالما كنت تعلم ذلك ياسيدي فلما اتيت الينا ؟

قال : ان الملك امرني ولا اقدر على مخالفة امره وحيث انكم ابديتم ذلك فاني ابلغه اياه .

ثم رجع الوزير عائداً الى الملك كسرى واخبره بكل ما كان من امر النعمان والامير حمزة . فقال كسرى : لقد اصاب حمزة في هذا فاذا تكلم احد في حقه بما يغيظه جازيته بالقتل ، ولذلك اريد منك ان ترسل منادياً ينادي بكل اسواق المدينة لمن كل من يظهر سوء ادب بحق الامير حمزة فاذالم يقتله حمزة يقتله الملك ، ثم بعث الوزير الى الملك النعمان والامير حمزة يخبرهما بما كان من امر كسرى فلذلك ما من بأس من حضورهما الى المدينةاجابه لدعوة الملك كسرى انوشروان .

وشاع في كل الامير حمزة سيدخل المدينة باحتفال مهيب مع رجاله تلبية لدعوة الملك كسرى ، اما الملك فقد ارسل وزيره بختك ليلاقي الأمير عند ابواب المدينة ، فلما بلغ النعمان والامير حمزةكلام الوزير نهضا وركبا جواديهما واخذ كل منهم اتباعه وتقدموا الى ابواب المدينة فوجدوا تلك الزينة فانبهر حمزة وقال للنعمان : لما كل هذا الشيء ، هل يريد كسرى أن يلفت الناس علينا ، فلا اوافق ان ندخل دون أن يعلم بنا احد وهذا مما يزيد في عظمتك ويظهر حب الملك لك لأنه يريد ان يلاقيك ملاقاة الملوك الكبار ، وها قد بعث وزيره بختك لملاقاتك .

قال : هل عند كسرى وزير مقدم غير الوزير بزرجمهر ؟ قال : عنده وزير اسمهبخرستكوهو الذي ستراه الآن،غير انهيبغض العرب جداً ويتمنى لهم الهلاك ،ر ولولا وجود بزرجمهر عند كسرى لكان سعى بهم منذر من بعيد قال اذاً لابد من كبحه واذلاله وفي تلك الاثناء وصلوا الى امام الوزير فترجل النعمان وترجل الوزير وسلما على بعضهما ، ففعل الامير حمزة كذلك بختك متكدراً من هذه الحالة ، ولم يسبق له ان ضحك بوجه النعمان مرة واحدة ولكن هذه المرة اجبر بأمر سيده ان يبدي للعرب كل اعتبار واحترام الا انه كانقد اضمر الشر في المستقبل للأمير حمزة .

وكان من العادة انلايدخل احد على كسرى وهو في ديوانه لابساً سلاحاً بل ينزعه في الخارج ، فعندما وصل الامير حمزة الى باب الديوان اراد ان يدخل بسلاحه فمد الوزير بختك يده لينزع منه

السيف دون ان يكلمه فامتنع الامير من تسليم سيفه وقال في باله لابد من ان غاية الفرس رديئة يريدون ان يأخذوا سلاحنا ليبطشوا بنا ، وقد اخبرني النعمان باحتقارهم للعرب . ثم مد بختك يده ثانية ليأخذ السيف فزاد حنق الامير وتكدر من عمله وصاح انني لااسلم سيفي لاحد ، ثم رفع يده وضرب الوزير كفاً على صفحة خده فعوى بختك كما تعوي الكلاب ووقعت اضراسه ثم صاح الامير حمزة في الحجاب قائلا : كل من يدنوا منكم الي اعدمته الحياة ، ونظر الى الملك النعمان فرآه قد نزع سيفه فقال له : البس سيفك ولا تنزعه فقال له : ان هذه من العوائد عندهم ان لايدخل احد بسلاحه الى بين يدي الملك .

قال : انا لااعرف هذه العادة ولا بيني وبين كسرى كشرط ، فان اعجبه ادخل بسيفي دخلت والا رجعت من حيث اتيت ، وسمع كسرى من الداخل الصياح وراى وزيره بختك على تلك الحالة فانبهر وخاف ان يكون احد اغاظ الامير ، فسأله عن الخبر فقيل له ان حمزة لايدخل الا بسيفه وقد اراد الوزير نزع سيفه منه فضربه على وجهه، فالتفت الى وزيره بزرجمهر وقال له: اسرع الى الامير وادخله بسلاحه ومن معه فما من خوف منهم والا اوقع بالعساكر وجرى بينه وبين العجم امر مكدر .

فجاء الوزير الى خارج الديوان فوجد حمزة عند الباب والناس قد تفرقوا من حوله وخافوا منه ، فدنا الوزير وقال له : ادخل ياحمزة بسيفك ولاتلم احداً سواي لاني نسيت ان اخبرك بذلك .

فقال انا لا افارق سيفي ابداً ، فامسكه الوزير من يده وادخله وهو يقول له :

حسناً جازيت بختك فهو يستحق اكثر من ذلك ، فقال له : صدقني ياسيدي انني حالما وقعت عيني عليه جفل قلبي منه وكنت اريد ان اقتله في الحال غير اني عرفت ان كسرى يحبه ويقدمه عليك فلم ارض ان اغيظه لكن لابد من قتله .

ولما دخل على كسرى وشاهده على تلك الهيئة والجمال وقعت محبته في قلبه وصبر عليه ان قرب منه وقبل يده فنزل قليلا عن عرشه وقبله وشكره على فعله وامر ان يقدم له كرسي الى جانبه ، فجلس وهو مسرور من معاملة كسرى له ، ثم التفت الى يمينه فراى الوزير بختك جالساً وقد ربط فكه بمنديل وقد تورم فعرف انه لابد وان يكون متكدراً منه .

ثم التفت الامير حمزة وقال لكسرى : لاتؤاخذني ياسيدي حيث اني ضربت وزيرك بختك لانه اراد ان يحط من كرامتي ، فقال كسرى : لاباس ايها الامير اذا غلط وزيري واخطا لانه لم يكن يقصد الحط من كرامتك ولابد من اصلاح الامر بينك وبينه، ثم قدم للأمير حمزة الشراب واستعاد الملك كسرى منه حديث حربة مع خارتين وكيف قتله فاعاد عليه ذلك الى ان مضى قسم من النهار .

ثم سال كسرى الامير حمزة اذا كان يرغب في الطعام فقال : نعم اني جائع وكذلك جماعتي واريد ان ابقى هنا الى المساء .

فامر كسرى ان تحضر الموائد ودعي الامير حمزة وجماعته واعيان الفرس لياكلوا على تلك الموائد فنهضوا اليها ، ونظر الامير حمزة الى ماهو على المائدة فوجد اطباقا من الذهب وعليها من المآكل الفاخرة . لم يذقه قط ، من طيور محمرة بالسمن محشوة بالصنوبر ودجاج وغير ذلك وكلها موضوعة في تلك الاطباق ، ولدى جلوس الاعجام على المائدة اخذ كل واحد منهم ملعقة وشوكة وبدا بالاكل وبقي الامير حمزة جالساً دون ان يمد يده الى المائدة فطلب كسرى من بزرجمهر ان يساله لماذا لاياكل ، فساله فقال : اني نشات على عادة العرب ولا اريد ان آكل على غير عادتي ، فبلغ الوزير كسرى عما قاله حمزة ، فقال لاباس فاني اعرف ان البدو ياكلون بأيديهم فهذه الامور لايلتفت اليها وكل انسان ياكل حسب مشتهاه .

وحينئذ شمر الامير حمزة عن ساعده ومد يده الى الخبز فمزقه وادار بيده اللقمة ولغها بما في الصحن من الطعام وفعلت العرب مثله ، وبعد ان فرغ الجميع من الطعام رفعت الصحون ووضع غيرها من الحلويات من جميع الانواع فاكلوا واكتفوا ثم نهضوا ورجعوا الى مراكزهم حيث قدمت لهم القهوة ، وبعد ذلك قال كسرى :

اني اريد ان اقدم هدية للأمير وان كان ليس من شيء يقوم بحق واجبه ثم أمر ان يقدم لكل واحد من العرب ثوب عربي ثمين وان يقدم الى الملك النعمان ثوب ايضاً والى الامير حمزة ، فقدمت الثياب المذكورة وكان ثوب الامير حمزة من اغلى الثياب واعظمها .

وبعد ان بقي العرب عند كسرى طوال النهار طلبوا منه الاذن بالذهاب الى خيامهم ، فقال لوزيره بزرجمهر ان يخبر الامير ليبقى في المدينة وينام مع جماعته في قصر خاص يعد لهم افضل من قيامهم في الفلاة .

فقال له حمزة : اننا لانرغب ان ننام الا في خيامنا ، فهي أفضل عندنا من القصور ، ثم ودع الملك كسرى وخرج من الديوان وتبعه قومه ، ولما وصلوا الى الخيام قال النعمان للأمير حمزة : اني سررت جداً في هذا اليوم لان كسرى غير رأيه مع العرب وعاملهم معاملة اللين والرقة واللطف ، بخلاف الاول فاني كنت أحضر على الدوام في كل سنة الى بين يدي كسرى فكنت أعامل بالإهانة والاذلال ليس فقط من كسرى بل من جميع قومه لاحتقارهم للعرب والحط من شأنهم .

قال حمزة : لابد وان تنقلب الأيام فنعامل بالمثل لان الله سبحانه وتعالى راض عن العرب لطاعتهم له ولايقبل بأن يبقوا أذلاء .

ثم أن النعمان دخل صيوانه لينام وذهب الامير حمزة الى صيوانه فدخله واقام اخيه عمر عند الباب للمحافظة عليه الى ان مضى قسم من الليل . وبينما هو واقف لاح له شبح يتقدم نحو صيوان الأمير فانقض عليه كالبرق الخاطف وقبض على عنقه قال له: من انت ؟

فقال : اني خادم عند ستي مهردكار بنت كسرى انوشروان ، وقد دعتني هذه الليلة واعطتني كتاب الى الامير حمزة وبعضاً من طعامها وامرتني ان اقدمه اليه واعود اليها بالجواب . وقد اوصتني ان اقصد عمر العيار واطلب منه مساعدتها عند اخيه حمزة .

فقال له: لقد وصلت فانا هوعمر العياروانى مستعدان أساعدها بكل ماتريد بشرط ان تكون سخية بالمال لان عندي اربعون عياراً اريد ان ابذل لهم الاموال لكي يعرفوا حبي لهم ، قال : ان ذلك يكون لك على الدوام ، فقال له : أعطني الكتاب وما جئت به وانتظرني لادخلك على اخي الامير حمزة .

فاعطاه الكتاب والوعاء الذي فيه الاكل وخاتم من الذهب مرصع بحجر من الجوهر فاخذها منه ودخل الصيوان ودنا من سريرحمزة وصاح عند راسه يدعوه ، فاستيقظ مندهشاً وقال له : ماذا جرى ولماذا جئت الي في مثل هذا الوقت ؟

فقال عمر : ليس الان وقت النوم ، بل انهض واستيقظ .

قال : ماذا تعني ، هل وقع امر مكدر ؟ قال : لابل وقع امر مفرح جداً ، وهو ان رسولا جاء من قبل مهردكار بنت الملك كسرى يحمل اليك كتاباً وخاتماً مرصعاً بالذهب ووعاء فيه اطعمه وهو ينتظرك في الخارج ليأخذ الجواب .

فخفق قلب الامير حمزة وشعر عند سماعه باسم مهردكار شعوراً غير عاديا وانه لم يكن قد رآها ولا سمع بها ولا عرف حتى بوجودها، وفي الحال نهض من سريره وتناول الكتاب وجاء الى قرب المصباح، ففضه واخذ بقراءته واذا فيه مايلي :

(اسيرة الحب قيدها الجمال بقيود لاتحل ، ورمتها ايدي الطافك في سجن من الهوى ، ولم يسبق لي ان ملت الى غرام او فكرت بمثل هذه الاوهام او خطر لي ان افتح قلبي لفتى من الفتيان ، وما كنت افكر بان نظرة واحدة كافية لان تفعل بي مافعلت ورمتني بالوساوس وجعلتني اسلك سبيلاً ربما كان غير موافق لسلوك مـن لايعرف ولا المدائن ، وقد زرع بذهني خبر اعمالك وبسالتك وعرفت علو منزلتك عند ابي فأخذني الشوق لان اراك ، وفيما انا بقصري وشبح الحب متمثلاً امام عيني ، وقد طرق مسامعي بانك ستاتي لزيارة المدينـة ففرحت جداً ومنيت نفسي بقرب لقاء من فعل الجميل واعاد الينا بلادنا فجلست في شباك قصري وكان مطلاً على باب الايوان حـيث اراك وانت داخل ، وما لبث ان رايت موكبك قد اقبل وانت الـى جانب الملك النعمان وانت كالبدر ليلة تمامه فاندفع قلبي نحوك عـن غير قصد مني ، ولوكان باستطاعتي ان ارمي بنفسي عليك لفعلت ولو كنت رفعت راسك قليـلا لكنت رايتنـي وعلمت حـالتي ، ولا شك ان قلبك كان يميل الي كما مال قلبي اليك .

وها اني اعاهدك منذ هذه الساعة والى الابد باني سابقى قائمة على حبك ولا اختار عنك بديلا ، وسأدين بدين الله الذي تعبده انت واكون لك زوجة مخلصة في حبك ، فاذا قبلتني تكون السعادة قـد لازمتني ، والا فالشقاء والويل والعذاب .

فاشتري حياتي واشفق على ذلي ولا تضيع فتاة حفظت مـع صغير سنها كل قواعد الآداب ، وقد بعثت اليك ياسيدي بعربون ذلك وهو خاتم من خواتمي الثمينة لتتذكرني كلما نظرت اليه .

فاياك ان تمتنع عن قبولي خوفاً من الله سبحانه وتعالى الـذي يعرف الخفايا وان اعرضت عني تكون قد قتلتني ظلماً والله لايحب الظالمين ، واعلم بانك ساكن في قلب فتاة قادرة على خدمتك باحسن اسلوب تريده ؛ فاقبلني وارحمني يرحمك الله) .

فلما فرغ الامير حمزة مـن تـلاوة الكتاب زادت بـه الوساوس وتلاعبت به نار الحب واخذت تقلبه ذات اليمين وذات الشمال وهو

مطرق ومفكر كيف ان هذه الفتاة تدعوه لحبها ، مع انها بنت ملك عظيم وهو بدوي لايملك مالا ولا قصوراً .

فلما رآه عمر على تلك الحال قال : لما هذا التهامل بالجواب ؟ قال : ويلك ياوجه القرد اني مرتاب من هذا الامر ، واخاف ان تكون كبيرة بالسن وهذا مما لاارضاه لنفسي ، اخرج الآن الى الرسول واوعده بانني سوف ارسل لها بجوابي فلايكون الا ماترغبه وترضاه .

فخرج عمر الى الرسول وقال له : ان مولاي مسرور من عمل سيدتك وهو لايملك الآن ادوات الكتابة ليكتب لها الجواب ، فقل لها بان الامر سيقضى بحسب ارادتها ، ولاتنسى ماوعدتني به من المال .

وفي صبيحة اليوم التالي خرجت العرب بانتظار الامير حمزة الذي سيقصد المدينة ، فلم يخرج بل بقي الى ان جاء النعمان ودخل الى صيوانه ، فدخل عليه الامير حمزة فرحب به واجلسه بجانبه فسأله النعمان : الا تحب ان تنزل اليوم الى المدينة ؟ قال : اني لااريد ان اقيم هذا اليوم عنده بل سأقيم بين قومي ، وبينما هم جالسون وقد دار الحديث بينهم عن كسرى وبلاده ومحبته للامير حمزة مع انه لم يكن قبلا ليكرم عربياً ، فتقدم عمر وكان واقفاً بالقرب من اخيه وسأل النعمان قائلا : هل لكسرى اولاد ؟ قال : نعم ان الملك كسرى لهثلاثة اولاد ذكور ، قال : اننا نريد ان نعرف احوال كسرى وهل عنده غير هؤلاء الثلاثة ؟ قال اني اعرف ان له عدة بنات لكني لا اعرف اسمائهن ولا اعرف سوىابنتهالصغرىواسمها مهردكار ومعناهباللغة العربية شمس الدنيا وقد اشتهرت في بلاد العرب والعجم بانه لايوجد اجمل منها ، وقد طلبها ملوك وابناء وزراء فلم تقبل بأحد منهم وان والدها يحبها محبة عظيمة ويعلم انها وحيدة عصرها ، قال : وهل هي كبيرة في العمر ؟ فلا بد ان تكون فوق العشرين .

فعرف ان عمر يقصد معنى بهذا السؤال وترجح عنده ان حمزة يريد ان يسأل اخاه مثل هذا السؤال لان دلائل الحب كانت لاتخفى عليه ؟

فقال لعمر: يبلغ عمرهاعشرين سنة ومن مدةخمس سنواتكانت تتقن اللغة العربية والفارسية وهي فوق ذلك ادبية .

وكان الامير حمزة صاغياً الى هذا الكلام وقدثبت لديه انه موافق لما اشتهر عنها من الجمال ، فاخذ الحب ينمو في قلبه وقام وخرج من صيوان النعمان وعاد الى صيوانه ، فتقدم منه عمر وقال له : اسمعت ياأخي ماقاله الملك النعمان عن مهردكار ؟ فاسأل الله ان

يجمعك بها وتصبح زوجتك ، فقال له : دع عنك هذا الكلام ومن الصواب ان لانفكر بشيء بعيد التوال واننا قبل ان نلج هذا الباب يجب ان ننظر في العواقب .

قال عمر : ان كسرى يحبك ولا يمنع عنك امرا تريده ولابد انه اذا علم برغبتك بزواج ابنته ان يسرع الى تلبية طلبك ويفعل كل مايرضيك ، واذا كنت تريد ان ادخل قصرها وآخذها منه واسير بها الى اي مكان تريده انت دون ان يشعر بنا احد ، قال : هذا لا افعله انا ولا يفعله الا ادنياء الناس وكيف اسرق بنت كسرى وصار بيني وبينه معرفة ومودة ، واطلب منك ان تترك هذا الامر ولا تبيح به الى احد .

وفي اليوم الثاني نهض من فراشه ولبس افخر ثيابه وتقلد سلاحه واعتلى فوق جواده وخرج الى الملك النعمان فوجده بانتظاره وقال له : هل لك اليوم ان تذهب الى الملك كسرى لانه قد بعث رسولا الينا ، فقال سأذهب اليوم فأمر اعيانك بالركوب معنا فأجابه الى ذلك وركب جميع الرجال وساروا الى المدينة والامير حمزة ينظر الى الاعلى وهو يتمنى ان يرى مهردكار ويشاهد حسنها وجمالها ، ولما قرب من الايوان رفع نظره فراى شمس الدنيا واقفة في الشباك كأنها البدر يتلألأ في كبد السماء وحال وقوع نظر الامير حمزة عليها اشارت اليه بالسلام فأجابها بلباقة كأنه يضع يده على راسه لاصلاح خوذته كي لايلحظه احد فعرفت انه يجيبها على تحيتها فسرت مزيد السرور حيث اطمأن بالها نوعاً ما .

ودخل الأمير حمزة الديوان وهو مشغول الفكر ودهش ايما دهشة لمشاهدة جمالها وعرف ان مثل هذا الجمال لايمكن ان يتصوره العقل .

فلما دخل الديوان نهض اليه جميع الاعيان وتقدم بزرجمهر حيث انه هو الترجمان بين العرب والعجم ، وبعد ان استقر به المقام قال كسرى للامير حمزة : ايها الأمير انني اريدك ان تكون كل يوم بديواني لاراك لان قلبي قد تولع بك ياحمزة العرب ، فعدني بأنك تاتي كل يوم عندي وتجلس الى جانبي دون تكليف كأنك ولدي ، فوعده حمزة بذلك ، وعرف ان هذه المعاملة ستنوله مراده من الوصول الى مهر دكار .

اما الوزير بختك فانه كان لايزال متألماً من صفعة الامير حمزة وكلما وقعت عينيه عليه يتألم ويتوجع ويكاد يقع على الارض من شدة الغيظ لانه لم يقدر على هلاكه .

وفيما هو على ذلك خطر في باله خاطر سرّ امنه مزيد السرور والتفت الى كسرى وقال له باللسان الفارسي: لقد خطر لي امر ياسيدي أريد ان أبديه لك، قال ماهو؟ اجابه يقال بان الأمير حمزة من اشد الفرسان شجاعة غير اننا لم نشاهد قتاله ولا حربه فخطر لي ان تسأله اذا كان باستطاعته ان يصارع الاسد الذي عندنا بالقفص ام لا ؟ فقال كسرى دع عنك هذا الامر فاني اخاف ان يبطش به الاسد فنخسره ولا ينفع في الندم ، قال : من اين للاسد ان يبطش به وعلى ما اظن انه يقدر ان يصرع الأسد مهما كان عظيماً ، ولا سيما فان الأسد مربوط وما ذلك الا لنرى مقدار قوته ونعرف هل يمكنه ان يثبت امام الأسد ، وفيما هم على ذلك قال حمزة لبزرجمهر : اريد منك ياسيدي ان تخبرني عن معنى الكلام الواقع بين كسرى ووزيره فاني اراهما على اختلاف ، واخاف ان يكون ذلك مما يتعلق بي ؟

قال : كل ذلك يتعلق بك وهو ان هذا الخبيث بختك يريد ان يدعوك كسرى لمصارعة اسد هائل عندنا والنظر اليه يخيف ويرعب اشد الناس بسالة وان غاية بختك هي انه يريد ان يلقيك بهذه التهلكة العظيمة ليأخذ بثأره منك فقال له حمزة : اريد منك ايها الوزير ان تسأل الملك كسرى ان يسمح لي بمصارعة هذا الاسد فاني اريد ان اصارعه وادع بختك يموت من الغيظ ، قال دع عنك هذا الأمر فما نحن بحاجة اليه ، قال : هذا لابد منه ولا اريد إلا مصارعة هذا الاسد بالقرب من باب هذا الإيوان .

فسأل كسرى عن الحاح حمزة ، فاخبره بزرجمهر بكل ما تقدم ذكره ، فقال له : قل للأمير حمزة ان هذا الأمر لايريده الملك خوفاً عليه ، فأعاد عليه كلام كسرى . فقال حمزة : إذا لم يسمح لي بصراع الأسد تركت ديوانه وخرجت غضباناً من حضرته ، فان اردت شيئاً واراد ان يمنعني عنه من جهة خوفه علي فاني قبل ان اصل اليه قتلت اسدين وهذا الثالث .

ولما راى كسرى إلحاحه اجابه الى طلبه وفي الحال امر كسرى ان يؤتى بالأسد امام الإيوان حيث ان هناك ساحة واسعة ، فأحضر القفص وهو على عجلات الى تلك الساحة ووضع في وسطها واخبر الأمير حمزة بذلك ففرح اشد الفرح وقال في نفسه لابد ان اري مهر دكار فعلي واكيد بذلك بختك الخبيث المحتال .

ثم ان الملك جلس على ظهر الايوان ينظر الى الساحة ومثله جميع الوزراء ولم يجسر احد ان يقف في الساحة خوفاً من الاسد، وخرجت

مهردكار الى شباكها وجلست عليه وهي حزينة القلب لانه بلغها ان الامير حمزة سيصارع الاسد فخافت عليه وصارت تبتهل الى الله أن يرعاه بعين عنايته .

ولما عرف الامير حمزة بأن مهردكار جلست تنظر اليه نزل الى وسط الساحة ونزع ما عليه من السلاح واعطاه لاخيه وبقي بثيابه ولم يخف شيئاً ، ولما قرب من القفص كسر بابه من فوق الى اسفل ليتمكن الاسد من الخروج ، فخرج الاسد من قفصه كانه الغول الهائل ، ولما وجد نفسه خارج القفص تنفس وفرح وكان حمزة قد دنا منه وفك قيوده فأصبح مطلق الايدي والارجل فزار بصوت اشبه بالرعد ورفع يديه الى الاعلى وانقض على الامير حمزة يبغي افتراسه ، فاجابه حمزة بصوت اشد ارتفاعاً والتقاه بقوة قلب وامسكه من وسطه ولم يدعه يتمكن منه وضربه ضربة على وجهه فدوخه .

ثم ان حمزة ثبت امام الاسد ثبوت الابطال وبقي على ذلك المنوال وهو مع الاسد، وقد ثبت للجميع أن الامير حمزة من الابطال المعدودين غير انهم كانوا لايرجحون خلاصه من الاسد ، وفيما كان الامير حمزة مع الاسد في عراك لاحت منه التفاتة الى مهر دكار فرآها باكية العين تنظر اليه بانكسار فطار عقله وصاح صيحة اهتزت لها تلك القصور وارتجت لها الارض فارتبك الاسد وضاع عقله فانقض عليه حمزة ودخل بسرعة البرق تحت وسطه فتمكن من يديه فشدهما الى بعضهما ثم ميله الى الشمال فوقع الاسد على الارض فداس حمزة على راسه فمات الاسد لساعته، فمد حمزة يده الى جوفه واخرج قلبه واكله.

فأمر الملك كسرى أن يأخذه بزرجمهر الى الحمام ليغسل جسمه ويلبس بدلة من افخر الثياب التي يختارها . وكان حمزة لايعرف الحمام ولا الماء الساخن فشعر بارتياح في جسمه ، ومن ثم رجع مع الوزير وهو يقول له : ان الزمان يخلصني ولا بد لي من كيد بختك لانه يريد لي الهلاك .

وبعد ان دخلوا الديوان وجلس في مركزه بجانب كسرى وقدم له الشراب وبعد ذلك امر باحضار مائدة الطعام فجلس العرب على جانب منها والاعجام على جانب آخر ، وبعد ان اكلوا واكتفوا عادوا الى مراكزهم وجلسوا على كراسيهم فأمر كسرى ان يعطى الامير حمزة ثوب فاخر من ثيابه الخاصة يلبسه في اي وقت يشاء فأخذ الثوب وهو مسرور وبقي في الديوان الى المساء . وعند المساء خرج من الديوان مع جماعته العرب وهو يرفل بثوب المجد والفخار ، وبختك ينظر

اليه نظرة المتألم الحسود غير انه صبر على دهره واخذ يفكر في طريقة ثانية ينال بها مراده .

هذا ولما صار حمزة في باب الايوان راى مهر دكار واقفة بالانتظار فأشار اليها بأسرع من لمح البصر بالوداع وركب على ظهر جواده وركبت العرب من خلفه والنعمان الى جانبه وساروا عائدين الى خيامهم ، وقد اوصاه كسرى بأن لايبارح ديوانه لانه لايقدر على فراقه ، ولما وصلوا الى خيامهم نزل الامير حمزة في صيوانه ولم يكن عنده سوى اخيه عمر فأخذ يفكر في مهردكار وجمالها ، وفيما هو يفكر بمثل هذا الامر دنا منه عمر وقال له : لقد رايت مهر دكار يا اخي فأعجبتني جداً أسأل الله ان لايحرمك منها ، وبينما هم في الحديث واذا برسول مهردكار قد وصل يحمل صينية عليها من افخر الأطعمة فدخل على الأمير وقال له :

سيدتي تهديك السلام وترجو منك مداومة الحضور الى ابيها لتراك في كل يوم ، فقال له : بلغها سلامي واخبرها ان مابي اشد مابها وان قلبي قد تعلق في حبها وارجو ان يسهل لي الوصول اليها ، وصار يأكل بلذة وشهية زائدة فعاد الرسول الى مولاته واخبرها بكلام الأمير حمزة ففرحت مزيد الفرح .

ونام الأمير حمزة تلك الليلة وفي الصباح بكر الى صيوان النعمان وقال له : هلم بنا نذهب الى كسرى لانني وعدته ان احضر اليه كل يوم الى ان يسمح لنا بالذهاب الى بلادنا ، فأجاب النعمان طلبه وركب وركبت العرب وساروا الى ان وصلوا باب المدينة فدخلوه وتقدموا من الإيوان وهناك رفع حمزة نظره الى قصر مهردكار فوجدها جالسة على الشباك فلما رآها الأمير حمزة خاف ان هو احدق بها دقيقة كاملة ان يقع الى الأرض فحياها باشارة لطيفة فردت التحية بالطف منها ودخل الباب وهو يدعو الله ان يساعده ولما وقف في ديوان كسرى سلم عليه وقدم له فروض التحيات بكل لباقة وادب فنهض له كسرى عن كرسيه حسب العادة وقبله بين عينيه واجلسه الى جانبه واخذ معه في الحديث وقد ازداد حباً فيه وقد صرف ذاك النهار في ديوانه وفي المساء نهض ورجع الى الخيام وفكره مشغول بمهر دكار ودام على ذلك كل الشهر وهو لايخرج من صيوانه ولا يرضى بمواجهة احد كي لا يقطع عليه تأملاته ويغيب عن ذهنه شخص محبوبته .

وبينما هو على مثل ذلك دخل عليه اخوه عمر وقال له : بالباب رجل فارسي يتكلم بالعربية وقال انه جاء من قبل بختك ليعرض

عليك امراً فيه الصالح والخير لك ، قال : ادخله واحترس منه .
فأدخله ولما صار امام حمزة سلم عليه وقال له : اعلم يا مولاي اني رسول بختك وقد ارسلني اليك لاطلعك على كلام فان رايته موافقاً صدقته والا فالأمر اليك .

قال : قل وانا اسمع اليك ، قال : ان مولاي كلفني بأن اقول لك انك تنظر اليه نظر العداوة مع انه يرغب في نجاحك لكنك تماديت عليه وضربته وخرقت ناموسه بين الأعيان ، وقد سامحك على ذلك وهو الآن يريد ان يتخذك صديقاً وحليفاً ، ولكي يبرهن لك على صفاء نيته امرني ان اعرض عليك امر جواد عظيم موجود عند كسرى اسمه الاصفران لايوجد له نظير في هذا الزمان ، فلما سمع كلام الرجل عرف ان هذا الجواد من كسرى فعاد الرجل الى مولاه وبلغه بأن حمزة سيطلب الجواد من كسرى .

اما حمزة فقد قام في اليوم الثاني مع النعمان وجماعته وهو منشغل الفكر من جهة الجواد ولما دخل الايوان راى محبوبته على حسب العادة فحيته وحياها حتى ادرك النعمان الحقيقة وعرف ما بينهما من الحب ، ولما صار امام كسرى وجلس بجانبه حسب العادة التفت الى بزرجمهر وقال له : اريد منك ياسيدي ان تبلغ كسرى كلاماً اريد ان اعرضه عليه ، قال : ارجوه ان يسمح لي بالجواد الاصفران فقد سمعت عنه إنه من الخيول الحسان ، واني ارغب بأن يكون عندي مثل هذا الجواد .

فقال له الوزير : وقد اندهش من هذا الطلب ، من اطلعك على مثل هذا الخبر ، فلا ريب انه عدو لك يقصد بك الهلاك ، فلذلك لا اريد ان تذكر ذلك لكسرى ولا يقبل هو ايضاً بذلك ولا يخاطر بك إلى هذا الحد ، قال : لاخوف علي من هذا الجواد ولا بد لي من الحصول عليه ، فأريد منك ان تتكرم وتسأل لي الملك ان يهبه لي .

وكان الملك يرى ما دائر بين حمزه ووزيره فالتفت اليه وسأله عن سبب ذلك ؟ على سر المسالة واخبره ان حمزة يريد ان يأخذ الجواد الاصفران ، فقال له كسرى : بلغه ان هذا ليس من الصواب فهو مثل ابني فلا القيه بيدي الى الهلاك والموت فدعه يعدل عن ذلك فقد كفى ما كان من امر الاسد وصراعه له .

فلما سمع حمزة هذا الكلام اشتد ميله إلى الجواد فقال للملك : ان هذا الجواد يصلح لي وليس من الصواب ان يبقى متروكاً فأرجو من سيدي الملك ان لايحرمني من شيء اريده ، فلما سمع كسرى كلامه

راى ان لابد له من الجواد فسمح له وقال اني لا ابخل عليك بجواد ولكني خوفاً على حياتك، وإلا لو طلبت مني نصف مملكتي لشاركتك فيها.

ثم ان الملك امر ان يؤخذ حمزة إلى الاصطبل الموضوع فيه الجواد فيفتحه بيده ويرى ما يكون من أمره ، هذا وقد سر الوزير بختك وثبت عنده ان الامير حمزة سيداس بأرجل الجواد وينتهي امره .

واما مهر دكار لما سمعت بالخبر خافت كل الخوف على الأمير حمزة واقامت في مكانها تنظر ما يكون من امر حبيبها والجواد ، وهي تطلب من الله ان يخلص الأمير من هذا الفخ الذي نصب له ، وفي تلك الساعة خرج الأمير حمزة وبين يديه الخدم ذاهبين به إلى الاصطبل واقام الملك ورجال دولته على الجدران والسطوح وازدحمت الناس نساء ورجال يطلبون مشاهدة الأمير حمزة على الجواد ، الذي له سنين داخل الاصطبل ، ولما وصل الأمير إلى الباب قال له الخدم هذا هو الباب وهو من الحديد وهذه مفاتيحه فمتى بعدنا نحن افتح انت الباب واخرج الحصان ، قال : ومن كان يقدم له العلف حتى كلكم تخافونه ؟.

قالوا فتح بالسقف نافذة يدلى له العلف منها ، فأخذ المفاتيح وتقدم من الباب ففتحه ونظر إلى الداخل واذا به يرى الجواد وقد صهل صهيلاً قوياً فتعجب من عظم جثته وهول منظره ، فتقدم بقلب قوي إلى الداخل وكان الجواد مقيداً بالحديد بيديه ورجليه ، ولما قرب منه ضربه بيده على راسه واخرجه مقيداً بعد ان استلم زمامه فهدأ الجواد قليلاً ولما صار في الخلاء وبعد ان استقر في نصف الساحة تقدم وفك القيود من رجليه ولما شعر الجواد باطلاقه ضرب رجليه في الارض ورفع يديه في الهواء وانحدف إلى جهة الامير حمزة قاصداً قتله ، فصاح فيه بصوت قوي وضربه بكفه على صدعه فغيب هداه فوقف هادئاً ساكناً فأخذ اللجام وادخله في فمه دون ان يظهر من الجواد اي حركة كأنه عُرف ان هذا الفارس هو فارسه الذي يستحق ان يركبه ، ثم ان الأمير وضع على ظهره السرج وقفز من الأرض الى ظهره ونظر بخفة الى جهة مهر دكار فرآها تبتسم وعلائم الفرح بادية على محياها فأطلق الجواد من تحت قصرها فخرج به كأنه السهم وباقل من دقيقة مر من تحت المكان الواقفة فيه مهر دكار فكادت تطير من الفرح .

وبعد ان انتهى إلى آخر الساحة دار بالجواد الى الجهة الثانية واطلقه فانطلق كالبرق الخاطف ومر من تحت الايوان والملك ينظر نظرة المبتهج وعندما رآه قد رفع عينيه لنحوه اشار اليه إشارة الاستحسان ، واما بختك فانه كاد ان يموت وتنفطر مرارته وثبت عنده ان الامير حمزة لايقهر وان الجواد صار في قبضته وسيستعين عليه في حروبه على اخصامه .

وبقي حمزة يصول ويجول حتى طاع له الفرس ولان وسال العرق من جسده ولما رأى حمزة منه اللين وصل الى باب الديوان ونزل عنه وانقض عليه فمسكه من مقوده وربطه الى باب الايوان ودخل الامير فتقدم منه بزرجمهر وقبله بين عينيه وهناه بالجواد ، وقال له : لقد اعطيت ما لم يعط لغيرك وما ذلك الا من توفيقك لانك موعود بذلك من الله ، فقال له : ان ما وصل إلي كان بمساعدتك ودعاك ، ثم تقدم من الملك فقبل يديه فقبله الملك وقال ان هذا الجواد لم يخلق الا لك ، فلذلك سمحت لك به ليكون جوادك الخاص ، ثم التفت حمزة الى جهة بختك وقال له : لقد كان سبب وصول هذا الجواد لي من مساعيك فلأجل ذلك اشكرك ، فوقع هذا الكلام على بختك وقوع الصاعقة فقال له : والنار تتقد في أحشائه لقد ظهر لك حبي فلم يخفى على الأمير حمزة ان كلامه هذا خلاف ما يضمر في نفسه من الشر .

وبعد ذلك دخل الملك الى ديوانه وجلس على كرسيه والى جانبه الأمير حمزة البهلوان وبعد ان استقر بهم الجلوس امر ان تمد موائد الطعام ونهضوا وجلسوا حول المائدة فأكلوا واكتفوا وغسلوا ايديهم ورجعوا الى مراكزهم كل هذا والملك كسرى ينظر الى وجه الأمير حمزة وهو متعجب من قوة بأسه وكثرة شجاعته وبقوا هكذا الى المساء وعند انصراف الناس نهض الأمير حمزة والملك النعمان ومن معهم من االاعيان وخرجوا من الديوان وركبوا خيولهم وساروا بعد أن نظر الى معشوقته نظر المودع وبقي سائراً الى صيوانه فدخله والجواد معه وهو فرحان به لانه كان في اشد الحاجة الى مثل هذا الجواد ثم ذهب الى صيوان الملك النعمان ليصرف عنده السهرة وبعد أن قضى عنده وقتاً عاد الى صيوانه ونام الى اليوم الثاني، نهض الأمير الجواد ثم ذهب الى صيوان الملك النعمان ليصرف عنده السهرة وبعد أن قضا عنده وقتاً عاد الى صيوانه ونام الى اليوم الثاني ، نهض الامير حمزة ونزل الى الديوان على حسب العادة فلاقاهم بالبشاشة واجلس الامير في مركزه المعتاد واخذ معه في الحديث وهو يظهر له كل

طاعة وخضوع وبينما هم في مثل تلك الحالة واذا بأحد الحجاب قد دخل الديوان وقبل يدي الملك كسرى وقال له :

اعلم ياسيدي ان بالباب مقبل البهلوان وهو يسأل الدخول عليك فهل تأذن له: فلما سمع الأمير حمزة باسم مقبل البهلوان مالت نفسه الى ان يراه ويعلم من هو واذا به قد دخل ونظر اليه فرآه كانه الفيل كبير الدماغ طويل القامة لايوجد له ثاني بين الرجال ، فلما وقف بين يدي الملك فقبلهما ووقف ينظر الى اليمين والشمال ، فأمره كسرى بالجلوس فقال له : اسمح لي باسيدي الملك انني لا اجلس الا بعد ان يجاب طلبي ، قال : اسأل ما تحب وأنا أجيبك، قال : انني سمعت في هذه الايام أن احد الاعراب المعروف بالامير حمزة قد جاء البلاد واخذ المنزلة الاولى عندك فلذلك رأيت من الواجب ان اجرب نفسي معه اما في القتال وأما في الصراع ، فاذا صرعني فدمي له مباح ، واذا صرعته يرجع الى بلاده بالخيبة والفشل .

فقال له كسرى . دع هذا الطلب فما انت من رجاله ولا اريد ان تخاطر بنفسك بصراعه ، فأنت عندي عزيز وهو اكثر عزة ، قال :

كيف اتركه وانت تعلم أن من الواجب على خدام الملك ان يكونوا سالكين مسلك الجد . ومن حقوقي أنا أن لا أدع في ديوان سيدي الملك مقدماً علي فاذا قهرت حمزه كان لي المقام الأول عليه ، قال الملك : هذا لاأوافق عليه قط .

وكان يتكلم وينظر الى جهة الامير حمزة فعرف ان الكلام دائر بسببه فسأل بزرجمهر عما يريد فحكى له كل ما كان ، فقال له: اريد ان يامرني بصراعه فأني أرغب فيه ، فقال بزرجمهر : وانا أيضا ارغب أن تصارعه لأن الوزير بختك قد بعث اليه واحضره مع انه كان غائبا عن المدينة وما حضر الا بالاتفاق معه وهو يظن انه ينال منك المقصود ويعدمك الحياة ، ثم التفت الوزير الى الملك وقال له : اعلم ياسيدي ان الامير حمزة ، يرجو منك ان تسمح له بمصارعة مقبل وصار يلح على الملك حتى اجاب طلبه وعلى ساحة الصراع خارج الايوان وخرج كسرى الى خارج الايوان وجلس على كرسي فوق باب الديوان وفي الحال نزل الى الساحة الأمير حمزة ومقبل يرجح كل الترجيح ان يقتل حمزة لانه ما شاهده قبلا ، بل كان يتكل على قوته وعلى قول بختك له بأنه يقدر ان يتمكن منه ويعدمه الحياة ووعده أن أهلكه واذله غمره بالعطاء الجزيل .

ولما سار وسط الساحة نزع مقبل ثيابه ولم يبق عليه سوى لباس من الجلد القصير ، ثم اخذ شيئا من الدهن ودهن به جسمه ثم اشار الى حمزة ان ننزع ثيابه فلم يقبل وكان قد نظر الى فوق فراى مهر دكار وهي تنظر اليه فلم يعد ياخذه اصطبار فانقض عليه ومد يده ليقبض عليه فلم يتمكن من امساكه للدهن الذي على جسمه ، واما مقبل فانه امسكه من زناده وشده اليه فلم يتزعزع الامير بل ثبت رجليه في الارض فاصبح كانه الجبل فمضى عليهما مقدار ساعتين والامير حمزة يحاول القبض على خصمه وهو يفلت من يده حتى تعب مقبل ولم يعد في وسعه الثبات فلحظ حمزة منه ذلك فانحط عليه ومد يده الى رقبته فقبض عليه. ومد يده الثانية الى ما بين ساقيه ورفعه بما اعطي من القوة فصار فوق راسه كالعصفور وقصد ان يضعه امام كسرى ليرى نفسه. ولما رات تلك الجموع افعال حمزة صفقت له من الفرح وكذلك الملك بزرجمهر ، اما مقبل فقد غافل حمزة ولطمه على وجهه لطمة غيبته عن صوابه ولم يعد يعرف من امامه ومن كثرة المه ضربه بالارض امام باب الايوان بكل عزمه فانخلعت رقبته وخرجت روحه فتكدر بختك من ذلك فاسرع بزرجمهر الى الأمير حمزة وادخله الايوان وقال له : ان مقبل قد نال ما استحقه وقد سامحناك بدمه.

قال وصرف حمزة كل ذلك اليوم عند كسرى وهو مسرور الخاطر وعند المساء خرج من الديوان وركب الاصفران وذهب الى صيوانه وما استقر به الجلوس الا واتى خادم مهردكار يطلب منه الذهاب الى سيدته مهردكار هذه الليلة لانها محتاجة اليه .

وبعد تفكير قليل قال للرسول خبر مولاتك اني سأسير اليها هذه الليلة فلتكن على حذر وتسعى في أمر مروري من الباب حتى لايراني احد حفظاً لشرفها وشرفي كي لايقال عنا ما يثلم صيتنا ، فقبل الرجل يده وسار إلى سيدته وبلغها ما قاله الامير ففرحت وأمرت خادمها ان يقف عند الباب عوضاً عن الحارس وصرفت الخدم ولم يبق في القصر سواها وقد اعدت كل شيء وجلست تنتظر قدوم امير احلامها .

اما الامير حمزة فانه بعد تناول الطعام دعى باخيه عمر وامره ان يسير امامه الى المدينة فاجابه لذلك وسار بين يديه حتى وصلا الى الباب فدخلاه ولم يكن ثمة مانع لان الابواب كانت تفتح ليلا ونهاراً

ثم سار الى ان قرب من قصر مهردكار وإذا بخادمها ينتظره هناك فتقدم من الامير حمزة وقبل يديه وقال له : تفضل ياسيدي فـان سيدتي قد اعدت كل شيء لدخولك فدخل القصر والخادم دليله إلى أن وصل به الطابق العلوي حيث غرفة مهردكار الخاصة فخرجت لملاقاته واخذته من يده ودخلت به الى الغرفة واجلسته على كرسي من العاج وبعد ان استقر به الجلوس امرت قهرمانتهـا بالخروج فخرجت وخلا لهما الجو واخذ كل واحد يشرح للآخر غرامه وهكذا صرفا نحواً من ساعتين على اطيب هناء وبعد ذلك طلب الأمير الذهاب وقبل ان يذهب قال لها : ان شاء الله في صباح الغد سأحضر عنـد أبيك حسب العادة وحال وجودي عنده اطلبك منـه زوجة وانظر ماذا يقول .

قالت له : اني احذرك من الوزير بختك فهو خبيث مخادع يسعى بهلاكك ، فقال لها : كوني براحة من هذا القبيل فما علي خوف من احد ما دامت عين الله ترعاني ، ثم ودعها وخرج من عندها وما زال سائراً وعمر بجانبه حتى دخل صيوانه فلم يشعر به احد ونام نوماً هادئاً وهو مؤكد بأنه سيحصل على محبوبته بأي طريقة كانت ولم ينتبه الا عند الصباح فنهض من فراشه وذهب الى الملك النعمان فوجده بانتظاره فجلس عنده الى ان اجتمع بقية الأمراء وحان وقت الذهاب الى ديوان كسرى فقام كل منهم وركبوا جيادهم وساروا جميعاً الى المدينة ولما قربوا منهـا نظر الى فـوق فراى مهردكار بالشباك فحياها على مراى من الملك النعمان وجماعته حتى لم يعد يخفى امره على احد ثم دخل الديوان وكل من العرب يتعجب مـن حال الأمير وحسب الملك النعمان لذلك الف حساب وخاف العاقبة، ولما دخل حمزة للديوان وجلس في مكانه بالقرب من كسرى جعـل يباسطه ويحادثه وقد سرح معه بالكلام زيادة عن العادة فقال الملك كسرى لوزيره بزرجمهر : أريد منك ان تخبر الأمير حمزة انني اشعر على الدوام بصدق خدمته فقد فعل معنا جميلا لا انساه فقل له ان يتمنى علي ويطلب ما يريد فبلغه بزرجمهر كلام كسرى وقال له اطلب ما تشاء فان الملك لا يمنع عنك ولا يرد طلبك ولو كان تاج ملكي .
فقال له الأمير : اخاف ان اطلب شيئاً ولم يجبني عليه ، فأعاد الكلام الى الملك فقال له : قل له ان يطلب مهما اراد فاني مستعد ان اجيب طلبـه .

فقال الأمير : اريد ان تسأل الملك أن ينعم بزواجي من ابنته مهردكار فهذا الذي اريده وغيره لا اريد ، فلما سمع بزرجمهر هذا الكلام نشف ريقه في فمه وقال لحمزة : ان الذي تطلبه بعيد المنال فارجع عنه ولا تلقي بنفسك الى التهلكة ، فقال حمزة : لا اريد الا ان يسمح لي بابنته فبلغه ياسيدي كلامي وما من بأس عليك وقد بلغني ان مهر دكار على دين الله عز وجل ولهذا صممت ان ابقيها بعيدة عن عبدة النيران .

فوقع هذا الكلام من الوزير مع الاستحسان غير انه كان لايجسر ان يعرضه على كسرى وكان كسرى قد لاحظ من حالة الوزير ان طلب حمزة خطير فاراد ان يعرفه ويجيبه اليه فقال للوزير : لما هذه المعالجة فاخبرني بما يطلب فلا امنعه عنه ولو كان طلبه ابنتي مهردكار ومن كان مثلي لايوعد ويخلف .

فقال له : ياسيدي يريد ان يقترب منك ويتزوج ابنتك مهردكار وما قصده بذلك الا ليكون على الدوام بين يديك فأردت ان امنعه عن هذا الطلب فقال لي هذا هو طلبي والملك وعدني ان يعطيني كل ما أطلبه والذي حملني على هذا الطلب اعتقادي بحلم الملك وكرمه.

فلما سمع الملك ذلك لم يمتنع ولا أراد ان يرجع بقوله فقال على الفور : بلغ حمزة انني اجبته الى طلبه وانعمت عليه بابنتي مهردكار زوجة وحليلة وان كنت اعرف انها وان كانت بنت أعظم ملوك هذا الزمان فانها تحتاج أن يكون لها زوجاً كالأمير حمزة ، وان زواجه بابنتي لايقوم مقام تخليصه لبلادي من عدوي .

فلما سمع الوزير بختك هذا الكلام اخذته الدهشة ولم يصدق ان الملك كسرى يصدر منه مثل هذا الكلام، وخصوصاً الملك النعمان فانه قد أعجب غاية العجب .

ولما سمع الأمير حمزة كلام الملك نهض اليه في الحال وقبل يديه وشكره مزيد الشكر فقبله الملك وبش في وجهه ، وامر أن توضع المائدة حسب العادة فوضعت وجلسوا فأكلوا حتى اكتفوا وشاع الخبر من ديوان الملك أن الملك قد زوج ابنته مهردكار للأمير حمزة . فدخل الخادم عليها وبشرها بأن اتيها انعم بزواجها على الامير حمزة فكادت تطير من الفرح ونزعت من رقبتها عقداً من الجواهر ودفعت به اليه وقالت له : هذا جزاء بشارتك . واريد منك ان تكتمه كي لا يقال عني اني مرتبطة معه على ذلك .

واما الأمير حمزة فقد بقي في الديوان الى المساء فرجع الى

صيوانه مسرور الخاطر وإذا بخادم مهر دكار قد جاء بالطعام وقدمه للأمير وسأله عن لسان مولاته ان يخبرها عما كان فقال له : بشرها بكل خير فقد قضي الامر على سلام .

اما الوزير بختك فقد دخل على الملك فنهض له وترحب به وسأله عن سبب مجيئه في مثل هذا الوقت فقال : انك لاتجهل امر مجيئي اليك وهو ان تنازلك بزواج مهر دكار الى هذا البدوي تكون قد انزلت من قدر بلادك فلذلك اتيت ارجوك الرجوع عن قولك حفظاً لناموسك ، قال : انني لا ارجع عن قولي ولا ارغب في الكذب ، قال : اذا كنت لاترضى بالرجوع عن قولك فاعهد الي بتدبير هذا الامر فاني اخلصك منه ، وبقي بختك عند الملك حتى غيره عن عزمه واقنعه بأن زواج ابنته من الأمير حمزة يجلب على البلاد الدمار ويضيع الملك من يده ، ومن الواجب عليك أن لاترجع بقولك وإذا سألك الأمير حمزة الانجاز بالوعد قل له انني وعدتك ولا ارجع بوعدي وابنتي لك ، وكما انك طلبتها مني فمن الواجب أن وزيري بختك وبزرجمهر حيث انهما مديرا ملكي وهنا أدبر الأمر انا واقول له شيئاً نتخلص به منه الى الأبد .

وبعد ان اتفقا على ماتقدم خرج بختك فرحاً مسروراً . وما كان ذلك من الملك ورجوعه عن وعده إلا لحسن حظ حمزه وسوء حظ الملك ، هذا ما كان من امر كسرى ووزيره بختك، اما ما كان من امر الأمير حمزه فانه قام في الصباح وسار الى صيوان الملك النعمان فوجده بانتظاره فقال له : هلم بنا نسير الى ديوان الملك كسرى لنرى ما يكون من امره ونطلب اليه ان يعين لنا يوم الزفاف وفي اي وقت يكون .

فركب الجميع وساروا حتى جاؤوا الى باب الايوان فنظر حمزة الى الاعلى فرأى مهر دكار جالسة في مكانها فحياها التحية المعتادة فاجابته بالاشارة ثم دخل الديوان فتلقاه كسرى بالبشاشة وترحب به واجلسه الى جانبه ، ومن ثم التفت الامير حمزة الى بزرجمهر وقال له : اريد منك ياسيدي ان تسأل حضرة الملك ان يعين يوم الزفاف وماذا يريد مهراً لها ، فبلغ الوزير كسرى كلام حمزة ، فقال : اني زوجته ابنتي ولا ارجع بوعدي غير اني وعيت الى نفسي فعرفت اني خرقت بذلك حرمة وزرائي ، وكان من اللازم ان استشيرهم بذلك ومن الواجب اخذ موافقتهم قبلي ، ومثل هذا الامر يتعلق بهم ولا سيما الوزير بختك لانه يجب أن يرى ان كان

ذلك موافق للشريعة الفارسية ام لا ، فلما سمع بزرجمهر ذلك ادرك بفطانته ان في المسألة سراً ، وبلغ الامير حمزة كلام بختك فقال حمزة : بلغ الوزير بانني اريد الاقتران بابنة الملك كسرى فهل يقبل بذلك ؟ اريد ان اعرف رايه وماذا يقول .

فاخبر بزرجمهر الوزير بختك بطلب الأمير حمزة فهل تصادق على زواجه من ابنة الملك كسرى ام ترى مانعاً ؟ فقال : قل للأمير انني في ليلة البارحة كنت مجتمعاً مع سيدي الملك فرايته مضطرباً فسألته عن سبب اضطرابه فقال انني وعدت الأمير حمزة بزواج ابنتي مهردكار وانني فخور بهذا الزواج غير اني كنت قبل ان اقطع له وعدي يجب علي ان اكلفه بالذهاب الى الأمير معقل البهلوان صاحب حصن تيزان فقد عصاني ولم يعتبر اوامري ، وصعب علي ان اكون ملك الأرض شرقاً وغرباً ويعصاني مثل هذا الامير ، وحيث ان الأمير حمزة قد طلب ابنتي ووعدته بها لم يعد في وسعي ان اعرض عليه مثل هذا الامر خوفاً من ان يظن بي السوء ، فقلت له ان هذا الامر سهل جداً لان من عادة العرب ان لايتزوجوا فتاة ما لم يقدموا لها مهراً فاطلب منه مهر ابنتك اذلال معقل البهلوان وبذلك تكون قد انصفته وخصوصاً ان الأمير حمزة لا يقبل على نفسه ان يتزوج ابنة الملك وعلى ابيها مثل هذا الكدر والهم فيجب ان يزيله قبل أن يحتفل بيوم زفافه .

فقال لي : انني أخجل من ان اكلف الامير حمزة بمثل هذا الامر ، فقلت له : دعني فأنا اعرض عليه هذا الامر وبعد ذلك فله امران فاما أن يقوم بهذه المهمة فان قام بها قبل الزفاف اجبناه لما يريد لانه يصبح كواحد منا له ما لنا وعليه ما علينا .

فلما سمع بزرجمهر هذا الكلام كادت مرارته تنفطر لعلمه أن الأمير معقل هو فارس لا يوجد مثله في ذاك العصر ، ولكنه رأى نفسه مضطراً لاخبار الأمير حمزة بكل ما قاله بختك .

فلما سمع الأمير حمزة هذا الكلام وقف امام كسرى وقال له : على مسمع من الجميع انني اقسم بالله العظيم باني لا اتزوج ابنتك ما لم احضر معقل البهلوان الى هذا الديوان ذليلاً حقيراً لكي لايبقى علي حجة لبختك ، واني اقسم بان لا اسير اليه إلا وحدي ولايذهب أحد معي سوى اخي عمر العيار .

وفي اليوم الثاني دعا اخاه عمر وقال له : انني عازم على المسير الى حصن تيزان فهيء نفسك لمرافقتي واصحب معك ما تحتاج اليه

من الزاد فقال له عمر : ان كل شيء قد تحضر وقد عرفت الطريق المؤدية الى حصن تيزان ، فقم لنسير على تيسير الله .

هذا وكان كسرى قد اجتمع بالوزير بختك ومدحه على فعله فضحك بختك وقال : كن على ثقة يامولاي ان الامير حمزة لايعود من هذه الرحلة فان هلاكه فيها .

واما الأمير حمزة فما زال سائراً وبين يديه اخوه عمر يخترق الشعاب والقفار بضعة أيام الى ان قربوا من المكان فعندها نزل الأمير حمزة عن جواده فأكلا وشربا وسقى الجواد وباتا في ذلك المكان الى الصباح ، وفي الصباح نهض وركب جواده وتقدم الى جهة القلعة واذا به يرى اثنين من جماعة معقل سائرين فأطلق العنان لجواده نحوهما ولما التقوا ببعضهم سألاه عن حاله فقال لهما اذهبا الى معقل واخبراه بأن حمزة العرب قد جاء من بلاد كسرى لأجل إذلاله واعتقاله ، وقولا له أن يبرز لقتالي ، فقال له أحدهما : انني انصحك بأن تعود من حيث أتيت ولا تعرض نفسك للاخطار : فما معقل البهلوان كمن رأيت من الفرسان ، فأخاف عليك ان يعدمك الحياة ، وبينما هم كذلك واذا بالأمير معقل مقبلاً من جهة القلعة راكباً على جواده متقلداً بسلاحه كأنه قلة من القليل ، فتقدم من الامير حمزة وكان يعرفه ولما التقيا قال معقل لحمزة : انني اتوسم فيك الخير والشجاعة ، فان كنت زائراً فأهلا بك ، وان كنت غازياً مقاتلا فاني لا اذكر انه يوجد عداوة فيما بيننا ولم نجتمع قبلاً فقال حمزة : اني علمت بأنك عاص على الملك الأكبر فأردت أن أرجعك عن هذا العصيان وأسحبك خلفي موثوقاً بالقيود لأقدمك الى كسرى مهراً لابنته وقد وعدني بذلك ، فقال معقل : لاتتأمل بالمحال ، ولا تقاتل من لا يريد قتالك لأنك تعبد الله وانا على عبادته ايضاً ، ولا تعلق املاً بوعد العجم . فما هم ممن يقولون ويصدقون ، وقد علمت السبب الذي حمل كسرى وبختك على ان يلقياك في وهدة الهلاك ، فرايت من العدل ان اصطحب واياك فنسير الى بلاد كسرى ونخرب المدائن عليه وتأخذ ابنته بالرغم عنه وتقتل بختك المحتال ، فنظر اليه حمزة نظرة المتعجب وكاد يوافقه على غاياته لولا تذكره باليمين الذي اقسمه فقال له : لا تظن اني ممن يقاد بالحيل والخداع وما اتيت الى هذه البلدة إلا لاجل غاية واحدة وهي اخذك الى عدوك مقيداً فكيف تريد ان اتفق معك عليه ؟ فلا تطمع بغير القتال .

ثم انه جرد حسامه وهجم على معقل فالتقاه معقل بقوة قلب ودخل معه في الحرب والطعان واستمرا على مثل ذلك الى الزوال فرجعا عن القتال، وبعد ان ارجع معقل سيفه الى غمده قال لحمزة: قد انتهى معنا النهار دون ان نصل الى الفرض المطلوب، واني ادعوك الآن الى قلعتي وتأكل من زادي وتنام في قصري حيث انك غريب وليس من مكان تقيم به غير هذا المكان ، قال : كيف تقع بيني وبينك مثل هذا الامر وتدعوني على طعامك ومتى اكلت طعامك حرم علي قتالك ، وكيف اكون امينا على نفسي وانا عند عدوي ؟ قال : ليس بيننا عداوة ولا بفضاء واني اعتبرك كأكبر صديق لي ، واقسم بالله العظيم انني ارعى زمامك ولا اخونك ، واذا كنت لاترغب بترك القتال فاننا سنعود اليه في كل صباح ، وفي المساء نرجع الى المؤالفة والوداد الى ان يفوز احدنا على الآخر وعلى كل فانا صديقك على الدوام لأنك من فرسان هذا الزمان ولم تر عيني ولا قاتلت مثلك فارساً ، فلما سمع الأمير حمزة كلام معقل رآه صادراً عن اخلاص ومودة فنظر الى عمر العيار كأنه يستشيره في ذلك الامر . فقال له اخاه عمر : ادخل مع معقل الى قلعته ونم عنده لأن مثله لايخون ؛ فنزل الامير عن جواده وسار مع معقل الى قلعته وكلاهما فرح بالآخر وعندما صار داخل القلعة نزع الامير سلاحه وهو مطمئن وقد احتفل به رجال القلعة وقدموا له كل ما هو متوجب عليهم ، ثم مدت صفرة الطعام واكلوا واكتفوا وبعد قال حمزة : والآن فلا اريد ان ادخل المدائن الا وافياً بقولي وبقسمي ، قال معقل : أنه يخطر ببالي ان اسلمك نفسي واسير بين يديك الى ديوان كسرى على الذل والطاعة، فقال : وهذا ايضا لا اريده لأني ما جئت الا لمحاربتك ، فلا بد من مداومة البراز ببذل الجهد والمجهود فاذا قهرتني كان رجوعي عن غايتي بحق وصدق والا فأكون ما اطلبه قد ناله باستحقاق وعدل.

فتعجب معقل من حسن اطوار الامير واستقامته وعرف انه صادق فيما يقول ، وفي اليوم الثاني ركب معقل وحمزة وعاد الى الحرب والنزال وداما على ذلك الحال مدة خمسة عشر يوما فندم الامير حمزة على مسالمة الامير معقل وقال في نفسه : لو كنت عدوه لكنت قتلته وعجلته بالرجوع الى المدائن ، ولما دخل القلعة اكل الطعام مع معقل ثم دخل غرفته ونزل في فراشه وعند الصباح نهض الى جواده الأصفران فركبه وهو متقلد بسلاحه ولما وصل الى محل البراز وجد معقل وقد وصل اليه فقال له : ان هذا اليوم هو اليوم

الاخير ولا بد لي من انهاء الامر ثم اشتبك الاثنان وداما في اشد قتال حتى تحطمت بايديهما الرماح هذا والامير حمزة يزيد في قتاله الدرهم قنطار ، واذا به وقعت منه ضربة حسام على طارقة معقل فانحرفت على رقبة الجواد فبرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع معقل على الارض ، ولما راى الامير حمزة ذلك تأخر الى الوراء وقال : قم ايها الفارس الأمجد واركب جوادا آخر ، فقال له معقل : معاذ الله يا اخي ان اشهر بوجهك حسام لانك والحق يقال ابسل رجل في هذا الزمان ولست انا من رجالك واعترف انك قد قهرتني فان شئت ان تربطني بالحبال وتسحبني ذليلاً فلك الحق بذلك لاني أسيرك ، واذا اردت ان تكرمني وتتخذني لك صديقاً اميناً على طول الزمان اقاتل بين يديك .

فلما راى الامير حمزة حال معقل وذله بين يديه نزل عن جواده وقبله بين عينيه وقال له حاشاك من الاهانة والذل فما انت الا اخي ورفيقي على طول الزمان ثم انهما تصافيا وتحابيا وحلف كل منهما على الاخاء والمحبة ففرح رجال القلعة بهذا العمل ، ثم رجعوا الى القلعة وهم فرحين مسرورين ولا سيما الامير عمر فانه كان يصفق من الفرح ثم وضعت صفرة الطعام وصرفا تلك الليلة على الحظ والانشراح ، وعند الصباح نهض الامير حمزة وقال لمعقل اطلب منك يا اخي ان تكون على اهبة السفر لاني لا اريد ان ابقى هنا اكثر مما بقيت ، فقال له : اليك ماطلبت فاني لأ اخالف لك امراً ثم انه امر الرجال ان تجمع امواله والتحف التي بداخل القلعة وتحمل المؤن والمآكل مدة الطريق فأخذ الجميع في تدبير أمورهم الى ان انتهى كل شيء وحينئذ ركب الامير حمزة والامير معقل وباقي الرجال ولم يكن الا القليل حتى بارحوا القلعة سائرين في طريق المدائن .

ودام على المسير الى ان قرب من المكان القائم فيه قومه ، وكانت العرب باقية في الخيام ، والملك النعمان قد انقطع عن ديوان كسرى خوفاً من الاهانة وبينما العرب بانشغال بال على الامير واذا بعمر مقبل عليهم يبشرهم بقدوم الامير حمزة وبصحبه الامير معقل ورجاله فهبوا كلهم وخرجوا لملاقاة الامير وقد ارتفعت أصواتهم ولما التقت الرجال باميرهم تقدموا اليه وسلموا عليه وكان لهم ساعة عظيمة ثم عادوا راجعين الى الخيام ولما وصلوا اقاموا الافراح والمهرجانات ثم ارسل اخيه عمر العيار ليبشر كسرى لقدوم الأمير وقال لبختك انت قلت لي ان الامير حمزة لايعود سالماً من قتال معقل فها قد عاد

ولا ريب انه اسره واطلقه واصطحبه معه فكنا بواحد صرنا باثنين.
قال : لا اظن ذلك ، واكثر ظني ان معقل هو الذي اسر الامير حمزة واطلقه وجاء واياه لحضرتك ليقدم طاعته اليك وفيما هما على ذلك واذا بعمر العيار قد دخل من باب الايوان وهو يرقص ويقول عاد الامير عاد الامير فقال له كسرى : بشرك الله بالخير يا عمر وقد انعم عليه بألف دينار فقال له عمر : ان اخي طلب ان تعطيني قفصاً من الحديد ليضع فيه معقل فأمر ان يعطوه القفص فأخذه عمر واخذ المال وعاد الى اخيه وقال له :

ان الملك قد سر من البشارة وقد اعطاني الف دينار وهذا القفص حسب طلبك . فالتفت الى معقل وقال له : يا اخي اني اقسمت بالله العظيم ان اقدمك الى ديوان كسرى مقيداً ويصعب علي جداً ان تدخل عليه مكرماً معززاً غير اني احب ان ابر بقسمي ، فاريد ان تدخل القفص لنذهب بك الى الديوان وهناك اطلق سبيلك .

قال : اني لا احرمك من حاجة بنفسك غير ان كسرى يتمنى جداً ان يراني على هذه الحالة ذليلاً ولو كلفه ذلك تاج ملكه، واني اعرف ايضا ان الملك يأمر بقتلي حالاً اذا تذكر ما فعلته معه ، فاذا كنت محبوسا في قفص لا اقدر ان ادافع عن نفسي .

فقال له الامير : انه يصعب علي جداً اذلالك ولكني مضطر اليه اما من جهة قتلك فلا يقدرون عليه لانه اذا صدر منهم ادنى اشارة من ذلك ونوى الملك على قتلك كان سبب خراب هذه المملكة لانك وان كنت مقيداً فانا مطلق واقدر ان افك قيودك واكسر القفص واعيد لك الحرية حالاً ، وسأرسلك غداً قبلي بدقائق لأعلم ماذا يقال عني وماذا يكون من امر بختك .

فأجاب معقل طلب الامير وصبروا الى الصباح وفي الصباح نهض الامير حمزة من رقاده وذهب الى صيوان النعمان وما استقر به الجلوس الا وجاء الامير معقل فسلم على الجميع ثم اخذ قيداً وقيد به نفسه ودخل القفص وسأل الامير حمزة ان يقفل عليه ويرسله الى الملك كسرى فتعجب الجميع من كرامته ، فتقدم الامير واقفل باب القفص وامر اربعة رجال من العربان ان يحملوا القفص ويسيروا به الى الملك كسرى ؛ فعلوا وبعد ذلك ركب الامير حمزة ظهر جواده وسار نحو المدائن والى جانبه الملك النعمان وباقي امراء العرب ولما قرب من باب الديوان نظر الى الاعلى فراى مهردكار جالسة في الشباك تنتظر قدومه وهي بالملابس البيضاء ولما راته تبسمت

واشارت براسها مسلمة فاجابها على ذلك ، واما الرجال الذين اخذوا معقل فانهم ساروا به محمولا على الاكتاف حتى دخلوا صيوان كسرى فوضعوه امامه وقالوا له : هذا ياسيدي معقل الذي طلبته من اميرنا حمزة فها قد اوصلناه اليك على حسب ما تشتهي وبعد قليل يصل الامير .

لما راى كسرى وباقي الاعجام معقل وهو مقيد تعجبوا من عظم جثته واكثر عجبهم كيف ان الامير حمزة قدر على اسره وادخاله في هذا القفص مع ما هو عليه من البطش والإقدام .

فالتفت اليه كسرى وقال له : كيف ترى نفسك الآن ايها المتكبر اتظن اني اعجز عنك وقد بعثت اليك برجل واحد فأتى بك على هذه الحالة فقال معقل : انك لو بعثت الي ترجال العالم اجمع وانا في حصني لما حسبت لهم حسابا ولا قدرت أن تراني غير ان الامير حمزة قد انفش بك وتوهم انكم على صفاء فسعى في انفاذ مآربكم ، فقال بختك لكسرى اعلم ياسيدي ان قتل معقل في الحال كثير الفائدة ، فأريد منك ان تأمر بقتله وتريحنا منه ، فقال معقل ان قتلي صعب عليكم جدا وليس في وسع احد منكم أن يمد الي يداً الا الذي اسرني فهو وحده له حق التسلط علي وله الحق بقتلي ، فاغتاظ كسرى من كلام معقل وكاد أن يختنق فاغتنم بختك الفرصة للانتقام من معقل وفي الحال امر أن يحمل القفص ويلقوه بالنار فهجم الحجاب ليحملوا القفص وصادف حينئذ دخول الامير حمزة وشاهد معقلا وهو يصيح بهم فهجم عليهم غير ملتفت الى كسرى وقومه وجرد السيف بيده حتى أرعب الجميع فانخلع قلب الوزير بختك من الرعب ومثله الملك فقال لوزيره بزرجمهر ارجع حمزة ودعه يغمد حسامه ومهما طلب اعطيناه ، فتفرق الحجاب عن القفص ، وقال لحمزة اغمد حسامك يا ولدي فما من لزوم لمثل هذا الامر ، فاستحى حمزة من بزرجمهر واطاعه لانه كان يحبه جداً فاغمد سيفه وقال له : اعلم يا ابتاه ان معقل اصبح صديقي ومن اتباعي وعاهدته على الوفاء ثم تقدم من كسرى وقبل يديه وجلس في مكانه وسيفه على ركبته ولما استقر به الجلوس سال كسرى أن يامر باطلاق سراح معقل فأمر كسرى باخراج معقل من القفص ، فنهض حمزة الى معقل واخرجه من القفص وفك قيوده وهنأه بالسلامة وقال له : تقدم من كسرى وقبل يديه واظهر له طاعتك ففعل كما امره حمزة فأمر له الملك بخلعة واجزاه جائزة عظيمة وفرح به مزيد الفرح :

وبعد خروج حمزة من الديوان قال بختك للملك : لابـد ما ياتي الامير حمزة غداً ويطلب منك وقاء وعدك بزواجه مهر دكار ، فلذلك قصدت ان اجتمع بك على طريقة تحفظ ابنتك من عدوك وعدوها .
قال اني ارى من نفسي وجوب اجابتي الى سؤاله ولا ارى مانع يمنع قيام زفاف ابنتي عليه غـير انت ، قال : نعم انا امانـع لاني مسؤول بحفظ شرفك وشرف العروس اجمع فلذلك سأسعى السعي الحثيث لارجع حمزة الى بلاده مكة يرعى المواشي فيها .
قال الملك : ان من كان مثل الامير حمزة يكرم ويرفع قدره ويعظم شأنه ، قال : لايهمك ذلك فعلي انا تدبير الامر فما العرب الا كالعبيد عندنا فاطلب منك ان ترسله الى سرنديب الهند لمحاربة اندهوق وهذا من الفرسان العظام وهذا سيهلك حمزة ويذله ونرتـاح من شره ، قـال وبأي طريقـة نرسله الى هناك ؟ قال : عندمـا يجتمع العرب عندك ويجلس حمزة في مكانه اضحك في وجهه وقربه منـك وقل له : قد اتخذتك ايها الامير محاميا عن عرشي وعوناً لي لكيـد الاعداء ، وقد خطر لي كما انك احضرت معقل ان تاتيني باندهوق صاحب سرنديب لانه فارس عظيم ودائماً تطمعه نفسه بالاستيلاء على تختي ، فاما ان تقتله أو تاتيني به اسيراً فيرتاح بالي اذ لايبقى من يخاصمني بعد ذلك ، فلا ريب انه يقبل ذلك ويعدنا بالمسير الى سرنديب ومتى سار فلا يعود له رجعة ابداً ، فانطلى على الملك كلام بختك وقال له : تول انت هذا الامر ثم ذهب بختك الى قصره وقام الملك الى فراشه .
ولما اشرق الصباح خرج الامير حمزة كعادته ودخل على الملـك النعمان وسار الجميع من هناك يقصدون الايوان وفي فكر الامـير حمزة ان يجاب طلبه في هذا اليوم ، ولما دخل الامير وجماعته على الملك ترحب به واجلسه الى جانبه بعـد ان قبله مراراً ، ثم قـال لبزرجمهر بأن يبلغ الامير حمزة ان الملك المعظم لم ينم تلك الليـلة من سروره بشجاعة صهره واقدامه فقد اذل اخصامه ولم يبق سوى خصم واحد فان شاء الله بعد زواجه ابنتي سأرسله اليه ليذله او يقتله ، فأجاب حمزة اني أريد ان يخبرني عن هذا الفارس وفي اي البلاد لاقلع آثاره واخرب دياره وآتي به ذليلا حقيرا ، قال الملك : اني لا اريد ان أخبرك باسمه الآن واخاف اذ اخبرتك باسمـه ان تحدثك نفسك بالمسير اليه قبل الزفاف فقال بختك : ان مسـيره اليه قبل الزفاف واجب ولا سيما اذا علم ان عمه متكدر ولا يطيب

عيشه ومن المعلوم ان الأفراح لا تطيب الا بعد ازالة الاتراح ، فقال الملك :اني ارغب ان احتفل بزفاف ابنتي قبل مسيره الى سرنديب لاني احب صهري واحب ان يكون مسرور كما انني خائفاً على بلادي فلا يطيب عيشي الا بموت عدوي لكي احب ان يرتاح صهري فيعلم اخلاصي له. فلما سمع حمزة كلام عمه وبختك لعبت براسه النخوة العربية فنهض واقفاً وقال : انتم تعلمون انكم عندما طلبتم مني الامير معقل اقسمت بالاتيان به ومن فضله تعالى وفيت بوعدي والآن اني اقسم نفس ذاك القسم واعاهد عمي الملك ان لا اتزوج ابنته ولا ادخل ديوانه هذا الا ومعي اندهوق صاحب سرنديب ذليلا مهانا مقيداً حتى يعرف عمي اني صادق في خدمته . وبعد ذلك نهض الامير حمزة وجماعته فودعوا الملك وخرجوا من الديوان وما منهم الا من ينتفض من الغضب والفيظ ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى الخيام ودخل كل الى صيوانه .

هذا وقد نام الامير حمزة تلك الليلة على نية السفر ، وفي الصباح نهض الامير حمزة كالاسد وامتطى جواده وامر ان تركب العرب حالا ليسير عن تلك الجهة فركب الجميع وخفقت راية العرب فوق راس الملك النعمان وهو راكب الى جانب الامير حمزة وما تعالت شمس ذاك النهار الا وكانت العرب قد بعدت عن المدائن واستلموا طريق سرنديب الهند وهم لا يعلمون ما يكون لهم هناك وحمزة يتمنى سرعة الوصول اليها لينهي الامر الذي جاء من أجله وبعد مسيره مدة أيام وكانوا يسيرون أكثر الليل وقسم من النهار وهكذا الى ان وصلوا سرنديب الهند .

وبينما الامير على مثل ذلك اذ لاحت منه التفاتة الى راس الجبل فتبين هناك صومعة عالية ففرح وقال لأبد أن يكون في هذه الصومعة اناس يسكنونها فيوجد عندهم ماء فأطلق لجواده العنان حتى وصل الى أعالي الجبل ودنا من الصومعة وطرق بابها ففتح له فدخل فاذا به يرى اربعين شيخاً وكلهم بذقون بيضاء وثياب بيضاء قائمين على الصلاة والعبادة فحياهم وقال لهم : هل تسمحون لي بشربة ماء فقالوا له حباً وكرامة يا حمزة وجاؤوا حالا بالماء وبعد ان شرب قال لهم : من اين عرفتموني ؟ قالوا ان الخضر عليه السلام حضر علينا في هذه الصومعة واخبرنا انه سيأتينا الامير حمزة العرب من مكة المطهرة فيزوركم وهو عطشان ومن ذاك اليوم الى الآن لم يحضر لنا سواك ، واننا نبشرك ان لك عندنا امانة قد وصانا سيدنا الخضر

عليه السلام أن نسلمك اياها ثم جاؤوه برمح طويـل مكعب يلتوي كالافعى له سنان حاد مسقى بالسم اذا مر على الجسم قتل واعطوه أيضاً ثوباً ثمينا فتعجب واندهش واخذ الرمح وفرح بـه وشكر رجال الله وودعهم ورجع من حيث أتى وقد لبس الثوب على جسمه وتقلد بالرمح وبينما هو عائد اذ التقى بأخيه عمر. فلما رآه تقدم وسلم عليه فاندهش عمر مما راى من ثياب اخيه والرمح وقال له :

من اين لك هذا ؟ قال نصيب كان لي في مكان واخبره عن الصومعة وعن الشيوخ الذين في الصومعة ، فقال له : لابد لي من الذهاب الى تلك الصومعة اذ لربما يكون لي نصيب انا الآخر، ثم ترك الامير وقفز كالغزال الشارد وانطلق بسرعة عظيمة نحو الصومعة وطرق بابها واذا به قد فتح فدخل فترحبوا به وقالوا اهلا وسهلا بالامير عمر العيار، فقال لهم هل من نصيب لي عندكم كنصيب الامير ؟ قالوا بل نصيبك عندنا افضل ونحن في انتظارك ، ثم ذهب احد الشيوخ وجاء بسيف صقيل لايوجد مثله في ذاك الزمان وقال له : هذا لك يا عمر فاخذه ثم قال : وهل باقي لي نصيب عندكم ، فقال شيخ آخر نعم وجاء بخنجر أحسن من السيف وهو مصفح بالذهب وقال لعمر : خذ هذا فلا نظير له فأخذه وقال للشيخ الثالث : وانت ما عندك لي ؟ فذهب وجاء بجراب من الجلد ودفعه اليه وقال يا امير عمر هـذا جراب اسماعيل مهما وضعت فيه لا يمتلىء ، فالتفت عليه الشيخ الرابع وقال : خذ هذه الطاقات وقال : اذا لبست هذه في رجليك ومشيت الدهر بطوله لاتشعر بتعب، ثم قام الخامس والسادس فجاؤوه بمرآه سميكة وبمكحلة وقالوا له : هذه المكحلة اذا تكحلت منها وضربت على المرآة وقلت : بحق ما كتب عليك من الاسماء أصير مثل فلان فانك تصير في الحال مثله ؛ واذا اردت ان تقصد مكاناً أو محلا فضع المرآه لجهة القبلة واذكر اسم المكان الذي تريده فانه يظهر لك في الحال فطار قلبه من هذه البشارة ثم سأل الباقين اذا كان عندهم شيء فقالوا ليس لك عندنا شيء الا الدعاء ؛ فودعهم وخرج من عندهم وهو فرحان بالذخائر وقد تأكد انه ملك الدنيا بأسرها وبقي سائراً الى جهة المعسكر حتى كاد ان يقرب منه فقصد أن يجرب المكحلة والمرآة وكان الوقت بعد نصف الليل فذهب الى صيوان الملك النعمان ودخل عليه وهو نائم ورفعه الى خارج الصيوان ووضعه في صيوان بعيد ورجع الى فراشه وانتظر الى قبل الصباح اخذ المكحلة وتكحل بها ومسك المرآة فنظر فيها وهو يقول بحق

ما كتب عليكما من الاسماء اني اريد ان اصير مثل الملك النعمان هيئة وجسما ثم لبس ملابس النعمان فرأى نفسه كأنه هو وقد تغيرت حالته ومن يراه ويرى الملك النعمان لا يعلم أيهما الصحيح .

وبعد انجلس على كرسي الملك صارت العرب تأتي اميراً بعد أمير



من النعمان من هذين الرجلين ؟

وكل واحد يصل يسلم على عمر وهو يظنه النعمان حتى كملت العرب ودار بينهم الحديث ولم يخطر في بالهم شيء مما تقدم .
وفيما هم على ذلك دخل النعمان وهو مندهش لانــه استيقظ فوجد نفسه في غير صيوانه فتكدر وما عرف من عمل معه ذلك ؛ ثم قام ودخل الى المكان فيه صيوانه فوجد عمر جالساً مكانه فتعجب غاية العجب ولم يتمالك نفسه من الغضب فصاح قائلا : من انت ايها الساحر ؟ فنظرت اليه العرب فراته الملك النعمان ثم نظروا الى عمر فوجدوه انه النعمان فحاروا في امرهم ، فنهض الامير حمزة مغتاظاً وجاء الى النعمان وقال له : اين كنت ومن اين انت ؟ قال : انني نمت في هذا الصيوان امس وفي هذا الصباح وجدت نفسي في غــيره لاو اعرف من نقلني الى هناك ولا ريب ان هذا الساحر عمل هذا العمل .
ولما راى عمر ان النعمان بغيظ عظيم نهض عن الكرسي وقــال : لاتؤاخذني فما انا النعمان بل انا عمر العيار ، فتعجب الجميع مــن عمله ، فحكى لهم كل ما كان من امره في الصومعة، فلما سمع العرب كلامه قالوا له : لقد اعطيت ياعمر ما يطيب به خاطرك وما ذلك الا من تدبير الله تعالى، فقال لهم : ما عملت هذا العمل الا لاجرب امر المكحلة فقــال النعمان : وما اردت ان تجربها الا بي حتى ادهشتني وكدت افقد عقلي ؟ قال : انني اعرف ان ذلك جسارة عظيمة لكن اردت ان اكون ملكاً لارى هل العرب يعرفون ملكهم ، ولا بد لي ان افعل ذلك يوماً مع الاعداء .

الذهاب الى اندهوق صاحب سرنديب

وبعد ذلك قامت العرب في هذا الوادي مدة ثلاثة ايام وفي صباح اليوم الرابع ركبوا باجمعهم وساروا قاصدين بلاد اندهوق ، ولازالت العرب سائرة الى ان قربوا من سرنديب ولم يبق بينهم وبينهــا الا مسافة نصف يوم وفيما هما سائرين اذ نظر الامير حمزة عن بعــد فارساً وبين يديه رجل يسير بمسير الجواد فقال حمزة لعمر : اذهب انظر من هذا الفارس فانطلق عمر باسرع من البرق، وكان ذاك الفارس هو اندهوق صاحب سرنديب الذي جاء حمزة من اجله وقد خرج مع عياره شيحان للصيد على حسب عادته .
وفيما هو سائر في البرية راى الامير حمزة فقال : اني مشتبه في حال هذين الفارسين فاني اراهما منفردين ومعهما رجل يسعى باخف

من الطير وهم يقصدون المدينة ، وفيما هما في الحديث انفرد عمر العيار عن اخيه فقال اندهوق : لاريب انهم غرباء لذلك بعثوابعيارهم نحوي ، فسر اليه واخبره بحالي ، فانطلق شيحان الى ان التقى بعمر فقال له : قف واخبرني من انت ومن معك ، فلم يجبه عمر بل رفسه برجله فالقاه الى الارض ولف يده الواحدة على عنقه والثانية في اعالي رجليه ورفعه الى فوق راسه وعاد يعدو كالغزال حتى وصل بين يدي اخيه حمزة فالقاه امامه وقال : هذا يا اخي عيار اندهوق الذي اتينا بطلبه فاساله ما شئت .

فقال له الامير حمزة : من هذا الفارس الذي كنت بين يديه ؟ قال: هذا سيدي اندهوق صاحب سرنديب فقال الامير حمزة : عد الى مولاك واخبره انني الامير حمزة قد جئت بجماعة العرب من قبـــل الملك كسرى لاقبض عليه وآخذه اسيراً الى المدائن ولا بد لي من ذلك، ومن الاوفق ان يسلـم نفسه بلا قتال ولا نزاع ، فعاد العيار وهـو لايصدق بالخلاص وشرح لمولاه كل ما تقدم ، فلما سمع اندهوق كلام عيار فقال : عد بنا الآن الى المدينة فما من رغبة لي بقتال حمزة ولابد من صرف الجهد الى مسالمته لانه يعبد الله عز وجل وما من عداوة بيننا .

ثم رجع اندهوق الى المدينة ودخلها ونام تلك الليلة الى الصباح وكان الامير حمزة قد اجتمع بجماعة العرب وضربوا خيامهم قرب المدينة وانتظروا الى الصباح وفي الصباح هب الامير حمزة من رقاده فصلى الله تعالى ثم جاء بسلاحه فافرغه عليه وخرج من الصيـوان فوجد أخاه عمر قد أحضر الجواد وقدمه ليركبه فركب وتقدم الى ساحة النزال واما العرب فتقدموا من الساحة ليتفرجوا على ماسيقع بين الاثنين ، وفعل اندهوق فعل الامير حمزة وتقدم من الميدان لملاقاة خصمه وقد اوصى رجاله بأن لايبدي احد منهم امراً ، بل يقفـون للفرجة فبرز الامير حمزة الى الميدان وصاح طالباً براز الاندهوق فبرز الامير حمزة الى الميدان وصاح طالباً براز الاندهوق فبرز اليه وهو فوق فيله الابيض وعند وصوله امام حمزة حمل عليه بقلب اشد من الصوان فالتقاه حمزة بشدة عزم وقوة جنان وداما على تلك الحـال الى ان اقبل الظلام فانفصلا عن بعضهما دون ان يبلغ احدهما الآخر مراده، وكان الاندهوق قبل ان يجرب نفسه مع الامير يظن انه لايثبت امامه باقي النهار حتى بارزه فعرف انه بحر ما له قرار ، وتاكد انه لابد ان يقع في يده ويأخذه اسيراً ويقوده امام كسرى ذليلاً حقيراً .

واما الامير حمزة فانه مال الى محبة الأندهوق فعول ان يأســره

اويتخذه صديقاً فيفتخر به على ملوك الزمان بانه يملك الدنيا باسرها اذا كان عنده مثل هؤلاء الفرسان .

وفي اليوم الثاني خرج الامير حمزة من صيوانه وركب جواده وخرج الى ساحة القتال كاليوم الاول فوجد الاندهوق قد اتى بجماعته الى الساحة ايضاً ولما وقعت العين على العين اشتبك القتال بين الاثنين الى ان قرب الزوال فافترقا على امان ورجع كل منهما الى خيامه وفي اليوم الثالث عاد الى ساحة القتال وهكذا بقيت الحرب بين الاندهوق وحمزة مدة ثلاثين يوما على التمام دون ان يبلغ احدهما من الآخر مراداً ، فضجر حمزة من هذا التطويل ولذلك قال لجماعته في هذا اليوم لابد لي من فصل الحال لان كسرى يظن إننا هلكنا ويزين له بختك طريق المحال فيزوج ابنته ويعود الامر علينا بالوبال .

وكذلك قال الاندهوق لجماعته : انني لا ارجع الا بعد نهاية العمل واسلم اليه واتخلص من عذاب القتال ، ثم برز الاثنين الى ساحة الميدان والتقيا كأنما خرخاجان واخذا في العراك والصدام فعند ذلك صاح الاندهوق مهلا يافارس هذا الزمان باني ارى ان الحرب بيننا على ظهر الخيول تطول مدتها فهل لك ان نتقاتل على وجه الارض فأجابه الامير الى ما اراد فرمى كل منهما سيفه وطارقته الى ناحية وهجما على بعضهما بالايدي مدة نصف ساعة حتى تمكن الاندهوق من وسط الامير حمزة فظن انه ينال منه المراد فجذبه الى صدره فوجده لايتحرك فتكدر حمزة من عمله هذا وقد ضرب بيده فوقعت على درع الاندهوق فقبض عليه وشده اليه بكل ما اعطاه الله من القوة ، فوقع الاثنان على الارض الامير فوق الاندهوق فتجاول واياه وهو قابض عليه ولما راى من نفسه العجز وشاهد ان يد الامير قوية ترك نفسه وصاح : الامان ياسيد الابطال فاني عتيق سيفك على طول الزمان وقد دخلت منذ هذه الساعة في جملة رجالك .

فلما سمع الامير حمزة كلامه تركه الى ان استوى واقفاً فتقدم منه وقبله بين عينيه وقال له : مثلك لايذل ولا يهان ولكني العن بختك وكسرى حيث اجبراني على القسم ، فانت من هذه الساعة اخي ، فقبله الاندهوق وقد امتلأ قلبه فرحاً بمحبة الامير .

وفي صباح اليوم الثاني نهض الامير حمزة واختار سادات قومه وساروا جميعاً الى جهة المدينة لزيارة الاندهوق فوجده قد خرج بقومه لاستقبالهم وهو بانتظارهم خارج الابواب فترحب به وسلم أهل سرنديب على الامير وسادات قومه وادخلوهم المدينة باحتفال

وتبجيل واقاموا لهم الولائم ووقع الحب والوفاق بين حمزة والاندهوق وتعاهدا على الاخوة وان يكون كل واحد منهما سنداً للآخر ، وبعد ذلك قال له الامير حمزة : اريد منك ان تكون حاضراً لنسير بعد يومين ، فقال له : اني انتظر اوامرك على الدوام ، بقي الامير في ضيافة الاندهوق على الاكرام والاحترام الى ان انقضت مدة الضيافة وبعد ذلك امر الأمير سادات العرب ان تامر رجالها بالاستعداد وان يركبوا كذلك الاندهوق ، فركب برجاله وعظماء قومه وخرجوا من تلك البلاد وكان عدد الجيوش مائة الف فارس تحت راية الامير حمزة البهلوان وساروا قاصدين المدائن لملاقاة كسرى انو شروان .

هذا واما ما كان من كسرى فانه قام في بلاده على حسب عادته وفي كل يوم يجتمع بوزيره بختك ويتحادث واياه بخصوص العرب فيقول بختك : ان هذه المرة هي الأخيرة وقد انتهت ايام حمزة ومضى ما كنا نخشاه ولا بد للاندهوق من ان يفني حمزة وجماعته والآن يجب ان نهتم بأمر زواج ابنتك بأمير من عائلتك يليق بها ، فقال : اني لا افعل هذا الا بعد ان اتأكد من موت حمزة والا فان كان موجودا لا افعله لانه فارس صنديد ولا اريد ان اجر على بلادي بلاء عظيما وارمي الفتنة بين العرب والعجم ، وارى من الصواب أن نصبر مدة سنة فاذا لم يظهر عنه خبر نتأكد من انه قد مات نفعل عندها ما نريد .

واقام يترقب الاخبار من جهة الامير الى ان كان ذات يوم وهو جالس في ديوانه والى جانبه الأيمن الوزير بختك والى جانبه الأيسر بزرجمهر وباقي رجال الديوان فراى رجلا يقلب في الهواء كالدولاب ولما وصل الى باب الديوان صاح بصوت رقيق قائلا :

أيها الملك العظيم اني شقيق حمزة فارس برية الحجاز وقد عاد فائزاً منصوراً وبين يديه نحوا من مائتي الف فارس من عرب وهنود وقد عاد معه الاندهوق بعد ان اخذه اسيراً في ساحة الميدان ليقدمه اليك حسب ما وعد ، فوقعت الدهشة على راس بختك كأنها الصاعقة وغاب عن وعيه ، وقد لحظ منه ذلك كل الحاضرين ، هذا وقد وصل الخبر الى مهر دكار فسرت سرورا عظيما ووقفت في الشباك فرات عمر العيار خارجاً من الديوان وعلائم الفرح بادية على وجهه فزادها ابتهاجاً .

واما ما كان من الامير حمزة فانه لما قرب الى المدائن خرج الأعجام نساء ورجالا لمشاهدته فراوا الجيش العربي منتشراً هنا وهناك فتعجبوا من نظامه وآدابه وترتيبه .

وفي اليوم الثاني دعا الامير حمزة اليه الاندهوق وقال له : انت تعلم يا اخي انني ما سرت الى بلادك الا لأجل غاية واحدة وهي الاتيان بك الى ديوان كسرى ، والآن وقد وصلنا ومرادنا في هذا اليوم ان ندخل على الديوان وحيث قد سبق مني يمين فاريد منك ان تسلم اليّ نفسك فأقيدك واذهب بك فقط الى كسرى ثم اطلقك .

قال : اني اسلم اليك نفسي في رضاء وان كان يصعب علي ان اكون مقيداً ، فأمر حمزة اخاه عمر ان يقيد يدا الاندهوق وسار حمزة والملك النعمان وباقي الرجال الابطال وقد سحب عمر من خلفه الاندهوق سيرا على قدميه وقاد الفيل الذي يركب عليه الى جانبه واستمروا في مسيرهم الى ان دخلوا باب المدينة والناس بازدحام للتفرج على الامير واسيره وكانوا يطلبون ان يروا الاندهوق .

ولما وصل الامير تحت قصر مهر دكار ارسل نظره الى الاعلى فوجد محبوبته قد برزت في شباكها كالبدر المنير .

فدخل الامير الديوان وكان مزدحماً بالأعيان فوقف له الجميع وكان عمر قد وصل بالاندهوق ودخل به امام اخيه وهو يقفز بقيوده كانه الاسد الكاسر ، فدنا حمزة من كسرى وسلم عليه وقبل يديه ثم قال له : ها انا ياسيدي قد احضرت عدوك صاحب سرنديب وارى من الواجب ان تنتقم منه غير اني ارى من الصواب ان تشمله بعفوك اكراماً لخاطري .

فقال كسرى : ليس هو بعدونا ، غير ان بعض المفسدين اخبرنا بتعديه على ملكنا وما ذلك الا عن طريق الكذب ، وامره الآن يعود الى خاطر الامير حمزة لانه اسيره ، فقال حمزة : انه أصبح من رجالنا وابطالنا خدمة الدولة الكسروية فصار من اللازم مراعاته ، فأطلب منك ان تأمر باطلاقه وتنعم عليه بخلعة سنية تليق بشأنه كونه من الملوك العظام ، وبعد ذلك نهض الامير حمزة الى الاندهوق فحل وثاقه وقبله بين عينيه وقال له : ما كان يوما اراك فيه مهانا فقد انقضى الامر وتم الوفاء ، فقال الاندهوق : اني ارى الذل عزاً اذا كان منك وبأمرك فما الموت الا سعادة كبرى اذا كنت انت مصدره .

ثم تقدم الاندهوق وقبل يد كسرى وقدم له طاعته فشكره وامر ان يخلع عليه خلعة كسروية من الديباج مرصعة باللؤلؤ تلبسها الملوك وعين له كرسياً في ديوانه بجانب الامير حمزة وامضوا طيلة ذلك اليوم في ديوان الملك وفي المساء عادوا الى خيامهم والامير حمزة يمني نفسه بقرب زواجه من مهر دكار وبات تلك الليلة وهو يهدس بهذه الافكار

الى ان اصبح الله بالصباح ونهض من فراشه ولبس ثيابه وذهب كعادته الى الديوان وكله امل ببلوغ القصد ، فسأل الوزير بزرجمهر ان يطلب الى كسرى الوفاء بوعده بزواج ابنته اذ لم يبق عذر يؤخر ذلك ، فبلغ الوزير كسرى ذلك وقال له : لما كانت اقوالكم اقوال حق وكلامكم كلام صدق وتجاسر ولدكم حمزة ان يذكركم بالوعد فأراد كسرى ان يجيب على ذلك حيث وجد من الصواب الوفاء والصدق فسبقه بختك وقال : اعلم ايها الوزير ان سيدي الملك طالما ابان لي اخلاصه من هذه الناحية حتى انني في ليلة امس كنت مجتمعاً معه فتكلمنا عن ذلك واتفقنا على مباشرة الافراح وفكرنا ان نجعل للامير حمزة ولمهر دكار زفافاً لم يسبق مثله لابناء الملوك وذلك يحتاج الى وقت وتكاليف قد سألني سيدي الملك ان انظر في ذلك وارى له طريقة وانظر في الخزائن وهل مابها كاف للقيام بمثل هذا العمل واذا كان غير كاف ان اسعى لجمعه .

فليكمن الأمر في حمزة براحة تامة ولا بد من زواجه بمهر دكار كيفما كان الحال ، ويستعد لقيام الافراح والحمد لله الذي هون علينا العسير ولم يعد ما يقف في طريقه ويمنع سيدي الملك من اجابته .

واما الملك كسرى فانه اجتمع مع وزيره بختك وقال له : على ماذا عولت وماذا دبرت ؟لاني سمعت منك اليوم مالم اصدقه ، هل فعلت ذلك خلاف ما اضمرت ؟ قال : كيف اخون سيدي الملك والقي بابنته الى التهلكة لكنني عرفت ان ليس من اللياقة ان نصد الامير في الحال خوفاً من نشوب حرب فيما بيننا وقد صار عنده جيش كاف لقتالنا، وقد دبرت امراً خطيراً فيصرف به الامير عنا ويذهب مع قومه او نرتاح من امرهم .

فاطرق الملك الى الارض برهة ثم قال لوزيره : انك لو فحصت قلبي لوجدته يميل الى الامير حمزة عن صفاء نية واريده ان يكون زوجاً لابنتي ولكني فوضت الامر اليك فعلى ماذا عولت؟ قال : دع الامر الي وانا اتواح هذه المسألة بنفسي .

اما الامير حمزة فقد مضى عليه شهراً كاملا منتظراً وفاء كسرى بوعده ، ولما لم يجد منه اهتماماً بالموضوع وقف يوماً والمجلس بأكمله وقال له : قد وعدتني ان تهتم باقامة افراح الزفاف بوقت قريب ولقد صبرت حتى اليوم ولم تفي بوعدك فالتمس من عظمتكم ان تعينوا يوماً يكون فيه الانجاز .

قال : اني اعرف ذلك وقد عهدت الى وزيري بختك ان نبدأ باقامة

الافراح ، والظاهر ان مانعا عظيما حال دون الاسراع بذلك ، فقال بختك : نعم اننا كنا مهتمين بأمر الزفاف غير ان هذا يحتاج الى مصاريف باهظة وقد عرضت لسيدي الملك هذا الأمر فأمرني ان اكتب الى العمال اطلب اليهم ارسال ما يترتب عليهم من الخراج حيث قد مضى عليهم سبع سنوات وهم ممتنعون عن ادائها ونحن اليوم بانتظار اجوبتهم فلم يأتنا جواب من احد وكأنهم قد اتفقوا على العصيان من يوم جاء خارتين وطرد عمك من المدائن وقد كتم عنك هذا الامر خوفاً من تصديع خاطرك ولكي يدبر وسيلة اخرى يحفظ بها ملكه وبلاده فقد كلفني بأن استحلفك بحياة مهر دكار وحرمة البيت الحرام أن تحفظ مملكة عمك وتجمع له الاموال وتطفي غليله من كل عاص فيكون لك عنده المقام الرفيع وتزف الى عروسك باحتفال عديم النظير .

فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام سقط على راسه اثقل من الجبال واطرق الى الارض برهة ثم رفع راسه الى جهة الملك وقال له : نعم ياسيدي اني خلقت لهذه الدولة وارى نفسي ملزماً بها وعليه صممت أن اقصد جميع البلاد ، واجمع لك الاموال ومن عصاني انزلت به العبر انما اطلب منك تفويضا عاما اكون به مفوضا بكل ما اريده ويكون هذا التفويض ممهورا بخاتمك الخاص وتذكر به هذه العبارة :

(لقد اخترت صهري حمزة لجبي الاموال) وسوف ترى مني ما يسرك .

ولما سمع الملك وبختك جواب حمزة ايقنا بأن العرب قد انقرضت وسوف تخلا منهم البلاد ، ولذلك أسرع وقال : ان سيدي الملك لايبخل بأن يعطيك خطه وختمه ويفوضك بأمر بلاده ، وبعد الاذن من سيدي الملك اكتب لك ما اشرت اليه ، ثم أخذ بختك وكتب امراً عاماً لكل بلاد العجم يعلمهم بأن الأمير حمزة هو صهر الملك وقد فوضه بجمع الاخرجة ليصير ايداعها الى الخزينة ، وقد وقعها الملك وختمها بختمه الخاص واعطاها للامير حمزة وقال : انني اعدك وعداً قاطعا انه بعد رجوعك ستزف الى عروسك بمهرجان عديم النظير وليشهد علي هؤلاء السادة الموجودين في هذا الديوان ان ابنتي مهردكار هي لك مهما طال الزمان

فشكره حمزة وفي قلبه نار تلتهب لتأكده ان تلك الرحلة هي حيلة دبرت عليه من قبل ذلك الخائن بختك . وبعد ان انتهى كل عمل نهض الامير حمزة وودع الملك وقال له : تأكد ياسيدي اني سأعود اليك بعد اشهر وانا اعظم مما عليه الآن بحول الله وقوته وخرج من الديوان

مع جماعته وركب جواده وساروا الى ان دخلوا خيامهم واجتمع العرب بصيوان الملك النعمان وبعد محادثة قليلة قال له النعمان : لقد رميت بنفسك الى سفر طويل على ان كسرى لم ينوي لك الخير ومراده ابعادك وابعادنا نحن ايضاً عن بلاده . فقال : اعلموا ياسادات العرب انني ما فكرت الا بصالحنا ، ولا يخفاكم ان الاعجام كثيرون وكنت اريد ان احاربه حربا قانونية واعرف ان فرساني اشداء وسنفوز على الفرس مهما كان عددهم ، غير اني اعرف هذا ان الفوز يكلفنا خسران بعض الرجال ونلتزم الى مصاريف واموال ولا مال بأيدينا ولهذا السبب فكرت ان اجمع اموال كسرى طالما بيدي خطه وختمه وبعد ان اجمع الاموال ابقيها في حوزتي فلا ادفعها له الا اذا اجاب طلبي وزفني الى مهردكار وان امتنع حاربناه بماله ورجاله ولا يكون الا ما يوافقنا ان شاء الله ، واما انتم من اراد منكم ان يسير معي فأهلا به ومن اراد ان يعود الى بلاده الى حين عودتي فليسر محفوظا بعناية المولى .

فقال له الجميع : اننا كلنا نسير في ركابك ونقاتل بين يديك ، ثم دخل حمزة الى صيوانه ونام في سريره الى ان اشرقت شمس النهار فقام وتقلد بسلاحه وسار الى صيوان الملك النعمان وطلب منه الرحيل والسفر لاتمام ما وعد به فأجابه لذلك لانه كان قد هيأ نفسه ودبر امر عساكره وكذلك باقي الرجال ثم اصدر أمره بالركوب فركبت الرجال وساروا من تلك الارض واخلوها .

وكان كسرى يشاهد رحيلهم فقال له بختك بشراك ياسيدي ها ان العرب قد رحلت عنا وان رحيلهم سيدوم عدة سنوات هذا ان لم ينقرضوا .

واما الامير حمزة فانه دام على مسيره بذلك الموكب الذي لايقل عن مائتي الف فارس وما زالوا سائرين الى ان وصلوا مدينة حلب ولما وصلوا الى ضواحي المدينة نزلوا هناك للراحة مدة ايام .

وكان على حلب ملك اسمه نصير يعبد الله وهو عاقل وبأمر الدهر خبير ولما وصل الامير حمزة الى تلك الارض ارسل اخيه عمر الى الملك نصير يعرض عليه امر كسرى الذي بعثه لأجله وطلب اليه ارسال الخراج عن سبع سنوات ماضية ، وفي الحال جمع رجال دولته وعرض عليهم طلب الامير حمزة واخبرهم بانه نوى المسالمة وعدم النزاع فاستحسنوا رأيه وقرروا ان يخرجوا لملاقاته ويترحبون به ويخبروه بأن كسرى ليس له عندهم اي مال ، ثم خرجوا الى خارج المدينة وجاءوا المكان المقيم فيه حمزة مع جماعته فلاقاهم ورحب بهم

وسلم عليهم ولما استقر بهم الجلوس قال الامير لصاحب المدينة : اعلم ايها الأمير ان الملك كسرى قد بعثني لاجمع له الامــوال المتاخرة على البلاد فلذلك اريد منكم ان تجمعوا الاموال المتأخرة عليكم وتسلموني اياها في الحال .

فقال : اننا كلنا بين يديك غير انه لا خفاك انه اراد بذلك ابعــادك وهلاكك لانه ليس له بذمتنا ولا بارة ، واذا اخذت منا شيئاً تكون قد ظلمتنا وحاشاك من الظلم ، قال اني اعرف انه استوفى منكم مطلوبه غير اني جئت لهذه الغاية فلا اريد ان ارجع كي لايبقى له حجة يحتج بها وانكم يمكنكم ان تدفعوا عن سبع سنين آتية سلفاً واعطيكم وصلا بها وبغير ذلك لايمكنني ان اقبل ،

قال الامير نصير : ان كان لابد من ذلك فاصبر علي مقدار عشرين يوما ريثما اقدر ان اجمع الاموال المطلوبة فامهله بذلك ، وبعد مضي العشرون يوماً حضر الأمير نصير والاموال بين يديه فقدمها الى الامير حمزة واخذ منه وصلا وبعد ذلك ودع الامير نصير وسار برجاله في طريق آخر فسأله اخيه عمر اي طريق يريد ان يسلك قال الى دياربكر .

فلما وصل اليها جمع المال من صاحبها دون معارضة وبقي هكذا حتى جمع الاموال من كل الجهات والمدن التابعة لحكم كسرى انوشروان وجميعهم اعطوه المكاتيب المرسلة اليهم من كسرى يأمرهم بها باغتياله وقتــله .

وبات العرب تلك الليلة وفي نية الامير حمزة ان يستعد للسفر وقد خرج الناس لوداعه فساروا وجدوا في المسير حتى اشرفوا على حلب فتلقاهم الامير نصير واضافهم مدة ثلاثة ايام وقد اندهش مــن كثرة الاموال والرجال الذين اتو بصحبة الامير ، وبعد ذلك رحلت العرب من حلب طالبة بلاد اليونان لانها تابعة لكسرى وكان في المقدمة عمر العيار وهو سائر امام الجميع يأخذهم من اقرب الطرقات وما برحوا سائرين الى ان قاربوا بلاد اليونان وكان الحاكم على تلك البلاد ملك اسمه اسطون اليوناني، فلما سمع بقدوم العرب اليه وكان قد وصل كتاب كسرى ليده فأمر وزيره ان يلاقي العرب على بعد من المدينــة وان يدعوا الامير حمزة ورجاله الى ضيافته داخل المدينة وقد افرغ عدة قصور لمنامتهم مدة اقامتهم .

فــسار الوزير حتى التقيا بالامــير حمزة فترجــل وحياه احسن التحيات وبلغه سلام الملك اسطون ودعوته ، فلما سمع الأمير حمزة سلام الملك ودعوته فرح فرحا عظيماً وسار بجيشه مع الوزير الى ان

بانت له المدينة فأراد الامير ان يأمر عساكره بالنزول واذا بموكب خرج من البلد والموسيقى امامهم فعرف الامير انه هو الملك وقد جاء لملاقاته فلما التقيا ببعضهما وعرف كل منهما الآخر ترجلا عن جيادهما وسلما على بعضهما سلام المودة والوفاق وبعد السلام دعاه الملك ان يزوره في المدينة ويقيم في قصره مع كافة رجاله فيبقون في ضيافته مدة وجودهم عنده ، فسر الامير من عمله وكان قلبه قد مال اليه . وسار الى المدينة ولما دنا من الباب فوجد اهالي المدينة نساء ورجال وكلهم بالملابس الفاخرة ومر بين تلك الجموع المحتشدة حتى وصل الى القصر المعد لضيافته فدخله ودخل من خلفه الامراء والاعيان .

ومن ثم قدموا لهم الشرابات وبعد ذلك مدت الموائد وصفت الصحون الذهبية وعليها من سائر الوان الاطعمة الشهية ، فتقدم الامير من المائدة ثم حضرت زوجة الملك وبنته وسلموا على الامير وصادف جلوس ابنة الملك تجاه الامير حمزة فنظر اليها نظرة عن غير قصد فرآها من أجمل النساء ورآها تنظر اليه باستمرار فأعرض عنها خوفا من أن تطمع بحبه ، وبعد أن فرغا من الطعام تقدمت بنت الملك من الأمير حمزة وسلمت عليه بلسان عربي فصيح فزاد هيامه بها رغم انفه ولولا حياه من ابيها لأعرض عنها لاكرها فيها بل تخلصا من حبها ، وفي المساء ذهب به الملك الى قصر ملاصق قصره فأدخله اليه وقال له : هذا قصر منامك ما زلت عندنا ، وأعددنا ايضا قصور لرجالك وتركه وخرج ولما راى الامير نفسه وحيداً جعل يفكر بما جرى له فكاد يضيع صوابه وقد نام نوماً متقطعا وقد فكر بأن يخطبها من ابيها ونام على هذا الراي ولما كان الصباح نهض الامير حمزة من فراشه وغسل وجهه ولبس ثيابه واذا بالملك قد دخل عليه وقال له :

لقد جئت لخدمتك في أول النهار لأسير بك وبقومك الى جهات المدينة لتتفرج على ما اقيم فيها من المصنوعات وترى المراصد والمعامل التي فيها مما لايوجد في غير البلاد فضلا عن انه يوجد عندنا ميدان لقتال الثيران لم يوجد عند غيرنا من الامم .

قال : اني احب ان اتفرج على كل ذلك غير ان لدي شيئاً عظيماً اكثر اهمية من كل الاشياء اريد ان أعرضه عليك ، فقال : مر بكل ماتريد فأقضي لك مطلوبك واسعى في انجاز امرك ، قال انت تعلم اني احببت بنت الملك كسرى ووعدني بزواجها وكان بنيته الوفاء غير ان عدواً حال بيني وبين غايتي فجعل يختلق لي الموانع ويسعى في هلاكي وانا صابر حتى لايقال باني تزوجت بابنة سبية ، ولهذا السبب

ابيت الى هذه البلاد ، واما الآن قد رايت ابنتك زهر بان ومال قلبي اليها فلذلك اطلب منك ان تسمح لي بها فأتخذها زوجة شرعية بسنة الله .

فلما سمع الملك ذلك اظهر فرحه وسروره وقال : ان هذا مما احبه سعادة لابنتي ، فانت ممن تقدم له الازواج ، الا اني ارجوك ان تسمح لي ان أعرض على ابنتي هذا الامر ، وهي لاريب تلاقي ذلك بالقبول لانها عاقلة ومهذبة ، فقال له . افعل ما يحلو لك ، وفي الحال ذهب الملك الى زوجته واظهر لها فرحه وقال : اعلمي ان الامير جمزة طلب الي ان ازوجه ابنتي فأريد منك ان تدخلي على ابنتك واخبريها بالامر واقنعيها بالقبول .

قال : الا تعلم ان من القلب للقلب رسول فكيف ان زهر بان لاتقبل بزواجه وهي مغرمة به والحمد لله الامر كما تريد فارجع اليه واجبه بالايجاب وباشر بقيام الافراح وانا سأدخل على ابنتي وابشرها بزواجها بالامير واصلح شأنها وادبر امرها .

ثم انها دخلت على ابنتها وقالت لها : بشراك يابنتي فقد جاء الامر على احب ما تشتهين ، فانهضي الى الحمام واغتسلي وتهيئي وكوني على استعداد لملاقاة الامير فسيعقد زواجك عليه منذ الغد ، وتقام الافراح في كل البلد وان كان هذا الزواج مما يبعدك عنا الى اقاصي البلاد لكن سنكون براحة بال عنك حيث تكونين زوجة الامير هو من أعظم الملوك بكثير .

هذا ورجع الملك الى الامير حمزة واخبره برضا ابنته وقبولها واخذ يتدبر أمر الزفاف واعداد مهام العرس ، وشاع عند اهل المدينة هذا الخبر ففرحوا بقربهم من الامير حمزة .

وفي اليوم الثاني باشر الملك وزين المدينة من اربع جهاتها واشعل المصابيح وذبح الذبائح مدة ايام حتى ابتهج كل من حضر ذاك الزفاف ، واخيراً جاءت القسوس والمطارنة فعقدت اكليل زهربان على الامير وفي آخر الليل دخل بها فوجدها كوكباً لامعاً يضيء بأنوار الكمال ، ورات منه أسداً غضنفراً وصرفا وقت الهناء على أحب ما يرام .

وسيلد له من زهربان هذه ولد يسمى عمر اليوناني فارس صنديد وبطل مجد ويكون له شأن واي شأن ويفرج الكربات عن العرب ولاسيما يوم حصارهم داخل حلب حيث يكون الامير مجروحاً كما سياتي ان شاء الله .

وبعد ان اكمل الامير ايام الهناء مع عروسه طلب الى الملك أن يسلمه الاموال التي طلبها منه ليضمها الى الاموال التي معه حيث قصده

السفر الى بقية البلدان ، فدفع له الملك الاموال واعطاه مكتوب لكسرى ثم رفع زوجته على هودج وركب هو على جواده وامر جماعته بالركوب. فخرج الملك واعيان المدينة لوداعه ثم سارت العرب في طريق مدينة قيصرية وفي مقدمتهم عمر العيار ، وكان الملك كسرى ارسل كتابا الى الملك قيصر يرجو منه هلاك الامير حمزة ورجاله ، فلما قرأ قيصر الكتاب اراد ان يعمل بحسب طلب كسرى واخذ يفكر بطريقة توصله الى غايته دون ان يخسر احداً من رجاله ففكر قليا ثم خطرت في باله فكرة جهنمية تنيله بغيته دون اقل عناء ، وهي ان يعامل العرب معاملة اللين ثم ادعوهم الى البلد واولم لهم الولائم وبعد ادعوهم الى الحمام لان العرب لاتعرف الحمام ، ولما اختمرت هذه الفكرة براسه ثم قام الى اقرب نهر في ضواحي المدينة وحول ماؤه الى جهة ثانية وأمر الرجال ان يبنوا هناك حماماً على اساس من الملح بطريقة لاتظهر لأحد ليتمكن من تحويل ماء النهر على الحمام عند الحاجة

هذا وما برحت العرب سائرة حتى وصلت الى ابواب المدينة فضربت الخيام هناك وسرحت طروشها في ذلك السهل ، ثم عزم الامير حمزة ان يكتب كتابا الى الملك قيصر ، واذا به يراه خارجا من المدينة بالملابس الفاخرة فقال النعمان : يظهر ان الملك قيصر لايرغب في القتال وقد اتى مسالماً كفيراه من الملوك فالحمد لله على ذلك، ومن الواجب ان نخرج ونلاقيه الى نصف الطريق فأجاب الجميع الى ذلك عندها قال عمر العيار لاخيه اني اخاف يا اخي ان تكون نية الملك قيصر خبيثة من جهتنا لان قلبي يحدثني بذلك ، فقال له : سوف نرى ما يكون منه ، ولما التقى القومان ببعضهما ابدى كل منهما تحياته للآخر ثم دخلوا المدينة بكل حفاوة واكرام وبعد ان وصل الامير الى قصر الملك واستراح قال : اريد منك ايها الملك ان تعطيني خراج سبع سنوات كما فعل غيرك وتسلمني ايضاً رسالة كسرى التي بعثها اليك والتي يأمرك فيها بهلاكي وهلاك رجالي .

فقال الملك : انني مستعد لان اقدم لكم كل ما تطلبون . انما لااخفاكم ان بلادي واسعة واحتاج قليلا من الوقت لجمع الاموال منها فأطلب اليكم ان تمهلوني اربعين يوما لاسلمكم ما تطلبون فأجابه الامير حمزة الى ذلك فصارت العرب كل يوم تجوب اسواق المدينة وتتفرج على مبانيها وبقوا على ذلك مدة خمسة عشر يوما وبعد ذلك قال الملك اني اليوم قد خطر في بالي ان ادعوكم الى الحمام لتغتسلوا من اوساخ السفر واغبار الطرقات ، وقد بنيت منذ ايام حماماً نزهة للناظرين

وعد عينت لكم عشرة انفار من خدمي يخدمونكم ويغسلوا لكم اجسادكم فوافقوه الجميع على ذلك ، فامر قيصر بعض من رجاله ان يسيروا بهم الى الحمام المقيم عند النهر وان يقدموا لهم كل انواع المسرة ، فساروا بهم وادخلوهم الحمام فنزعوا ثيابهم ودخلوا ليغتسلوا وهم آمنون من حوادث الايام وطوارق الحدثان .

وكان للملك قيصر ابنة بديعة الجمال ، وكانت دائماً على اختلاف مع ابيها لانه مخادع غشاش ، وقد عرفت ما نوى على الغدر بالعرب فتكدرت ولم يهن عليها ذلك وقالت لابيها : اعلم يا ابي ان العرب قوم اصفياء ولولا خيانة الملك كسرى ماجاؤوا بلادك وطلبوا منك المال فليس من العدل ان تغدر بهم والا ستندم فيما بعد ، فاراد ان يخدع ابنته فقال لها : اني موافق معك يا ابنتي : ولا ريب ان الحق على الملك كسرى لا على العرب ، ولكنها لم تصدق اباها وقد فكرها الى الحمام الذي بناه اباها على اساس من الملح بالقرب من النهر فقالت: لابد لذلك من سبب ، وقت عرفت ان اباها دعا العرب الى الاغتسال بالحمام فأدركت النتيجة فاسرعت الى جهة الحمام وامرت خادمها ان يضع لها سلماً فصعدت واطلت على فسحة الحمام وبالقضاء والقدر كان الامير حمزة قد ضاق صدره من الداخل فخرج يستنشق الهواء وهو كالبدر في تمامه فغرقت في بحر هواه من اول نظرة فصاحت من انت ياسيدي ؟.

فاندهش حمزة من وقوفها في النافذة والتفرج عليه وهو عريان فقال لها : انا الامير حمزة ، وانت من تكونين ؟ فقالت انا مريم ابنة الملك قيصر جئت لانقذك ورجالك من خطر عظيم فاسرع الآن واخرج رجالك من الحمام لان ابي بنى هذا الحمام على اساس من الملح لهذه الغاية وارجوك ان لاتنسى عملي معك .

فانزعج الامير حمزة من هذا الخبر وغاب صوابه واسرع الى الداخل ونادى العرب بأن يسرعوا بالخروج قبل ان يتداعى عليهم الحمام ثم انعكف راجعاً فركضوا خلفه وقد اخذ كل واحد ثيابه واسرعوا الى خارج الحمام وجعلوا يلبسون ثيابهم وما انتهوا من اللبس حتى راوا ماء النهر يتدفق ولطم جدران الحمام وفيما هم ينظرون الى هذا العمل الخبيث واذا بهم يرون الحمام سقط دفعة واحدة فطار صواب الامير حمزة وامتشق حسامه ونوى الهجوم على الملك قيصر واذا به رآه مسرعاً الى جهة الحمام وهو فرحان غاية الفرح لعلمه ان الحمام قد سقط على الامير حمزة ورجاله ، ولكنه لما راى الأمير سالما اراد

اذ يتظاهر بالاعجاب ويسأل الامير عما جرى فانقض عليه الامير والسيف بيده وصاح قائلا :
ويلك ايها المخادع هل تظن ان العرب لايعرفون بغدرك وخيانتك ألا تعلم ان الله معنا ، وقد ارسل الله من نبهنا عن عملك ايها الخائن ثم ضربه بالسيف قطعه نصفين ثم دخل برجاله واستولى على قصر الملك ، وفي اليوم الثاني دعا اليه اعيان المدينة فوقفوا بين يديه فقال لهم انتم تعلمون ان سبب مجيئي الى مدينتكم كان لقبض المال واعود من حيث اتيت وقد وعدني ملككم بدفع ما هو مطلوب منه وطيب خاطري قاصداً بذلك غشي وخداعي غير ان الله سبحانه وتعالى ارسل لي من يطلعني على دسيسته واخرجني وقومي من الحمام فجازيته عن تلك الخيانة بالقتل، فاصغوا لما اقوله لكم : اولاً اختاروا ملكا يكون مخلصاً لكم ولبلاده .
فقالوا له : نحن عبيدك فاختر انت لنا ملكاً تتوسم فيه الامانة والاخلاص ونرى من الأوفق ان تكون انت الملك علينا ، فطيب قلوبهم ووعدهم بكل خير وجعل يصلح شأن المدينة ويغير في احكامها وقد احبه الكبير والصغير فسبحان من يختار من عباده لا اله الا هو الحكيم القدير .
اما مريم ابنة الملك فقد حزنت على والدها ولكنها ارتاح ضميرها لانقاذ الامير ورجاله من موت محقق ، كيف لا وهي قد عشقته من اول نظرة وقد خطر في بالها ان تستدعيه الى قصرها وتخطبه لنفسها وقد اقرنت القول بالفعل فاستدعت خادمها وامرته ان يذهب للامير ويدعوه لمقابلتها .
وبينما الامير جالساً في صيوانه اذ دخل عليه اخوه عمر وقال له : لقد اتى رسول من قبل ابنة الملك يريد مقابلتك ، فقال له : ادخله علي حالاً ، قال ولما دخل الرسول قبل يد الامير وقال له : ان مولاتي تدعوك الى قصرها لتذاكرك في امر هام ، وكان الامير يفكر في امر مقابلتها والتملي من حسنها الذي اخذ بمجامع قلبه ، فجاءت الامور كما يحب ويشتهي فقال للرسول : عد الى مولاتك وقل لها بأني سأكون عندها بعد قليل ، فعاد الرسول الى مولاته واخبرها بأن الامير حمزة قادماً في اثره فاكرمت الرسول لهذه البشارة التي ادخلت على قلبها سروراً لايوصف ، ثم قامت واصلحت من شأنها ولبست افخر ما عندها من الثياب ووضعت على راسها تاجاً مرصعاً بالجواهر والاحجار الكريمة مما زاد جمالها على جمال، ولم يطل انتظارها الا والامير يطلب

الاذن بالدخول عليها فقامت واستقبلته احسن استقبال واجلسته في أعز مكان ، فلما نظر الامير الى هذا الجمال قال في نفسه ليتها تقبل بزواجي وتكون نصيبي واخذ جمالها بجامع قلبه وتلعثم لسانه ولم يعد يعرف بماذا يخاطبها لولا ماهي ابتدات بالكلام مستفسرة عنه وعن رجاله ؟ فأجابها وهو مطرق الى الارض الجميع بخير يدعون لجلالتك بالخير والسرور .

قال : امري ياسيدتي بما تشائين فلا اخالف لك امراً مهما كان شأنه .

فأطرقت قليلاً باستحياء واغرورقت عيناها بالدموع ثم رفعت راسها وكانت الدموع تسيل على خديها كأنها حبات من الدر وارجان وقالت : انني لا اريد ان اعاتبك على قتل والدي فانه نال جزاؤه ولكني اقول : انني اصبحت وحيدة وليس من يحميني من غدرات الزمان الا رجل تتوسم فيه الشهامة والمروءة ، فساءلت نفسي عن هذا الرجل فقال لي قلبي : ان هذا الرجل قريباً منك وهو الامير حمزة فانه هو الوحيد الذي يحفظك من كل مكروه .

فقال : ما انا الا خادمك ياسيدتي ، وانني اعاهدك من الآن بان افتديكي بنفسي اذا حدث امراً لاسمح الله ، كما وانني استميحك عذراً عن قتلي لوالدك والأصيل مسامح .

قالت لقد سامحتك من كل قلبي ، والا ، لما كنت اعرف عوائد العرب واتأكد بأن الرجل يسمح له ان يتزوج بأكثر من زوجة واحدة وعليه فأنا اخطبك لنفسي اذا كنت تقبل وستجد مني زوجة امينة تنافيني في سبيل مرضاتك وادخال السرور الى قلبك .

هذا وقد سر الأمير من هذه المفاجأة سروراً لايوصف فقال لها : لا ارى مانعاً من اجابة طلبك ولكن لااخفاك انني كنت خطبت لنفسي مهر دكار ابنة الملك كسرى وجرى بيني وبينه اموراً لاتجهلينها وبسببها جئت لهذه البلاد وجمعت الاموال حتى اتيت مدينتك وعاملني ابوك تلك المعاملة التي اردت بحياته ، فاخاف من الفيرة ان تطرق قلبك فتصير حياتنا جحيما بدل من النعيم .

قالت : انني عاملة لك تلك زوجتين وانا سأكون الثالثة ولن تر مني ما يكدرك ان شاء الله .

فقال لها : اذا اتفقنا . وسأعلن خطبتك على رؤوس الاشهادواعين يوم الزفاف الذي سيكون قريبا بحول الله وقوته ، ثم تركها وخرج من القصر عائدا الى صيوانه .

وفي اليوم الثاني دخل على الملك النعمان واعلمه بخبر خطوبته

لابنة الملك قيصر ففرح النعمان وشاع بين العرب ان الأمـير حمزة خطب لنفسه الاميرة مريم ابنة الملك قيصر فقامت الاهازيج والافراح بين العرب مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن قاموا ودخلوا المدينـة فدخل الأمير حمزة الى قصر الملك ودعا أعيان المدينة وذواتها وأعلن لخطبته امامهم فوافقوا جميعهم عـلى ذلك ودارت الافراح وزينت المدينـة مـدة ثلاثـين يومـاً وفـي اليـوم الحـادي والثلاثـين لبست مريم أفخر ملابسها وتزينت بأبهى زينتها وافرغت عليها حليها وجواهرها حتى أضحت تضيء كالكوكب اللامع ، وتطيبت بالروائح من أعلاها الى قدمها واجتمع حولها النساء من الاعيان ، وما أمسى المساء حتى حضرت البطاركة فتمموا الواجبات وعقدوا للامير حمزة على مريم ، وبعدها قام وأخذها من يدها ودخل بها الى قصره الخاص وتفرق عنه كل المدعوين حيث صرف ليلته معها بالهناء والسرور .

وعند الصباح نهض من نومه حيث توافد عليه الامراء والاعيـان يهنؤونه ويباركون له بعروسه ويتمنون له بولد ذكر يسمى رستـم يكون صنديداً وله أمر عظيم بفضل أبيه ويكشف الغم عن العرب وان تكون ولادته في الوقت المناسب باذن الله .

وبعد اسبوع عزم على ترك المدينة فجمع الوزراء والاعيان واقـام عليهم مريم ملكة وقال لهم : هذه بنت ملككم فاقبلوها ملكة عليكم فهي تحكم باسمها وباسمي ، فرحب الأعيان والوزراء بها وهنؤوها بذلك . وأمضى الامير بعد ذلك في المدينة شهرا واحدا ؛ ثم جمع اليه فرسان العرب وقال لهم لقد طال قيامنا في هذه المدينة فاستعدوا للرحيل ، فقالوا اننا بانتظار أمرك فقال لهم : غداً صباحاً ان شاء الله تكونوا على ظهور الخيل ، ولما أصبح الصباح نهض من فراشه وودع زوجتـه واعطاها عضاة كالعضاة التي اعطاها الى زهربان واوصاها بأن تحكم بالعدل والانصاف الى حين ان يرسل لها من يأتي بها الى بلاده .

ثم ركب وركب رجاله ورحلوا عن المدينة وفيما هم سائرون فـي الطريق قال الامير لاخيه : اي البلاد امامنا الآن ؟ قال : امامنا مقاطعة بيروت على البحر المالح ، قال : ومن يحكم تلك البلاد ، فقال : يحكمها الملك كسروان وهو بطل من ابطال هذا الزمان .

واستمروا سائرين في تلك الطريق عـدة ايام وهو يسأل الى ان وصلوا الى مدينة طرابلس فخرج اهلها ولاقوهم بالترحيب والاكرام ، فسألهم الامير عن ملكهم كسروان فقالوا له : انه يقيم في هذه الايام في مدينة بيروت مع ولديه بشير ومباشر فمكثوا في طرابلس يومين

ثم ركبوا وساروا الى بيروت وقد مروا في طريقهم على واد ضيق لايمكن السلوك منه الا بصعوبة فدخلوا فيه وبينما هم يقطعونه انقضت عليهم رجال الملك كسروان من اعالي الجبال وفي مقدمتهم بشير ومباشر وهجموا على العرب على حين غرة فلما راى الامير حمزة هذا العمل تكدر جداً وامر رجاله بالرجوع الى الوراء ، فرجعوا القهقرى حتى امنوا على انفسهم فدعا الامير اخاه عمر وقال له : فتش لنا عن طريق غير هذا نقدر ان نصل منه الى بيروت ، قال اني اظن انهم يرجعون في هذه الليلة الى بيروت ولا يقيمون هنا ، ولا بد ان الملك كسروان يكون على استعداد للحرب وهو يعتمد على نفسه ، ومن ثم اقام الامير مع رجاله طيلة ذلك اليوم وفي الصباح نهض الأمير وصعد الى اعلى القمة فلم ير احدا فتأكد له ان الطريق خال فامر رجاله ان يسيروا في ذلك المضيق فساروا فيه دون ان يصادفوا احدا واستمروا سائرين الى ان تبينوا مدينة بيروت .

وكان الملك كسروان من عظماء الملوك وفطاحل الابطال وقد وصلت اليه رسالة من الملك كسرى فقراها وصمم على هلاك الامير حمزة وجماعته وجعل يترقب قدومهم الى ان وصلت اليه الاخبار بانهم وصلوا الى ابواب المدينة وضربوا خيامهم ، فأمر رجاله وجيشه ان يخرجوا الى خارج المدينة على امل انه عند الصباح يفاجئهم بالحرب والقتال .

فلما راى الامير حمزة خروج الملك كسروان سر سروراً عظيماً وقال ان القتال في مثل هذا المكان خير من حصار المدينة ثم انه كتب كتاباً الى الملك كسروان قال له فيه :

(ايها الملك اني خرجت من بلاد كسرى لاجل جمع الخراج والمسير في سائر البلدان ، وقد اتيت الى بلدان عظيمة وعواصم كبيرة فلقيت من ملوكها كل اكرام ، وكان عهدي بك ان تكون حكيما فتسلك مسلك غيرك من الملوك فرايت منك انك تقصد القتال والنزاع ، والآن اندرك ان كيدك سيقع في نحرك فانصح لك ان تدفع الأخرجة المترتبة عليك عن سبع سنوات ولا تدفع فيما بعد مطلقاً واخلع عنك طاعة كسرى وكن منذ الآن حراً واياك من المخالفة واني اسامحك على ما وقع منك ومن ولدك والسلام) .

ثم ارسل الكتاب مع اخيه عمر العيار واوصاه ان يأتيه بالجواب ، فأخذه الى الملك كسروان ودفعه اليه ففضه وقراه فلعب به الغضب وقال : هل بلغ من قدر ذلك البدوي اني كفيري من الملوك ثم قال

لعمر : قل لحمزة ان لا جواب له عندي سوى المبارزة ، فعاد عمر الى اخيه واخبره بما كان من الملك كسروان فصمم الامير على قتله .

وفي اليوم الثاني برز الامير حمزة الى الميدان فالتقى بالملك كسروان واخذ معه في الحرب والطعان نحو ساعتين من الزمن ثم اختلفت بينهما ضربتان قاضيتان كانت ضربة الامير حمزة اسرع الى قبضة الارواح فوقعت في صدر الملك كسروان القته قتيلا وعند المساء رجع الامير ظافرا منصورا فالتقاه قومه وهنأوه بالسلامة .

وما بشير ومباشر فانهما تقهقرا الى الوراء بالخيبة والفشل فدخلا المدينة واقفلا الابواب ، وفي اليوم الثاني خرجا طائعين بين يدي الأمير وسألاه العفو ، وبعد ان أمضوا باقي النهار في صيوان الملك النعمان ركبوا عائدين الى المدينة وقد سألوا الامير ان يقبل ضيافتهم مدة ثلاثة ايام مع قومه والاعيان فأجاب دعوتهم ففرحوا لذلك ودعوه وعادوا مسرورين بمصادقة الامير فرحين بما لاقوا منه وحال وصولهم الى المدينة اخذوا في تدبير امر الولائم بعد ان بعثا بالرسل الى سائر الملحقات ان تبعث بالاموال عن سبع سنوات فجرى ذلك في أقرب وقت .

وفي اليوم الثاني نزل الامير حمزة مع قومه الى المدينة ودخلوا دار الحكومة وبعد ذلك دخلوا دار الضيافة وأكلوا من الولائم وقضوا بضعة ايام بالهناء يسرحون ويمرحون الى ان تجمعت الاموال المطلوبة فدفعت الى الامير فأضافها الى غيرها من الاموال التي جمعها . ومن ثم اخذ اهل المدينة يدبرون امر سفر جيشهم برفقة الامير حمزة واخيرا امر الامير رجاله بالركوب والمسير في طريق صيدا فسأل عن ملكها فقيل له ان ملك صيدا اسمه الدعاس وهو عظيم الشأن وهو يعبد الله سبحانه وتعالى .

فقال : لابد ان نصادف في هذه المدينة نجاحا فلا نتأخر لأن الملك الدعاس يكون قد بلغه ما حل بالملك كسروان فيختار السلام والامان على خسران نفسه ورجاله .

فكتب كتاب الى الدعاس وفيه يخبره عن طلبه وسبب مجيئه الى مدينته ويطلب منه خراج سبع سنوات فان اجبت طلبنا تكون جاريت غيرك من الملوك والا فاستعد لقتالنا ولا تختبىء داخل المدينة لان مرادنا سرعة الرحيل عن هذه البلاد .

ثم سلم الكتاب الى اخيه عمر وقال له : سر بهذا الكتاب الى الملك الدعاس وارجع حالا بالجواب ، فأطلق ساقيه للريح وفي وقت قصير وصل الى ابواب المدينة وطرق الباب وقال للبواب : انني رسول ومعي

كتاب الى الملك الدعاس ، فلما رآه البواب فتح له الباب وبعد ان دخل الباب فسار وراءه الى ان وقف امام الدعاس فدفع اليه بالكتاب، ولما قراه وامعن فيه قال له : ارجع الى الامير حمزة واخبره اني لست بطائع ولا بعاص ، ولا ادفع اموال ولا خراج ، ولا ابغي قتال ولا نزال، بل قفلت ابواب المدينة واقمت داخلها .

فرجع عمر الى اخيه حمزة واخبره بجواب الدعاس فتكدر وقال: يمكن ان يكون هذا الرجل مختل الشعور ، فقال له مباشر : اذا شئت امرنا ان نحتاط بالمدينة فنفتحها رغما عنه ، فأجاب : ليس من العدل ان نقاتل من لا يرغب في قتالنا ، واني ساصبر عليه سبعة ايام فلذا اجاب كان خيراً والا فعلنا بما اشرت به ، فاستحسن الجميع رايه واقاموا خارج المدينة ، وبينما كان الامير في صيوانه واذا به يسمع الصياح قد علا في معسكره من كل جهة ، فخرج مندهشاً وقد افرغ عليه سلاحه وركب جواده وتقدم الى مصدر الصياح فراى الجنود تتراكض من جهة الى اخرى فسأل عن السبب فقيل له : ان فارسا واحداً قد هبط على المعسكر من جهة اخرى واخذ يقتل من يقف في وجهه ، فتكدر الامير من ذلك ، وعند الصباح وجدوا انه قد قتل نحواً من مائة وخمسين فارساً فازداد غيظ الامير حمزة وقال : لابد من أن يكون هذا الفارس من الفرسان العظام .

وبينما الامير حمزة في حيرته اذ به يرى الفارس مقبلا نحوه فسر سرورا زائدا وأسرع في الحال الى سلاحه فأفرغه عليه واعتلى صهوة جواده وما هي الا برهة حتى صار الفارس امام الأمير حمزة وجهاً لوجه فتبينه واذا به مربوع القامة عريض المنكبين واللثام على وجهه لايظهر منه سوى عينيه ، ولما قرب منه قال له :

اهلا وسهلا بالامير حمزة فارس برية الحجاز وجابي الاموال ، لقد وصلت الى محط رحالك، فاليوم تعرف مقدرة الفرسان والآن وقعت في يدي ولا يمكنك ان تنجو الا اذا قتلتني او تأسرني ..

فقال له الامير حمزة : سوف يظهر لك الحق من الباطل ، وتعرف ان الامير حمزة ليس كغيره من الرجال ، فأخبرني اولا عن اسمك ومن تكون من الرجال ؟ اجاب : انا المعتدي صاحب الغارات المشهورة من ذل سيفي كل جبار عنيد ، فقال له : لو كنت كما تقول لما سلكت سبيل الغدر وأتيت معسكرنا على حين غفلة بل كنت اتيت في وسط النهار واظهرت شجاعتك على مرأى الكبار والصغار ، فقال : لم يكن قصدي ان أقاتلك امام الجميع بل على انفراد فخذ حذرك الآن .

ثم اشهر في يده الحسام وانحط على الامير حمزة انحطاط الاسود فالتقاه الامير بقلب اشد من الحديد فصارا تارة يفترقان وطوراً يجتمعان فلله در المعتدي وما ابداه في قتال الامير حمزة وما اظهر من فنون الحرب وكذلك الامير حمزة فانه اظهر لخصمه شدة بأسه ومابرح الاثنان في طعن ونزال الى وقت الزوال فرجعا عن بعضهما وسار المعتدي في طريقه والامير حمزة الى صيوانه فنزع سلاحه والقى بنفسه على سريره ليرتاح من شدة التعب فسأله عمر عن خصمه فأجاب انه فارس عنيد واني اعترف بانه اشد مني بأساً فاسأل الله تعالى والخضر عليه السلام ان يعينني على قتال هذا الليث الضرغام وبات تلك الليلة الى الصباح فنهض الامير مسرعاً الى ساحة القتال فوجد المعتدي قد جاء وهو كأنه الغول وبقيا كذلك الى آخر النهار فافترقا بسلام ورجع الامير حمزة الى صيوانه وسار المعتدي الى مكانه فتبعه عمر حتى بعد ساحة القتال نحواً من ساعة فوصل الى قصره ولما نزل عن جواده خرجت من الباب فتاة كأنها القمر وقالت له :

الم تقتل حمزة في هذا النهار ؟ فقال لها : لا والله ياسلوى فاني كنت قادراً عليه في كل ساعة لولا اخيه عمر فانه كان سبب خلاصه مني لانه كالثعلب فقالت له : اني في الغد لا ادعك تبرز الى قتاله بل مرادي انا ابرز اليه وانهي لك امره ، فقال لها : لاتصل المسألة الى هذا الحد يا اختاه وسوف ترين مني ما افعله في الغد ان شاء الله . ما يرضيكي .

ثم دخلا وراقب عمر في اي مكان يدخلون ، اما المعتدي فانه نام تلك الليلة وترجح عنده انه في الصباح يفوز على حمزة ، وما صدق ان بزغ فجر اليوم التالي حتى نهض من منامه واعتد بعدته وودع اخته وخرج ولا زال سائراً حتى وصل الى ساحة القتال فوجد الامير حمزة بانتظاره فقال المعتدي : هذا اليوم الاخير فصاح به الامير واخذ معه في الكر والفر وقد يئس الامير من الفوز على خصمه فانحلت مفاصله وبينما هو على مثل ذلك لاح من الامير التفاتة الى جهة البر فوجد اخوه عمر يعدو كأنه ريح الشمال فاشتدت عزائم الامير حمزة عند رؤية اخيه وصاح بخصمه وانتشله عن جواده فوقع الاثنان الى الارض وجاء المعتدي تحت الامير فصاح الامان يا سيد الفرسان ، فاني دخيل عليك ، فقال له الامير : انهض الى جوادك فلك الحرية ان تفعل مهما اردت . قال : اني اسيرك الآن ولا يحق لي ان احمل سلاحاً او اركب جواداً الا باذنك ، فهذا سيفي بين يديك فمثلك تكون الفرسان

وإلا فلا ، فقال حمزة معاذ الله ان اقبل منك ذلك واني اعرف أكيداً انك نادر المثال فانت اخي على كل حال .

وبينما هم في الحديث اذ تقدمت سلوى من اخيها وسلمت عليه فقال لها : تقدمي من الامير حمزة وسلمي عليه فهو اصبح منذ الآن مولانا وقد اسرني ودخلت في يده هذا والأمير باهت من حسنها واعتدال قوامها وحدثته نفسه ان يتزوج بها . وكذلك سلوى فانها رات في وجهه علائم الحب فدنت منه وقالت : اني سررت جدا يا سيدي بان نكون في خدمة شريف مثلك قد طار صيته في الآفاق .

فقال لها : اني افتخر بمصالحة من هو كاخيك لانه والحق يقال اقدر مني في مواقف القتال وما اسرته الا وقد ساعدتني العناية الربانية ، ولا سيما انت فاني ارغب ان تكوني معي في سفرتي ، فقال عمر : اني اسألك ان تعتمد على الاميرة سلوى وخذها زوجة فانها لا تليق الا لك ، فأجاب وانا على هذا نويت ، ثم اتفق كل من الامير حمزة والمعتدي على ان تكون سلوى زوجة للامير غير انها طلبت منه ان لا يتزوج بها الأفي المدائن عند زواجه بمهر دكان ، فأجاب طلبها ووعدها بأن تكون معه على الدوام وتحضر القتال والنزال ، وبعد ذلك قال الامير ان مرادنا ان نفكر بأمر الملك الدعاس . فقال المعتدي اني اذهب اليه وادعه يأتي الى خدمتكم لانه لايرغب في قتالكم وانا الذي منعته من التسليم وتعهدت له بقتالكم لان كتاب كسرى قد وصلنا والحمد لله الذي لم يقع بيننا مكدر ، وصرفوا تلك الليلة فرحين مسرورين الى صباح اليوم التالي ركب ودخل على الملك الدعاس واطلعه على صحبته مع امير العرب وقال له : يجب ان تخرج الآن مع قومك الى الامير حمزة وتعرض عليه طاعتك وحبك وتعلمه بأن ماكان امتناعك الا مني ففرح الدعاس بذلك وجمع اليه سادات قومه واطلعهم على ما كان من الامير والمعتدي وامرهم ان يركبوا جميعا الى العرب ففعلوا وخرجوا وما زالوا سائرين الى ان التقوا بالامير حمزة وسلموا عليه فأكرمهم وترحب بهم ثم قال الى الدعاس : اعلم ايها الملك اننا لانقصد لأحد ضرا وجل غايتنا ان تجمع الاموال ونسير فاسألك الآن ان تسرع في جمع الخراج عن سبع سنوات وسلم الي كتاب كسرى واوصيتك بعد ذلك ان لاتدفع للاعجام بارة واحدة بل ادفع مايطلب منك الى والدي الامير ابراهيم صاحب مكة المطهرة فوعده الدعاس بكل ما امره ومكث الامير في ضيافة الدعاس ثلاثة ايام وبعد ذلك اخذ

الاموال واضافها الى التي معه ثم اخذ كتاب كسرى واعطاه الى الملك النعمـان .

وبعد ذلك امر العرب بالركوب فركب الجميع وركب الامير وبجانبه الفرسان وركبت الاميرة سلوى وقد ارتدت ملابس الرجال وتقلدت بالاسلحة وسارت بجانب الامير وهي لاترفع نظرهـا عنه وحسبت نفسها من اسعد النساء .

ومابرح الأمير حمزة في طريقه من بلد الى بلد مدة شهور وأيـام قاسى منها الأمرين حتى وصل الى مدينة حلب وعرف بقدومه الملك نصير فخرج الى ملتقاه وعندما اجتمع به سلم عليه وترحب به ونزل العرب في ضواحي المدينة وفي نيتهم ان يقيموا عدة ايـام ولما استقر بهم المقام سألوا الملك نصير عما بلغه من أحوال كسرى فقال لهم : جل ما اعرفه ان كسرى بعث بالكتب الى كل النـواحي يطلب ارسـال العساكر والمدد ، فبعض العمال اجابوا وبعضهم امتنـع وانا رددت رسوله بالخيبة واخبرته بأني صرت من اتباع الامير حمزة فهددني وقد اطلعتك على خبره .

قال : لابد لي من اريه اعمال العرب وقوة بطشهم وقد ظن في نفسه اني اموت واهلك فأرسلني في عدة مهالك فكانت خيراً ونجاحاً لي .

ثم ان الامير حمزة دعا اخوه عمر وقال له : اريد منك ان تذهب الى المدائن وتجسس لي احوال العجم وتأتيني عنهم بالخبر اليقين فأجاب عمر طلبه وتزين بزي حجاب العجم وانطلق من حلب عدة أيام وليالي حتى جاء الى مدينة كسرى فوجد الجيوش قد غطت السهول فدخل فيما بينهم وهو يتعجب من كثرتهم ثم اقترب من ديوان كسرى ووقف بين يدي الملك دون أن يعرفه واختبر كل من هناك ولا زال صـابراً حتى دخل قصره فدخل خلفه ودخل على الوزير بزرجمهر وقبـل يديه وسلم عليه وعرفه بنفسه وقال له : اني جئت اليك من قبـل اخي الامير حمزة لاستفسر منك عن افكار كسرى وماذا جرى من بعد سفره ، قال واين هو الآن ؟

اجاب في مدينة حلب وقد عاد منصوراً غانماً ومعه أموال غزيرة جداً وهو منتظر عودتي لاطلعه على احوال حقيقة كسرى ، اجاب : اعلم ان بعض اخبار اخيك وصلت الى الملك كسرى واغاظت بختك الوزير العدو الاكبر للعرب فأدخل في عقله بأن العرب بعد عودتهم لابد ان ينتزعوا منه البلاد حيث صار عدد عساكره ١٧ كرة ، قال : اني اريد ان اسالك عن رجل رايته جالساً مكان اخي الامير حمزة ، فقال:

ان هذا الرجل يقال له زوبين الفدار وهو من فرسان هذا الزمان فكتب اليه كسرى واقامه بهلوان تحته ووعده بزواج ابنته مهر دكار بشرط ان يقتل الأمير حمزة ويخلص الفرس من شره ، قال لابد من أن يرى طالعا مشؤوما عليه فيلحقه اخي بالذين عاندوه ، قال : اني انصحكم ان لاتباشروا حروباً في هذه الايام واخبر اخوك ان يبقى في حلب الى ان تمضي ايام النحوس حيث قد تبين لي انها ستكون عليه وبالاً .

فقبل عمر يديه وخرج قاصداً حلب الشهباء حتى وصل اليها ووقف امام اخيه واعاد عليه كل ما سمعه من بزرجمهر وما شاهده من كثرة الجموع فاضطرب عند سماعه هذا الكلام وامر للحال أن تستعد العساكر المسير الى المدائن ، فأخذ العربان بالاستعداد ، وفي صباح اليوم التالي ساروا في طريق المدائن ، حتى اقتربوا منهاوبانت لهم جيوش الاعجام منتشرة في ضواحي المدينة فأمر الامير حمزة ان تضرب الخيام على مقربة من الاعداء فنزلت العرب في تلك الارض وترقبوا حسبما امرهم الامير وبعد ذلك كتبالى كسرى كتاباً واعطاه الى اخيه عمر ليسلمه لكسرى ويأتيه بالجواب فسار الى ان دخل الديوان وشاهد من فيه ثم دفع الكتاب الى كسرى وسأله الجواب فناوله الى الوزير بزرجمهر وسألوه ان يتلوه علناً فاذا فيه :

اعلم ايها الملك الكبير اني كنت قد اخلصت لك الود وخدمتك خدمة صادقة رجاء أن تسمح لي بابنتك وانت تقابل حسناتي بالقبح ، وتنقاد الى وزيرك بختك الخبيث حتى انك اخيراً بعثتني الى جمع الاخرجة وزعمت أن لك في ذمة العمال مدة سبع سنوات وكان من امرك انك بعثت الى تلك البلاد رسائلك تطلب منهم الانتقام من العرب غير أن الامر جاء بخلاف مقصدك لان الله الذي نعبده هو يحرسنا ويسهل لنا طرق النجاح فجمعنا المطلوب من سبع سنين سلفاً وطاعت لنا البلاد وقد جئنا ومعنا من الفرسان كل جبار عنيد ، ولا خفاك ان الذهب الذي جمعته يبلغ مقدار اربعمائة حمل واضعاف اضعاف ذلك من الفضة واما الاغنام والنوق فلا يقدر ان يضبط عددها الاالله ، وانا الآن اسمح اليك بكل هذه الاموال اذا اجبت سؤالي وارسلت إلي مهردكار لأسير بها الى مكة ويكون الامر بيننا باق على حاله، واذا امتنعت فاني لا اسلم لك الاموال واعمل على الحرب والقتال فلا تغتر باقوال بختك واعماله وتظن في نفسك ان هذه العساكر تقدر ان تحمي المدائن من غضبي وهاك آخر ما اريد والسلام .

وما انتهى الوزير بزرجمهر من قراءة الكتاب حتى نهض بختك وهو يضطرب وقال : اني من مثل هذه الوقاحة كنت اخاف لان العرب قوم أحلاف ثم قال الى عمر : اذهب الى اخيك قل له ان لا بنات عندنا فاذا شاء سلمنا الأموال ورحل عنا لبلاده ، والا فاني سأربطه بالحبال واجازيه اقبح مجازات واجعله عبرة لغيره .

فسار عمر الى ان دخل على اخيه حمزه وبلغه كلام كسرى وانه مصر على العناد فقال الأمير . سوف يرى الى اين يوصله عناده ولابد من خراب هذه الدولة وانقراضها ثم امر رجاله ان يكونوا على اتم الاستعداد لمفاجأة الاعداء بالحرب والقتال .

وفي اليوم التالي نهض الامير حمزة وامتطى صهوة جواده، وركب من حوله جماعته وضربت طبول الحرب حتى ارتجت منها السهول والوديان .

وقد بلغ تعداد جيش العرب حوالي ثلاثمائة الف مقاتل كلهم كاسرة أسود تنتظر أوامر الامير للهجوم ، ولما سمع العجم اصوات طبول العرب هاجوا وماجوا وتراكضوا الى الخيول فركبوها وركب زوبين في المقدمة وفي نيته نوال المقصود لانه شاهد قلة رجال العرب وكثرة رجاله وكان ظن كسرى مثل ذلك لان بختك كان يقول له : ان كثرة عدد جيشنا تبشرنا بالظفر على الاعداء لاسيما وعندنا صهرك زوبين الذي وحده يكفي لتفريق شمل العرب وهلاك فرسانهم وسوف ترى ذلك بالعين .

ولما اصطف الفريقان صاح الامير حمزة وهجم هجوم أسود الدحال وحملت العرب على العجم وهاج بحر المنايا وكان يوماً كثير المصائب فصبغت الارض بالدماء ولم ينقضي ذلك النهار الا وقد شفى الامير حمزة غليله وترك القتلى كالتلال ، وعاد عند المساء وهو يزار زئير الاسود ورجعت الجيوش المقاتلة وبات الفريقان يتحارسان الى اليوم التالي فأسرع فرسان العرب الى القتال ودوى صوت الأمير حمزة وهو يتهدد العجم وانقض عيهم كقضاء الله المنزل فالتقاه رجال كسرى ، وكل امير من امراء العرب اخذ ناحية لنفسه ففرق رجالهم والقى في قلوبهم الرعب وكان كسرى يشاهد ذلك وهو تحت العلم افعال فرسان العرب فقال لوزيره بختك وهو الى جانبه : اني لست راضياً عن هذه الحالة فانت الذي كنت السبب في خلق العداوة بيني وبين العرب ، مع انهم كانوا طائعين لنا ، فقال : مهلاً ياسيدي فان الحرب لاتزال تحت الرجحان فانظر الى صهرك زوبين كيف يقتحم

الاهوال وسترى في النهاية لمن سيكون النصر ، وبقيت الحرب هكذا الى الزوال فضربت طبول الانفصال وعاد الامير حمزة وهو كشقائق الارجوان ، واما الاعجام فقد عادوا مقهورين متاخرين ، ولما وصل زوبين الغدار امام كسرى قال بختك لكسرى : انظر الى صهرك ياسيدي فلا بد له ان يبيد هذه الطائفة العربية ، فقال زوبين : سوف يظهر لك المستقبل ما سيكون من امري وامر العرب ، واني اعلمك ان لابد لي من قتل الامير حمزة وهلاكه .

وفي اليوم الثالث رجع المقاتلون من الطرفين الى الحرب والطعان وهكذا طيلة خمسة عشر يوما حتى تبين النقص في رجال كسرى فدعا وزيره بختك وقال له : لقد خدعتني وحملتني على عداوة العرب ولم أعد قادرا على مصالحتهم فانظر في طريقة تخلصنا منهم وتحفظ لنا شرفنا ، فقال له : اما الصلح بيننا وبين العرب فهو مستحيل ، واما الفوز عليهم فله عندي تدبير عظيم وسوف ترى في الغد الامير حمزة مقتولا بسيف زوبين وان غدا لناظره قريب .

ثم ان بختك خرج من عند كسرى الى زوبين وقال له : اتبعني فتبعه وذهبا الى قصره فدخلاه وجاء الى غرفة قديمة العهد ففتحها وتقدم من صندوق حديدي ففتحه واخرج منه سيفا لامعا فاخرجه من قرابه وعرضه على زوبين وقال له : اعلم ان هذا الحسام مسقي بسم الافاعي اذا لحق جسم الانسان لايمكن شفاؤه فاريد اعطائك اياه فاذا قدرت ان تصل الى الامير حمزة وتمكنت من ضربه فحالا يسري السم في جسمه وفي ساعات قليلة يكون قد فارق الحياة وانتهينا منه الى الابد وسلمه السيف .

وكان من عادات الامير وهو في وسط المعمعة التنقل من مكان الى آخر ففي ذلك اليوم لم ير الاندهوق ولم يسمع له صوتا فضاق صدره لغيابه ووقف مضطربا وحسب له الف حساب ؟ ثم صاح باخيه عمر وقال له : انطلق وانظر الاندهوق في اي مكان هو فقد شغل بالي غيابه ، فانطلق عمر ساقيه للريح وبقي الامير حمزة واقفا مبهوتا وقد رأى العرب وهم بنجاح وانتصار ولكن فكره بقي عند الاندهوق . وفيما هو كذلك اذ بزوبين الغدار قد قرب منه وهو بملابس العرب وقد اختلط بينهم ولما راى عمر غائبا والامير مبهوتا فاغتنم هذه الفرصة وبيده الحسام وضربه ضرب الخائف ولاذ بالفرار فجاء السيف على جبهة الامير وللحال شعر كأن اتون من النار قد اشتعل من راسه الى قدمه فصاح من شدة الالم وعانق الجواد فعاد به الى جهة الخيام

فاسرعت اليه الرجال وعرف به اخوه عمر فاسرع يركض الى صيوان اخيه ورفع اخاه على سرير وربط له جرحه وهو على ازدياد ، وفي المساء اتى الاندهوق ومن خلفه مهردكار فدخل على الامير فوجده غائبا لايعي على احد ، فلما راته مهردكار لطمت على وجهها وقالت لا ريب ان هذا الجرح هو من سيف مسقي بالسم واني اعرف ان احد يعرف دواء لهذا الجرح الا بزرجمهر .

وفي المساء حضر عمر الى قصر بزرجمهر وشكى اليه حال اخيه الامير وطلب منه دواء له ، فقال له اذهب انت الآن الى اول الوادي وانتظر هناك الى ان يوافيك خادمي ومعه الدواء فخذه منه وعد الى علاج الامير ولكني أريد منك أن تخبر العرب بأن يرحلوا في هذه الليلة ويقصدوا مكة المشرفة ، واياكم من البقاء فذهب الى اول الوادي المذكور ولم يمض الا القليل من الوقت حتى جاء خادم بزرجمهر بقارورة الدواء فتناولها منه وانطلق مسرعا الى ان وقف في صيوان الامير وقال:

ليس هنالك خوف على اخي فقد اخبرني بأنه سيشفى وسيكون له شأن عظيم بعد شفائه ، غير أنه رغب الينا بالحاح ان نسافر في هذه الليلة حتى اذا أصبح الصباح تكون بعيدين من المدائن ، ولابد لكسرى أن يتبعنا الى حيث نحن فيلاقي شر عمله .

ثم تقدم من الامير وسكب على جبينه من ذاك الدواء واخذ خرقة مبلولة ووضعها عليه ثم سكب له من القارورة في فمه واطبقه حتى استقر الدواء في جوفه وفي الحال هدأ روع حمزة فشعر بالراحة وقل صراخه فوكل به مهر دكار واوصاها بالاعتناء به وانسحب خارجا الى العرب وامرهم بالرحيل في الحال، فرفعوا الخيام وركبوا على خيولهم وساروا بكل سرعة بعد ان رفع اخيه حمزة على محمل وهو ملقى على سريره ليكون مرتاحاً اثناء السفر . وما ان أصبح اليوم التالي حتى كانوا قد بعدوا عن تلك الديار ، ولما رات الأعجام خلو تلك البقعة من الارض دخلوا على كسرى واخبروه بذلك .

واما ما كان من العرب فانهم استمروا سائرين حتى وصلوا مكة المكرمة فانتعشت ارواحهم وارسلوا الى الامير ابراهيم يعلمونه بقدومهم فلما علم بذلك كاد يطير من الفرح وخرج مع سادات مكة لاستقبالهم ، ولما التقوا ببعضهم سأل الامير ابراهيم عن حمزة فأخبروه انه في المحمل جريحاً فسلم على الفرسان وعادوا جميعا الى مكة وانزلوا حمزة ومهردكار في بيت واحد وهي قائمة على علاجه ، ولم تمض الا ايام قليلة حتى صار الامير قادرا على الجلوس ثم الوقوف ثم المشي

ثم ركوب الخيل وقد استعاد صحته وكان سروره عظيما عندما رأى مهر دكار عنده .

اما العرب فقد زادسرورها ومجدها واصبحت تنتظر قدوم الاعجام الى تلك البلاد للانتقام منها ، وصار الامير حمزة يركب جواده كل يوم ويخرج الى خارج المدينة وقد صفا له الزمن مدة ايام .

اما من جهة الاعجام فانهم ساروا بأمر كسرى في اثر العرب وزوبين امام الجميع واستمروا سائرين الى ان قربوا من مكة فنزلوا هناك وضربوا خيامهم ، ولما وصل الخبر الى العرب اجتهدوا في تحصين المدينة حتى لاتفاجئهم الاعجام ، وكان من عمر العيار في تلك الليلة ان جمع عياريه وجاء بهم الى الجهة المقيم بها زوبين الغدار ووزع عليهم النبال ودعا ايضا رجال اخيه الاخصاء واوصاهم بأن كل واحد منهم يأخذ قوصا ونبالا وعين لهم مكانا حصينا وقال لهم : كونوا على استعداد لمحاربة الاعجام ، ومتى امر اخي في الوقت المناسب ففعلوا كما امرهم وبقوا هكذا الى الصباح وفي الصباح راوا جيوش زوبين تتقدم الى ناحية المدينة فأسرع عمر الى رجاله واوصاهم بالمحافظة التامة على المدينة وهو في مقدمتهم وبقي صابرا على زوبين ورجاله حتى قربوا من المدينة وفيما هم يتقدمون لم يشعروا الا وعمر قد صاح من الاعالي وصوب سهمه واطلقه عليهم وفي تلك الدقيقة انطلق ما ينوف عن الالف سهم تكرر ذلك وكلها تقع بين العجم وانزل الله عليهم البلاء ومابرحت العرب على مثل هذا العمل حتى اهلكت نحو عشرة آلاف من عساكر زوبين الغدار وتشتت الباقون بالفلاء خوفا من الهلاك ، وكان اول انهار بين زوبين وما صدق ان راى نفسه في صيوانه وهو غائب العقل على ما حل به من الويل والفشل .

وبينما هو كذلك واذا ببختك وكسرى داخلين عليه لانهما قد رايا ما حل برجال زوبين ، فقال له بختك : ان العرب على ما يظهر مستعدون للقتال بالسهام وما ذلك الا عن عجز وخوف ، قال انني ظننت هذا فعل العرب بأجمعهم ، ولكني تأكدت بعد رجوعي ان الذين فعلوا ذلك لايزيدون عن الف نسمة ، قال بختك : ان هذا بدون شك فعل عمر العيار ، ثم اتفق كسرى وبختك وزوبين على ان لايكون قتال بل يجتهدون بالحصار .

وكان حمزة قد سر من عمل عمر وشكره على ذلك ، وفي ذات يوم دعا حمزة اخاه وقال له : اريد منك ان تذهب الى الوزير بزرجمهر وتسأله عن القتال هل يوافق في هذه الايام ام لا ، فقال له : سأعود

اليك والامر من الوزير فاذا اشار علينا بالقتال فعلنا واذا امرنا بالتربص فعلنا ايضاً .

ثم انه تزيا بزي الأعجام وخرج وسار حتى وصل الى صيوان بزرجمهر فدخلا عليه وقبل يديه وقال اخي الامير حمزة يقراك السلام ويسألك هل يبدأ بالقتال أم لا ؟ بلغ سلامي لأخيك وقل له ان يصبر الآن مدة ايام دون قتال الى ان يأتيه الفرج ؟ قال : ان على الامير حمزة اسفار واهوال لابد ان يرسل الله من يبدد شمل العجم ويكون على وجهه نجاحكم وهو لا اعرفه ولا اعرف اسمه والذي اعرف انه ليس من الانس بل من الجان ، واعلم يا عمر ان الملك كسرى قد اعد كثيراً من المؤن والاطعمة تكفي لمدة سنوات وسلمها لعبيد زوبين وهم آتين بها فيمكنك الاستيلاء عليها ان كنت تقدر .

قال سوف ترى ما افعل ، فهي غنيمة ساقها الله الينا ثم ودعه وعاد الى اخيه واخبره بما سمعه من بزرجمهر وانه لا يأذن لهم بالقتال في تلك الايام ، واما عمر فانه دعا بعياريه واوصاهم ان يكونوا على استعداد وتقدم من اندهوق وباقي الفرسان وقال : اريد ان تكونوا على حذر فاني اريد ان اسير بكم هذه الليلة الى غنيمة عظيمة فقالوا له : اننا بانتظار اشارتك . ثم انه لبس ملابس عبيد كسرى ووضع على راسه قبعة مدورة وعلق بها بعض اجراس وسار بين الاعجام حتى قطع جيوشهم وبعد عنهم فدخل في واد متسع الجنبات واذا بالاحمال محملة سائرة الى جهته فتقدم نحوهم ووقف أمام كبيرهم وقال : انا عبد كسرى وقد بعثني لأكتشف اخباركم ولا خفاك يا ابن الخالة ان لاشيء يسرني الا الاجتماع بأبناء جنسي ولا يطيب لي العيش الا معهم ، قال : بارك الله فيك ، فسر بنا قليلا حتى اذا صار بيننا وبين معسكرنا ثلاث ساعات نزلنا بالاحمال وصرفنا ليلة من احسن الليالي وفي الصباح نسير الى كسرى وزوبين ونسلمهما الاحمال والمؤن .

قال : بورك فيك وجعل يرقص ويغني ويمشي امام كبير العبيد حتى سر منه سرورا عظيما فأمر كبير العبيد ان ينخوا الجمال ويبقوا الاحمال على ظهورها حتى يسيروا في منتصف الليل ، وأمر أن يرف خمر فوضعه في الوسط وقال : عليكم هذه الليلة ان تضحكوا من اعمال ابن الخالة هذا .

فجعل عمر يرقص ويقلب في الهواء ويمشي على يديه حتى كاد العبيد ان يهلكوا ضحكا ، وبخفة كليه اخذ من جيبه قبضة من البنج

ووضعها في زق الخمر ، وسقاهم منه وبمـدة خمس دقائق وقـع الجميع نياما فأسرع عائدا حتى دخل بين الاعجام ومن ثم دخل المدينة فوجد العيارين بانتظاره فقال لهم : ان جميع المؤن صارت بأيدينا ولم يبق علينا الا ادخالها الى البلد ؛ فعلى الامير الاندهوق والفرسان ان يفاجئوا الاعداء من الجهة الفلانية وهم يظنوا انكم كثيرون واعملوا فيهم السيف وانا اذهب الآن برجالي واوصيكم بالهجوم بسرعة البرق الخاطف.

فخرج الاندهوق مع باقي الفرسان ودخلوا معسكر الاعجام وقد تفرقوا على عدة جهات واعملوا ضرب السيف فيهم وهم نيام فاضطرب جيش الاعداء وبهذا سهل عمر ان يمر بالجمال ومـا مضى نصف ساعة حتى بدات الجمال تدخل المدينة .

وفي الصباح نهض الامير حمزة من نومه ولاقى عمر وشكره على فعله ومدح من اعماله ، وكان قد وقع الاضطراب في جيش الاعجام فنهض كسرى غضبانا واجتمع عنده وزراءه واعيانه فقال لهم : انني البارحة ظننت ان الارض انطبقت على بعضها من كثرة الصياح؛ فقال بختك : اظن انها حيلة فعلتها العرب لتدخل بعض النجدات الى المدينة، وقد قيل لي أن قطرآ من الجمال دخل المدينة ، فلما سمع زوبين هذا الكلام قال : اخاف أن تكون هذه الجمال جمالنا وعليها احمال المؤن ولا ريب ان وصولها سيكون في هذا النهار فاحتالوا على الاستيلاء عليها ونحن غافلون عنهم .

ثم ارسل كسرى من يكشف خبر العبيد فما غابوا الا القليل حتى عادوا ينعون بالويل والثبور وعظائم الامور واخبروه ان جميع العبيد مذبوحون فكاد يجن من هذا الخبر .

واما العرب فقد كانوا في هرج ومرج وقد ايقنوا ان ما عندهم من الذخيرة يكفيهم لمدة طويلة ريثما تنتهي ايام النحس ؛ وفي ذات يوم اراد عمر ان يدخل على اخيه على حسب عادته وهو يظن انه لا يوجد احد عنده فسمعه يقول : ان كلامك صدقآ فأنا اعدك اني سأسر واقتل عمك واعيد الملك فمد عمر راسه فلم ير احدا فظن ان الامير اختل شعوره ، فأسرع الى اسطون الحكيم .وهو باكي العين وجمع سائر الفرسان وقال لهم : اننا وقعنا بمصيبة عظيمة .

فقالوا له : ما الخبر هل مات الامير ! قال : ان نتيجة ذاك المرض الناتج عن الجرح كان الجنون، ومن الصواب مداركته في هذه الساعة، فنهضوا جميعا وساروا الى صيوان الامير فلما راى الفرسان قام اليهم وترحب بهم وقد تعجب من حضورهم ، وقد اراد الاندهوق

ان يختبره فقال : اتعلم بأي شهر نحن الآن ايها الامير ؟ قال : نعـم ، في محرم .

فوعي الأمير الى سبب مجيئهم وادرك ان عمر قد حضر ووجـده يتكلم دون ان يرى احداً عنده فذهب واخبرهم بأن اخاه قد فقد عقله ، فقال له : يا وجه القرد ، ما رأيت مني حتى أشغلت بال الرجال علي ؟ فقال له : الم اسمع قط ان انساناً يتكلم مع نفسه وفيه عقل ، ثم قال الامير : هلم يا راعدو واظهر نفسك على فرساني واخبرهم عن حالك .

وفي تلك الساعة ظهر للفرسان قرخ من الجان ووقف بين يـدي الفرسان وسلم عليهم ، فقال له المعتدي : من انت وما هي قصتـك وماذا تريد ؟ فقال : اني أتيت به مستجيراً طالباً اغـاثتي ومعونتي ؟ واعاد عليهم قصته التي رواها للامير حمزة وقال لقد وعدني الامـير بالمسير معي ، فقال حمزة : اني وعدتك بالذهاب معك بعـد انكسار جيش كسرى ودحره عن مكة المطهرة ، فقال الراعد : اعلم ايها الامير بأني سأقاتل معكم في حرب العجم واني اعدكم بتفريق هذه الجموع بثلاثة ايام دون أن يروا لي وجها ، فسر الامير من كلامه وامر اخـاه عمر بـأن يفتح الابواب في اليوم التـالي وتخرج الفرسان لـيرى ما سيكون من اعمال الراعد مع العجم وقد ايقن ان النصر سيكون لهم .

هذا وانتظر عمر الى الليل فتزين بزي الاعجـام وخرج من مكـة وذهب الى صيوان الوزير بزرجمهر وقبل يـديه واستأذنه بالحرب واخبره بخبر الراعد فقال له : اخرجوا للحرب فان الفرج قـد جاء وسينكسر كسرى في هذه المرة ، فلا تضيعوا هذه الفرصة من ايديكم ولا بد من ذهاب الامير الى جبال قاف حيث له نصيب هناك .

فما سمع عمر كلام الوزير قبل يديه وخرج من عنده وجـاء الى اخيه واخبره بما قاله الوزير بزرجمهر فسر من ذلك وتمنى أن يصل الى زوبين الغدار ليأخذ منه الثأر .

واما الاعجام فانهم اصبحوا صباحاً وتهيأوا للحرب وتقدموا الى ساحة القتال ، فلم يشعروا الا وطبول العرب تضرب حتى ارتج منها ذلك السـهل والامير حمزة في المقدمة كانه الأسد ، ولما التقت العـين بالعين صاح الامير حمزة بصوت أشبه بالرعد القاصف قائلا : ويلكم ايها الاعجام هل ظننتم ان الامير حمزة قد مات حتى تبعتم العرب الى هذه الديار ؟ ثم انه زار زئير الاسود وانقض على الاعجام كالقضـاء المنزل واخذ يطعن في الصدور ويمدد الفرسان على الارض وكذلـك فعلت رجال العرب واعمت بصائر الأعجام ، وكانت وقعة عظيمـة

الاهوال ولله در الامير حمزة الفارس الكرار كم قتل من فرسان الاعجام واقتحم الاهوال ، واستمروا هكذا الى الزوال فدقت طبول الانفصال ورجع كل من الفريقين الى طلب الراحة من التعب والملل .

ولما اجتمع كسرى بوزيره بختك وبخه وقال له : لا زلت تهون علي الصعاب ، وتخبرني بما لا اصل له . كم من مرة قلت لي ان الامير حمزة قد قتل على يد زوبين والحال اني شاهدته في هذا النهار كانه الغول .

وفي اليوم الثاني اصطف الفريقان وقبل ان يبدا احدهما بالهجوم رات الاعجام سيفا طويلا قد وقع بينهم وعمل فيهم ذات اليمين وذات اليسار وفي كل ضربة كان يصيب عددا من الرجال . ربقي لهيب الحرب مشتعل حتى اصبح الضياء في عينيه ظلام وقال لبختك : انظرت سوء تدبيرك فقال له : هلم ياسيدي الى الهرب فان اليوم ليس يومنا ، ثم امر الحجاب فحملوا كسرى وطاروا به مهزومين في البراري ، ولما رات جيوش الاعجام ان ملكهم قد هرب ادارت اعنة خيولها وانهزمت من وجه العرب ، وكان اول المهزومين زوبين . فاخذت العرب تضرب في مؤخرتهم والراعد كان قد اهلك قسما كبيرا بذاك السيف الطويل وكانت الاعجام قد بعدت عن مكة مسافة ثلاث ساعات وعاد الامير حمزة مسرورا بهذا النصر ، وبعد انقضاء السهرة انصرف كل منهم الى صيوانه ونام حمزة في فراشه مرتاحا الى الصباح فنهض من فراشه وجلس على سريره واذا بالراعد قد وقف امامه وقال له : لقد انتهى غرضك وتفرق العجم ولم يبق من امل في رجوعهم فاريد منك ان تبربوعدك ، وتسافر معي الى بلادي لتقتل لي عدوي ولانقيم هناك اكثر من ايام قليلة فاني ساحملك على عاتقي فلا تشعر بتعب .

فقال له الامير : اصبر علي لاهيء نفسي واوصي الفرسان باليقظة اثناء غيابي ، ثم خرج حمزة من صيوانه ودخل على مهر دكار فوجدها جالسة بانتظاره فلما راته نهضت لاستقباله فشكرها وقبلها بين عينيها وقال لها : يصعب علي ياقرة العين ان اخبرك بان جيوش ابيك قد اندحرت وانه رجع مهزوما ، فقالت : يكفيني أن اراك سالما ، واما ما اصاب ابي فهو ما استحقه مع رجاله لانه ترك الحق واتبع الباطل فانقاد الى بختك وجرد نفسه من الشفقة والرحمة علي وعليك ، وبما انه قد انكر جميلك وقابلك بالعداوة فعاملته انت بالمثل ، واما انا فاني اقتضي واجبات الدين ان ابقى بين يدي ابي ليس على دين الحق بل

الكافر بدين الله وهو محاط برجل من اخبث اهل الارض فرايت من نفسي ان البعد عنه خير من البقاء .

فشكرها حمزة وقال لها : نعم ان بقاءك عندي راحة لي لان اباك لا يستحق بنت نظيرك ، والآن هيا بنا الى فرساني لان لي غاية ابديهـا هناك بحضورهم لاني ساغيب عنك الى جبال قاف وستبقي انت في حمايتهم .

فلما سمعت كلامه شعرت بانفطار قلبها وقالت : كيف يطاوعـك قلبك ان تتركني وحيدة هنا بدون أب ولا ام ولا اخت تسليني ، وانا قد اتخذتك بدلا عن الجميع .

- فقال لها : ان سفري لابد منه حيث وعدت الراعد وعدا صادقا ، ومن كان مثلي لايخلف بوعـده ، ولا أغيب الا اياماً قليلة واملي بالله تعالى أن تكون سفرتي موفقة وسأعود حالا .

فلما سمعت كلامه واصراره على السفر سكتت وهي باكية العين، وقامت معه وسارت الى صيوان أبيه وكان جميع من في الصيوان بانتظار حمزة ومن جملتهم الراعد فقاموا احتراماً له فحياهم وجلس في مكانه ، ولما استقر به الجلوس قال : أريد من كل واحد منكم أن يضع يده فوق يد الآخر ففعلوا ثم دعى مهردكار وقال لها : ضعي يدك فوق أيدي الجميع ففعلت ، واذ ذاك قال لهم : اريد منكم ان تتخذوا مهر دكار اختاً لكم وتعاهدوها امامي وأمام جميع الفرسان ان تكونوا لها اخوة فعاهدها الجميع .

وبعد أن اطمأن بال الامير الى هذه الناحية امر اخاه عمر ان يأخذ مهر دكار الى صيوانها ، وبعد صمت طويل قال له الاندهوق : لـم تعلمنا ما هو السبب الذي دعاك الى هذا العمل ، هل ظهر منا قصور في خدمتك؟ قال : كلا ، غير انه لايخفاك باني قد وعدت الراعد بالذهاب معه الى بلاده ، واعرف تماما بان الملك كسرى اذا علم بغيابي عاد الى محاربتكم واذا كنتم تعتبرون مهر دكار كأخت لكم فلا تتخلون عنها وانتم ستبقون في مكة . ولا تتركوا مجالا للاعجام بأن ينفذوا مآربهم بنا ويأخذوا منا فتاة اصبحت منا وفينا وهي تعبد الله مثلنا .

فنهض العرب وقال الفرسان نحن ما تجمعنا الا لأجلـك وتحت رايتك فاذا ذهبت عنا تفكك انتظامنا وسار كل منا الى ناحية ولا يوافق ان تترك المعسكر وعدو الله كسرى ورجاله قريبون منا .

فلما سمـع الامير حمزة كلامهـم خاف أن يتفرقوا ويتركوا مكة ومهردكار ولذلك التفت الى الراعد وكان حاضراً في ذاك المكان وقال له:

اذهب يا اخي من حيث اتيت فان الفرسان لأيتركونني اذهب عنهم قبل فصل الحال بيننا وبين كسرى .

فلما سمع الراعد هذا الكلام بكي بدمع سجام وقال : انتوعدتني بالذهاب معي وتخليص ملكي من عمي ، فقال اني وعدتك ولا ازال اعدك غير ان الوقتلم يحن بعد فاصبر الى نهاية الحال والا فانصرف الى حال سبيلك فترك الراعد الصيوان وخرج باكياً ، وبقي الامير حمزة الى المساء ثم دخل على مهر دكار واقام عندها قسماً من الليل وبعد ذلك ودعها ورجع الى صيوانه وكل افكاره متجهة نحو الراعد وقد صعب عليه الخلاف بوعده معه وفيما هو كذلك واذ بالراعد قد وقف امامه وتقدم منه وقبل يديه وجعل يبكي بدموع غزيرة وقال : يا سيدي اني لا ازال متمسكاً بوعدك ولا اقدر ان اذهب الى بلادي الا وانت معي فاقبل مني رجائي وارحم ذلي وخلصني من ظلم عمي فما من احد سواك يقدر على قتله ، وانا اعدك بأيام قليلة اذهبواعود بك وفرسانك على حالهم .

فقال حمزة : اني وعدتك ولا ارجع بوعدي ، ولكني اريد ان ابقى محافظاً على ارادة قومي ، فغداً اذهب الى البرية مع قومي وهناك انفرد عنهم لوحدي وافقد من بينهم فلا يعرفون اين ذهبت الى ان اعود اليهم بعد قتل عمك وبذلك اكون قد وفيت بوعدي معك فأريد منك ان تكون دائماً قريباً مني حتى اذا دعوتك لحملي تسرع فيالحال وتحملني وتغيب من هذه البلاد ؛ ومهما شاء الله فليفعل ، فلما سمع الراعد هذا الكلام اطمأن باله وعرف ان الامير سيذهب معه ويقوم بالوعد .

ونام حمزة تلك الليلة الى ان اشرق الصباح وحينئذ خرج الى صيوان الملك النعمان واقام مع باقي الفرسان وبقي على ذلك الحال مدة ثلاثة ايام حتى عرف العرب ان الامير عدل عن السفر وقد انقطع ذكر الراعد من بينهم وفي اليوم الرابع دعا اليه الفرسان وقال لهم مرادي الذهاب للصيد وانصرف وقتنا بالبرية على الحظ مع بعضنا.

فقالوا كلنا تحت أمرك فنهض الامير حمزة وركب جواده وحملوا صيواناً كبيراً ليضربوه في تلك الناحية وخرجوا من مكة وساروا الى خلف جبل النور وهناك تفرقوا كل واحد في ناحية يطلب الصيد والقنص ، وكذلك الامير فانه انفرد مع عمر العيار واصطاد كثيراً من الغزلان وعاد الى الصيوان وهو متكدر من ملازمته عمر له . ولما دخل الصيوان لم ير احدا قد عاد من فرسانه فقال لعمر : انظرالىالفرسان

هل هم بعيدون عن هذا المكان واخبرهم اني بانتظارهم ، فتركه عمر وسار ولما راى الامير نفسه وحيداً بالصيوان قال : هيا يا راعد فاني بانتظارك فارفعني قبل ان ياتي احد من الفرسان .

ففي الحال تقدم منه الراعد ورفعه على عاتقه وطار به في الجو الاعلى دون ان يراه احد وقد غادر مكة وبعد عن تلك الديار .

وبعد ان غاب الامير على اعناق الراعد اخذت الفرسان تفـد الى الصيوان وكان جواد الامير ورمحه عند الباب وما كان احد يعرف اين ذهب الامير فقال لهم عمر لا تفتكروا ولا ينشغل بالكم لغياب الامـير فانه ذهب الى جبل قاف مع الراعد فوافق الجميع على هذا الراي وعادوا الى مكة ولم يعلموا احد عن سفر الامير بل قالوا لابيه لقد تأخر عنا لبعض الاشغال وسيعود قريبا .

فهذا ما كان من امر العرب واما ما كان من الامير حمزة فانه بقي محمولا على عاتق الراعد مدة ايام فنزل به في المساء ويأتي له بالاكل ثم يحمله ويطير به بسرعة نحو بلاده حتى انتهى به اخيرا الى ارض كثيرة الرياض حسنة المناخ فنام هناك تلك الليلة وفي الصباح نهض ونظر الى جهة الشرق فوجد البحر يتصل في تلك الارض فقال للراعد: يظهر ان هذه النواحي واقعة على البحر وان السواح يأتون اليها ؟ فقال له الراعد : ان هذه البلاد بعيدة عن المكان الساكنة به الانس، ثم نظر الامير الى جهة البحر فراى عن بعد مركبا شراعيا سائرا بسرعة فقال للراعد . انت قلت لي ان المراكب لاتقترب هذه النواحي مع اني ارى مركبا عن بعد . فقال له : هذه ليست مركب بل هي سمكة بحجم المركب الكبير فتعجب الامير من صنع الله سبحانه وتعالى ، ثم حمله الراعد وطار به في الجو الاعلى ثم انزله في ارض مقفرة وقال له : اعلم ياسيدي ان من هنا بداية حكم عمي وانا لم اعد اقـدر ان ادع احدا يراني لئلا اهلك ، ولا عدت تراني الا بعد موت عمي فأرجو الله ان يساعدك وينصرك ، ثم تركه واختفى ، فاندهش الامير حمزة من عمله واحتار في امره ، ثم سجد لله وسأله المساعدة فارتاح لذلك واراد المسير فنظر امامه ثلاث ممرات فوقف حائراً ثم اختار احدى الطرق وسار مدة ستة ساعات فوصل الى ارض رملية محرقة فجعل يدعوا الله ويسأله ان لايميته في ارض هي كجهنم .

وفيما هو على مثل ذلك فراى نفسه في ارض خضراء غير الارض الرملية وامامه شبح بثياب خضراء وعليه وشاح اخضر ذو لحيـة بيضاء فانذهل وحاور وتذكر انه راى مثل ذاك الرجل فتقدم نحوه واراد ان يسأله عن ماء فقال له : اطمئن يا حمزة العرب . فانا الخضر الاخضر ابو العباس فتقدم واشرب واخرج له قربة من الماء ودفعها اليه فشرب الامير حتى ارتوى وهو مسرور من لذة تلك المياه ثم دنا من الخضر ليقبل يديه وسجد له فانتهره وقال له : لا يليق السجود لغير الله سبحانه وتعالى ، وانا ساحرسك ما زلت في هـذه الارض

لانك من الامناء على دين الله فاعطني سيفك فناوله حمزة سيفه فاخذه منه وغطه بالماء واعاده اليه وقال : ان هذا السيف اصبح نافعا لك، ما دمت حامله تهرب منك مردة الجان والكهان وعفاريت السيد سليمان، ولم يعد احد يقدر ان يقترب منك .

ففرح الامير حمزة وخر ساجدا لله تعالى ثم نهض ومشى في طريقه حتى دخل بين الرياض ولازال سائرا حتى دخل بين القصور وهي شواهق مرتفعة للسحاب وقد قادته الصدف الى قصر اليون شاه عم الراعد فنظر اليه فوجد الارهاط مجتمعة عنده مما يدل على انه قصر الملك فقال : ها قد هداني الله اليه بدون ان اسأل أحداً عن ذلك غير انه قبل ان يقرب من الابواب نظره اولئك الأرهاط فتقدموا منه فاستل سيفه وهجم عليهم فهربوا من وجهه وهم يصيحون الامان الامان ، ودخل رهط منهم على ليون شاه وهو جالس على كرسيه وقال : اعلم ياسيدنا اننا راينا رجلا من الانس يتقدم الى جهة القصر فأردنا ان ندنوا منه واذا به قد استل من وسطه سيفا فصدحت منه ناراً محرقة اتجهت نحونا فانهزمنا من أمامه فقال لهم : اني سأحضره وانظر في امره .

وفيما ليون شاه مع خدمه بمثل هذا الكلام واذا بالامير حمزة قد دخل من باب القاعة وصاح : ويلك ياليون شاه، انزل عن هذا الكرسي وسلم نفسك الي واجلس ابن اخيك الراعد عليها لانه أخي وجئت لنصرته .

فلما سمع اليون شاه هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام واراد أن يسحق الامير حمزة في الحال ، فتناول عمداً ثقيلا من الحديد الى جانبه وضرب به الامير حمزة وقال : ويلك يا قطاعة الانس هل وصلت بكم الوقاحة للمطاولة علينا ، فمال الامير حمزة عن مرمى العمد وصاح بصوت ارتجت منه اركان القصر وأشهر بيده السيف وقفز كالغزال حتى وصل امام ليون شاه وضربه في صدره فالتهبت به النيران وصاح اعوذ من كيد القصار ووقع الى الارض كومة رماد .

وفي تلك الساعة سقط الراعد وصاح لاشلت يداك يا أخي حمزة الزمان ، ثم اخذ بيده عمده ومال على اولئك الارهاط فصاح كل من كان في الديوان الأمان يا راعد فاننا عبيدك فكف عنهم وقال لحمزة : ارجع يا اخي فانهم طائعون ثم جلس على كرسي ابيه وتقدمت منه سادات الجان وأظهرت الطاعة والخضوع ، وفي المساء أولم الراعد وليمة عظيمة على شرف الامير حمزة ولما انقضت الوليمة قال الامير

للراعد : ها قد انتهيت من عمك واني سأقيم عندك سبعة ايام وفي اليوم الثامن اريد منك ان تذهب بي الى بلادي لانك تعرف ما اصابني، فاذا كان لك عدواً فاخبرني به لاقتله قبل ذهابي الى بلادي .

قال : اشكرك يا اخي على جميلك هذا ولا انساه ، وسوف اوصلك الى قومك في اي يوم شئت وساكون بخدمتك على الدوام فشكره الامير حمزة واقام مدة سبعة ايام وفي كل يوم يذهب به الراعد الى جهة ويطلعه على بلاده وعلى عجائب خلق الله وصنعه الى ان مضت المدة وانتهى الأجل وبات الامير حمزة .وفي نيته ان يعود الى بلاده في اليوم الثامن ونام تلك الليلة مطمئناً مرتاح البال وعند الصباح نهض باكراً وتقدم من الراعد ليسأله ان يرجعه من حيث اتى فوجد الدم سائلا الى الارض وقد قطع الراعد قطعتين فشعر ان روحه خرجت من جسده وامتشق سيفه وطاف في الفرفة فلم ير احداً فخرج الى الخارج واذا به يرى عند الباب مارداً رجله في التراب وراسه في السحاب فهجم عليه واراد ان يضربه بالحسام ففر من امامه فقال له: ويلك من الذي قتل الراعد ؟.

فقال له : ان الذي قتل الراعد هي اسمابري بنت اليون شاه ، وهي ذات قد معتدل لم يكن اجمل منها. ولها خادم اذا وقع على جبل سحقه وهو يدعى كندك فجاء اليها بعض خدمها وعزاها بأبيها فاسودت الدنيا في عينيها وسألت من الذي قتله ؟ فقالوا لها ابن عمك الراعد ذهب الى بلاد الانس وجاء برجل من العرب اسمه الامير حمزة فقالت لا بد لي من هلاك الراعد والذي جاء معه وطارت مع كندك ودخلت قصر ابيها فرات الراعد نائماً فقالت لكندك اضربه بسيفك اقطعه نصفين ففعل حسب ما امرته ، ثم تقدمت من الامير حمزة وقالت لكندك اضربه والحقه برفيقه فقال لها : لا اقدر ان اصل اليه لأنه محاط بسور من اللهيب ، فأمعنت النظر بوجهه فراته صبوح الوجه ناعم الخد معتدل القد وبمدة ساعة من الزمان تمنت وصاله فقالت لكندك : اقم انت عند الباب فلا بد للامير ان ينهض عند الصباح فيرى الراعد مقتولا وهكذا ظهرت اسما بري امام الامير حمزة وقالت له : لا تتكدر من قتل الراعد فانه كان السبب بقتل ابي ، واما انت فقد نزلت من قلبي منزلا عظيما ولذلك اطلب منك الوصال ان حلالاً ام حراماً وبغير ذلك لايمكنك ان تخرج من هذه البلاد ، فقال : ما لم يبق علي الا ان اتزوج بنات الجان فلا تطمعي بالمحال فقالت له : ان بلادك بعيدة من هنا عدة سنوات ولا يمكن الوصول اليها الا اذا اجبت

طلبي امرت المارد كندك ان يوصلك بأقرب وقت فقال لها : لايمكن ان اكـون اسيرك ولا ارضى بما تطلبينه ، وقـد حدثته نفسه ان يسير ماشياً على الاقدام ولا بد ان الله سبحانه وتعالى ان يسخر له مـن يوصله الى بلاده ، ثم ترك القصر وعاد الى المكان الذي جاء منه ولازال سائرا حتى خرج من المدينة وكانت اسما بري وخادمها كندك يتأثرانه عن بعد ودام سائراً الى المساء فجلس على الارض تعباً وقـد شعر بالجوع واذا بكندك قدم له الطعام والماء فأكل وحمد الله ثم قال لكندك اذا شئت ان تعمل معي معروف وصلني الى بلادي فيجازيك الله عني خيراً .

قال : انني لا اقـدر ان اخون سيدتي ، واذا كنت تقبل نصيحتي اقبل بزواجها فتصل الى بلادك بوقت قريب ، فقال هذا لا اريده الآن ونام تلك الليلة وفي الصباح نهض والسيف الى جانبه وسار في طريقه واما اسما بري فقد قطعت عنه الاكل والشرب لغيظها منه وبقي كذلك يسير بالنهار وينام بالليل مدة ايام حتى انهد حيله من شدة الجوع فصار يجر نفسه جراً فأيقن انه هالك لا محالة ، وفيما هو على مثل هذه الحالة اذ رأى الخضر عليه السلام قد ظهر امامه وناداه فلبـاه وقد اشتدت اعصابه فقال له الخضر سخاف من زواج اسما بري فان الله تعالى قد قدر عليك اموراً لابد من وقوعها .

قال : اني اعرف ياسيدي ان كل شيء بيد الله ، لكن الذي يكدرني الجوع الذي لا طاقة لي على احتماله .

قال اني اعرف ذلك ، ولذا اعطيك الآن حصاة ضعها تحت لسانك فهي تغنيك عن الطعام والشراب ، ثم اعطاه الحصاة فأخذها واراد ان يدنو من الخضر ويقبل يديه فلم يجد له اثر ، فوضع الحصاة في فمه وفي الحال شعر بالشبع واسرع في جريه وبقي على ذلك عشرة ايام وفي ليلة بينما كان نائما استيقظ وتفقد الحصاة فلم يجدها في فمه فغاب صوابه وحسب لفقدها الف حساب فسمع مارداً يقول ان الحصاة معي ولم يبق ما يقيك من الم الجوع فاسمع مني واقبل بزواج اسما بري واعلم انك لاتقدر ان تخرج مـن بلادها لو صرفت العمر ماشيا على قدميك .

فلما سمع الامير هذا الكلام وعى الى نفسه وتذكر كلام الخضر عليه عليه السلام ان ما من بأس من زواج اسما بري فقال للجني : ادع لي اسما بري لاعرض عليها شروطي فظهرت اسما بري امامه وقالت له: ها انا مر بما تشاء قال : اني قبلت بطلبك ورضيتك زوجة لي انما بشرط انك بعد خمسة عشر يوما توصليني الى بلادي .

قالت اني اعدك بان اوصلك الى بلادك بعد مرور خمسة عشر يوما وكفاني أن اكون زوجة لك وان اقيم معك هذه المدة .

وفي الحال رجع من حيث اتى فاحتمله كندك الى القصر فاخذت اسمابري تستعد لعمل الزفاف فقال لها الامير : اني لا ارضى ان ازف عليك الا اذا ارسلت خادمك كندك يأتيني بقاضي مكة لكي يجري الزفاف حسب سنة العرب ، فقالت : سمعا وطاعة اكتب كتابا الى القاضي المذكور ليحضر مع كندك فكتب الى ابيه يخبره بأحواله وطلب منه ان يرسل القاضي وعمر العيار مع كندك المارد .

فأخذ كندك الكتاب وطار به حتى جاء مكة ودخل على الامير ابراهيم واعطاه الكتاب ، وبعد ان قراه قال لكندك : ان العرب قد ذهبوا الى بلاد الغرب وليس هنا الا القاضي فخذه وحده فاحتمل كندك القاضي وذهب به الى جبال قاف واحضره امام الامير حمزة . فلما رآه نهض اليه وقبل يديه واجلسه على كرسي من العاج ثم سأله عن العرب ولم لم يحضر معه عمر العيار .

قال : ان العرب ارسلوا عمر الى المدائن ليستشير الوزير بزرجمهر في امرك فأمره أن تسير العرب الى بلاد المغرب عن طريق طنجة فذهبت العرب الى هناك ومعهم عمر العيار ، فقال الامير لكندك : اذهب الى طريق الغرب واحضر لي عمر العيار بكل سرعة فسار كندك بطلب عمر العيار . وبينما كان كندك طائراً بالجو راى العرب مشتبكة بالحرب مع العجم امام قلعة قطمين ووجد حاكم القلعة قابضا على عمر العيار يريد قتله فانقض على عمر واختطفه من بين الرجال المولجين لقتله ولا زال طائرا به حتى وضعه امام اخيه الامير حمزة وهو غائب عن الوعي فأمر أن يؤتى له بكأس من الشراب فاحضر له فسقاه الامير وقال له : لقد ارسلت واحضرت قاضي مكة واتيت بك لتحضر زفافي وترى العروس قال : خيراً فعلت فاني اريد ان أراها ان كانت توافق أم لا ، فنادى الامير اسما بري فحضرت امام اخيه فنظر اليها وقال لأخيه : اني لا اقبل ان تكون هذه عروسك واذا فعلت ذلك قتلتك ، فضحك الامير وعرف انه يريد منها النقد فاشار الامير الى اسما بري أن ترضيه فقالت سوف املىء لك صندوقا من الذهب تأخذه معك ، قال : اني لا اريد صندوقا ولا خلافه بل اريد ان تملأي هذا الجراب الصغير وفتح لها فمه فقالت له : اتبعني فاني سأملاه لك مرتين وثلاثة ودخلت الى قصرها وفتحت صندوقا كبيرا مملوء من الذهب واخذت تضع في الجراب الذهب وهو لا يبان حتى

فرع الصندوق كله فطار عقلها وجاءت الى الامير حمزة وعمر يضحك منها وقالت له ما هذا الجراب ؟ فقال لها : لاتقدرين ان تملاي هذا الجراب فلو وضعت الصناديق برمتها لما بانت ثم نادى عمر وقال له: يكفيك ما اخذت من الذهب .

ومنذ ذلك الحين أعدت إسمابري لوازم الزفاف وتقدم القاضي وزف اسما بري وبات تلك الليلة وهو مسرور وعند الصباح وجد اخاه عمر بانتظاره فقال له : ارسلني الآن الى قلعة قطمن فان بالي مشغول عند العرب فطلب المارد كندك وامره ان يوصله قلعة قطمن ويوصل القاضي الى مكة فأطاع كندك واحتمل الاثنين ووضع القاضي بمكة وطلب منه عمر ان ينزله بعيدا عن القلعة ففعل كندك ما طلب منه وتقدم عمر من العرب وطلب منهم ان يتبعوه ليسلمهم القلعة وكان الى جانبه كندك فتبعوه وهجم كندك على الابواب ففتحها واندفعت العرب الى الداخل وبقي عمر داخلا حتى اتى الى حاكم القلعة وقال له : ويلك يا غدار هل ظننت انني مت وضربه بالخنجر في صدره فوقع على الارض قتيلا وملكت العرب القلعة وغنموا كل ما فيها ثم ان كندك عاد الى جبال قاف ودخل على الامير واعلمه بما فعل بالقلعة وكيف ان العرب ملكتها فسر من ذلك كثيرا ثم صبر على أمل أنه بعد فراغ المدة تصدق اسما بري وترسله الى بلاده ، وبعد نهاية المدة طلب اليها أن تأمر كندك ان يوصله الى قومه فحاولته وقالت له : اصبر علي اسبوعاً ثانيا بأنك صرت زوجي ولا بد من طاعتي فصبر عليها حتى مضى شهرا تماما فسألها الانجاز فقالت له : لابد من ارسالك الى قومك لكن ليس في هذه الايام وعما قليل ترى نفسك بين قومك واهلك ، وهكذا اسبوعا بعد اسبوع وشهرا بعد شهر حتى مضى عليه سنة وهو عندها فضاق صدره فنهض وأصر على الذهاب وسأل كندك ان يحمله فامتنع فخرج ماشياً على رجليه واستلم الطريق وبقي عدة ايام حتى مر على صومعة فقرب من هذه الصومعة وهو منشرح الصدر يسأل الله ان يكون الفرج قريب .

ولما وصل اليها طرق بابها فخرج اليه خدمة من الجان فسلم عليهم وقال لهم : لمن هذه الصومعة ؟ فقالوا له : هي لأميرنا جوكدان فادخل عليه واسأله غرضك فيجيبك اليه ، ففرح ودخل على الامير جوكدان وقال له : اني اتيتك لاجل قضاء مصلحتي فاعني وارحمني .

فقال له : مرحباً بك ثم امر ان يقدم له الطعام فأكل واكتفى ، ثم شرح الامير قصته من البداية حتى النهاية وسأله ان يتكرم بايصاله

الى بلاده ، فقال له : مرحباً بك فلا بد لي من ان اوصلك الى بلادك بوقت قريب، فاني ساعطيك فرساً سريعة الجري وهي ستوصلك الى بلادك ، ولكن يجب ان تحافظ عليها فوعده بذلك . وفي الحال امر بان يعطى اليه فرس عديمة المثال فركبها واطلق لها العنان فطارت به ثم نزل عند المساء على الارض، واذا بكندك المارد قد قدم له الطعام فاكل مسرورا، وفيما هو نائم سمع صوت صهيل قوي فنهض مرتاعاً واذا به يرى جوادا بقدر الفيل يعتلي ظهر الفرس وقد جاءها من البر فاستل سيفه وضربه فقتله ، وكانت قد حملت منه والامير لا يعلم بذلك .

وفي اليوم التالي طلب الفرس فلم يجدها فتكدر جدا واذا باسمابري تقول له لا تفتش عن الفرس فهي عندي ولا يخطر على بالك بان احداً يقدر ان يوصلك الى بلادك غيري ، فانتصح مني وعد معي الى قصري وبعد سبعة ايام ارسلك الى المكان الذي تطلبه ، فقال لها : انني لم اعد اركن اليك ابدا واني سأسير لوحدي وتركها وسار مشياً على قدميه مدة عشرة أيام وبينما هو سائر لقيه المارد كذلك وقال له : اعلم ياسيدي ان اسمابري وضعت ابنة . وقد طلبت مني ان اخبرك بذلك واطلب اليك ان تعود اليها وتنظر ابنتك .

فتحركت احشاء الامير وحن لرؤية ابنته فقال لكندك : ارجعني لاراها ، فحمله في الحال وعاد به الى جبال قاف ولما دخل القصر رأى زوجته اسمابري متوسدة في الفراش وبجانبها ابنتها فأخذها بين يديه وقبلها وقد فرح بها فرحاً عظيما وسماها قريشة ورأى نفسه مضطرا ان يمكث عند زوجته بضعة ايام اخرى، وبعد ان قضى عندها مدة عشرون يوما قال لها : اتسمحين لي بالعودة الى بلادي ؟

فقالت : ان الوقت لم يحن بعد ومن الضروري ان تبقى عندي الى الأبد فتكدر منها واقسم بالله العظيم انه سيسير ماشيا على قدميه فاما ان يصل الى بلاده وقومه واما ان يموت ويودع الدنيا بسلام .

وخرج من القصر وسار عدة ايام وفي صباح ذات يوم بينما كان جالسا للاستراحة اذا به يرى اسمابري واقفة امامه فقال لها : ماذا تريدين مني قالت اتيت لاخبرك ان الفرس التي سرقتها منك قد مهرا لامثيل له بين الخيول وهو الذي سيوصلك الى بلادك . فاذا رجعت واقمت عندي الى ان يكبر سرت عليه واوصلك اليها فازداد فرح الامير حمزة عند سماعه هذا الكلام ومالت نفسه الى أن يراه فقال لاسمابري : ارجعيني الى قصرك لأرى هذا المهر ، فرجعت به

الى القصر وهي مسرورة ، وبعد ان استراح قال لها : ارني المهر ، فذهبت به الى الاصطبل وارته الفرس وفلوها ، فلما رآها ونظر الى المهر وامعن النظر في شكله فأعجبه جداً فسماه (غزال الجان) ، ثم قال لاسما بري : انني سأبقى عندك لبينما يكبر هذا المهر لانني احب ان اربيه على يدي ، ففرحت بذلك وقالت له : افعل ماشئت ، هذا وقد مضى عليه عدة اسابيع وقد مضى على خروج الامير من مكة الى الآن مدة سنتين ونصف تماماً .

ففي ذات يوم كانت اسمابري غائبة عن القصر نهض الامير حمزة واخذ من القصر ما يلزمه من الطعام وفك الفرس وركبها واطلق لها العنان فجرت به كالبرق الخاطف ومن خلفها ولدها فرخ الجان يسبقها بالجري وقد مضى عليه في سيره عشرون يوما وهو يفكر انه عن قريب يصل الى بلاده وقومه وفي اليوم الحادي والعشرين نهض من نومه فوجد الفرس مقتولة والمهر واقف بجانبها ينظر اليها حزيناً فطار صوابه واستل سيفه وصاح : من الذي فعل هذا الفعل ؟ فظهرت اسما بري عن بعد وقالت : انا التي قتلتها كي لاتصل الى بلادك فقال لها: يا ابنة الحرام فالى متى هذا العذاب ، فلعن الله اليوم الذي رايته فيه وجهك المنحوس .

ثم اخذ لجام الفرس وسرجها واسرج المهر ووضع في فمه اللجام وركبه وسار في طريقه مدة عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر نهض من نومه واراد ان يركب غزال الجان فلم يره فطار عقله واراد ان يفتش عليه واذا بأسما بري قد ظهرت وهي تضحك وقالت له اعلم ايها الأمير انك لم تعد ترى جوادك بعد الآن الا اذا رجعت معي الى القصر فأحضره لك لاني ارسلته الى كنوز السيد سليمان ، فقال لها: قلت لك لا ارجع ولو هلكت ، ثم اعرض عنها ومشى في طريقه وهو يكاد يفقد عقله من شدة الغيظ الذي لحقه منها واستمر سائراً هائماً على وجهه مدة ستة اشهر .

وبينما هو سائر اذ لاحت له عن بعد قلعة مبنية على جانب الطريق فهلع قلبه وامل ان يجد في هذه القلعة من يساعده على الوصول الى معسكر العرب ، وبقي سائرا حتى دنا من القلعة فوجدها مقفلة فاستل سيفه وضرب به الباب فانفتح ودخل الى القلعة وصار يطوف فيها عله يجد فيها انسانا يفرج عنه كربته فلم يجد فيها احدا واخيرا ضاق عليه الحال فصاح من صميم فؤاده : اين انت ياخضر يا ابو العباس اجعل لي حدا لهذا العذاب ، فظهر عليه الخضر عليه السلام وقال له:

ابشر يا حمزة فقد قرب زمن رجوعك الى بلادك ، وانقضت الايام التي قدرها عليك الباري عز وجل فاراد ان يقبل يديه فقال له : قف ، وادخل الى هذا القصر فتجد باباً مقفلا فادفعه بيدك ينفتح لك وترى جوادك هناك ، اذهب واحضره وانا لك بالانتظار .

ففعل ما امره به ودخل القصر وفتح الباب المقفل واذا بـه يرى الجواد فرمى بنفسه عليه وجعل يقبله والجواد يمرغ راسه عليه ، وبعد ذلك احضره امام الخضر فلمس بيده الكريمة على ظهره ثم قال لحمزة : ادخل الى هذا القصر واشار الى قصر آخر فتجد فيه عدة لهذا الجواد كان يركب عليها نبي الله سليمان وهي مرصعة بالجواهر والالماس فاحضرها. فدخل وهو يكاد يطير من الفرح وجاء بها واسرج المهر وبعد ذلك نادى الخضر اسمابري فحضرت بين يديه فقال لها : اذهبي واحضري لزوجك ثوب سليمان الملكي ، فغابت نحواً من خمس دقائق ثم عادت والثوب بيدها وهو يوهج كالشمس ، فأمر الامير حمزة بأن يلبسه فلبسه وهو مندهش وظن بنفسه كأنه ملك على الدنيا بأكملها .

ثم التفت الخضر الى اسمابري وقال لها : كفاك ما فعلت معه فارفعيه الآن واذهبي به الى حد جبل السد بالقرب من الانس وهو يذهب راكبا جواده فيلتقي بقومه ، واختفى الخضر عليه السلام فقدمت اسمابري وقبلت يدي الامير وقالت له : انني تحت امرك الآن فاعفو عني وسامحني . فقال لها : اني عفوت عنك وسامحتك، وبعد أن نودعت منه امرت المارد كندك ان يحمله ويضعه عند جبال السد ، فصدع المارد للامر ورفعه هو والجواد ووضعه عند ذلك السد الفاصل بين الانس والجان . فأقام الأمير امام السد الى المساء فاخذ يفكر في طريقة لخرق ذلك السد ليمر منه ، وبات تلك الليلة مهموماً ، وفي الصباح نهض فوجد الخضر عليه السلام واقفا هناك . وقال له : تقدم يا حمزة وارفع السد بيدك ولا تخشى بأسا فان الله معك فتقدم من السدوو ضع يده عليه وطلب معونة الله سبحانه وتعالى فارتفع السد في الحال فمر حمزة والجواد وصار في الجهة الثانية وشكر الله الذي أعانه على رفع السد والمرور هو وجواده من تحته.

وفيما هو كذلك سمع الجواد يشرب من الارض فنظر الى الارض فلم ير فيها ماء فتعجب غاية العجب وسمع قائلا يقول : ان جوادك يعيش كثيراً يا حمزة حيث شرب من ماء الحياة ، واما انت فلانصيب لك فيه فسمه يقظان ثم سار من تلك الارض وما زال

سائراً مدة عشرة ايام ، وفي اليوم الحادي عشر اشرف على مدينة كبيرة جداً فعرج نحوها ليقيم فيها علّه يعرف شيئاً عن العرب.

ولما وصل المدينة وجد موكبا عظيما خارجا منها رجل جليل القدر ممتطي جواداً وحواليه الخدم والعبيد وكان هذا الرجل ملك الحبشة ومعه ولده ومن عادته ان يخرج في كل صباح الى النزهة ؛ فصادف خروجه وصول الامير حمزة الى ابواب المدينة .

ولما راى الملك حمزة وشاهد ما عليه من الجواهر ونظر الى الجواد وسرجه المرصع باليواقيت طار عقله وطمع بأخذ الجواد فأرسل احد خدمه وطلب من الامير حمزة ان يسمح له بالجواد ويأخذ ثمنه مهما شاء ، فلما سمع الامير ذلك الكلام قال له : عد الى مولاك وقل له : ان هذا الجواد لا اسلمه الا بيوم تتدفق فيه الادمية وبغير ذلك لا مطمع لاحد بجوادي .

وعاد الرجل واخبر مولاه النجاشي بما قال الامير ، فقال مرحباً به وسآخذه منه حسب ما يقول ، ثم استل حسامه وانحدر على حمزة وهو يقول : خل عن هذا الجواد فأعفو عنك واعطيك مهما تريد ، فضحك الامير عند سماعه هذا الكلام ثم امتشق حسامه وتلقاه ولما راى ولده خاف على أبيه فهجم هو ايضاً مع سائر المواكب ودار بين الفريقين دولاب الحرب والقتال حتى التقى بابن النجاشي فمد يده وقبضه من صدره ورماه الى الارض واذا بالنجاشي صاح : الامان يا حمزة العربان فقد اخطأنا بحقك فاعفو عنا واعطنا الأمان ، فتعجب الامير عند سماعه هذا الكلام ورجع الى الوراء وقال للملك من اين عرفتني ؟

قال : اعلم يا سيد العربان انه موجود بكتب علمائنا القدماء ان فارس برية الحجاز سيمر من هذه البلاد فيذل الفرس ويرفع شأن العرب وهنيئاً لملك يسير في ركابه ، فكنت اتمنى ان اكون ذلك الملك حتى اعطاني ربي ما تمنيت ، واني اعدك ان اكون انا وجيوشي الجرارة في خدمتك لانك ستهدينا الى الدين القويم .

فقال الامير : واي آلهة تعبدون ؟ .

قال : انا نعبد صنما اسمه زحل ، فقال الامير ، ان هذه العبادة فاسدة ومن الواجب ان تعبدوا العزيز الجبار خالق الليل والنهار ، فقال لحمزة : اني اشكرك على هذه العقيدة وقد وضحت لي الحقيقة وقد آمنت بالله تعالى وصرت منذ الآن على دينه ، وارجوك ان تشرف

المدينة لتبطل منها كل عبادة غير عبادة الله عز وجل وتضيف عندنا مدة ايام .

فاجاب الامير طلبه ودخل الى المدينة ودخلوا قصر الملك فاولم الولائم ودعى بكبار بلاده واعيانها وافهمهم عن الامير حمزة انه هو الرجل المنتظر وقد علمني العبادة فمن أجاب له الخير والصلاح ومن امتنع كان جزاؤه الاعدام .

فسجد الجميع لله وكسروا الاصنام وصارت بلاد الحبشة منذ ذلك الوقت تعبد العزيز الجبار، ومكث الامير عند النجاشي ثلاثةايام وفي اليوم الرابع قال : اني اريد السفر الى قومي ، وعليك ان تجمع عساكرك وتتبعني الى طنجه الغرب حيث العرب هناك ؟ وسار على جواده اليقظان وهو مؤمل بالخير والنجاح ، ولا زال في مسيرة عدة ايام حتى وصل الى مدينة واسعة فلجأ الى القرب وبات في احدى الفنادق ، وقد سأل صاحب الفندق عن تلك المدينة وعن صاحبها ؟ فقال له : هي لفارس الفرسان يهتز عند ذكر اسمه الانس والجان الأمير عمر الاندلوسي المشهور بين فرسان هذا الزمان فسكت الامير حمزة ولم يظهر نفسه وفي نيته ان يقيم اليوم التالي في المدينةويتفرج عليها ، وبات تلكالليلة في الفندقوخرجعند الصباح وطافـفيالاسواق وفي المساء عاد الى الفندق على نية ان يسافر في الصباح .

وكان بعضجماعة عمر الاندلسيقد راوا الامير حمزة وراوا جواده فوصفوه له فتاقت نفسه الى الجواد ، فأرسل في صباحاليوم الثاني رسولا من قبله الى الفندق وكان الامير مزمعاً على الرحيل فقال له : ان سيدنا بعثني لاشتري منك هذا الجواد واني مستعد ان ادفعلك ثمنه مهما شئت فقال له : عد الى سيدك وقل له : ان صاحب هذا الجواد لايسلمه الا بيوم يسود به نور الشمس ، فليقتصر عن طلبه والا لاقى شر عمله .

فعاد الرجل واخبر سيده بذلك ، واما الامير فانه ركب جواده وخرج من المدينة وسار الهوينا فراى عمر الاندلسي وقد خرجبأثره ومعه نحوا من اربعين فارسا ليغتصب منه الجواد فلما راى الامير ذلك ادار عنان جواده والتقى بعمر الاندلسي واخذ معه في العراك وكان عمر فارسا مشهورا بشدة بأسه فأقام حمزة معه في القتال من الصباح الى قرب العصر وعندها ضرب عمر الاندلسي حمزة ضربة ظن انها القاضية فضيعها بمعرفته وخاف ان يمضي النهار ولا ينال من خصمه مرام فصاح بصوت ارتجت منه السهول وهجم على عمر

ومد يده الى جلباب درعه واقتلعه من بحر سرجه واراد ان يضرب به الارض فصاح : الأمان الأمان يا ابن الكرام فاني دخيل عليك لأني لو عرفتك من الاول لما اشهرت في وجهك الحسام ، فأنزله حمزة واعاده الى جواده وقال له : من اين عرفتني ؟.

قال : ان جماعتي المغاربة قد اخبروني انه يمر على مدينتنا حمزة الذي سيذل العجم ويرفع شأن العرب ، ولما وجدت من قتالك ما لم اجده من غيرك تيقنت انك الرجل الذي اخبرت عنه ، وها انا الآن عتيق سيفك وتحت امرك فقال له : اذاً اجمع رجالك واتبعني ثم ان الامير حمزة ودع عمر الاندلسي وسار في طريق طنجة وهو يتفرج على بلاد الغرب ومدنها .

وقد كانت جماعة العرب بعد ان فارقوا قلعة قطمين ساروا يقصدون البلاد التي قيل لهم الامير حمزة يأتي منها ، وداموا في مسيرهم مدة ثلاثة اشهر الى ان وصلوا الى طنجة وضربوا خيامهم في تلك الجهات فخرج حاكم المدينة وسلم عليهم وعرض عليهم طاعته وقال : ان كسرى مكروه منا ، ولذلك نريد ان نكون مع العرب فشكروه على عمله ومدحوه ولا زالوا بانتظار الامير وقد مضت مدة طويلة فدعوا عمر وقالوا له : ها قد مضى اكثر من سنة ونصف على مفارقتك اميرنا ولم نسمع عنه خبرا فتركهم وسار الى خارج البلد وصعد على اكمة ودار وجه المرآة ونظر فيها فرأى حمزة راكباً على جواده الجديد وقد اسمر وجهه من حرارة الشمس وطال شعره فخفي عليه حاله فرجع ميؤساً وبعد مضي اربعين يوما خرج عمر واخذ مرآته ونظر فيها بعد ان وجهها الى جهة القبلة فرأى حمزة يدنو منه وهو آت على ظهر ذلك الجواد فاطمأن باله وقال : لابد لي من ملاقاته وكان الامير يتقدم بسرعة البرق حتى كادا يصلان الى بعضهما واذ ذاك اراد عمر ان يضع سهمه بقوسه واذا بحمزة قد ناداه وقال لا تفعل يا وجه القرد ، فلما سمع صوته عرفه فقفز في الهواء وانطلق حتى قرب من اخيه فرمى نفسه عليه واخذ يقبله ويبكي ثم ان عمر تركه وعاد مسرعا الى المعسكر ودخل صيوان النعمان وكان الفرسان مجتمعون عنده فقال : بشراكم ان اخي قد حضر فقالوا له : واين هو الآن ؟ فقال لهم اتبعوني ومشى امامهم فلحقته العرب وقد عم الخبر بين الكبير والصغير وبمدة قليلة التقوا بالامير وهو كالكوكب الوضاح وحال وصولهم اليه جعلوا يقبلون يديه وشكروا الله على رجوعه سالما قبل وصول الاعجام اليهم . وبعد ذلك عادوا جميعا الى الخيام وهم بفرح لا مزيد عليه .

ولم يكد الامير ان ينتهي من السلام على قومــه حتى نهض وسار الى صيوان مهردكار وليس بامكاننا هنا ان نأتي على تفصيل ما وقع بينهما عند اللقاء فارتميا على بعضهما يقبل الواحد الآخر بدون وعي ثم قال لها الامير : اشكر الله على عودتي لاراك بخير ، هذا وقد تناول معها الطعام وبقي عندها الى آخر السهرة ، ثم دخل الى صيوانه ونام مرتاحاً ، وفي الصباح خرج الى الصيوان المجتمع فيه الفرسان وجلس بينهم وقال : اريد منكم ايها السادة ان لا احد منكم يظهر امري فاني اريد ان اخفي ذلك عن كسرى وقومه ولا بد انهم سيصلوا الى هــذه الديار ولي بذلك قصد وغاية .

هذا وقد خرج عمر لاكتشاف الاخبار وبعــد عن معسكر العرب مقدار ست ساعات ، وبينما هو واقف على اكمة عالية نظر الى البر فراى عن بعد الأعلام الكسروية تخفق فوقف عمر نحو ساعة ينظر الى تلك الجيوش ليرى آخرها فلم يستطع ذلك لكثرة عددها فعرف ان العرب ستلاقي شدائد واهوال فيما اذا عادوا الى الحرب معهم فرجع مسرعاً ودخل على الأمير حمزة واخبره بكل ما رآه .

فقال حمزة : ان كثرة الجيوش لاتهمني ، ولا بد من تبديد شملهم وتفريقهم ، ولم يأتي مساء ذلك اليوم الا وكسرى قد وصل الى مقابل العرب ورآهم وهم بذلك الجيش القليــل العدد ففرح واطمــأن ، وقرب خيامه في تلك الناحية ومدها من الشرق الى الغرب ونصب صيوان كسرى في الوسط وعليه الجواهر والالماس ، وكانت الالوف من الحراس تحيط بالصيوان وكلهم ابطال يحملون السلاح فلا يقدر الطير ان يعتدي على احدهم الا باذن كسرى .

وفي الصباح نهضت العرب ونظرت الى البر فارتاعت مــن كثرة الجيوش ورات صيوان كسرى يضيء كالشمس المشرقة فاجتمعوا في صيوان الملك النعمان واخذوا يتشاورون في امر كسرى ، فقــال حمزة : قلت ولا بد من تحقيق قولي فاني سأحرم كسرى من صيوانه لانه يساوي خزائن العالم ، فقال الاندهوق : اني سأسير خلفك ياسيدي واضمن لك انك ستأخذ العلم والصيوان ولو كان دونهم الوفكرات ، وفيما هم على مثل ذلك واذا بهم يسمعون قرقعة في الخارج فنظروا واذا بكندك المارد قد سقط من الجو ووقف عند باب الصيوان وسلم على الامير حمزة وباقي الفرسان وقال له : اعلم ياسيدي ان سيدتي اسما بري قد عرفت بانك ستقاتل اكبر ملوك الأنس (كسرى انوشروان) وانك بعد ان حصلت على ثياب السيد سليمان التي لانظير لها وكذلك

اليقظان وعدته والآن ارسلتني اليك بصيوان ابيها الذي اذا رايسه اندهشت منه لانه أعظم من صيوان كسرى بألوف المرات اذ عليه في كل عمود من اعمدته الذهبية جوهرة بقدر البطيخة وله سبعة ابواب من الحرير الاحمر وفيه سبعون كرسي من الكراسي المذهبة التي لايوجد عند بني الانس جميعا مثيل لها .

ففرح حمزة بذلك الصيوان وامر ان ينصب في وسط المعسكر فنصب في الحال وقد اشرقت منه تلك النواحي فدخل اليه الامير حمزة وهو مسرور وجلس على كرسي ليون شاه والد اسما بري ومن حوله الفرسان والابطال ثم قال لكندك أهدي زوجتي السلام وقل لها ان عملها هذا سرني جدا وسوف لا أنساه لها وقد عرفت صدق محبتها وحسن اهتمامها بي .

واما كسرى فانه في صباح ذاك اليوم نهض الى صيوانه واجتمع اليه وزرائه وفي مقدمتهم بختك وحينئذ قال : انه معلوم لدينا وثابت عندنا ان حمزة غائب عن العرب وانهم الآن كالغنم دون راع ولابد انهم يرغبون في التسليم فأريد منك يامولاي ان تكتب كتاباً الى ملك العرب تدعوه فيه الى الطاعة وتهدده بكثرة الجيوش والموت والصلب ان امتنع عن التسليم . فكتب كسرى الكتاب وختمه بختمه وبعثه الى الملك النعمان وفرسان العرب فوصل اليهم وقراوه وكان الامير حمزة بينهم ، فأجاب الرسول اذهب الى سيدك واخبره وان كان اميرنا غائبا عنا فسوف ترى منا أبطالا لايهابون الموت وفي الغد يكون ابتداء الحرب بيننا . فرجع رسول كسرى اليه وأعاد عليه كل ما سمعه من العرب فقال : ان العرب في ضلال مبين ، وقال لبختك : اريد منك ان تذيع في كل انحاء المعسكر انه في صباح الغد سيكون ابتداء القتال فلتزحف الجنود دفعة واحدة عليهم فليقتلوا وينهبوا ويعذبوا كل من وقع في أيديهم دون شفقة او رحمة ، ففعل بختك ما امره به كسرى وفي الحال اخذت الفرسان تستعد لليوم التالي وبات الفريقان الى ان اشرقت شمس ذلك اليوم المنتظر من قبل العرب والعجم .

وما ان بزغ الفجر حتى قرعت طبول العرب فارتجت لها الجبال واجابتها طبول كسرى وتهيئوا للحرب والقتال ، وركب الامير حمزة واتجه الى الميدان فصاح وحمل على الاعجام وحملت من وراءه الفرسان العرب والتحم الفريقان فلله در ابطال العرب فانهم فعلوا افعال تعجز عنها مردة الجان ، وكان الامير حمزة ينقض على الاعداء البواشق فيشردها ذات اليمين وذات الشمال والعجم لاتعرفه لانه

كان متخفياً ولو كانت تعرفه لتفرقت عنه ولأذت بالفرار ، وبينما كانت جنود العرب في وسط المعركة وهي ضيقة النفوس لكثرة جنود الاعجام ، وقد ظن الاعجام ان غياب الامير حمزة وسيلة لفوزها ، فما راوا الا ورايات اندلسية تخفق وجيوشا حبشية تتقدم. وقد انقسمت تلك الجيوش الى قسمين ، قسم اتجه الى جهة الشمال والقسم الآخر الى جهة الجنوب ، فالقسم الاول كان في مقدمته عمر الاندلسي ، والقسم الثاني كان سلطان الحبشة ومعه مائة وعشرون الفا من الابطال ؛ وفي الحال باشروا الحرب والقتال فارتاع كسرى من اعمالهم وقد تعجب كيف ان هذين الملكين جاؤوا لمساعدة اعدائه ودامت الحرب الى الزوال ورجع الفريقان الى الخيام .

وكان قد دخل على كسرى بعد ان دخل الى صيوانه وتناول طعامه مع وزراؤه فقال كسرى : اني اعجب من عمر الاندلسي والملك النجاشي كيف انضما الى العرب فقال بختك : ان هذا لايهمنا ياسيدي فانه لو اجتمع مع العرب اهل الأرض قاطبة طالما ان الامير حمزة غائبا فالنصر لنا لان النار ترعانا ، هذا ما كان منهم واما العرب فانهم رجعوا الى الخيام مسرورين بقدوم هذه النجدة القوية .

وفي اليوم التالي اصطف الفريقان ودار رحى للحرب والطعان وكسرى يشاهد مايحل برجاله ورماح العرب تخرق صدورهم فاسودت الدنيا في عينيه وقال لبختك : انني ارى جنودي ستنقرض ؛ وارى انني ساضطر الى الهرب والفرار ، فقال بختك : شد عزمك ياسيدي ولاتؤخذ بالظواهر لان العرب ستضعف قواهم وسيكون النصر لنا.

وبينما هم على مثل ذلك اذ سمعوا صوتا دوت له الوديان وقائلا يقول : ويلكم يا لئام قد جاءكم سيد الشجعان ومطوع الانس والجان الامير حمزة البهلوان ، فلما سمع العجم صوته دب الرعب في قلوبهم ولاذوا بالفرار وهو يضرب بمؤخرتهم فصاح كسرى ببختك وقال : ويلك عجل بالهرب والا وقعنا بقبضة حمزة ، فقال بختك: صدقت ان هذا اليوم هو يوم بؤس ونحس ، ثم امر الحجاب ان ترفع كسرى والصيوان وتسرع بالفرار ففعلت في الحال ما امرها به ، واستمر العرب في جدهم واجتهادهم الى الزوال فتوقفوا عن القتال وقد ترك العجم الاسلحة والخيام والمؤن شيئاً يعجز عن وصفه القلم ، فأمر حمزة بأن تجمع الاسلاب وتؤخذ الى المضارب والخيام . أما الامير فقد قسم الاسلاب على رجاله كل على حسبه ، ثم تفقد الامير معقل فلم يجده بين الرجال فتكدر لغيابه وحسب له الف حساب فقال

لاخيه عمر اذهب وفتش على الامير معقل فانني اخشى ان يكون قد اصابه سوء في تلك الحرب ، فقال عمر طمن بالك سآتيك بخبره في الحال وانطلق كالسهم يفتش عن الامير معقل .

واما سبب غياب الامير معقل فانه كان قد خرج الى الصيد واوسع في البر دون ان يراه احد ، وفيما هو يطارد الوحوش راى غزالة قد مرت بجانبه ونفرت مسرعة فانطلق في اثرها وما برح يطاردها حتى دخلت في روض ملتف بالاشجار حول قصر قائم في تلك الجهة فرآها قد دخلت القصر واختفت فوقف حائراً ، وفيما هو على مثل ذلك واذا بشباك القصر قد فتح ووقفت به صبية لم ير اجمل منها في حياته فانخطف قلبه اليها فحيته بالسلام فأجابها على تحيتها فقالت: ما الذي اوصلك الى هذا القصر فقال: اعلمي يا وجه القمر ان غزالة كنت اطاردها ودخلت في هذا القصر ، قالت: فعلت حسنا فما انت الا من كرام الناس ، فان الغزالة دخلت في حماي فهل لك ان تبدل غزالك بمثله وتشرف محلنا وتأكل طعامنا ؟ فقال لها: من اين لي هذا الشرف وانت لاتعرفين من انا ، فقالت: ان دلائل الكرم تظهر على وجوه الرجال ، وليس من كرم الاخلاق ان اسالك عن نفسك قبل ان تأكل من مائدتنا وترتاح من مشاق الصيد وتعرف من انا .

فدخل الامير معقل وهو مسرور الفؤاد ، فأسرع اليه الخدم واخذوا منه الجواد وصعدوا به الى اعالي القصر فترحبت به صاحبته ودخلت به غرفة الاستقبال واجلسته على كرسي محشوة بالريش النعام ، فجلس واخذ لنفسه الراحة ثم قدم له الشراب وبعده قدم الطعام فأكل وهي معه تظهر له كل انس وسرور واخيرا سألها عن اهلها وسبب وجودها في ذلك القصر ؟ فقالت: ان اسمي ذات الجمال وابي حاكم طيفور الغرب صاحب هذه البلاد ، وكان هذا القصر له يقيم فيه في زمن اشتداد الحر ، ولما كبر ولم يعد يصعد اليه سألته ان يسمح لي ان اقيم فيه فأجابني الى طلبي وارسلني مع جماعة من خدمي وكان يزورني في اكثر الاحيان . والآن اريد منك ان تخبرني من انت لاني ارى عليك علائم سادات العرب النازلين بجوارنا .

قال: اصبت فأنا من اصدقاء الامير حمزة سيد القبائل ، واسمي معقل البهلوان صاحب قلعة تيزان ، وقد جئنا هذه الديار لنلاقيه من سفرته فتبعنا كسرى بعد ان وصل الينا اميرنا بالخير والسلامة .

فقالت: فأنت اذاً من السادات العظام ، وقد اصاب قلبي بتعلقه بك واريد منك ان تصرف هذه الليلة عندي وفي الصباح تذهب الى

قومك ومتى انتهيتم من حرب كسرى تذهب لابي وتطلبني منه زوجة لك ولا ريب انه يجيبك الى طلبك .

قال : فاذا اطعتيني وسرت بك الى قبيلتي من هذه الساعة وارسل رسولا الى ابيك يسأله زواجك بي ، قالت : اخاف ان ينسب الي العصيان ، وسيري معك الآن يحط من قدري عند قومي فأجابها الى طلبها واقام عندها تلك الليلة وهما بجنة من النعيم .

وبينما هم كذلك واذا بأحد خدمها دخل واخبرها بأن اباها قد دخل القصر مع بعض اعيانه ، فارتاعت واضطربت فقال لها معقل : لاتخافي ولا ترتاعي ان هذه الفرصة احسن الفرص وانسبها ، وانا الا اطلب منك زواجك فاذا لم يجبني الى طلبي اخذتك منه غصبا ، واذ ذاك دخل ابوها واعيانه فنهض لهم معقل وهو مدجج بالسلاح فبش حاكم طيفور في وجهه وقال : انني علمت بقدومك فأسرعت لخدمتك لان قومك العرب نزلوا ضيوفاً في بلادنا ومن موجبات الضيف الاكرام واني ارغب في أن تكون صهري وتكون القرابة بيننا ، قال : اني ارغب في زواج ابنتك ذات الجمال غير اني لا اريد ان ازف عليها الا عند قومي فقال طيفور : كفانا ان نعقد عقد الزفاف عندنا ثم خذها واذهب بها الى قومك فوافقه معقل وعقدوا زواجه عليها وسلموه اياها فأخذها وسار بعروسه حتى التقى بعمر العيار وسار واياه الى معسكر العرب ودخل معقل على الامير حمزة ففرح به وسأل عن غيبته فاخبره بكل ما جرى معه مع ذات الجمال وانه جاء بها ليعمل عرسه بينهم .

فلما سمع حمزة ذلك تحركت به لواعج حبه لمهردكار واطرق مدة الى الارض ثم رفع راسه وقال لهم : انتم تعلمون انني لاقيت كثيراً من الاهوال لأجل مهردكار وانتم تتعذبون بسببي لذلك لا انسى انكم من اكرم ما خلق الله ، وحيث الآن انتهينا من امر العجم وانهزم كسرى فأريد ان اغسل ادران هذه المصاعب بقيام العرس مدة خمسة عشر يوما وبعدها ازف على مهردكار وعلى الاميرة سلوى ويزف الامير معقل على درة الصدف وعلى ذات الجمال ومن ثم نسير من هنا الى مدينة حلب نقيم بها الى ان يظهر لنا خبر كسرى وما يريد ان يفعل ، فقال النعمان : لقد اصبت ايها الامير فاننا نتمنى زواجك وطالما اردنا ان نشتريه بأرواحنا ؛ واني اشكر الله الذي من علينا بكل ما نطلبه والآن فلنبدأ باقامة الافراح منذ الغد ويكون الفرح عاما عند جميع العرب .

ثم ان الامير حمزة امر ان يأتوه بفرمز تاج ابن كسرى الذي كان اسر اثناء المعركة فاتوا به وحالما دخل الصيوان نهض حمزة واقفاً وحل وثاقه وقال له : لم يهن علي ايها الملك العظيم ان تهان وانت ابن كسرى واخو مهردكار فلو نظر ابوك موضع النظر وعرف صالح نفسه لما تعمد عداوتنا بعد ان خلصت له بلاده من عدوه خارتين .

فقال له فرمز تاج : لعنة الله على بختك الف لعنة فهو جرثومة الشر ولولاه لما كانت هذه العداوة . ثم ان حمزة اجلس فرمز تاج بمكان مرتفع عن الجميع وامر ان يقدم له كل اكرام ، ثم قال له : احب ان ارسلك من هذه الساعة الى المدائن باحتفال عظيم ، غير اني اريد ان تشاركنا افراحنا بزفاف شقيقتك مهر دكار ومن ثم تسير وتخبر اباك بذلك عساه يرجع عن السعي في حروبه وهلاك قومه .

فشكره فرمز تاج على هذا العطف الذي لاقاه منه واقام مع العرب الى المساء ومن ثم ذهب الى صيوان مهر دكار ولما راته بكت فرحاً به وقبلته بين عينيه وسرت من عمل حمزة وشكرته وقالت : انني لا اقدر ان اكافئك يا سيدي على معاملتك لاخي واكرامه ، قال : اني اعرف قدر ملوك العجم واحترمهم واني اذا سلمني ابوك بختك سرت اليه بنفسي واظهرت له طاعتي وخضوعي ، فقال فرمز تاج : انك ايها الامير رجل من اكرم الناس وانا منذ هذه الساعة اخاصم كل من يخاصمك واحب من يحبك . كيف لا وقد عاملتني هذه المعاملة التي تدل على طيبة اصلك وقد سمح لي الله ان احضر زفافك الميمون .

ودامت الافراح مدة خمسة عشر يوما ومن ثم حضر الامير بثياب الملك سليمان المرصعة بالجواهر وجلس على كرسيه في صدر الصيوان . وقد دخل ايضا الملوك والفرسان وهم بالزينة الفاخرة وجلسوا في مواضعهم فأصبح الصيوان يعج بالزائرين ولما تم اجتماع الامراء طلب ان يعقد عقد الامير على عروسيه مهر دكار وسلوى والمقبل على عروسيه درة الصدف وذات الجمال وشاهده كل الحضور ودعا لهم القاضي بالتوفيق والنجاح فصارت الفرسان تقدم تهانيها للامير حتى فرغ الجميع وانقضى النهار ومن ثم دخل صيوان مهر دكار فوجده مزيناً بالزين الفاخرة ونظر الى مهردكار فوجدها كانها البدر ليلة تمامه حتى خيل له انها حورية من حواري الجنان فوقفت له وتقدمت منه وقبلت يديه فقبلها في خدها وصرف ليله على الحظ والانشراح وعند الصباح نهض الامير ولبس ثيابه وخرج الى صيوانه فوجد امراء العرب بانتظاره فترحبوا به وهناوه بزفافه .

وأما مهر دكار فانها تحمل من الامير بولد ذكر يدعى قياط ويكون سلطان على العرب ، وفي نفس تلك الليلة دخل الامير معقل بـدرة الصدف وخرج من عندها مسرورا منشرح الصدر فهنأه الامراء والأعيان .

وفي الليلة الثانية دخل الامير حمزة صيوان الاميرة سلوى فكان لايقل بهاء من صيوان مهردكار ، فلاقته وترحبت به وقبلت يديه وكانت الاميرة سلوة باعلى درجة من الجمال فدخل بها الأمير وكان حظها في تلك الليلة نفس حظ مهردكار الى ان اشرق الصباح خرج الامير الى صيوانه وكان ذلك اليوم هو الاخير من ايام الافراح فبعد التهنئة والثناء على الامير ختم العرب افراحهم بالصلاة والشكر لله تعالى ودعوا لاميرهم بالبقاء ، وكان الامير يصرف أكثر اوقاته عند مهردكار واما الاميرة سلوى فانها كانت تبذل جهدها لتجعل الامير ينصف بينها وبينمهردكار فلم تفلح وكان الامير لا يأتيها الا فيالاسبوع مرة وهي صابرة على أمل ان هذا الحب لابد ان ينصفها يوما ما غير انها رات الامير قد تغير منجهتها وشعرتبنفسها انها حامل فصممت على ان تفارق الامير وتذهب الى مكة لتلد هناك ، ولما زارها الامير وجدها قد هيأت ملابسها فتعجب منها وقال لها : لما ذلك قالت : انني وطدت العزم على السفر فاذا شئت ان ترحمني لاتمنعني من غايتي والا فاني أموت في الحال .

فجعل يتلطف بها ويعدها بكل خير وهي لم تعدل عن عزمها ولمارأى الامير اصرارها على السفر دعا بالامير عقيل وطلب اليه ان يسير الى مكة مع الاميرة سلوى وقد ودعها الامير وبكى لفراقها .

وبعد ان سافرتالاميرة سلوى دعى الامير بفرمز تاج وخيره بالبقاء أو بالسفر الى المدائن فقال : اريد ان تسمح لي بالذهاب الى بلادي لاخبر أبي بما فعلته معي من الجميل واريد ان اكون واسطة صلح بينك وبينه ، فأجاب الامير طلبه وجهزه بموكب عظيم وخرج معسائر ملوك العرب لوداعه وقد صرفالعربمدة ستة اشهر فيطنجةالغرب وبعد ذلك اجتمع العرب باجمعهم في صيوان الملك النعمان وتذاكروا فيما بينهم فقال الامير عمر انا من رايي ان نذهب من هنا الى مدينة حلب فنقيم هناك ونستخبر عنالعجم وملكهم ونعرف ان كان فينيتهم الحرب ام الصلح ، فأجاب الجميع هذا الطلب وعليه صدر امرالامير بالاستعداد للمسير عن تلك البلاد فأخذت العرب تستعد للسفر وفي الصباح ركب الامير جوادهوتقدم في اول الفرسانوداموا فيمسيرهم

عدة شهور حتى اشرفوا على مدينة حلب فارسلوا رسولا الى نصير حاكم المدينـة فسر جـداً بقدومهم ثم انه خرج برجاله واعيانه الـى ملاقاة الامير وقومه ولما التقى بهم تقدموا وسلموا على بعضهم البعض ثم ساروا حتى وصلوا من ضواحي المدينة فضربوا خيامهم وبعد ان اقاموا مدةثلاثة ايام دعا الامير نصير الحلبي وسالهعن كسرىواخباره فقال : ان اخباره كانت قـد انقطعت عنا مدة طويلة غـير ان بعض المسافرين اخبرنا انه راى حوالي المدائن جيشا عظيما ، فقال الامير: ان كشف اخبار العجم لابد منـه ولا يقدر على ذلك الا عمر العيـار فيمكنه المسير الى بلاد كسرى واوصاه ان يقبل عنه ايادي بزرجمهر ويستشيره في كل اعمالهم فأجابه الى ذلك وفي الحـال غير ملابسه وتزيا بزي الاعجام وانطلق مـدة ايام وليالي حتى وصل الى المدائن فراى العساكر متجمعة هناك وقد سدت الفضاء فثبت عنـده ان كسرى لايزال على عناده فجاء الايوان ووقف بين الحجاب وقد لاحت منه التفاتة الى الداخل فراى كسرى كعادته جالساً في صدر الايوان وحوله الوزراء والاعيان وراى رجلاً عظيما عـن يمين الملك يقـاربه بالعظمة وعن يساره غلاما امرد الوجه لانبات بعارضيه وعليه ملابس كبار الفرس وكسرى يقدم لهما الاكرام والاحترام ، فصبر الى المساء فتبع بزرجمهر الى ان دخل قصره فاقترب منه وحياه وقبـل يديه فعرفه وفرح به وسأله عن اخيه والعرب فقال له : الجميع بخيروقد جاؤوا الى حلب يراقبون اعمـال كسرى وقد ارسلني اخي اليـك لاستشيرك في امر القتال .

فقال : ان كسرى بعد ان انهزم من امـام العرب بقي مريضا ستة اشهر ولما شفي وعادت اليه صحته صار بختك يعظم في وجههذنبكم وفي ذاك الوقت وصل اليه ابنه فرمز تاج واخبره بما كان وساله ان يترضى العرب ويحسم النزاع فقال بختك : ان العرب ينوون خلعك من الملك ولو كانوا كما يزعم فرمز تاج لما هجموا على صيوانك واخذوا بيكار الاشتهار وهو العلم الفارسي الذي من ملكه ملك العجم فيكون في نية حمزة ان يجلس على كرسيك ففي صلحه خطر عظيم علينـا اكثر من حربه فمال كسرىاليه ونوى تجدد الحملة على العربوكاتب البلدان ان يمدوه بما امكن من العساكر فوردت عليه ولا تزال ترد.

قال : ارجوك ياسيدي ان تفيدني عن الرجل الجالس الى يمـين كسرى وعن الغلام الذي الى يساره فهل هما من اصحاب المناصب العالية قال : اصبت ، فان الرجل العظيم هو ابن عم كسرى واسمه

افلنطوش واما الذي عن يساره فهي انثى لا ذكر ، غير انها تدعي انها من الابطال وقد تعهدت لكسرى ووعدته بقتل الامير حمزة واسمها طوربان فضحك عمر وقال : لم يبقى لدى كسرى الا البنات يعدنه بقتل الامير حمزة ثم ان عمر استشار الوزير عن كيفية القتال ؟

فقال له : ان كسرى لابد ان يقصد حلب فالتقوه هناك ولا بد ان الله سبحانه وتعالى ينصركم لترفعوا كلمة الايمان وبلغ اخاك ان يبقى معاندا لكسرى الى ان يفوز فان هذه ارادة الله سبحانه وتعالى . ولابد من ايام النحوس تمر عليكم غير ان الله معكم وسينصركم على الاعداء.

فشكره عمر وقبل يديه وخرج من عنده عائدا الى حلب ودخل على العرب فتلقوه ورحبوا به ثم قال له حمزة : اخبرنا ماذا رايت ؟ وهل ان كسرى مصمما على القتال ؟

قال : انه لايزال مصرا على الاخذ بالثار ، ولقد رايت حول المدائن جيوشا كثيرة انضمت الى الجيوش المنهزمة . فدخلت الى الايوان فرايت ملكا عظيما جالسا عن يمين كسرى وغلاما جالسا عن يساره فسألت بزرجمهر عنهما فأجابني ان الرجل هو افلنطوش ابن عم كسرى والغلام هي ابنته وتدعي البسالة والاقدام وقد وعدت بكسر العرب وقتل فرسانهم فقلت في نفسي جعلها الله من نصيب العرب لانها اشبه الناس بمهر دكار ، فقال الامير : وهل هذه وعدت بقتلي ؟ فقال نعم ، ثم أخبره بما قال الوزير عن ايام النحوس وعن البقاء بحلب .

فقال حمزة : من يعرف الى اي زمان تكون مدة اقامتنا لان كسرى في بلاده ونحن غرباء ، فهلم بنا نركب ونسير في عرض البحر ونفاجىء كسرى فنملك بلاده وننتهي من امره .

وبعد مرور خمسة ايام ركب العرب بأجمعهم وغادروا مدينة حلب يقصدون المدائن وفي مقدمتهم الامير حمزة وهو كالبرج المشيد وبين يديه عمر العيار وما زالوا سائرين حتى قاربوا المدائن وكشفوا اسوارها فضربوا خيامهم ونصب الأمير حمزة صيوان ليون شاه في وسط المعسكر وركز عند بابه علم بيكار الاشتهار وضربت صواوين الملوك والامراء من حواليه .

فبلغ كسرى خبر قدوم العرب ففرح وقال : لقد قربوا علينا الطريق ولا بد من هلاكهم في هذه الارض ثم امر ان تخرج امرائه وتنضم الى المعسكر وخرج هو ايضا وضرب صيوانه في منتصف المعسكر ونظر الى جهة العرب فراى كثرتهم وشاهد صيوان حمزة وهو كأنه الكواكب اللامعة تضيء في وسط الظلام ولما وقعت عينيه على بيكار الاشتهار

انفطرت مرارته والتفت الى وزيره بختك وقال له : الم تر الى صيوان حمزة وكيف ان بيكار الاشتهار مضروب امامه ، قال : الم اقل لـك ان العرب يحبون العظمة والفخار وانهم مصممون على نزع سلطتك شيئا فشيئا ويقيمون الامير حمزة مكانك وها هو الآن يقتدي بك حتى ان كل من رآه لايظن انه انقص منك مقاما ولا سيما وقد استولى على علم العجم وهو علم اجدادك العظام .

واني اطمنك ان في هذه المدة لأبد من ابادة العرب وكسر شوكتهم وان هذه الايام ببركة النار ستكون آخر ايامهم ، وباتوا تلك الليلة في ذاك المكان على نية ان يباكروا الى الحرب والقتال .

وفي الصباح نهض كسرى من منامه وركب جواده محاطا بالحجاب والحراس وركب افلانطوش وابنته طوربان وزوبين الفدار وكذلـك ركب العرب وتفرقوا ذات اليمين وذات الشمال وفي مقدمتهم الامير حمزة وهو على جواده اليقظان ، ولما راى جيوش العجم صارت في وسط الميدان اطلق لجواده العنان وهجمت معه العرب من اليمين والشمال ولم يمض الا وقت قليل حتى حمي وطيس القتال واضطرمت ناره ففنى السيف القرضاب في محكم الرقاب ، ولم يكد يصدق الاعجام ان تميل الشمس الى الغروب وضربت طبول الانفصال حتى تركوا الحرب والقتال . وفي اليوم الثاني عادوا الى ما كانوا عليه ، ولم يزالوا كذلك مدة عشرة ايام فبان النقص في صفوف العجم وعرفوا يقينا انهم اذا قاتلوا خمسة ايام اخرى فسوف لايبقى منهم ولا شخص ولذلك دعا كسرى وزيره بختك وقال له :

ان النصر سيكون للعرب على كل حال ، وعن قريب سوف يدخلون المدينة ويجلسون على كرسي الاكاسرة ، فانظر في طريقة تخرجنا من هذا المأزق الحرج

فقال بختك : اني سأدبر هذا الامر بنفسي وفي الغد سيكون النصر ان شاء الله على يد زوبين الفدار فيقتل حمزة ويتبدد قومه من بعده، وكان زوبين كل هذه المدة مشغول البال من جهة طوربان ومتكدر من كرهها له ، وقد عزم على الغدر بها مهما كلفه الأمر ، وكان خبثه وخداعه يزينان له كل عمل شرير .

ولما كان صباح اليوم التالي قرعت طبول الحرب واصطف الجيشان، وقد صمم حمزة الهجوم واذا بزوبين الفدار قد صار في وسط الميدان فامتلأ قلب حمزة فرحاً وتأمل انه في نفس ذلك اليوم يأخذ بثاره منه، ولذلك اطلق لجواده العنان حتى صار مقابل زوبين وقال له : لقد

فعلت حسنا في هذا النهار لاني كنت افتش عنك في كل مكان لأريك نتيجة القدر كيف تكون .

قال : وانا ما اتيت الا بقصد قتالك مع اعترافي بانك اشد بأسا مني ، ولا اظن ان احدا من فرسان هذا الزمان يستطيع ان يثبت امامك ، نعم انني غدرت بك سابقا لاني كنت اجهل شجاعتك ، واما الآن وقد اختبرت انصافك في القتال فلذلك اريد ان نتقاتل قتالا عادلا وهو ان تضربني برمحك او بسيفك ثلاث ضربات فان نجوت منها اضربك انا بثلاث ضربات ولابد لاحدنا ان ينتصر على الآخر ، فقال الامير : هيا واضرب انت اولا ، ففرح زوبين بذلك واخرج حربة ولوحها بيده واطلقها على الامير ، فغاص الامير تحت بطن الجواد واضاعها في الهواء وعاد فاعتدل على سرجه وقال : هات الثانية ، فتكدر زوبين من عدم نجاحه ولكنه امل بالثانية فأخذها بيده ولوح بها وقذف بها الامير فمال عنها الامير وراحت في الارض ، فكادت مرارة زوبين تنفطر ونوى على الغدر فعزم على ان يصوب الحربة الثالثة الى صدر الجواد فتقتله وعندما يقع الامير على الارض ينقض عليه ويضربه بالحسام وينتهي من امره ، ومن ثم رفع الحربة بيده وصوبها جهة الجواد ولما رآها الامير مصوبة راساً الى الجواد طار صوابه وبخفة عجيبة عارض برجله بين الحربة والجواد فأصابت الحذاء وخرقته ومست اللحم فجرحته وفي الحال شعر الامير بأن النار اشتعلت في احشائه فرمى بنفسه على رقبة الجواد وكر راجعاً الى الوراء ولما شاهد زوبين حالة الامير اراد ان يرشقه بنبلة ثانية وينهي امره غير ان نبلة خرجت من يد عمر العيار الى جواده فوقع على الارض وكانت العرب رات حالة الامير فأسرعت اليه وانزلته عن جواده وهو لا يعي على احد وقد امتلأ جسمه من سم تلك الحربة فأنزلوه في صيوان مهر دكار وهو غائباً عن رشده .

وفي تلك الساعة حملت جنود العجم وهي فرحة مسرورة مؤملة بالنصر فلما راى الاندهوق ان جنود العجم حملت نادى بأعلى صوته قائلا : يا ابطال العرب لا تدعوا المساء يأتي وفي العجم بقية رمق ، واطلق لقياله العنان وتبعه كل بطل مغوار والتقت الرجال بالرجال فكانت موقعة عظيمة الاهوال ، وما برحت فرسان العرب تقاتل حتى ادخلت الأعجام الى الخيام ودقت طبول الانفصال وعادت العرب مسرعة الى صيوان اميرها لترى كيف حاله .

وكان الامير حمزة ملقى على فراشه يصيح من الالم واسطون الحكيم يضع المراهم على جرحه ويسقيه المبردات ، ولما راى عمر رجوع العرب

منصورين قال للاندهوق : ابق انت عند اخي الى ان اعود اليه بالدواء من عند الوزير بزرجمهر .

فقال له : اسرع قبل ان نخسر الامير فترك عمر العرب وتزيا كالاعجام وجاء الى صيوان الوزير وقبل يده واخبره بحالة اخيه الامير فقال له: ان الدواء حاضر واخبرك ان هذه الايام تحمل لكم الأذى والمقدر ليس منه مفر واعلم ياعمر ان كل ايام اخيك تنقضي بين السيف والقتال ولا يرتاح الا عندما يأذن الله له باذلال العجم، والآن خذ الدواء واسرع الى اخيك وأخبر العرب أن يرحلوا في هذه الليلة ويقيموا في حلب الى أن يأتيهم الفرج فقبل عمر يد الوزير وخرج بعد ان اعطاه الوزير كتاباً الى اسطون الحكيم يشرح له فيه كيفية استعمال العلاج .

ولما وصل عمر الى معسكر العرب دخل صيوان اخيه فوجد الناس مزدحمة من حوله فقال لهم : ان الامير بخير ولايلبث ان يشفى قريباً باذن الله ثم ناول زجاجة الدواء والكتاب الى اسطون الحكيم فأخذهما وسكب على جرح الامير حسبما اشار بزرجمهر وبأقل من دقيقة سكن الألم وهدأ روعه واذ ذاك قال عمر للاندهوق : ان الوزير امرنا بأن نرحل في هذه الليلة حتى اذا جاء الصباح لايكون لنا أثر هنا ويأمرنا ان نبقى في حلب الى ان يأتينا الفرج المنتظر القريب .

فقال الاندهوق : ان أمر الوزير لابد عنه ولا ريب أن بقاءنا في حلب لبينما يشفى الامير أوفق من البقاء هنا واستمرار الحرب ، فوافق امراء العرب وفرسانهم على الرحيل وسار كل امير الى رجاله يأمرهم بالاستعداد الى الرحيل وبعد منتصف الليل اقلعت العرب عن تلك الديار وقد اركبوا الامير حمزة في محمل وكانت مهردكار لاتفارقه ابداً .

واما ما كان من كسرى ورجاله فانهم اجتمعوا وبينهم بختك وزوبين فقال بختك لكسرى : الآن قد تحقق لنا النصر وفزنا بما نريد من قتل الامير حمزة ، فقال كسرى وهل ثبت قتله ؟

قال ا ان الحربة التي جرح بها هي سامة فاذا لمست الجسم سرى اليه السم وعندي من المؤكد ان حمزة لايعيش الى الصباح ، فلله در هذا البطل زوبين ، فقد ضربه ضربة وقعت في جسده ، فقال كسرى: ان صح ما قلته من موت حمزة فلا بد من أن يتفرق شمل العرب واذ ذاك اعد زوبين بأن ازوجه من طوربان ، فقال : سوف ترى ماسيكون في الغد ، ولما سمع زوبين هذا الكلام فرح غاية الفرح وانشرح صدره .

وفي اليوم الثاني نهض كسرى وجلس في صيوانه ونهضت فرسان الاعجام على نية القتال فلم يروا اثراً للعرب فأخبروا كسرى بذلك

فقال : لقد صدق بختك ولولا موت حمزة لما رحل العرب لانهم قد فازوا علينا وقربوا من النجاح . فقال بختك : اني اعرف جيداً ان الحرب ستنتهي والنصر لنا ، لاننا اكثر رجالاً ولا سيما عندنا مثل زوبين الغدار صاحب البطش والاقتدار وارى من الصواب ان نرسل الجيش في اثرهم واغلب ظني انهم رحلوا الى حلب فيجب ان نسير في اثرهم ونباغتهم ونسلب الراحة منهم ، فاستحسن كسرى هذا الراي وطلب من زوبين ان يستعد للرحيل مع جنوده وسيرافقه ابن عم كسرى افلانطوش وابنته طوربان ، ثم اوصى افلانطوش ان يكون في اول الجيش ويسير الى حلب وان يعتمد على زوبين في كل الامور.

وفي اليوم التالي ركب افلانطوش بجنوده وزوبين برجاله واستمروا سائرين حتى جاءوا حلب فرأوا العرب هناك وكان الامير حمزة قد مائل الى الشفاء التام وصار قادراً على المشي والخروج .

ولما وصلت جيوش العجم الى حلب نصبوا خيامهم وقد بعث افلانطوش بكتاب الى العرب يطلب اليهم فيه ان يستسلموا وان يسلموه ...م بيطار الاشتهار واذا امتنعتم فاني اباكركم بالقتال ولا انفك عنكم ...تى ابدد شملكم ، وبعث الكتاب مع رسول من عنده .

ولما وصل الرسول الى ابواب المدينة دخل قصر الاحكام فتقدم من ...لك النعمان وسلمه الكتاب ففضه وقراه ثم ارجعه اليه وقال له : ...لمه الى الامير حمزة فارس العرب وسيدهم فاضطرب الرسول ...ظر الى صدر الديوان فراى الأمير حمزة جالساً في مكانه كأنه الاسد ...كاسر ، فتقدم منه وقبل يديه وسلمه الكتاب .

فأخذه وقراه وقال للرسول : أيظن كسرى انني أموت واترك في العجم بقية رمق ؟ فاخبر سيدك اني رجعت الى الحياة ولا بد لي من الرجوع الى دك عرشه وخراب دياره ، واما زوبين فلا بد من موته وموت بختك الخائن وكل آت قريب ، ثم امر بأن يدفع الى الرسول الف دينار ، فقبل الرسول يد حمزة وخرج مسرورا وعاد الى معسكر الاعجام فراى افلانطوش بانتظاره فقال له : ما وراءك من الاخبار ؟ قال : انني رايت الامير حمزة حيا يرزق وهو جالس في صدر الديوان كأنه الاسد الغضبان ولما قرا الكتاب قال لي ان اخبركم بأنه لن يموت وفي العجم بقية رمق ، وقد انعم علي بألف دينار ، فلما سمع افلانطوش بأن حمزة لا يزال حيا عرف ان الحرب ستطول وخاب ظنه وتكدر وعزم على محاصرة المدينة قبل ان يقدر الامير حمزة على الركوب ، وما زوبين فانه لما سمع هذا الكلام خفق قلبه وتكدر .

وفي اليوم التالي امر افلانطوش بمحاصرة المدينة فحاصروها وقصدوا الهجوم عليها فارجعهم العرب بضرب النبال عن الاسوار ولا سيما عمر العيار فانه اقام مع عياريه يرشقون النبال وكانوا اعرف اهل الارض بذلك فنزل على الاعجام نزول الامطار فارتدوا الى الوراء .

ثم ان العرب خرجت الى قتال الاعجام واشتبك الرجال بالرجال واختلط الاعراب بالاعجام، ولما كان المساء انفصل الفريقان عن بعضهما وفي ثاني الايام احتدم القتال بين الفريقين وقد اخذت الاعجام تظهر على العرب وقد فرحت بذاك التقدم وقد قارب العصر واذا بصوت من ناحية البر قد ملأ الفلا ورايات قد ظهرت ومن تحتها جيوش لايحصيها عدد وفي المقدمة غلام امرد لم ينبت الشعر بعارضيه وعليه من الحديد ما لاتطيق حمله الجبال ، ولما راى الحرب قائمة بين العرب والعجم حمل كأنه قضاء الله اذا نزل فاخترق الصفوف وقد انزل على العجم ميازيب المهالك وتقدر رجاله نحو الثلاثين الفا فجفلت من بين يديه الفرسان ورات ان قتاله يشبه قتال حمزة فخافته العجم ورجعت الى الوراء تجر ذيول الخيبة والفشل . وما جاء آخر النهار الا وحل بالاعجام الفناء والبلاء .

وفي المساء اجتمع سادات العرب بصيوان الامير واخذوا يروون له ما كان من حرب النهار وكيف انهم كادوا يتأخرون لولا ان جاءتهم النجدة التي كان يتقدمها ذاك الغلام الامرد ، فقال عمر العيار : انني متأكد ان هذه العساكر يونانية ، وقد رابني امر مقدمها فاني رايته بطلا لا كالابطال فهو اشبه بحربة ونزاله بأخي حمزة ، فقال حمزة : لقد شوقتموني الى رؤية هذا الغلام وكان من الواجب أن ترسلوا اليه الرسل وتدعوه أن يدخل الى المدينة وينضم الينا برحابه لانه جاء لنصرتنا ، وهذا هو الفرج الذي اشار اليه الوزير بزرجمهر ، وها ان الله تعالى بعث الينا من نعرف فضله ، واريد منك يا عمر ان تذهب الى هذا المعسكر وتنظر لنا احواله وتدعوا هذا الغلام ان يأتي الينا لنرى من هو وابن من وان ابى الحضور سرنا نحن اليه وسلمنا عليه وشكرناه على فعله .

فأجاب عمر طلب اخيه وسار الى باب المدينة وقبل ان يفتحه سمع طرقاً على الباب وقائلا يقول : انا الامير عمر اليوناني ابن الامير حمزة العرب ، فوقع هذا الصوت في آذان عمر العيار فطار فؤاده فرحاً ، ثم سمع الطارق يقول : افتحوا الباب حالا لاذهب الى عمي عمر العيار ، فأسرع عمر الى الباب وفتحه فاذا به يرى الغلام الذي كان يقاتل في

ذاك النهار ، فدنا منه وسلم عليه وعرفه بنفسه وقال : ابشر يا ابن اخي فاني انا عمر العيار ، ولكن قل لي ابن من انت ومن هي امك؟

قال : اني اتيت لارى ابي لانني عرفت انه مجروح وانا بشوق زائد الى رؤياه ، واما سؤالك عن امي فهي زهربان بنت اسطفانوس اليوناني فلما سمع عمر هذا الكلام تحقق عنده انه ابن الامير فزاد فرحه وقال له : ان اباك بسلام وعما قليل تراه وسار به الى صيوان الامير .

ولما دخل عمر الصيوان قال : بشراك يا اخي ان هذا الغلام هو ابنك واسمه هو عمر اليوناني ابن زهربان بنت اسطفانوس ملك اليونان وقد جاءت امه وجدته وهم في المعسكر ، فنهض الامير بالرغم عنه وقلبه طائر من الفرح ورمى نفسه عليه وصار يقبله ودموعه تذرف وكذلك الامير عمر فانه ارمى بنفسه على صدر ابيه وكل منهما يضم الآخر وحمزة لايفتر عن ذكر الله ، وهذا هو الولد الاول الذي رآه وشاهده وذاق لذة محبته وحنوه فصارت تتقدم اليه الفرسان واحداً بعد واحد للسلام عليه وحينئذ امر الامير ان تخرج الفرسان في صباح اليوم الآتي مع العساكر والرجال الى خارج المدينة وينصبون خيامهم الى جانب عساكر اليونان ليصرف بعض ايام الهناء والولائم اكراماً لولده ولزوجته وقال ان الفرج المنتظر قد جاء واي فرج للعرب اعظم من هذا الفرج وقد صرفوا اكثر ذلك الليل بالحديث والاستخبار .

ولما اشرق النهار نهض كل منهم واستعد برجاله واذا بالامير خارجاً على جواده اليقظان كأنه الملك سليمان وخرج بعده الملوك والامراء وقد قدم الأمير على الملك اسطفانوس وسلم عليه وترحب به ثم دنا من زوجته فسلم عليها وقد بكى عند مرآها واعتذر اليها عن قصوره نحوها فقالت : اني اعرف ان قصورك ما كان تعمداً منك لاني كنت على الدوام أسأل عنك وانا منشغلة بتربية ابني وتهذيبه حتى صار آفة من آفات الزمان ، واني احمد الله الذي رايناك بخير وصحة جيدة ، ثم اخذ بيد زهربان وادخلها على مهر دكار وتعرفت كل واحدة بالاخرى .

هذا وقد انشغل الامير بالولائم والافراح وترك الاعجام وشأنهم مدة من الزمن ، وبينما كان عمر العيار يدور في المعسكر حسب عادته اذ جاءه ابن اخيه وقال له : يا عماه اني ارى الاعداء حولنا فلذلك اريد منك ان تذهب بي الى معسكر الاعجام وانظر الى زوبين الغدار والى الابطال والفرسان .

فقال له : هلم بنا ولكن اياك ان تبدي حركة هناك خوفاً من ان

يعرفوك فتقع في ايديهم ، ثم اخذه وسار به بعد ان غيرا زيهما وعندما قربا من معسكر الاعجام نظر عمر اليوناني جماعة من الفرس يلعبون بالجريد فحركه جهله الى الدخول بينهم ولما اقترب منهم جاءته جريدة فأصابته فطار الشرر من عينيه وكان يظن بنفسه انه قادر ان يفني جيش العجم لوحده فاستل سيفه وهجم عليهم فعرفوه انه عربي فمالوا عليه وجردوا سيوفهم فالتقاهم بقلب قد من الصخر واخذ يضرب فيهم ويمددهم على الرمال وينادي :

انا الامير عمر اليوناني ابن حمزة البهلوان ، فصارت الفرسان تتقاطر عليه من كل ناحية وهو يطعن فيها ويشردها ذات اليمين وذات الشمال وعمر العيار يختطف الارواح بضربات خنجره ويحمي ظهر ابن اخيه ، ولكنه راى من المناسب ان يذهب الى اخيه يدعوه لنصرة ابنه ، فأطلق ساقيه للريح وجاء معسكر العرب ونادى اخاه وقال له: ادرك ابنك فهو بحرب مع الاعداء وكر راجعاً الى محل القتال، فأسرع الامير حمزة وكل الفرسان الى خيولهم واعتلوها وادركوا عمر اليوناني وهو يطارد الفرسان كأنه الباشق ، ولما وصلت الفرسان حملت على الاعجام وهم يتعجبون من افعال عمر اليوناني من حملاته التي لا يقدر عليها الا ابوه ، ولا زالوا يقاتلون الاعجام حتى ردوهم الى الوراء وفي المساء رجعوا الى الخيام وقد قال الامير لابنه : كيف جئت الى معسكر الاعداء دون ان يكون عندنا علم بذلك ثم التفت الى عمر العيار وقال له: يا وجه القرد ، كيف طاوعت ولدي ورميت به بين الاعداء ؟

فقال عمر اليوناني : لا تغضب يا ابي على عمي فأنا الذي اجبرته على المسير معي واقام الجميع في الخيام مدة ثلاثة ايام وفي نية الامير حمزة ان يعود الى القتال فقال ابنه : لماذا يا ابتاه نتقاعس عن القتال ونترك الاعداء ونحن قادرون ان نبيدهم بيوم واحد ؟

فقال له : ان هذه الأيام ايام افراح بقدومك علينا ، ثم لا اريد ان اكون البادىء بالشر ، هذا وقد جاء عمر العيار فقال له : لقد عرفته يا عماه انه عندك مكحلة اذا اكتحل منها الانسان يتزيا بأي زي اراد، فأنا اريد ان اكتحل منها لأصير كواحد من الاعجام وارى زوبين الغدار، قال له : هذا لا يمكن ابداً لاني اعرف جيداً انك لا تضبط نفسك متى صرت بين الاعجام وسمعتهم يسبون العرب فيدفعك جهلك الى اظهار نفسك فتقع .

قال هذا لابد منه واني اعدك اني لا افوه بكلمة مهما سمعت ، قال لا تطمع بالمحال ، فما زال عمر اليوناني يلح على عمه حتى سمح له

ووافقه على طلبه ووعده ان يذهب واياه ، ثم كحله من المكحلة وتكحل هو فصار الأثنان كأنهما من الاعجام ، ولبسا ملابس الحجاب ودخلا بين الاعداء ولا زالا سائرين حتى وصلا الى ديوان افلنطوش فنظر اليه عمر اليوناني وراى عظمته فقال لرفيقه انه اراه متشوفاً بنفسه كثيراً ، قال : هكذا عادة الاكاسرة يحبون العظمة والفخار .

ثم نظر الى زوبين الغدار فتعجب من قبح منظره فلبست نار الغضب في قلبه ، ثم نظر الى عمه وقال : اني سمعت من خالتي مهردكار ان طوربان بنت عمها تشبهها جمالاً وكمالا الا انها تزيدها بسالة واقداما فاين هي الآن فاني لم ارها بين الفرسان وفيما هما في الحديث سمعا افلنطوش يقول : يا للعجب اين ابنتي طوربان للآن لم تحضر فقال زوبين : اني سالت عنها فقيل انها ذهبت الى الصيد وستعود في المساء ولا خوف عليها من العرب الاوباش ، واني عولت ان اباشر الحرب يوم غد ولا بد من قتل حمزة وافعل بالعرب فعلا يذكر من بعد .

فدبت النخوة براس عمر اليوناني واراد ان يجرد سيفه فلحظ عمر العيار حدته فدنا منه وقال : لا تفعل ياعمر والا هلكنا ، وتذكر بانك قد اقسمت بابيك ان لاتبدي حركة ما ، فهيا بنا نخرج من هذا المكان فخرج وهو يرغي ويزبد ومشى الى جانب عمر العيار واوسعا في البر فرايا صيواناً مضروبا وعند بابه عبد واقف فاقترب عمر العيار من العبد واراد ان يجتاز الصيوان فمنعه العبد قائلا ارجع مع رفيقك ولا تقترب من الصيوان فهو لسيدي زوبين الغدار وقد اوصانا ان لا ندع احدا يقربه فعالجه عمر بضربة خنجر في صدره ارداه قتيلا وتقدم الى باب الصيوان ونظر ما بداخله فراى فتاة كأنها الشمس المشرقة لم يخلق الله احسن منها جمالا .

وحالما راته الصبية صاحت مستغيثة فدخل الصيوان ومعه عمر اليوناني فرايا الصبية موثوقة بالحبال فتقدم منها عمر العيار وحل وثاقها وسألها عن حالها فقالت : انا طوربان ابنة افلنطوش وقد غدر بي زوبين الغدار واحتال علي وأتى بي الى هذه التربة وفي نيته الفتك بي وكانت هي تتكلم الفارسية وعمر اليوناني ينظر اليها مأخوذا من جمالها الباهر ، فقال لعمه : اني لا ابرح هذا المكان الا وهي معي فتقدم منها عمر العيار وقال لها : اعلمي يا ذات الجمال لقد عرفناك ولذلك نريد ان نذهب بك الى قومنا فهل ترضين بذلك ؟ قالت : كيف تذهبان بي الى قومكم الستم من الاعجام ؟ قال : كلا بل نحن من العرب فأنا عمر العيار ورفيقي عمر اليوناني ابن الأمير حمزة وقد وقعت من قلبه

موقعاً عظيماً ، فقالت : لي الفخر والشرف واتمنى ان يكون نصيبي كنصيب مهر دكار وارغب بأن اكون زوجة لابن سيد العرب وفارسهم .
قال : ان هذا لايكفي لان العرب لايتزوجون الا من كانت على دينهم
فقالت : انني اعرف ذلك وانا ما قبلت بزواج ابن الامير الا وفي نيتي ان اكون على دينه ومنذ الآن اترك عبادة النار واتمسك بعبادة العزيز الجبار ، فلما سمع ابن الامير هذا الكلام قال لها : انت منذ الآن في زمامي ولا يقدر احد ان يصل اليك .

ثم طلب اليها ان تسير معه فسارت وهي تتأمل فيه وقلبها يهلع من الفرح ومن السعادة التي ستنالها لأنها رات غلاما لايتجاوز الخامسة عشرة من العمر وقالت في نفسها اين زوبين الغدار من هـذا الامير الفارس الكرار ، فسبحان الذي قد ان أكون زوجة له ، هـذا وقد نسيت أهلها وقومها وتعلقت بالامير عمر اليوناني .

هذا ، وقد سار الامير عمر اليوناني وهي بجـانبه وقلبـه مملوءاً بالفرح والسرور ، وفيما هم سائرين راى جماعة من الاعجام يقتربون منهم وهم يظنونهم مثلهم ففرح عمر وصبر الى ان قرب الاول فأشهر حسامه وضربه به على هامه فألقاه قتيلا ولما راى رفاقه ما حل بـه حملوا عليه وصوبوا بأسنتهم اليه وذهب واحد منهـم الى المعسكر واخبرهم بما راى وما سمع من عمر اليوناني حتى اجتمع حوله خلق كثير وهو يضرب فيهم كانه القضاء المنزل .

ولما رات طوربان ما حل بحبيبها والاعداء محيطة به تناولت سيفا وصاحت وحملت وكانت من البطش على جانب عظيم ، وقد صاحت بعمر العيار وقالت له : دع عنك القتال واسرع الى الامير حمزة واخبره بأمر ابنه قبل ان يصل ابي وزوبين الغدار وتحمل الجيوش برمتهـا عليه ، فانطلق عمر العيار حتى جاء معسكر العرب وصاح بأخيـه حمزة وقال له : أدرك ابنك فانه في وسط الاعـداء وقد فعل فيهـم العجائب ، فلما سمع الامير حمزة هذا الكلام طار صوابه واسرع الى جواده فركبه وحمل على معسكر الاعجام وحملت من خلفه فرسان العرب ، وكانت موقعة شابت لها رؤوس الاطفال وعند المساء افترق الفريقان عن بعضهما ؛ ولما اجتمع عمر العيار بأخيه حمزة قص عليـه كل ما وقع لهما مع الاعداء وكيف رأيا طوربان موثوقة اليدين في البرية تقاسي الذل والهوان . فلما الامير حمزة بطوربان ونظر اليها فوجدها على جانب عظيم من الحسن والجمال وهي قريبة الشبه بزوجتـه مهر دكار وقد شاهدها في ساحة القتال فعلـم انها تليق بولده ، ثـم

استعاد منها حديثها فاخبرته بما كان من امرها مع زوبين الغـدار ، فقال لها : اني اعرف هذا الخائن لانه يعبد النار ولو كان علـى دين الحق .ويعبد الله العزيز الجبار لما اقدم على مثل هذه الخيانة ، واني اسالك الآن هل ترضين الزواج بولدي عن طيبة خاطر ؟

قالت : اني لمثل هذا الشان تركت ابي واهلي ليكون نصيبي سعيدا كنصيب ابنة عمي مهر دكار ، قال : لكن بقي عليك ان تتركي عبـادة النار وتتمسكي بحبال الله وتتبعي شريعته .

فقالت اني فعلت ذلك وعاهدت ابنك عليه ، فدعا ولده وعرض عليه زواج طوربان ، فقال : هو الغاية والمراد ، ففرح الامير حمزة وعزم ان يزف طوربان على ابنه في مدينة حلب وامر ان تؤخذ الى قصر يليـق بشأنها لتكون بالقرب من مهر دكار فاخذت الى القصر حسب ما امر الامير وحضرت اليها مهردكار وسلمت عليها وقالت لها حسـناً فعلت يا ابنة العم فان العرب اصحاب وفاء يبذلون كل غال ونفيس في الدفاع عن الاعراض ، فقالت لها اني اهتىء نفسـي بذلك واشكر الله عـلى ما اعطاني .

ولما استقر الحال بطوربان فكرت في عملها هذا وكيف تركت ابيهـا قومها فقالت في نفسـها ماذا يقول عني ابي الا ينسـب الي الخـداع والخيانة ؟ وصرفت وقتاً طويلاً في التفكير واخيراً صممت على ان ترسـل كتاباً الى ابيها تطلعه فيه على ما فعله معها زوبين الغدار من البداية الى ذلك اليوم ، فكتبت كتاباً وقالت في نهايتـه : لاتعتب علي يا ابي فيما فعلت فاني اصبحت اسيرة لغلام من اشـد فرسان العالم بسـالة حيث انه خلص حياتي من العار فملت اليه حبا بأعماله وكرهاً بزوبين الغـدار .

وبعد ان فرغت من الكتاب دعت اليها عمر اليوناني واخبرته بذلك وطلبت منه خادماً .يوصل الكتاب الى ابيها فاخذ الكتاب منها واعطاه الى عبد من عبيده وامر بأن يسلم هذا الكتاب الى افلنطوش في صيوانه ودفع اليه بالكتاب ، فأخذه وقراه فزادت في قلبه النيران وقال لزوبين هل وصل بك الغـدر حتى نويت أن تفترس ابنتي وتلبسـني العار ، وكان افلنطوش يعلم بخيانة زوبين ، فثبت لديه انه لا احد يجسـر ان يصل الى الايقاع بابنته ، فسكت على مضض وترك هـذا الأمر الى وقت آخر خوفاً من الانشقاق .

وفي صباح اليوم الثاني نهض العجم من مراقدهم وامر زوبـين بضرب طبول الحرب ، وكذلك العرب فانها عندما رات غاية الأعجام

بالقتال امر الامــير حمزة بالاستعداد الى القتال وركب على جــواده وركبت باقي الامراء والفرسان ولما التقت العين بالعين حمل كل من الفريقين على بعضهما البعض واستمر القتال على اشده الى ان اقبل الزوال حيث ضربت طبول الانفصال وقد قتل في ذلك اليوم عدد كبير من الاعجام ورجعوا مقهورين مذلولين وهكذا في اليوم الثاني والثالث لمدة سبعه ايام متواصلة حتى عم الفناء صفوف الاعجام ، ولما راى افلنطوش ما حصل له من التأخير ايقن بالهلاك فدعا زوبين الغــدار وقال له : انت سبب هذا البلاء والتأخير ولم يعد لنا وسيلة للخلاص من الاعداء. فوقع هذا الكلام على زوبين اشد من ضرب الحسام وقال له: اني وعدت بخلاص طوربان وهذا لابد منه وانا اعرف ان النصر لنــا اذا قتل الامير حمزة فاري من اللازم ان ترسل كتاب الى العرب تسألهم الهدنة عشرة ايام لندفن قتلانا، فراى افلنطوش ان ذلك صوابا فبعث بكتاب الى الامير حمزة يسأله وقف القتال مدة عشرة ايام فأجاب الامير سؤاله وكان في نيته ان يزف ابنه على طوربان ، واذ ذاك دعا السادات والاعيان وقال لهم . اني اجبت افلنطوش الى طلبه وسنقضي هــذه الايام بالافراح والمسرات ونزف ولــدي على طوربان ولذلك سنبــدا بالعرس منذ الغد ، فسر الجميع لذلك ولا سيما عمر اليوناني فانــه ايقن بقرب نوال المراد ممن احبها ، وقد ذهب اليهــا وهي جالســة بانتظاره وقال لها ، لقد آن اوان الاجتماع وحان وقت الزفاف وقد امر ابي ان يكون في هذه الايام .

فقالت له : ان قلبك يدلك على عظيم سروري وان كان من الواجب علي ان لا افرح لبعد اهلي وابي واني سأزف اليك كأسيرة او كابنــة احد اعدائكم ؛ غير ان ثقتي الكبرى برحمتك تدفعني الى التمســك بحبال الامل وان أعامل منك معاملة المحبوب الامين ، فانت سيدي وفخري ، بل انت السند والمحبوب والرجاء والأمل .

فضمها اليه وقبلها وطيب خاطرها وقضى معظم ليله عندها ، وفي اليوم التالي اخذتها مهردكار الى قصرها واصلحت من شأنها ، وابتدا العرب في تهيئة زفاف ابن الامير حمزة وكلهــم فرحين يرقصــون ويطربون مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن عقد للامير عمر على طوربان بحضور سادات العرب حيث دخل عليها وتمتع بحسنها وجمالها وقد قضى عندها ثلاثة ايام وهو على اهنأ ما يكون من لذة العيش .

هذا وقد بلغ افلنطوش ان ابنته زفت على عمر اليوناني ابن الامير حمزة فغضب جدا وكاد يفقد صوابه وكذلك زوبين الغدار فانه اصبح

كالمجانين ولم يكد يصدق متى سيحين يوم القتال حتى نهض قبل الجميع وركب جواده وامر بقرع طبول الحرب فنهضت الاعجام الى خيولها وركبتها وفعل مثل ذلك العرب واصطف الفريقان واذا بزوبين الغدار قد انحدر الى وسط المجال ونادى هيا ياسادات العرب ابعثوا إلي اميركم حمزة ولا اريد غيره فنظر الامير حمزة الى زوبين وهو في وسط الميدان فأسرع اليه وقال له : ويلـك يازوبين فالى متى وانت مختف عني وانا اتمنى ان اراك ؟ هل رايت طريقا آخر للغدر بي ؟ ثم انقض عليه الامير انقضاض البواشق واخذ معه في القتال وهو يزيـد عنه الدرهم قنطارا ، هذا وقد ايقن زوبين بالهلاك فصاح : الامـان يا فارس الفرسان وها سيفي وروحي مسلمة اليك ، ثم رمى سيفه على الارض ، ووقف ذليلا حقيرا امام الامير حمزة .

فأغمد الامير حمزة سيفـه وقبضه من جلباب درعه ورماه عـلى الأرض فانقض عمر العيار عليه وأوثقه كتافا ورجع به الى الخيـام وفي تلك السـاعة حمل عمر اليوناني وحمل من خلفه فرسان العرب وداروا بالاعداء من جميع الجهات وبقي القتال قائما حتـى تقهقرت الاعجام وايقنوا بالهلاك وشرب كأس الحمام . وعندما رجع الامـير حمزة الى المعسكر نزل في صيوانه وكل العرب فرحين بأسر زوبـين الغدار وتأكدوا من ان الامير لابد له وان يقتله شر قتلة ، ولما تكامـل اجتماع الامراء والفرسان في الصيوان قال الامير لأخيه : اذهب واتني بزوبين الغدار فسار واحضره وهو مقيد الأيدي والناس تزدحم حواليه حتى دخل به الصيوان فوقف بين يدي الامير حزينا بأثـواب الـذل والانكسار ، قال له الأمير : كيف رايت نفســك يازوبين ؟ فقال : اني عرفت ان الغدر عاقبته وخيمة فلذلك سلمت بنفـسي لاخلص من حياتي الذميمة وقلت في نفـسي اذا قتلني الامير نلت ما استحقه ، واذا عفى عني اكون تخلصت من خدمة العجـم من دين النار وذلك اني كنت احد فرسانك الذين بين يديك وهم معظمون مفضلون ، وقال : كيف يمكن ان اصدق صفاء نيتك وصدق قولك ؟ بعد ان رايت من غدرك ما رايت ، قال : انني اعترف بغدري بك وذلك لاني كنت اعبد النار واما الآن فقد وطدت العزم على عبادة العزيز الجبار وهو الذي يجعلني أن اخبرك بالصدق ، فقال حمزة : ان كنت تؤمن بالله تعالى وترضى بأن تكون معنا عفوت عنك ، قال : الرب يشهد علي بأني لا اتكلم الا الصدق . فقال حمزة : اني عفوت عنك واعدت اليك سيفك فتكون من رجالي منذ الآن واسميك منذ الآن بعبد الله زوبين ولاريب انك تسر من ذلك .

فصاح عمر العيار : لماذا هذا العفو هل نحن بحاجـة لمثل هـذا الخائن ؟ وهل تظن انه يقول الصدق، واني اقسم بالله العظيم انـه يقصد الشر والخداع وعندي ان تقتله وتريحنا من شره ، وكذلك قال باقي الابطال الذين في الصيوان ، قال : الا تعلمون ان قتل الأسـير حرام، ولاسيما انه يقول بانه صار من عباد الله فان قتله اثماً وخطيئة.

ثم نهض في الحال وفك قيد زوبين واعد له مكان بين الفرسـان وما منهم من يريد ان يقرب منه ، وقد تعجب الجميع من صفاء نيـة الامير وحلمه وعدله .

واما زوبين فكاد يطير من الفرح وايقن بنوال المراد فنام تلك الليلة الى صباح اليوم الثاني فجاء الى الصيوان فوجد الامير حمزة وبقية الفرسان كل جالس في مكانه فسلم عليهم وجلس .

ثم قال للامير : لاخفاك ياسيدي ان افلنطوش قد رحل عن هـذه الديار وسار الى جهة المدائن وقد خطر لي ان اتبعه فأما ان اقنعه ان ينقاد الى عبادة الله سبحانه وتعالى ويعادي ابن عمه كسرى واما ارجع بقومي ورجالي فيكونون عونا لنا .

فقال الامير : اما الاتيان برجالك فلا بأس منه واما اقناع افلنطوش فهذا لا اظنه لأنه من عائلة الاكاسرة قال : اني اعرف ذلك ولكن لا يسهى عن بالك انه يفوت دينه وبلاده وكل ما هو عزيز لديه اذا راى نفسـه قريبا من ابنته لانه يحبها محبة عظيمة ، قال له : اني اسمح لك فافعل ما انت فاعل ، فركب عبد الله زوبين وسار في طريق المدائن ليـدرك عساكر الاعجام .

وكان افلنطوش في تلك الليلة قد حدثته نفسه بالهرب لانه راى اذا بقي يوما آخرا هلك وهلكت رجاله ولذلك امر رجاله بأن تستعد للرحيل بعد نصف الليل ، وفي الوقت نفسه ركب مع رجاله وساروا في طريق المدائن ، واستمروا سائرين الى الظهـر وحينئذ ادركهـم عبد الله زوبين ففرحوا به وللحال امر افلنطوش ان تقف الجنود ولما دنا منهم سلموا عليه وهنأوه بالسلامة فسأله افلنطوش : كيف خلصت من بين يدي حمزة ؟

فقال : اني قبلت كلمة الايمـان وعبدت الله سبحانه وتعالى فوجدت في ذلك لذة عظيمة وقد صرت منذ الآن من رجال حمزة وقد جئت لاطلب اليك ان تجاريني في هذا العمل وتتفق معي على عبـادة الله وتترك عبادة النار فضحك افلنطوش وقال له : بارك الله لك بهـذا الدين الجديد . واما انا فلا تطمع نفسـك بي فاني سائر الى كسـرى

وهناك نتدبر في امر هلاك العرب، قال : هذا لايمكن فارض بما اعرضه عليك وسترى ما يسرك من العرب وسيدهم .

وكان زوبين يتكلم بجد حتى توهم الجميع انه عبد الله حقا وصار من رجال حمزة ، الا انه لما اختلى بافلنطوش قال له: اتظن اني اترك ما انا عليه واجاري العرب على دينهم ؟ غير اني وجدت من الحيلة ان اكون واياهم على اتفاق وابقى عندهم الى ان ينسوا ما فعلت معهم واذ ذاك اغدر بهم وادبر على هلاكهم ، فاذا شئت ان نتمم هذه الحيلة فاقبل بما اعرضه عليك وسر معي الى امير العرب واعرض عليه طاعتك ، وان حمزة بسيط القلب ولا يظن الشر باحد وهذا يساعدنا على نوال المراد .

فاطرق افلنطوش براسه الى الارض عند سماعه هذا الكلام وراى ان كل ما اشار به زوبين عين الصواب فقال له : اني ساجيبك الى طلبك فان فيه الخير والنجاح واني ارى من الواجب ان تطلع كسرى على كل ماجرى ونخبره بأمرنا واننا ما انضممنا مع العرب الا لاتمام الحيلة وفي الغد سنسير الى حلب ، ثم ان افلنطوش كتب الى كسرى يخبره بما كان من امرهم مع العرب وكيف يريدون ان يخدعوا العرب ليوقعوا بهم واوصاه ان يكتم هذا الامر عن الوزراء كي لايعرف العرب بذلك .

وفي الصباح عادوا الى حلب فأمر زوبين رجاله أن تضرب الخيام بالقرب من الاعداء وقد اعلن فيهم انهم منذ ذلك الحين اصبحوا مساعدين لحمزة ورجاله وأما هو فانه سار واخذ معه افلنطوش ودخل على الامير حمزة وهو جالس على كرسيه كأنه الاسد ومن حوله الفرسان ، ولما دنا من حمزة قال له : هذا هو افلنطوش وقد صرفت الجهد في اقناعه وبينت له حسن طويتك وعدلك ، ووعدته بأنك لابد ان تستولي على تخت كسرى فتعهد به اليه فأجابني الى ذلك ، ثم تقدم افلنطوش من حمزة وسلم عليه واشار الى باقي الفرسان بالسلام فأجلسه عمر العيار في مكان يليق بشأنه وقلبه يتحرق من عمل اخيه ، وبعد أن جلس قال له حمزة : اعلم ايها الامير بأننا قوم نعبد الله العزيز الجبار فاذا شئت ان تكون معنا يجب ان تعبده وتترك عبادة النار .

فقال : لقد اخبرني زوبين بكل ما لاقى منك من الاكرام بعد ان كنت قادرا على قتله فعفوت عنه، وانني كنت متكدرا من زواج ابنتي بابنك والآن رضيت وفرحت لأنها وحيدة لي وها انذا الآن على دينكم وبين أيديكم فعلمونا كل ما هو واجب، وما انا بأفضل من ابنتي طوربان

وان ما اقوله لكم الآن لا اقصد به الا الحقيقة ، واني اعتبارا من هذه الساعة اصبحت من الد اعداء كسرى حيث انه لم ينظر الى مصلحة نفسه ولو كنت مكانه لاسلمت مع رجالي وجعلتكم عونا وغوثا لدولتنا .

فقال حمزة : اني اشكرك على قولك لابد من ان اعين لكم الاساتذة ليعلموكم شريعته تعالى لكني اقول لك امرا وهو ان الهنا يسألنا ان نسالم العالم ونعرض عليهم الايمان فمن قبل حرم علينا قتاله ، فاذا كان ايمانكم صحيح وتقبلون شريعته جازاكم بالخير ، واذا كان ايمانكم كاذبا وتقصدون به الشر جازاكم بمثله ويرد كيدكم الى نحركم ، اما بقية العرب فلم يقتنعوا بأن اسلامهم صحيح وقرروا على أن يكونوا دوما متيقظين .

وبينما كان فرسان العرب جالسين في الصيوان واذا بالعبيد قد دخلوا على الامير حمزة وبشروه بأن زوجته مهردكار قد وضعت ولدا ذكرا كأنه القمر ففرح بذلك واعتق العبيد واجزل لهم العطاء بعد ذلك جيء له بالمولود فأخذه وقبله ونظر في وجهه فرآه كأنه البدر ليلة تمامه فامتلأ قلبه فرحا ، كيف لا وهو من مهردكار التي احبها الحب العظيم ، ثم سألوا ابيه ماذا يريد ان يسميه فقال : اني تركت الحق بتسميته لامه و لذلك من الواجب ان ابعث استشيرها ثم ارسل احد العبيد يسألها ماذا تريد ان تسميه فقالت للعبد : اخبر مولاك اني اريد ان اسميه قباط فسماه الامير كما امرت واعاده الى امه وأمر ان تقيم عندها المراضع والجواري لخدمة الطفل ، وسيكبر هذا المولود ويسود بين العرب ويكون له اعظم شأن ويصير ملكاً عليهم ان شاء الله .

ولم يمض على هذا الحدث العظيم الا بضعة اشهر حتى ولدت طوربان ولدا ذكرا ففرح به الامير اكثر من فرحه بابنه وأمر أن تزين مدينة حلب خمسة عشر يوما ثم جي بالمولود الى صيوان الامير فتناوله واخذ يقبله ثم اعطاه الى جده افلنطوش فمد يده ليأخذه فصارت يده ترتجف وخاف من ظهور امره فقال لحمزة :-اني ماكنت اصدق ان ابنتي تضع غلاما واراه لانها عزيزة علي لذلك ارى اعضائي تتحرك ثم قال لصهره بشراك بهذا الغلام فاني اراه مسعودا واشكر الله على هذه النعمة ، ثم اخذه ابوه وقبله وقال لابيه حمزة : ماذا تدعوه ؟ قال:حيث انه ولد في ايام الراحة والهناء فلندعوه سعد ، لان السعد بوجهه ، ثم اعادوه الى امه ووضع له المراضع والخدم فصار

الطفلان يترعرعان حتى صارا يقدران على المشي فيأتيان مع الخدم الى افلنطوش ويقبلان يديه وهو يكاد يقضى عليه من القهر .

وفي ذات يوم نهض الامير من نومه مرعوبا ودعا بفرسانه واعيانه وقال لهم : اني رايت حلما راعني واني خائف من عاقبته ، لذلك دعوتكم لتنظروا في امر هذا الحلم وهو :

اني بينما كنت نائما وجدت نفسي كاني في مكة المطهرة بين قومي هناك رايت اسرابا من الغربان تحوم حول المدينة وقد رايت بعض هذه الغربان يحمل في فمه ابي ابراهيم فغاظني ذلك واردت ان اتبعهم فاستيقظت فوجدت نفسي في فراشي وتذكرت ابي ورجاله وارتبت في راحتهم ولذلك فكرت ان اسير الى مكة وانظر كيف حال ابي وقومي .

فقال المعتدى حامي السواحل : اني ارى من الصواب ان يذهب عمر العيار الى مكة فيشاهد ما بها ويخبرنا بكل مايراه هناك ، فقال عمر : اني اخاف ان اسافر فيغتنم زوبين الغدار فرصة غيابي ويغدر بكم ولكني ساضع مكاني جماعتي العيارين واوصيهم بالامير ، واوصيكم انتم تتخذوا لانفسكم وتلاحظوا عدوكم الى حين ايابي .

ثم تركهم بعد ان علم عياريه ان يحافظوا على صيوان الامير وصيوان ابنه وسار مستلما طريق مكة حتى بعد نحو خمسة ايام واذا به اقبل على شجرة كبيرة في جانب الطريق فأراد ان يجلس تحتها قليلا واذا به يرى رجلا ملتفا بردائه مستظلا من حرارة الشمس فدنا منه وصاح به فوعى الرجل واذا به الامير عقيل من أخصاء الامير ففرح به عمر وسلم كل منهما على الآخر ثم سأله هل جرى على رجال مكة شيء مكدر ؟ -

قال اني سائر الى جهة حلب لإخبر الامير بما كان من امر ابيه ، فقال له : اذا اسرع لنعود الى الامير وتخبره بالامر .

وعادوا مسرعين نحو المعسكر واجتمعوا بالامير حمزة فسأله عما عنده من الاخبار فقال : لقد جاء مكة جماعة من العرب واظهروا ان قصدهم زيارة بيت الله الحرام فنزلوا في ضواحي المدينة وصاروا يدخلون ويخرجون ، ففي ذات يوم اتينا ديوان الامير فلم نجده هناك ففتشنا عليه في كل المدينة فلم يقف له على اثر ، وافتقدنا اولئك الزوار فلم نرلهم اثر ، فانشغل بالنا وقد راينا ان سادات مكة ايضا قد فقدوا ، فلما سمع عمر العيار هذا الكلام قال : لاريب انهم عمل عيارى الأعداء والامير حمزة كاد يغيب صوابه وخاف من ان يكون

لحق بأبيه سوءاً ، فقال عمر العيار : اني فكرت في امر به الخير والنجاح، هو اني اسير الى المدائن وادخل على الوزير بزرجمهر واعرض عليه واقعة الحال ولا بد ان يكون عنده علم بما جرى على الامير ابراهيم ويدلنا على المكان الموجود به مع السادات فنسعى في خلاصهم .

قال حسنا تفعل فسر عاجلاً واتني بالخبر اليقين فودعه بعد ان اوصاه ان لايدعو عبد الله زوبين وافلنطوش وكل جماعة الاعجام يعرفون بمثل هذا الامر .

وما زال سائراً حتى وصل المدائن وترقب الوزير حتى رآه خرج من الديوان فتأثره حتى دخل الى قصره فتقدم اليه وقبل يديه ففرح به وسأله عن العرب وعن اخيه فأخبره بكل ما جرى للعرب، فقال له : هل اتيت تسأل عن الامير ابراهيم وسادات مكة ؟ قال نعم لقد اتصل بنا خبر اختفاؤهم ونحن نجهل السبب فاتيت لأعرف اين وجودهم وليس لنا من ملتجيء اليه سواك .

قال : اعلم ان الامير ابراهيم والسادات قبضوا وارسلوا الى نهروان وامر ان يشتغلوا بالاشغال الشاقة هناك فارجع الى اخيك واعلمه ان هذا كان بتدبير بختك الوزير فاسعوا في خلاصه وخلاص السادات ولا تتأخروا ، فشكره عمر العيار على ذلك وكر راجعاً حتى جاء حلب فدعا اخاه سراً واطلعه على كل ما عرفه من الوزير بزرجمهر فقال : لابد لي من المسير الى نهروان في هذا اليوم ، ثم دعا بمعقل البهلوان واخبره بعزمه وقال له : كن على اهبة السفر فانني مزمع ان اسير الى نهروان فأجاب طلبه ، وفي الصباح ركب الأمير ومعه معقل البهلوان وعمر العيار وما برحوا سائرين عدة ايام حتى كشفوا نهروان فوجدا البناء مشتغلا في قلاعها والفعلة تنقل الاحجار وكان نحو خمسة وعشرين الف رجل يشتغلون في تلك الناحية وعليهم عمر بن شداد الحبشي وسقلان الرومي ، وكان من جملة المشتغلين الامير ابراهيم وسادات مكة .

فنزل الامير عن جواده الى الارض واطعمه وسقاه ثم عاد فركب عليه وفعل مثله معقل البهلوان ، فقال له حمزة : انت اذهب الى جهة الشمال وانا اسير الى جهة اليمين وننحط بفتة على هذا الصيوان المنحرف الذي في طرف القلاع ثم ننحط على الباقين ومن سلم عفونا عنه ومن امتنع قتلناه ، وافترقا كما امر الامير وهجم كل واحد من جهة فثار العيارون لما سمعوا صياح الامير حمزة وتركوا الاسارى

وطلبوا الفرار فادرك عمر بن شداد الحبشي فشد وثاقه ومعقل اسر صقلان الرومي ، وبعد مضي ساعة من الزمان حتى لم يبق احد في ذاك المكان فحينئذ تقدم الامير من ابيه وقبل يديه وقال : قبح الله كسرى الخبيث الغدار ، فقبله ابوه وشكر الله سبحانه وتعالى على خلاصه ، ثم أن الامير سلم على باقي سادات مكة وصرف ذاك النهار في ذلك المكان وفي اليوم الثاني قال لمعقل اريد منك ان تذهب معاخي عمر العيار الى حلب تخبر العرب بما كان وتطلعهم على سر المسالة وتوصيهم ان يحذروا كل الحذر ، وانا مرادي الذهاب الى مكة لاوصل ابي واشاهد امي وزوجتي الاميرة سلوى ومن ثم أعود الى حلب ، فقال له : افعل مابدا لك ، ثم ركب الامير وركب ابوه وباقي السادات واوثقوا عمر بن شداد وسقلان الرومي ، وساروا بعد ان ودعوا الامير معقل وعمر العيار وسار كل فريق في طريق .

اما الامير حمزه فانه ما برح سائرا مع قومه حتى وصل مكه المطهرة فعرف به اهلها فخرجوا نساء ورجالا وهم فرحون برجوع الامير ابراهيم ولما التقوا بـه قبلوا يديه واعلنوا الافراح لاسيما عندما راوا الامير حمزة سيدهم فدخل الامير حمزه على والدته وقبل يديها فقبلته ودعت له بالبركة ومن ثم دخل على زوجته سلوى واقام عندها ليلته وقد طيب بخاطرها واظهر لها شوقه واقام في مكة سبعة ايام وقدم الاسيرين الى محافظين من رجال المدينة واوصاهم بالمحافظة عليهما وان يكون شغلهم تنظيف الشوارع ، ثم ودع اباه وقومه والاميرة سلوى وهذه هي المرة الاخيرة التي يراها بها حيث لم يعد يراها فيما بعد وخرج من مكة متجها الى حلب ليرى ما جرى هناك .

وفيما هو مطلق لجواده العنان واذا باسما بري زوجته نزلت من الجو ووقفت امام الجواد وقالت : السلام عليك ايها الامير لقد نسيتني ولم أعد خطر لك على بال [illegible]

فاجابها على سلامها وترحب بها وقال لها : اين تقصدين ؟

فقالت : قصدي هو انت فاريد ان تذهب معي الى جبال قاف لاني بشوق زائد اليك وقد صبرت قلبي كثيراً حتى عيل صبري فجئت لاذهب بك لتقيم بضع ايام وتنصفني وتعاملني كغيري من زوجاتك .

قال : دعني الآن فاني منشغل البال ومتى وصلت الى معسكري في حلب ووجدت قومي بخير سرت معك الى حيث تريدين ، قالت : اني اعرف انك ترغب في سرعة الوصول الى حلب لترى مهر دكار وانا احق من اي انسان ثم اختطفته عن جواده وسارت في الجو

الأعلى وهو غائب عن الصواب وبقيت طائرة به الى ان جاءت جبال قاف فقال لها : اهكذا ترضين في عذابي وقهري وقد وعدتك ان تصبري علي الآن إشاهد قومي فقالت : لاشيء عليهم فان عندهم من الفرسان ما يجعلك مرتاح البال وأنا اريد منك آن تبقى عندي سبعة ايـام ، وبعدها أوصلك الى قومك فصبر على مضض وقلبه يشتعل بنـار الاشتعال .

واما العرب اضطربوا لغياب الأمير ولما جاء معقل واخبرهم ان الامير ذهب الى مكة ليوصل اباه ارتاح بالهم واقاموا في حلب وهم ينتظرون عودة اميرهم الى ان مضت مدة أيام ولم يرجع فدعوا عمر العيار وقالوا له نريد ان تذهب الى مكة وترى حال الامير وما سبب تأخـيره .

وكان افلنطوش وزوبين قد علموا بغياب الأمير فرحوا وقالوا: الآن حانت لنا الفرصة لبلوغ مآربنا ، اما عمر العيار فانه سار في طريق مكة حتى وصل الى نصف الطريق فحانت منه التفاتة الى جبهة البر فراى جواد اخيه اليقظان فارتاع وارتبك وقصده فنفذ منه وصاح به ولما سمع الجواد صوته عاد اليه وجعل يشمه فقبله عمر ثم اخذ يفتش عن أخيه فلم يجد له أثرا فوقف حائراً وهو لايعرف اين ذهب اخـوه .

فاسرع وعاد الى حلب واخبره الرجال بفقد اخيه وشاع هـذا الامر بين معسكر العرب حتى وصل الى زوبين وافلنطوش ، فقـال زوبين الآن وقت نوال المراد وبغير هذه الفرصة لاتسير لنا مانريـد فان العرب منشغلون بغياب الامير ومهما نريد ان نفعله نفوز بـه فقال افلنطوش : اعلم يازوبين طالما عمر العيار موجود في المعسكر العرب فاننا لانفوز بالمطلوب ، ولابد له من الذهاب للتفتيش على اخيـه حمزة فلنصبر قليلا لنرى مايكون .

أما العرب فانهم اجتمعوا بعمر العيار واستشاروه فيما يفعلون فقال لهم: انني عزمت على المسير الى المدائن لاجتمع بالوزير بزرجمهر واسأله عن اخي عسى ان يكون عنده خبره، فقال له : اسرع ولاتبطىء علينا لاننا على احر من النار .

فودعهم وسار يقصد المدائن ، واما زوبين الغدار فانه اجتمـع بافلنطوش وقال له : ان عمر غائب عن المعسكر ولاريب انه سافـر للتفتيش على اخيه ، فهلم بنا نكبس العرب في هذه الليلة ، فقال :

يجب ان نصبر الى بعد الغد لاني اخاف ان يكون مختف يترقب اعمالنا فكن على حذر الى ان يمضي غيابه يومين واتفقنا على هذا الأمر .

وبينما كان العرب ذات ليلة غافلين عن مراقبة اعدائهم وناموا مطمئنين الى ان مضى نصف الليل ماراوا الا وعساكر الاعجام قد دهمتهم من كل ناحية ولم تترك للعرب سبيلا للاستعداد الى الحرب والصدام وزوبين يصيح وينادي : اليوم يوم الاعادي ، وقصد صيوان طوربان وقصده ان يقتل عمر اليوناني ، ولما وصل الى الصيوان وجد عمر اليوناني قد خرج وبيده الحسام واراد الركوب فلم يمكنه زوبين ن يعلو ظهر جواده حتى فاجاه بضربة سيف على راسه فجرحه جرحا ليغاً ففاب عن صوابه وما عاد يعرف حاله اين فشرد به الجواد خرج من المعسكر ونفر في البر الاقفر والدم يسيل من جرحه الأنبوب .

واما العرب فانهم نهضوا مرتاعين فبعضهم شرد في الفلاة وبعضهم تل من سيوف الاعجام وكان البعض يلوم حمزة على تركه زوبين حياً دام القتال على تلك الحال حتى طلوع الفجر ، واذا ذاك امر زوبين ن ترجع الفرسان وكل واحد يصحب معه ما وصلت اليه يده من موال والأنعام .

هذا وقبض على طوربان ومهر دكار وولديهما وغيرهما من النساء يد الجميع وقد نكب العرب نكبة لم تذقها قبل اليوم وشردوا في راري ، ولما رجعت جنود الأعجام امرهم افلنطوش ان يسيروا في حال على طريق المدائن وسار وهو فرحان بهذا النصر وقد شكر زوبين على حسن تدبيره وقال : لابد ان ابن عمي كسرى سيلاقي عملنا ا بعين الشكر والرضى ، قال اني اعرف ذلك وافرح لاجله ، واعظم رحي بطوربان ومهر دكار ، ولا بد لكسرى ان يقدمهما قرباناً للنار؟ وداموا على المسير الى المدائن :

واما العرب فانهم في اليوم التالي اخذوا يجتمعون ولاسيما بعد ان راوا ان تلك الأرض خليت من الأعجام ، وبعد عدة ايام حضر عمر العيار وراى ماحل بالعرب وشاهد القتلى قد ملأت الارض فسأل الفرسان عن السبب فأخبروه بكل ماجرى وقد اخذت طوربان ومهر دكار واولادهما ، ثم سألوه عما عرف عن اخيه فقال : ان اخي حمزة حي يرزق ، وقد اخذته زوجته اسما بري وسيأتي عن طريق قماصيا ، فقال بعضهم : لقد وقعنا في مأزق اهم وهو ان عمر اليوناني قد فقد

ولم نعثر له على اثر ، فقال عمر : لابد لي من الرجوع الى المدائن واسأل الوزير بزرجمهر واستشيره في امر الاسرى ، واسأل الله العزيز الجبار ان يعينني على خلاصهم اجمعين .

ثم انه ترك الفرسان في حلب وكر راجعاً وهو حزيناً على ماحل بقومه وقد حصر همه في امر واحد وهو ان هل عمر اليوناني قد قتل ام اخذه الاعجام أسيراً ؟ هذا وقد جد في المسير حتى وصل المدائن فوجد الناس في هرج ومرج وجنود زوبين الفدار مع جنود كسرى مرابضين حول المدينة بفرح لا يوصف .

فانتظر عمر الى ان خرج بزرجمهر الى قصره فتبعه حتى دخل قصره ، وتقدم منه وقبل يديه وقال له : لايخفاك ياسيدي ماجرى على العرب ولذلك جئت مستجيراً ؟ قال : اني عرفت كل شيءولذلك تراني متكدراً من اخيك لانه ترك زوبين وسمح له ان يتمكن من الفدر والخيانة ، فقال عمر : انك اخبر الناس بسلامة قلب اخي ، وبعد ان ان طلب منه الامان وعاهده على عبادة الله لم ير في قتله صواباً وما ذلك الا لينفذ حكم الله العزيز والجبار الآن اريد منك ان تخبرني عما جرى لعمر هو مشتت الآن ولم يقع بيد الأعجام ، واما مهردكار وطوربان فانهما وضعا في مكان منفرد وتحت الحراسة ليقدما قرباناً الى النار ، وقد ارسل كسرى كتاباً الى مرزبان قاعدة دين المجوس ليأتي الى هنا فيأخذهم جميعاً ويقدمهم ضحية للنار ، واذا تم لهم مايقصدون تكون خطيئة هؤلاء الابرياء برقابكم ، فأطرق عمر العيار برأسه الى الارض وسقطت الدموع من عينيه ثم قال :

وفي اي يوم يقدم النساء والاولاد الى النار ؟

قال : في عيد النيروز ، فقال : وكم باقي لهذا العيد ؟ قال : بعد ستة اشهر من هذاالتاريخ، قال : اني اعدك ياسيدي وعداً وهو انه سوف لاتمضي هذه الايام ان شاء الله حتى اكون قد خلصت الجميع، قال : ان هذا يصعب عليك جداً ، قال : اني اعرف كيف اقدر على خلاصهم واني اعدك ايضا باني ساضع في قلب كسرى حسرة لاينساها الى الابد وهو اني سأجعله يقبل يدي مع وزيره بختك وكل اعيان الفرس ، قال : ان قدرت على ماتقول تكون قد فعلت ما يعجز غيرك من فعله ، فاذهب موفقاً بعنايته تعالى .

وبعد ان ودع عمر الوزير سار الى حلب واجتمع بالابطال وطمأنهم على مستقبلهم وساسعى الى خلاص النساء والاولاد بحول

الله وقوته ، اما الآن فاني اريد ان اسير الى قماصيا وانظر هناك الامير حمزة قبل كل شيء ، فقالوا : افعل مابدا لك ولاتطل علينا غيابك .
هذا ما كان من امر العرب بعد ذهاب حمزة عن تلك الديار ، واما الامير فانه بعد وصوله الى جبال قاف واقامته عند اسما بـرى في كل بسط وانشراح ، وبعد مضي الاسبوع قال لهـا : اريد منك ان توصليني الى قومي لاني اعرف ماجرى عليهم من بعدي ، فقالت له : ان العرب لاخوف عليهم فكلهم فرسان وقد غبت عنهم قبلاً عـدة سنوات وعدت إليهم فوجدتهم كماكانوا فاقم عندي سبعة ايام اخرى، ثم طلب إليها ان تحمله فحاولت وقالت : لابد من بقائك عدة ايام اخرى اكراماً لخاطر ابنتك قريشة ، وبقيت تطيل مدة إقامته حتى ضاق صدره وعيل صبره فقال لها : الى متى هذا التطويل فاني سأذهب لوحدي ماشياً على اقدامي .
قالت : اصبر علي إلى ان اعود من زيارتي لبعض مدني ومتـى عدت اوصلتك إلى قومك ، بعد ان ذهبت جلس الأمير مفكراً بأهلـه ووطنه فبكى على فراق الجميع وفيما هو على ذلك جاءت ابنته وقالت له : لماذا تبك يالبتاه ؟ قال : ابكي علـى قومـي واخاف ان يصابـوا بضرر ، فاريد منك يابنتي أن توصليني إلى اول العمار ومن هنـاك اسير إلى بلادي ، قالت اني افعل ذلك اكراماً لك ، ثم حملته وطارت به في الجو الأعلى وما زالت طائرة به حتى وصلت إلى اول العمـار فانزلته وقالت له ان بلادك قريبة من هنا ثم قبلت يديه وودعته ورجعت الى جبال قاف ، واما الأمير حمزة فانه سار في الطريق الذي وجـد نفسـه عليه وهو لايعرف الى اين يسـير بل انه تيقن انه في وقت قريب سيصل الى حلب ؛ هذا وقد قضى ثلاثة ايام دون ان يرى إنسـانـا فضاق صدره وشعر بالجوع فدخل بين خميلة من الأشجار وكلهـا مثمرة فجعل يقطف من اثمارها ويأكل لسد رمقه وفيما هو على تلك الحالة وإذا به يرى رجلاً جالسـاً تحت شجرة من تلك الاشجار وبين يديه ورقة ينظر فيها ويتأمل فنظر الامير إلى تلك الورقة فراى فيها صورة لفتاة جميلة المنظر فتعجب من ذلك وسبح الله الخالق فانتبه الرجل ورآه فارتاع منه ونهض واقفا وقال : من انت ؟ قال : إنـي مسـافر فمررت من هذه الجهة فرايتك جالسـاً تنظر إلى هذه الصورة فهل هي ذات اصل ام صورة على ورق ؟
قال : لا بل هي ذات اصل وصاحبها اسمها لوعة القلوب بنت ملك

قماصيا كنت قد اخذتها من رجل درويش فمال قلبي إلى صاحبها فتركت ملكي وسرت في طلبها ، فقال له وهل انت ماك ؟ فأجاب نعم واسمي سر شوح ومدينتي منابع الجوهر ، قال وما الفائدة من جلوسك في هذا المكان وهل قماصيا قريبة من هنا ؟

قال : انني لاأعرف لها طريقاً فاذا كنت تريد ان ترافقني فهلما بنا نسير في هذا الطريق عسانا نجد بابا للفرج ونلجئه بأبناء جنسنا فمشوا وهم يتحدثان بشأن لوعة القلوب وداموا في مسيرهم إلى ان وصلوا إلى نهر يصب في البحر المالح فوجدوا هناك جماعة من النوتية يملأون قاربهم ماء فقال لهم الأمير حمزه هل تتكرمون علينا وتأخذونا معكم وتكسبون الأجر والثواب ؟ .

قالوا : حباً وكرامة ، وبعد ان فرغوا من أخذ الماء ساروا جميعاً إلى جهة المركب وقد فرح الأمير بمسيره مع النوتيه لأن قلبه قد تولع بلوعة القلوب ، وما زال المركب سائراً حتى قرب المدينة طابع الجوهر فرسى المركب ثم جاءمحافظو البحروصعدوا المركب وفتشوه فروا البضائع التي فيه وطلبوا من اصحابها رسماً مضاعفاً يعادل قيمتها ، فقال التجار : ما هذا الظلم فان البضائع التي في المركب لاتساوي هذه القيمة فاذا كنتم لاترحمونا نرجع من حيث اتينا ، قالوا : ان هذا الكلام لايفيدكم ولابد من دفع الرسم أو نحجز البضائع، فخاف التجار على أموالهم ووقفوا محتارين في امرهم .

وكان الأمير حمزة يشاهد كل مايجري فدنا من المحافظين وقال لهم : هل أنتم على الدوام تأخذون هذا الرسم ؟ قالوا كلا ، فانه كان قبل هذه الأيام يحكم علينا ملك عادل اسمه شرشوح فكان لا يؤخذ الرسم قطعاً ، غير ان هذا الملك قصد السفر منذ أيام فوكل مكانه رجلاً ظالماً لا يخاف الله فجعل يفعل الفحشاء ويفرض الضرائب على العباد حتى اصبحت المدينة في قلق وكل الناس يتمنون هلاكه وان الرسم له ونحن لاذنب علينا ، فقال لهم حمزة : ابقوا هنا إلى ان اعود اليكم ثم انه نزل القمرة فوجد شرشوح جالساً والصورة بين يديه وهو يبكي بكاء مرا .

فدبت بالامير الغيرة فتناول الصورة من يده ومزقها ورماها وقال له: انهض حالاً ، فان بلادك قد خربت وماذا يفيدك العشق فأراد شرشوح أن يعترض وقد احترق قلبه ، فمسكه الامير بيده وسار معه الى ان وقف امام المحافظين وقال لهم : هو ذا ملككم شرشوح هيا عودوا الى المدينة وبشروا اهلها برجوع ملكها ونحن في اثركم .

لما راى الرجال ملكهم فرحوا به وقبلوا يديه فقال لهم : سيروا امامنا ونزل مع الامير حمزة في القارب ولما وصل الى المدينة امر المنادي ان يطوف في اسواقها ويقول : يا اهل مدينة منابع الجوهر لقد رجع اليكم ملككم وتخلصتم من ظلم الحاكم الحاضر فصارت الناس تتزاحم على ملكها وتقبل اياديه وبقي الموكب سائرا الى ان وصل دار الحكومة واذا بجماعة العسكر اعترضوا حمزة وشرشوح فجرد سيفه وانحط عليهم وقتل منهم اكثر من عشرة انفار ثم دخل الديوان فوجد الحاكم الجديد جالسا على كرسيه فصاح به وقال له : يا لك من ظالم لاتراعي حرمة العباد وراحة الناس فقتلك لابد منه كيف كان ولا تستحق ان تبقى في هذه الدنيا ثم ضربه بالسيف قطعه نصفين والتفت بعد ذلك الى ارباب الديوان وقال لهم : هذا ملككم شرشوح قد عاد اليكم فاما ان تطيعوه واما يكون نصيبكم كغيركم ، فقال الجميع نحن لانريد ملكا علينا غير شرشوح ، فأخذ الامير بيد شرشوح واجلسه على كرسيه وعاد الحال في المدينة كما كان سابقا .

ثم ان الامير حمزة اظهر نفسه لأهل المدينة فاكرموه مزيد الاكرام مدة سبعة ايام وبعدها سأل شرشوح ان يحضر له مركباً يسافر عليه الى البصرة فأجاب سؤاله واحضر له مركبا واسعاً فودع الملك واهل المدينة وسار من هناك الى جهة البصرة وما زالت الريح موافقة والبحر ساكناً حتى رسى المركب على شاطىء البصرة فنزل على قماصيا وسار الى جهة المدينة وكان الوقت مساء فراى الابواب لاتفتح الا في النهار فوقف الامير مبهوتا لايعلم الى ان يسير في هذا الليل فسار في جانب الصور لعله يجد فندقا يأوى اليه هذه الليلة ولم يسر كثيراً حتى راى قصراً منيراً فاقترب منه فوجد بابه مقفلاً وراى بجانبه مصطبة معدة للجلوس فجلس على تلك المصطبة ويفكر السؤال عن اصحاب هذا القصر وسكانه عسى يقبلونه ضيفا عندهم وفيما هو على ذلك واذا بثلاثة من الخدم قد حضروا امام الامير وقدموا له مائدة عليها الوان الأطعمة فسألهم لمن هذه المائدة ؟ قالوا : هي لك قال ومن الذي بعثها لي ؟ قالوا ان المكان الذي انت جالس عليه لجلوس المسافرين وقد اعتادت سيدتنا ان ترسل لمن يجلس على هذه المصطبة الطعام لانهم يكونون قد دخلوا في ضيافتها .

فلما سمع الامير هذا الكلام طار قلبه فرحا وقال في نفسه لقد وصلت الى المطلوب ، فقال للخدم : هل في وسع سيدتكم ان تقبلني

هذه الليلةفي القصر وفي الصباح أرحل الى المدينة ؟ قالوا هذا لايمكن لانها وحدها في القصر مع قهرماناتها ولايمكن لرجل ان يتخطى عتبة قصرها قط .

فقال : اذهبوا الى سيدتكم واخبروها ان الذي ضافنا هو الامير حمزةالبهلوان وطلب الينا أنيدخلهذه الليلة الى القصر ، فلما سمع الخدم هذا الكلام ارتاعوا واضطربوا لانهم كانوا يسمعون عنه انه دوخ العجم وخافت بأسه السلاطين فجاءوا سلم القصر ونادوا القهرمانة فجاءتهم فأخبروها عن الامير حمزة وهو بحاجة الى دخول القصر ولا تصدق ان هذا الرجل يأتي هذا المكان .

وكانت لوعة القلوب قد سمعت هذا الكلام فنزلت من غرفتهاودنت من القهرمانة وسألتها عما يقوله الخدم قالت لها . ياسيدتي ان ما يقوله الخدم يحير الافكار وذلك ان ذلك الضيف طلب ان يدخل القصر وادعى انه الامير حمزة صاحب الشعر والعلم ، قالت وهل من العجب ان يزور سيد العرب لوعة القلوب وقد سألت الله ذلك الوف المرات ، فامري الخدم ان يطلعوه الينا ومتى رايناه عرفناه .

وفي الحال رجع الخدم الى الامير حمزة وقالوا له : تفضلياسيدي ادخل فان سيدتنا بانتظارك ، فدخل الامير فاستقبلته القهرمانة بالترحيب واصعدته الى اعالي القصر وقد ثبت عندها انه هو الامير حمزة بنفسه فتقدمت منه وسلمت عليه وقالت له : لقد شرفت فتاة صرفت أشهراً تتمنى لقاك ، فالحمد لله على هذا الملتقى فقال لها : وانا أحمد الله الذي أوصلني الساعة فانت آلهة الجمال ثم اخذتهمن يده وادخلته الى غرفة مفروشة بالاثاث الفاخر وجلست على مقعد من الحرير واجلسته بجانبها واخذت تشرح له حالها وقد قالت : لقد ملأت الأرض صوراً وانا متيقنة لابد ان تقع في يدك احدى هذهالصور فتقصد ان تراني،ثم أمرت قهرمانيها ان تقدم لهما الطعام فاكلا وهما غارقين ببحر الغرام ، وبعد ان فرغا من الطعام قدمت لهما سفرة المدام وارادتالانصراف فقالت لها : لاتنصرفي بل ابقي عندناواحضري العود واضربيلنا عليه فان ليلتنا هذه ليلة حظوما بأس بقيامكمعنا .

فأجابتها واحضرت العود وجعلت تضرب عليه وكانت ذات صوت رخيم وبارعة بضرب العود وبعد ان شدت الاوتار ضربت به وانشدت تقول :

لــك لا لغــيرك اشتــكي	جـــور الصدود المهلــك
فارحــم اســيرك انني	القي السـلاح ام افتـك
اشــكو الى مــن لايجيــ	ب ولا يــرق المشتــكي
واقــول ياعــين اسمحي	فيقول يا عــين اسفـكي
يا معرضاً فضــح استتا	ري واستبــاح تهتكي
انــي فنيت وانمـــا	امــل التــلاقي الممسكي

وكان الامير يشرب الخمر من يدي لوعــة القلوب وهي تشرب من يده فداما على الحظ والمسرة والهناء الى الصباح فقال الامــير : اني اود سرعة العودة الى بلادي ولذلك ارغب ان اذهب هذا اليوم الـى ابيك واخطبك منه لانني في شغل شاغل عند قومي .

قالت : وانا مثلك ارغب سرعة التقرب من بعضنا فافعل ماتريده فتراني مطيعة لك في كل ماتريد ، قال : لكني اريد ان أسألك عــن سبب قفل ابواب المدينة قبل الغروب ؟

قالت : منذ سنة تقريباً تسلط علــى مدينتنا اسد هائــل المنظر فيدخل اليها ويفترس منها اثنين وثلاثة اشخاص وقد بذلوا الجهدفي قتله فلم يفلحوا ولما اعياهــم الامر اتفقوا أن يقفلوا ابواب المدينــة في المساء ويفتحوها في الصباح ، قال : وهل يأتي الى جهة القصر ؟ قالت بعض الاحيان يمر بالقرب من القصر فظهر على الامير الكدر وقال لها: كان من اللازم أن تخبريني بذلك من أول الليل ثم نهض الى شبــاك القصر واذا به يرى الأسد جالساً يفترس احد هؤلاء الزوار فاستل سيفه ونزل سلم القصر بعد أن قال لها « قفي في الشباك وانتظريني ولما خرج من القصر ورآه الأسد تنقص واستعد للهجوم عليــه وزئر زئيراً عالياً فهلعت لوعة القلوب خوفاً على حبيبها ، ثم تقدم الأســد من الأمير مكشراً عن أنيابه وما رات الا الأمير عاجله بضربة سيف وقعت بين عيني الأسد فشقت راسه وصدره الى ما بين افخاذه ثم مســح سيفه بجلده ثم عاد الى القصر فوجد لوعة القلوب واقفة في الشباك ودموع الفرح تزعزع في عينيها فدنا منها وضمها الى صدره فقالت له: أصحيح ايها الامير اني استحق ان اكون زوجة لرجل باسل نظيرك تخافه الاسود وتذل لديه الابطال ؟

فقال لها هدئي روعــك فانت ستكونين زوجتي وسيدة من سيدات

العرب ، قالت : الآن وجب ان نذهب الى المدينة وتدخل على والدي وتعرفه بنفسك ثم تطلبني منه زوجة لك .

قال سأفعل كل مايرضيك فامكثي في قصرك وساعود اليك في كل ليلة الى أن نزف الى بعضنا :

ثم ودعها وخرج من القصر وبعد دقائق قليلة وصل من ابواب المدينة فوجد البواب وهو يفتح الابواب فاندهش البواب منه وقال له أين كنت نائماً عند الباب قال : وكيف لم يفترسك الأسد ؟ قال : جاء الي فطاردته ففر من امامي فأدركته وقتلته فهلموا اليه وتفرجوا عليه وكان جماعة من أهل المدينة يسمعون هذا الكلام فعادوا الى المدينة ونادوا بها بقتل الأسد وصارت الناس تخرج وتتفرج عليه وكلهم فرحين فوصل الخبر الي حاكم قماصيا فزال الهم عن قلبه وطلب ان يأتوه بالرجل الذي قتل الأسد فتقدم منه الأمير وسلم عليه فقال له : انت الذي قتلت الاسد ؟ قال نعم ، قال من اين انت وما اسمك ؟ قال اسمي عبد الله ، واصلي من بلد الله جئت هذه البلاد لأتوصل اليك وأتعرف بك ، والآن أسألك هل من عدو لك في هذه النواحي ؟ قال : نعم ، ان كل القبائل التي حولي عاصية عن دفع الجزية منذ خمس سنوات قال سوف اجعلها كلها عبيد بين يديك ففرح جداً واولم له وليمة وفي المساء طلب من الحاكم ان يعطيه مائة رجل يكونوا برفقته ويدلوه على القبائل العاصية ، فأجابه الى ما طلب وامر الرجال ان يكونوا طوعا للأمير ، فخرج بهم الامير وانحط على الأعداء فأنزل بهم الويل وفشل منهم كثيراً وارغمهم على الطاعة الى حاكم قماصيا ثم انتقل الى جهة ثانية وفعل فيها كالاولى حتى انتشر الخبر بين تلك القبائل ودب الرعب في قلوبهم وتقاطروا من تلقاء انفسهم الى المدينة صاغرين نادمين على مابدا منهم ودفعوا الجزية عن الخمس سنين الماضية .

ولما راى الأمير ان جميع العصاة انقادوا الى سيد البلاد عاد اليه وقال لقد فعلت مايرضيك فهل من حاجة لك فاقضيها ؟ قال اني اعترف ان بلادي عاشت بك فأريد منك أن تقيم عندي وانا اشاركك في الحكم . قال هذا لا ارغبه واني بعد ايام قليلة اسافر عنك ، فلما سمع الحاكم هذا الكلام تكدر وتمنى أن يبقى عنده لترتفع به شوكته ، فقال . اني وجميع اهل بلادي نعترف بفضلك واقول انك ستسر كثيراً اذا اقمت عندنا ، فقال لابد لي من السفر بعد ايام قليلة ، ثم

خرج من دار الاحكام الى المكان الذي اعد له، وفي المساء ذهب الى قصر لوعة القلوب فوجدها بانتظاره فسلم عليها وسلمت عليه وترحبت به وقالت له قد مضت كل هذه الايام وانت بعيد عني ولم اسمع انك طلبتني من ابي فلما ذلك؟

قال : اني اردت ان اباديه بالجميل ليعرف قدري ، وحتى الساعة لم اذكر له اسمي ولا عرفته بحالي ، بل قلت له اسمي عبدالله فعرض علي بلاده لأكون حاميها وصار لا يقدر على فراقي ، فلا ريب اذا طلبت اليه ان يزوجني منك اجاب طلبي فان شاء الله غدا اساله في ذلك فقالت له حسناً فعلت ، ثم دخلت الى غرفة الطعام وجلست واياه على المائدة فأكلا وشبعا ثم خرجا الى غرفة ثانية حيث كانت القهرمانة قد اعدت سفرة المدام وصفت عليها الورود والزهور وجلست بالقرب منها تضرب على العود وكانت كما تقدم رخيمة الصوت فجعلت لوعة القلوب تشرب وتسقي حبيبها وما زالا على ذلك الى الصباح فنهض الامير وودع لوعة القلوب وجاء المدينة ودخل على حاكم قماصيا.

وكان الحاكم بعد ان خرج الامير من عنده قال لقومه : ماذا ترون في امر عبد الله وكيف العمل لنجعله أن يبقى عندنا ولا يبارحنا ؟ قالوا : ان الراي عندنا ان نعرض عليه الزواج من ابنتك لوعة القلوب وبهذا تجعله ملزوماً ان يحافظ على بلادك وتطلب من لوعة القلوب ان تقنعه بذلك .

قال : اخاف ان لايرضى بها ويذهب عنا ويتركنا ، قالوا لاريب انه يرضى ويكون ممنوناً : واتفقوا على ذلك ، وفي اليوم الثاني جاء الامير الى مجلس الحاكم فترحب به واجلسه بجانبه وقبل ان يبدي الامير كلمة تتعلق بشأن لوعة القلوب قال ابوها . اني ارجوك ان تبقى عندنا واني ازوجك من ابنتي لوعة القلوب التي لانظير لها في هذا العالم : فأريد ان تقبل بذلك .

قال : اني كنت لا ارغب ان اقيم في هذه البلاد اكثر من ايام قليلة وحيث انك قد انعمت علي بلوعة القلوب فاني اقدر هذه النعمة حق قدرها واشكر لك هذا المعروف .

فلما سمع الحاكم هذا الكلام فرح فرحاً لا مزيد عليه وقال له : انت منذ هذه الساعة صهري ولك الحق في بلادي فكن انت المتصرف والحاكم ولي ثقة كبرى انك تزيد من شأن قماصيا وترفع قدرها وتأتي لها بكل خير .

ثم ارسل في طلب ابنته وجاء بها الى القصر وعرض عليها الامير عبد الله وقال لها : اريد منك ان تقبلي بالزواج منه لاننا بحاجة اليه واذا ذهب عن بلادنا ساء حالنا فقالت : افعل ما بدا لك فاني لااخالف لك امراً لاني أحب الأبطال واريد ان اكون زوجة لرجل يدفع معتد ويحمي بلادنا من حملات الاعداء ، فسر ابوها من كلامها ومدحها وهو لا يعلم ما بينها وبين الامير وقد عاد اليه واخبر بجواب ابنته.

ومنذ تلك الساعة اعلن زواج لوعة القلوب بعبد الله ففرح الناس وباشروا في تدبير العرس وقد قامت الأفراح مدة سبعة ايام وفي اليوم الثامن عقد للأمير على لوعة القلوب ودخل بها وسر منها سرور الامزيد عليه وصرف عندها وقتاً ليس بالقليل وهو لا يحب أن يفارقها وهذه تحمل من الامير بولد يدعى سعيد الطوقي ويكون من الفرسان والابطال ويفرج عن العرب الشدة والضيق .

ولنرجع بالحديث الى عمر العيار ومعقل البهلوان حيث تركناهما سائرين الى قماصيا ليجتمعا بالامير كما تقدم معنا ولا زالا سائرين الى ان وصلا الى قماصيا وصادف وصولهم نحو الساعة الواحدة من الليل فجلسا تحت الشجرة التي عند باب قصر لوعة القلوب فقال عمر العيار لرفيقه : حيث اننا وصلنا البلد والوقت ظلام فلنبقى هذه الليلة هنا وفي الصباح ندخل المدينة ونفتش على اخي . ولم يمكثا كثيراً إلا وخرج خدم القصر كالعادة يحملان لهم الطعام فقدموه بين أيديهما ، فقال عمر : لمن هذا القصر ؟ قالوا ان هذا القصر للوعة القلوب بنت ملك قماصيا ومن عادتها ان تكرم ضيوفها فكل من جاء هذا المكان قدمنا له الطعام حيث يكون في ضيافتها فهي كريمة الفعال قال : جزاها الله خيراً ، ثم تناولا الطعام وذهب الخدم في حال سبيلهم ، فقال عمر يظهر لي ان بنت ملك قماصيا كريمة ولا شك ان اهل هذه البلاد اهل كرم وسلام .

ثم صرفا ساعات قليلة يتسليان ومن بعدها نام معقل وعلا غطيطه فتركه عمر العيار وكان لابد لي من ان اعرف من في داخل القصر لاني ارى انواراً كثيرة فيه ، واسمع اصوات الغناء ، فجعل يدور حول القصر من كل جهاته حتى راى مكاناً يمكنه الدخول منه فتسلق الحائط وجاء الى النافذة ثم قلب منها الى الداخل وانسل في دهاليز القصر حتى وصل الى الغرفة التي فيها لوعة القلوب والأمير حمزة وكانا جالسين على صفرة المدام فقرب من نافذتها ونظر الى الداخل

واذا به يرى الامير حمزة جالساً مع لوعة القلوب وهي كأنها الكوكب الوضاح وامامها القهرمانة وقد وضعت العود بين نهديها تضرب بـه وتغني برخيم صوتها والامير منشغل مع محبوبته بالكلام وقد سمعه يقول لها : ان افكاري مشغولة عند قومي وقد تركتهم مقيمين في حلب ولا اعرف ما فعل الزمان بهم ، فأريد منك ان تذهبي برفقتي الى هناك كي تكوني مع نسائي ، قالت الا تزال منشغل البال عند قومك وهم بأمان وسلام خصوصاً عندهم عمر العيار الذي حكيت لي عنه مراراً انه صاحب التدبير العظيم ؟ قال : انني اعرف انه ما دام عمر العيار بينهم فلا خوف عليهم لكنهم لابد من ان يضطربوا لغيابي ويلتزم عمر بأن يسعى للتفتيش علي واذ ذاك يترك المعسكر وربما جاء الى هذا المكان ، واعظم شيء يدفعني الى الذهاب هو شوقي الى اخي عمر فقالت : دع عنك الآن هذا الحديث وخذ القدح فاشربه بصحة اخيك عمر ودع قهرماتي تنشدنا شيئاً من الشعر ، فضربت القهرمانة ضرباً يحرك الحواس ويطرب الشجي الولهان قالت :

نفسي الفداء لشاد من حشمته	وشفيت بالتقبيل منه عليلي
ظفرت يداي بصيده بوصيده	فأجدت ثم توصلي بوصولي

فلما سمع عمر العيار ذاك الصوت وشاهد تلك الجلسة غاب صوابه ودخل بغتة وقال : السلام عليك يا حمزة ، انت هنا على الحظ والانشراح ونحن نجوب البلدان ونسأل الركبان ، فاندهش الامير من عمر ونهض اليه وقبله وسلم عليه وقال له : الآن كنت في ذكرك فأهلا وسهلا بك ، ثم سلم على لوعة القلوب وعلى القهرمانة فانوس وقد مال اليها قلبه ورأى فيها من معاني الحسن ما جعله يميل اليها ويحبها محبة عظيمة فقال لاخيه : ابق يا اخي حيث انت انما اتيت لانغص عليك بل اتيت لاطمئن عليك والحمد لله انت بخير وسلام قال : اجلس الآن معنا وشاركنا في سرورنا فهذه زوجتي لوعة القلوب وقد جئت قماصيا من اجلها ، فقال عمر : لقد احسنت فهي وقهرمانتها نادرتا المثال فأدرك الامير غايته وأجلسه الى جانبه وهو مسرور به وقد ناوله قدحاً فشربه ثم قال له الامير : ما قولك يا عمر في ان ازوجك بفانوس فتكون زوجة لك وانت بعل لها ؟ قال حسناً تفعل واني سأكون لك من الشاكرين فقالت لوعة القلوب لقهرمانتها اني ازفك الآن الى الامير عمر العيار فتكونين عنده على الدوام لانه سيد من سادات العرب ،

فاطاعت فانوس كلام سيدتها وفي الحـال صارت زوجة له وبعـد انقضاء السهرة ذهب كل بزوجته ، وفانوس هذه تحمل من الامـير عمر العيار بولد ذكر يـدعى الشـاه ذئب وسيأتي ذكره فيما بعد أن شاء الله .

وفي الصباح نهض الامير واجتمع بعمر وهنأه بليلته وقال له : هل جئت لوحدك من حلب ام صحبك احد من الرجال ؟ فانتبـه اذ ذاك عمر الى حاله وتذكر معقل البهلوانَ فقال لأخيـه : قد ارتكبنا خطـأ عظيماً نستحق لأجله اللوم لانني تركت في أسفل القصر معقل البهلوان وقد تركته نائماً ، فلما سمع حمزة ذلك تكدر وقال : كيف لم تخبرني بذلك منذ اول الليل ، ثم كر الأمير من أعالي القصر قاصداً ملاقـاة صديقه ليسلم عليه .

اما الامير معقل فانه نهض في الصباح ونظر حوله فلم ير عمر العيار فخاف ان يكون قد اصيب بمصيبة فلذلك استل سيفه وهجم عـلى باب القصر ونادى ويلكم يا اهل هذا القصر اخبروني هل ان رفيقي الاسود الذي كان معي دخل القصر ، فاذا كان عنـدكم ردوه إلـي والا هجمت عليكم وفعلت معكم فعلا يذكر الى آخر الزمان .

فأجابه الامير من الداخل : مرحباً بك يا معقل ثم انه فتـح الباب ونظر كل واحد الى الآخر ورمى بنفسه عليه يقبله ويضمه الى صدره؟ ثم ان الامير اخبره بما كان من امر عمر العيـار وقال له : ارجـوك المعذرة يا اخي فانني لم اطلع على أمرك الا الآن وعمر لم يخبرني لانه انشغل عنك بزوجته الجديدة ، ثـم ان الامير صعد به الى القصـر واجلسـه بقربه وامر الخدم أن تقدم لهم الطعام وبعد ان اكلوا وشربوا قال الامير حمزة :

اريد الآن أن اذهب الى المدينـة فهيا بنا نذهب سوية فتشاهـدا المدينة فأجاباه الى ذلك وذهبوا سوية واستمروا في مسيرهم حتى وصلوا دار الحكومة فوجدوا هناك خيولا عربية وعليها سروج رومية مزركشة بالذهب والفضة فتعجب حمزة من ذلـك وقال : لا بد أن يكون قد زار المدينة قوم غرباء ، فدخل الديوان ووقف بالباب واذا به يرى رجلا عليه أمارات العظمة والجلال جالسـاً بالقرب مـن حاكم قماصيا وهو يوبخه بصوت عال فلعب الغضب بالامير وغاصت عيناه في ام راسه ودخل فجأة الى وسط الديوان وصاح بالرجل قائلا :

ماذا تريد ولاي سبب هذا الكلام ؟

قال : ان سيدي قد بعثني بمهمة لهذا الحاكم الخادع ولا بد من خراب بلاده ، ثم اخذ الرجل يبدي للامير حمزة حقيقة امره قال :

لما انتشر خبر لوعة القلوب في كل البلاد ووصل صيتها الى ملك الصقالبة فهام بها وعشقها على السمع وارسل وزيره ليخطبها من ابيها زوجة له ولما جاء الوزير وسأل ابيها زواجها من الملك احضرها واخبرها بذلك فابت وقالت انني لا احب الزواج من احد فالح عليها ابيها بأن ترضى هذا الملك فقالت اني اعرف ان هذا الملك هو اعظم الملوك ولو كنت احب الزواج لما اخترت سواه ، فعاد الوزير الى سيده واخبره بما سمع من لوعة القلوب فقال انني لا ارغمها على الزواج فربما كانت تكرهه ولكن اذا تزوجت بغيري تكون سبباً في خراب ديار ابيها وسبيها بالرغم عنه وعنها، ومنذ ذلك الحين بث العيون والارصاد في قماصيا وبقي الأمر كذلك الى ان جاء الامير حمزة فتزوجت به وحينئذ عادت الرسل واخبروا الملك بما كان فقام وقعد وارغى وازبد وقال لابد من هلاك ابيها وخراب بلاده . ثم ارسل وزيره وهدد حاكم قماصيا وطلب اليه تسليم ابنته لوعة القلوب ليأخذها الى سيده وفي تلك الساعة دخل الامير حمزة واعاد عليه طلب سيده الملك فصاح صوت اهتز منه القصر واشهر سيفه وضربه به فشقه نصفين فاضطرب حاكم قماصيا وقال لقد رميتنا يا عبد الله بويل عظيم كان ملك الصقالبة جبار وهو يعد بعشرة آلاف فارس ، فقال حمزة : لابد من قتل هذا الملك وتشتيت جيشه وهلاك رجاله فقال والد لوعة القلوب انك لاتقدر على ذلك لا انت ولا الوف ن امثالك وعما قليل ترى رجاله مثل الجراد المنتشر . فقال حمزة : لقد صار من الواجب أن تعرف من انا واذ ذاك تعرف الذي فرق جيوش كسرى وانزل عليهم ميازيب العذاب ، انا الأمير حمزة العرب مذل الجبابرة ونقمة الاكاسرة وسيد الحق والعدل في هذا الزمان .

فلما سمع الحاكم وجماعته هذا الكلام صاحوا بصوت واحد بشراك يا لوعة القلوب لقد تلت السعادة والاقبال وقاموا الى الامير وسلموا عليه فقال لهم : كونوا براحة وامان وسوف ارسل اخي عمر العيار أن يسير الى حلب ويأتي بفرسانه الاخصاء ، فسار عمر الى حلب وبعد مسيرة طلب حمزة من عمه أن يجمع العساكر التي عنده فقال ان كل ما اقدر أن اجمعه نحو عشرين الف فارس ، قال مرهم أن يجتمعوا قبل ان يصل ملك الصقالبة فلربما وصل قبل وصول عساكري ورجالي .

فبعث الملك برسله الى القبائل المتفرقة حول المدينة ان تجتمع عنده ، ولم تمض على ذلك أيام قليلة حتى وصل الخبر بقدوم ملك الصقالية برجاله ، وهم بعدد الرمل على شاطىء البحر لأنه بلفه مقتل وزيره وما زال سائراً الى أن وصل الى قماصيا وضرب خيامه بالقرب منها وقد عزم على الهجوم عليها في صبيحة اليوم التالي .

ولما راى حمزة ذلك دعا اليه معقل وقال له : اعلم يا اخي ان اهالي هذه المدينة قوم جبناء يشبهون نساء العجم فأريد منك ان تبذل الجهد في قتال هذا الجمع الكثير الى ان يصل الينا رجالنا وابطالنا ، فقال الأمير معقل : سوف ترى مني ما تعهده بي .

وحينئذ اخذ حمزة العساكر وخرج بهم الى مقابل عساكر الصقالية وضرب خيامه واقام ينتظر صباح اليوم التالي ، واهل المدينة في اضطراب عظيم . وباتوا تلك الليلة الى ان اشرق صباح اليوم التالي فهبت العساكر من مراقدها واعتلت ظهور خيولها وركب الامير حمزة وحمل وكأنه قضاء الله المنزل وفعل مثله معقل البهلوان فالتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال وكان ذلك اليوم كثير الاخطار فلله در الامير حمزة وما فعل وكم من فارس قتل ولولا حمزة ومعقل لتشتتوا عساكر قماصيا في البراري والقفار ودام القتال الى المساء فدقت طبول الانفصال ورجعت كل طائفة الى خيامها ودامت الحال مدة خمسة أيام وفي الليلة الاخيرة اجتمع حمزة بمعقل وقال له : لم ارى بحياتي قوماً يخافون الحرب مثل أهل هذه المدينة واني تعبت جداً واذا تأخر فرساننا التزمنا ان ندخل عساكر قماصيا الى المدينة ونبقى نحن نقاتل الى ان يفعل الله ما يشاء .

قال معقل : لابد في الغد أو بعده أن تصل الينا الفرسان لأن عمر يكون قد وصل اليهم ، وكيف كان الامر فاننا قادرون على الثبات الى أن يأتينا الله بالفرج .

واما ملك الصقالبة تعجب من قبل الامير حمزة وقال الاعيان نؤمن اني ماكنت اظن ان عساكر قماصيا ثبتت امامنا ساعة واحدة واني اعرف بأنهم جبناء ، وان عدت في الغد ان اقسم عساكري قسمين في حين هجوم عساكر قماصيا نضربهم من جهتين ولا ندع لهم مجالا ونبيدهم عن آخرهم .

ومن ثم قسم العساكر الى قسمين واشار اليهم كيف يفعلوا مع

الاعداء ولما اصبح الصباح هبوا من مراقدهم وركبوا خيولهم وانقسموا قسمين وفي نيتهم انهم في ذاك اليوم يبيدون الأعداء واذا بالأمير حمزه صاح وحمل الى جهة اليمين ومعقل الى جهة الشمال وقامت الحرب على قدم وساق ورأى ملك الصقالبة افعال الامير حمزة في رجاله فخاف واضطرب وصاح برجاله ويلكم دونكم وهذا العاتي ومتى قتل انتصرنا وملكنا المدينة بساعات قليلة فاحتاطت بالامير حمزة الصقالبة على اليمين والشمال واصروا انهم لايرجعون عن ساحة القتال ما لم يقتلوا الامير حمزة ولو قتلوا عن آخرهم ورأى الامير عنادهم فجعل ينحط عليهم انحطاط البواشق وبينما الامير ومعقل في اشد الحالات إلا وعمر العيار ينادي ويلكم ايها الأوغاد قد حاق بكم الدمار حيث وصلت اليكم فرسان العرب وما انتهى من كلامه حتى ظهر من خلفه أندهوق والمعتدي وباقي الابطال ولما رأوا الحرب قائمة صاحوا وحملوا حملات الأسود الكواسر وظن الصقالبة ان الارض مادت من تحت اقدامهم وبالاخص عندما رأوا رماح العرب تخترق الصدور وعند العصر التقى الأمير حمزة بملك الصقالبة فصاح به وخيله ثم ضربه بحسامه شقه نصفين فقطع رأسه ورفعه على قائم سيفه وصاح: هذا رأس ملككم ياصقالبة:

ولما رأى الصقالبة ان ملكهم قد قتل فروا من أمام ابطال العرب والفرسان تضرب بأقفيتهم الى ان جاء الليل فرجعوا فرحين بعد ان جمعوا الاسلاب والغنائم ودخلوا المدينة منصورين .

ولما التقى حمزة برجاله سلم عليهم وترحب بهم ومن ثم خرج ابو لوعة القلوب من مجلسه وسلم على رجال العرب واحدا واحدا ثم دعاهم الى مائدة حوت مالذ وطاب وصرفوا تلك الليلة مع بعضهم وجميعهم فرحون بسلامة الامير ولم يرضى احدا منهم أن يخبره بفعل زوبين الغدار خوفاً من تصديع خاطره على مهر دكار وابنه عمر اليوناني بل ابقوا ذلك الى حين عودتهم .

وكان الامير حمزة فكره مشغول عند لوعة القلوب لانها كانت وحدها في القصر لكنه لم تطاوعه مروءته ان يترك رجاله تلك الليلة فعزم انه في الصباح يذهب اليها .

وعند الصباح ذهب الى قصر لوعة القلوب فوجد بابه مفتوحا فدخله فاذا به يرى الخدم مقتولين على سلم القصر فخفق قلبه على زوجته فصعد الى اعلا القصر وفتش على لوعة القلوب وعلى قهرمانتها

فلم يرى لهما اثر فكر راجعاً في الحال واخبر ابا لوعة القلوب عن فقد ابنته وكيف ان الخدم مذبوحين فخاف عمر العيار على زوجته وقال لاخيه : اذ شئت ان تفتش عن زوجتك وزوجتي فهلم بنا نسير في البحر على احدى المراكب فنلحق بالأعداء ونفتشهم فأسرع حمزة الى البحر وركب مركباً وسار به يخترق عباب البحر فراى مركبا واقفا في وسط البحر فقرب منه وصعد عليه فاذا هو من مراكب الصقالبة فقبضوا على من به وسألوهم عن لوعة القلوب فتقدم رجل يعرف الفارسية وقال لهم : ان جماعة من الصقالبة جاءوا بفتاتين الى مركبهما هذا وبعد أن سار بنا المركب واذا بفتاة من فتيات الجان قد نزلت من الجو الى المركب واختطفت الفتاتين وطارت بهما .

فرجع الامير واخيه الى المدينة حزينين ولما صارا في البر قال حمزة لعمر اني لا أرجع مالم ارجع لوعة القلوب ، وعليه سأطلب من الفرسان أن تعود الى حلب وتنتظرني الى ان اعود ، ثم أسير واياك على بركة الله عساه يهدينا الى نسائنا انه على كل شيء قدير .

فقال له عمر : كفى يا أخي وقد حان الوقت الذي يجب فيه أن ترجع مهر دكار وابنها وطوربان وابنها .

قال : ويلك ، أين مهر دكار وطوربان ؟

قال اعلم يا أخي انك لم تسرع وتخلص زوجتك مهر دكار وإلا فلن تعود تراها ، ثم أخبره بكل ما كان من أمر العرب وزوبين الغدار والنطوش المكار وكيف غدروا بهم وسرقا النساء .

قال : ويلك وأين ابني عمر اليوناني ؟

قال : اننا لا نعرف مكانه ، فاننا في صباح اليوم الذي باغت به العجم مخيمات العرب افتقدناه فلم نجده ، وقد سرت الى المدائن واجتمعت بالوزير بزرجمهر فأخبرني بأن كسرى ارسل خلف هدهد مرزبان ليأتي ويأخذ مهر دكار وباقي النساء والاولاد ليقدموا ضحية للنار في عيد النيروز وانا عازم على خلاصهم ، لكنني اخرت ذلك الى حين مجيئك والآن قد قرب زمان هذا العيد لتقدم الفرس ضحاياها فيه .

فلما سمع الامير هذا الكلام غاب عن الصواب وتوجه الى فرسانه وقال لهم : ويلكم . كيف لم تخبروني منذ البداية بأمر زوجتي مهر دكار وما فعل بكم الاعجام ؟

فقالوا انا ما جئناك بوقت سلام بل وصلنا اليك وقت القتال .

فقال مضى ما مضى ولم يبق الا السعي في خلاص النساء والاولاد ومجازاة كسرى وقومه على الغدر والخيانة .

وفي الحال ودع حاكم قماصيا ووعده انه لايترك لوعة القلوب ولا بد من ان يفتش عليها وسار بكل سرعة مع قومه وابطاله .

وكان السبب في فقد لوعة القلوب هو انها كانت في قصرها واذا بعشرة من الصقالبة دخلوا القصر بغتة وقتلوا العبيد واحتملوها مع فانوس وساروا بها الى البحر وكان الوقت ليلا فنزلوا في مركب وسار المركب بهم الى ان بعد كثيراً عن بقية المراكب ولما اصبح الصباح نظر الصقالبة الى لوعة القلوب فوجدوها حورية من حواري الجنان فمالت قلوبهم اليها وتمناها رئيسهم وقال : اني احب ان آخذها لنفسي ، وهاكم الفتاة الثانية فافعلوا بها ماتريدون فأصروا على العناد وكاد ينشب بينهم القتال ، وبالصدفة كانت اسما بري طائرة في الجو مع ابنتها قريشة فرأت ما هو واقع في المركب فنـ [illegible] تخطفت لوعة القلوب وفانوس وانزلتهما عند بستان نضر وسألتهما عن حالهما فأخبرتها لوعة القلوب بأنها زوجة الامير حمزة وقصت عليه كل ما حصل معها فتكدرت اسما بري والتفتت الى ابنتها قريشة وقالت لها : كيف رأيت أباك فانه اينما سار يتزوج فاني اريد ان اكيده فاقتل هاتين الفتاتين واقتل كل نسائه كي لايبقى له زوجة غيري ، فقالت لها ابنتها : ان ابي حر بذاته فلا تقدرين على عناده ولا ادعك تمدين يدك الى هذه الفتاة فانها خالتي زوجة ابي فاذهبي في حال سبيلك ، ثم حملتها قريشة ووضعتها بالقرب من القرية هناك وقالت لهما : سيرا على توفيق الله فهو يعينكما الى ان تصلا الى بلادكما وتركتهما ولحقت بوالدتها ، فدخلت لوعة القلوب وفانوس الى مدينة صغيرة هناك وسارت لوعة القلوب تسع من حليها وتصرف على نفسها وجاريتها ، ولنتركهما هناك الى أن يأتي الكلام عنهما في محله .

واما الامير وجماعته فداوموا المسير قاصدين حلب حتى وصلوا الى واد اسمه وادي الكمال فنزلوا فيه بقصد الاستراحة فقال لهم عمر العيار ابقوا هنا الى ان اعود اليكم ، اذ مرادي ان اسير الى المدائن وارى كيف حال مهردكار وهل جد شيء جديد بشأنها وربما قدرت على خلاصها وخلاص الذين معها ، فلا بد لي في هذه المرة من أن القي في قلب كسرى حسرة لاينساها . فأجابوه الى طلبه واقاموا في ذلك الوادي ينتظرون عودته وسار هو حتى وصل الى المدائن

فدخل حسب عادته الى الديوان ووقف ينتظر خروج الوزير بزرجمهر حتى خرج فسار في اثره حتى دخل قصره فدنا منه وسلم عليه وقال وقابل له : اني عدت من قماصيا ومعي اخي والفرسان وقد تركتهم في وادي الكمال وجئت اليك اقبل يديك وارى هل الملك كسرى لايزال مضراً على تقديم النساء ضحية للنار ؟

قال : كيف يعدل وبختك الوزير يذكره فيهم كل يوم وانا على احر من الجمر خوفاً من احراقهن مع الاطفال ، وقد قرب عيد النيروز وعما قريب يصل هدهد مرزبان فيأخذهم الى خراسان ويضحيهم جميعاً ، فأسامح الله اخاك حيث تقاعس عن قتل زوبين وسلم الى غدره وخيانته .

فقال عمر : لاتخف ياسيدي على النساء فاني قادر على خلاصهن وسوف ترى اني فعلت شيئاً عجيباً يذكر الى آخر الزمان ، انما اريد ان تخبرني عندما يجيء هدهد مرزبان كيف يكون مجيئه ومن الذي يرافقه وكيف تكون طريقة عبادة النار ؟

فأخذ الوزير يشرح له بالتفصيل كل شيء وكيف في كل عام يأتون المدائن وماذا يكون من كسرى عند وصولهم ، ثم قال له : لاتتهامل يا عمر فان هدهد مرزبان سيكون هنا بعد عشرة ايام فاذا تأخرت هلك الجميع وحاسبكم بها الله في اليوم الآخر ، ولاسيما مهر دكار وطوربان فانهما دائبتان على البكاء ليلاً نهاراً وخصوصاً عندما تريان الوفاً من الجنود والحجاب تحيط بها خوفاً عليهما من الخلاص :

فقال عمر : كن براحة ياسيدي فأني قريباً اريك ما سأفعله وتشهد لي بأني اقدر على اتمام ما اقول . ثم انه ودع الوزير وخرج من عنده منتصف الليل وهو لا يرند ان يضيع دقيقة واحدة وسابق الريح في مسيره حتى وصل الى وادي الكمال حيث كان الفرسان بانتظاره فقال لهم : لاتبارحوا هذا المكان حتى اعود اليكم بالنساء والاولاد وافعل ماخطر في بالي ان افعله لان عيد النيروز قد قرب والمرزبان الاكبر سيأتي الى المدائن ويأخذ النساء المعبد ليقدموا ضحية للنار كفارة عن خطايا اولئك الاشرار . فقال حمزه : دعنا نكمن لهم في الطريق فمتى جاءوا بالنساء فاجأناهم وخلصنا النساء منهم . فقال عمر ان الوزير اخبرني انه سيكون مع المرزبان نحواً من خمسين الف فارس فيحتاج الامر الى قتال عظيم فالاوفق ان تنتظروا هنا الى ان اعود اليكم وارى كيف تكون الحال .

ثم دعا بكبير عياريه واسمه شجعان وامره ان يسير خلفه ومعه خمسة عشر عيارا وساروا جميعاً الى ان وصلوا وادي خراسان وكشف عن بعد فراى خيماً منصوبة فتاكد انهم من الفرس فأوقف عياريه في ذاك المكان واوصاهم ان يختبئوا الى ان يعود اليهم وجاء الى ذلك المعسكر واختلط بهم ثم انفرد بواحد منهم وسلم عليه وقال له اظنكم ياسيدي سائرون الى المدائن فاني منذ اربعة اشهر سمعت بان سيدنا الاعظم وركن ديننا هدهد مرزبان سيأتي لياخذ الكافرات اللاتي نجسن دين النار فيقدمهن مع اولادهن ضحية للنار ، فهل انتم سائرون الى قضاء هذا الامر ؟

قال نعم ، قد خرجنا مع مولانا لنكون في خدمته نستمد بركاته وندفع عنه غارات الاعداء ، وهو الآن في صيوانه مع مرازبته الاثني عشر وبعد قليل من الأيام نكون في المدائن فناخذ هدايا كسرى وكل مايريدان يقدمه اكراماً لعبادتنا ونأتي ايضاً بمهر دكار وابنها وطوربان وابنها ومن معهما لنرميهما في النار يوم عيد النيروز .

فصبر عمر الى ان انفرد بنفسه وجاء الى ناحية هدهد مرزبان فوجد عند بابه اربعة من الحجاب يمنعون الناس من الدخول فوقف ونظر الى الداخل فراى في الصدر رجلا مسناً جليل القدر عظيم الهيبة جالساً على تخت من الفضة محلى بالذهب والى جانب التخت كرسياً من الفضة ايضاً جالساً عليه رجل يقربه بالعظمة والى جانب هذا الكرسي ١١ كرسياً يجلس عليها ١١ رجلا وكلهم من الرازبة وفي وسطهم تنور من الفضة تضرم فيه النيران .

فصار عمر يكفر فيما يفعل وقد عرف ان الرجل الثاني هو كاتم اسرار المرزبان الاكبر وبينما هو على تلك الحالة فاذا به راى الرجل قد خرج فسجد له الحجاب وانفرد لقضاء حاجته فباغته عمر ولف راسه بعباءته وذهب بعيداً عن الصيوان ولم يمكنه من الصياح ، ولما صار في البرية انزله على الارض ورفع العباءة عن راسه وقال : له : اذا حدثتني بكل ما اسالك عليه عفوت عنك ، والا اخترقت صدرك بهذا الخنجر فخاف وقال له اسالني عن كل ماتريد فسوف اجيبك عليه .

قال : ما هو اسمك وما هي وظيفتك عند المرزبان ؟

قال : ان اسمي هرزان كبير مزاربين هدهد مرزبان وكاتم سره والواسطة بينه وبين الناس ، قال والى اين انتم سائرون ؟ قال : اننا

سائرون الى المدائن لناتي بمهر دكار وطوربان ومن معهما لنحرقهما يوم العيد ويوم امس اخبرني ان مراده ان يبقى المعسكر في هذاالمكان ونسير به نحن الى المدائن فناتي بالنساء ونعود جميعاً لان الطريق امان وما من عدو فيها وعند رجوعنا نقيم في هذا الوادي مدة ايام فنقيم العيد فيه ونضرم النار في كل مكان العبادة والسجود وندعو كسرى ان يتبعنا اليه .

وبقي الامير عمر يسأله عن كل ما يحتاج اليه ولما فرغ ضربه بالخنجر فقتله وواراه في التراب بعد ان نزع ثيابه ولبسهما ونظر في المرآة التي معه وطلب ان يصير كهرزان المقتول فصار في الحال نظيره ، وجاء الى المكان الذي به شيحان وجماعته فجاء بهم وامرهم ان يكمنوا حول الصيوان الى ان يدعوهم ، ودخل هو فقام له المرازبة احتراماً ثم تقدم من النار ورمى فيها من البنج شيئاً كثيراً وسد انفه فوقع الجميع كالاموات فدعا بعياريه أن يدخلوا وينزعوا ثيابهم ويلبسوها ففعلوا وطلب من المرآة ان يصيروا كمرازبة النار فصار الجميع ثم تناول خنجره وقتل الجميع ودفنوهم في ذلك المكان ، ولبس هو ملابس هدهد مرزبان وجلس على تخته والبس شيحان ملابس هرزان الذي قتله وجلس الجميع حول النار واقام اربعة من الحجاب عند الباب وهم الذين تبقوا من عياريه ، وبعد ساعتين اصبح ذاك الصيوان بجمع عمر ورفاقه وهم كأنهم من أعظم رؤساء أديان الفرس وناموا تلك الليلة فرحين وعند الصباح نهض عمر من فراشه ونظر الى العيارين وصار يضحك منهم ثم نظر في المرآة ورأى وجهه واذا هو كأنه هدهد مرزبان الذي كان رآه في الليل وحينئذ دعا بشيحان وقال له يا هرزان قل لباقي المرازبة ان يتقدموا مني ويقبلوا يدي قبل ان يدنوا من النار ويسجدوا لها ، فبلغهم شيحان ذلك ، عافاكم الله اتقنتم الصنعة والعبادة ، ثم التفت الى شيحان وقال له اخرج انت ونادي بقواد العساكر أن [illegible]وا أمام الصيوان ويسجدوا للنار حسب عادتهم وبعد ذلك اخطب فيهم واعلمهم بأن غايتي ان يبقوا في هذاالمكان واسير انا بكم الى المدائن ثم أعود بالنساء ونحتفل بالعيد في هذا المكان مدة ثلاثة أيام . ثم توسد عمر على التخت وقال : ياشيحان بارك الله فيك من مرزبان لانظير له بين عبدة النار ، ثم ان هرزان وقف في باب الصيوان وصاح بالقواد فحضر الجميع ومن خلفهم العساكر فقال لهم :

ان النار قد اضرمت فاسجدوا لها ، وفي الحال خر الجميع وسجدوا بكفرهم وضلالهم وبقوا مقدار ساعة ثم رفعوا رؤوسهم ووقفوا ينتظرون ما يأمرهم به سيدهم هدهد ، فقال شيحان : اعلموا ايها القوم الذين اصطفاكم سيدكم الاكبر قاعدة دين النار انه راض عنكم ، فصاح الجميع (فلتنعم علينا النار ببركاته) ، ولذلك لا يريد ان تتحركوا من هذا المكان حيث انه يريد ان يحتفل بالعيد هنا فاسرحوا وامرحوا واحضروا ملابس العيد وانتظروه الى ان يذهب الى المدائن ويبارك كسرى ويستلم منه الضحايا والاموال التي اعدها لكم ، وحيث انه من عوائدكم في مثل هذا العيد المبارك ان يقدم كل منكم تقدمة للنار لتحرق على نيته فاحضروها الى حين عودته ، واعظم شيء اوصاني عليه سيدي وسيدكم هدهد مرزبان ان لايقرب احدكم من المكان الذي نصب به صيوانه لانه مقدس ، وغايته ان يجعل الاتون الكبير في هذا المكان ، فاياكم ان تدنوا منه فيغضب عليكم ومن اقترب منه يكون محروماً من قاعدة الدين ، واخيراً اني اطلب الى النار ببركة هذا السيد العظيم ان تقبل ارواحكم وتحرق ارواح آبائكم واجدادكم وتحفظها فيها الى ابد الآبدين . وعند فراغ هرزان من خطبته ضج الجميع بالدعاء للمرزبان الاكبر وحينئذ اشار اليهم ان ينصرفوا فانصرفوا شاكرين ، وبعد انصرافهم تقدم شيحان من سيده وقال له: لقد بلغت القوم ما امرتني به فماذا تريد بعد ذلك ؟

قال : اريد ان تلف هذا الصيوان وترفعه على البغال وتقدموا انتم وتحملوا هذا التخت وتسيرون بي في طريق المدائن . فقال له شيحان : ان هذه عملية شاقة تريد ان تحملنا اياها ، فكيف نحملك انت والتخت الى المدائن ؟ فقم وامش مثلنا .

قال : قلت لك افعل ذلك والا امرت النار ان تحرقكم وتغضب عيلكم اذا عصيتم امري ، فضحك هرزان وقال له اننا نحملك الى ان تغيب عن المعسكر وبعد ذلك نرميك على الارض ، ثم انهم حملوا التخت على عواتقهم وطافوا به في كل الجهات وساروا عن تلك الارض الى ان قرب العصر فالتفوا ورائهم فلم يروا احداً وقد بعدوا كثيراً عن المعسكر فقال شيحان انزل ياعمر فقد تبعنا منك ؛ قال : قلت لكم سيروا والا عزلتكم وطلبت من النار ان تغضب عليكم .

فامر شيحان ان يضعوا التخت عن كواهلهم وقال لعمر : جعلناك مرزباناً على الاعجام لا على العرب ، فنهض وهو يضحك منهم ورفعوا

التخت وساروا على تلك الحالة حتى كادوا ان يقربوا من المدائــن ، فقال لهم عمر : قد اشتقت للحمل فصار من الواجب ان تعودوا الى وظائفكم وتوقدوا النار ولا تظهروا خلاف ما علمتكم كي تقهر الفرس ونسترجع النساءوالاولاد ، فساروا به حتى لم يعد بينهم وبين المدينة الا ساعة واذ ذاك ارسل شيحان الى كسرى يعلمه بقدومه ، فأجاب وسارحتى دخل باب المدينة فرآه الناس وفرحوا به وجعلوا يزدحمون عليه ويقبلون يديه ويرفعون اذياله لعلمهم انه كبير مرازبة هدهــد وحافظ سر النار، واستمر سائراً حتىوصل ديوان كسرى فتراكض الحجاب واخبروا الملك كسرى فارسل وزيره بختك لملاقاته ففعــل ودنا منه وزاد في اكرامه وسأله عن هدهد مرزبان فقال له : قــد جاء وهو خارج المدينة محمولاً على اعناق المرازبة وارسلني لاخبرك بقدومه لتخرج اليه وتقبل يديه مع اعيانك ووزرائك لكي لاتخسرون البركــة والرضى فاظهر كسرى الفرح وقال : هذا فرض علي فاني ذاهب اليه من هذه الساعة ثم امر الجنود ان تقف على جوانب الطرقات وانتزين كل الجهات وخرج بموكبه الى خارج باب المدينة فشم رائحة المسك فانتعشت روحهوسجد الجميع لعلمهم انهامنبعثة من النار التي تضرم امام هدهد مرزبان ولما وصلوا من التخت وقفوا بعيداً عنه وقــال كسرى : تقدم من سيدي هدهد واخبره بقدومنا واسأله ان يرضــى علينا ويسمح بتقبيل يديه ، فتقدم من عمر وهو موسد على التخت غير مهتم بمن حضر فسأله هرزان السماح بتقبيل يديه ، فأشــار بيده ، ثم بعد ساعة اشار اليهم ان يذهبوا امامه واشار الى المرازبة ان تحمله وتسير الى المدينة .

فتعجب كسرى من ذلك وقال لبختك : ماذا تظن ياوزيري اي شيء عملناه فأغضب استاذنا ، قال : لا اعرف واني محتار من ذلك واخاف ان يذهب بالنساء ولا يسمح لنا بهذه البركة العظيمة ولابد له مــن رحمتنا فيأذن لنا بتقبيل يديه ، وعاد كسرى سائراً الى الايوان وهو مرتعب القلب خائف ان تكون النار غير راضية عنه .

اما عمر فانه امر المرازبة ان تسير به وان توقد التنور ويحمــل بين يديه ففعلوا وحال دخولهم المدينة سجد الناس الى الارضمكرمين النار ومحترمين قاعدة الدين هدهد مرزبان يتباركون من النظر الى وجهه ولنساء تزدحم من كل الجهات وتسأله بان يرضى عليهن وعلى اولادهن وكانوا يرمون عليه الزهور من النوافذ وهو على التخت غير

مهتم بكل هذه الامور الىأن قربمن الديوان فدخل والحجاب سجود على الارض ووضعه المرازبة في الوسط وحينئذ نهض الجميع وقوفاً ورفعوا رؤوسهم ينتظرون الامر بالاذن لكي يتقدموا ويقبلوا ايديه ودام ذلك مقدار ساعة واخيراً قال كسرى لبختك : تقدم من هرزان وقل له ان يسأل لنا سيده بقبولنا ويسمح لنا بتقبيل يديه .

فتحرك حينئذ عمر وابدى اشارة الرضى ثم جلس وأشار الى كسرى وقومه ان يتقدموا ، فتهللت وجوههم من الفرح ودنا كسرى وقد رفع التاج عن راسه ثم تقدم من السرير فمد له عمر يده فقبلها باحتشام ثم تقدم بعده افلنطوش وقبل يده وراد الرجوع فامسكه ونظر اليه نظرة القبول وقال له : ان النار راضية عنك لانك فعلت مع اعدائها فعلاً يذكر فرجع والدنيا لاتكاد تسعه من شدة الفرح ،وتقدم بعده بختك وقبل يده ثلاثاً فقال له : انت مكرم ومحبوب من النار لانك حافظت على دينها فرجع وتقده بعده بزرجمهر وقلبه يلتهب من الغيظ وهو خائفعلى مهر دكار وطوربان وثبت عنده انهما ستسلمان الى هدهد مرزبان في ذلك اليوم مع النساء والاطفال . ولما اخذ يد عمر واراد ان يقبلها ضغط على يده وقلبها فانتبه الوزير وتذكر حالاً كلام عمر العيار وقبل اصبعه ورجع وهو يقول : لله درك يا عمر ما اشد حيلك واكثر خداعك فقد فعلت الآن فعلاً عظيماً وأبقيت في قلب كسرى حسرة لاتمحى الى آخر الايام ، ومن بعد ذلك تقدمزوبين فهش في وجهه والتفت الى كسرى وقال له : أوصيك ايها الملك ان تكافىء زوبين احسن مكافأة فقد نصح في خدمة النار ، فقال سمعاً وطاعة سأجعله حاكما في بلادي ، وبعد ذلك تقدمت الاعيان والامراء والكل يقبلون يديهويرجعون باحتشاموهو يتظاهر بالعظمة والمجد ولما فرغ الجميع من تقبيل يديه اشار لهم بالجلوس فجلسوا فدعا هدهد مرزبان بهرزان وبلغه ان يخطب فيهم خطاباً بليغاً ، فأجاب الىذلك ووقف في الوسط وقال : ان الاستاذ العظيم قد امرني بكلام اقوله لكم وهو ان النار قد أعزتكم وقد أوصاني ان اقول لكم ان بينالعرب رجل شديد الاحتيال كأنه شيطان اسمه عمر العيار فاحذروه كل الحذر واذا وقع في ايديكم فاذيقوهموارد الضرر لان النار غاضبة عليه فلا تقتلوه في الحال فيكون لكم بذلك الاجر السديد والسلام .

فلما سمع كسرى وقومه هذا الخطاب صاحوا بالدعاء للاستاذ الاكبر واذ ذاك قال هدهد مرزبان لكسرى اني اريد منك الآن ان

تسلمني مهردكار طوربان وباقي النساء مع الاموال التي اخذهـا افلنطوش من العرب لاسير بهم الى وادي خراسان لان مرادي ان احرقهم في ذلك المكان واما انت فاتبعني بعد ثلاثة ايام مع كل فارس وبطل لتشاهدوا حرق الجميع واطلب من النار أن تباركم وتنصركم على اعدائكم .

ثم ان عمر نزل عن السرير ومسكه اثنان من المرازبة من تحت ابطه وامر كسرى وحده ان يسير امامه الى القصر المقيم به النساء فاطرق فسرى الى الارض وصار بين يديه ذليلاً حقيراً الى ان وصل الى سراي الحريم فخر الحجاب من كل الجهات وفتحوا لهم الطريق فدخل كسرى ومن خلفه هدهد مرزبان فقدموا له سريراً من العاج وجلس عليه ليرتاح .

ثم امر أن تقدم اليه مهردكار وطوربان وابنائهما ، فقدموا جميعاً ووقفت مهردكار امامه فمد لها يده كي تقبلها ، فقالت اني امراة عبدت الله سبحانه وتعالى وعرفت الحق فلا اميل لغيره ، قال : انت عاصية على النار حتى غضبت على ابيك ولاترضى عليه الا بعد ان يسمح بك وتحرقين ، وسوف ترين ما يحل بك .

فقالت : اني اعرف ان النار التي تعظمها هي من القش والحطب، واني اعتقد ان الاله الذي يعبده زوجي يسهل لي الخلاص من ايديكم ويبعد عني الضرر ويحفظ لي ولدي ويرجعني الى زوجي ، فاظهر هدهد الغضب وقال لابيها ان ابنتك قد تمادت بالكفر وصار من الواجب حرقها في اقرب وقت وكانت والدة مهردكار موجودة فرمت بنفسها على رجليه وقالت : ياسيدي لاتؤاخذها فلا بد من ان تعرف الحق وترجع الى دينها ، فقال لابد من احراقها فرجاؤك غير مقبول .

ثم التفت الى طوربان وقال لها : وانت كيف تركت اباك وقومك ودخلت في دين غير دينك ؟

قالت: حملني على ذلك الحق والسعادة ، لان زوبين الغدار ارادلي الشر فأرسل الله عمر العيار وزوجي فخلصوني وعرفت ان الله سبحانه وتعالى هو القادر على كل شيء ، ولابد من ان الله سوف يرسل لنا عمر العيار فيخلصنا من ايديكم . فقال لابد من احراقكم جميعا .

ثم امر أن يحملوا السرير ففعلوا ورفعوه على عواتقهم فجعل نفسه نائماً وساروا بين يديه النساء والاولاد وهو مسرور بنجاح غايته ،

وبعد انخرجوا من المدينة التفت فراى الملك كسرى سائراً على الاقدام مع حاشيته فاشار اليهم بالرجوع فرجعوا وسار وهو محمولا على طريق خراسان طيلة ذلك النهار وفي المساء انزلوه وقال له شيحان: كفاك دلالا فاننا كدنا نهلك من التعب وانت مسرور .

قال : بارك الله فيكم فانكم مرازبة امناء على خدمة سيدكم . وانت باهرزان سأوصي ان تكون بعد موتي مكاني ، فقال له شيحان : دع منك عنك هذا الهذيان فقد انتهت اعمالنا ومن الان فصاعدا سوف لانسير بك ولاخطوة واحدة ، وما انت الا عمر العيار . ونريد ان لا تنسانا من هذه الهدايا . قال : لكم ولأخي حمزة ، ثم نصب الصيوان وجلس فيه وامر ان تقدم اليه مهردكار وطوربان لوحدهما فقدموهما فمسك مهردكار من يدها وقال لها : تقدمي مني ، فانتشلت يدها وقالت له : دعني منك ايها الكافر ومن لا دين له ، وما انت عندي الا رجل الاحتقار ، قال : اني قادر على هلاكك وبعد قليل سأقدمك للنار ضحية ، قالت : انك لأعجز من ان تمد يد الأذى الينا . واني ما زلت اعتقد ان الله سبحانه وتعالى قادر على خلاصنا . وان شقيق زوجي عمر العيار ينتظر الفرص لينقض عليك مع اخيه حمزة وباقي فرسان العرب وسيهلكونك وينقذوننا من بين يديك .

فلما سمع كلامها لم يتمالك ان يمسك دمعة سقطت من عينيه وقال لها : مرحباً بك يامهردكار ، فانت بالحقيقة جوهرة النساء وان ما رايته منك من الاعتماد على الله قد اثبت لي صدق ايمانك . فانا عمر العيار وقد خلصتك وخلصت طوربان فافرحوا وابعدوا عنكم الاحزان وان اخي حمزة وباقي الفرسان قريبون من هذا المكان فاستعدي للاجتماع بهم .

فلما سمعت مهردكار هذا الكلام اغرورقت عيناها بالدموع من شدة الفرح ومثلها طوربان وقد شكروه ودعوا له بالبقاء وطول العمر، ثم امر ان يقدم الطعام فأكل الجميع وشكروا الله سبحانه وتعالى وبعد ذلك تقدم من السرير وقطعه قطعا صغيرة ووضعه ، جراب اسماعيل ثم خلع رجاله البستهم فوضعها كلها في الجراب وساروا الى وادي الكمال .

وقد سبق شيحان واخبر الامير بكل ما فعله عمر وقد خلص مهر دكار وطوربان والاولاد ففرح اشد الفرح وخرج لملاقاتهم ، ولما اجتمع بهم سلم عليهم وهو لايكاد يصدق انه يراهم ، وبعد ان استراحوا

من مدينة حلب فخرج اهلها لملاقاتهم مع من بقي من فرسان العرب ، وكان لهم يوماً عظيم الشأن وقد اقاموا الولائم ثم واعلنوا الافراح في كـل جهـة .

ونعود الى كسرى فانه اخذ يستعد للمسير في اثر هدهد مرزبان وامر وجماعته واعيان دولته ان يكون كل منهم حاضراً لقضاء ايـام العيد في المكان المعهود ، ولما انقضت المدة المحددة ركب كسرى وبختك وبزرجمهر وكل فارس عظيم الشأن واعلنوا في المدينـة ان مرادهـم الذهاب الى هدهد مرزبان وسار كسرى واعيانهم وتبعهم كثيرون من كهول وشبان ونسـاء واولاد لان ذاك العيد عندهم من اعظم الاعياد وافضلها ، واستمر كسرى في مسيره حتى قرب من وادي خراسان وعرف بقدومه الرجال الذين تخلفوا في ذاك المكان وبعد ان لاقوه حيوا ايام وقد استام مهردكار وطوربان وباقي النساء والاولاد وكل ما جيء ملكهم كسرى وسألوه عن هدهد مرزبان فقال لهم انه رجع منذ ثلاثة ايـام وقـد استلـم مهر دكـار وطوربان وباقـي النساء والاولاد وكل ماجيء به من عند العرب من الاموال ، فقالوا انه لم يصل الينا ولم نره بعد .

فطار صواب كسرى عند سماعه هذا الكلام وقال لبختك : اتظن ان مرزبان سار في غير طريق ؟ فخفق قلب بختك وحدثه قلبه انه لا بد من وجود حيلة في هذه المسألة ، فقال لكسرى : اني لا اظن ياسيدي ان هدهد مرزبان يضل الطريق ، وان صدق ظني يكون قد راقبه عمر العيار وقتله مع المرازبة واخذ النسـاء والاموال . فازداد غيظ كسرى واطرق الى الارض ثم التفت الى بختك وقال : اني اطلب منك التحقيق في هذا الامر لاعرف اين توجه قاعدة ديننا فنظر بختك الى جماعة خراسان وقال لهم : هل رايتم احداً غريباً قبل سفر سيدكم من هذا المكـان ؟

قالوا لم نر احداً قط ، ولكن قبل سفره خرج الينا هرزان المرزبان وخطب فينا واوصانا ان لانقترب من المكان المضروب فيه الصيوان ومن خالف ذلك غضبت عليه النار ، ثم سار مع مرازبته ومن حينها ونحن بانتظاره ، فقال لهم دلونا على المكان الذي كان قد ضرب فيـه الصيوان فساروا جميعاً الى ذلك المكان وقبل ان يصلوا اليه بمائـة خطوة شموا رائحة كريهة فارتابوا في الامر وتقدموا الى مكان الصيوان فنظر بختك واذا به يرى التراب محفوراً جديداً فامر ان يرفع التراب

فعلوا فاذا يرى هدهد مرزبان مذبوحاً مع جماعته ومطموراً بالتراب فلطم وجهه وغاب عن صوابه وقال :

يالها من مصيبة عظيمة ياسيدي ، فان العرب قد قتلت مرازبنة ديننا ولم يبق منهم أحد ، وان الذي فعل ذلك هو عمر العيار وجماعته ولايقدر احد غيره ان يفعل هذا العمل الخطير .

فلما سمع كسرى هذا الكلام وقع على الارض وغاب عن الوعـــي نحو ساعة من الزمن ثم افاق على نفسه وقال :

هل بلغ من قدر العرب أن تفعل بنا مثل هذه الافعال ، لاسيمـا هذا العبد الخبيث تجاسر ان جعلني أنا ملك ملوك العجم والفرس وسيد هذا الزمان أن اقبل يديه واقف ذليلا حقيراً ، فاهلكته النار النار ولعنته الف لعنة واني اقسم بالنار ان من جاءني بعمر لاقتلـه واشفي غليلي منه أعطيه نصف ملكي هذا ، وقد صعد الدم الى راسه وكاد يختنق ومضى عليه وهو في هذه الحالة ساعتين ثم التفت الى بختك وقال له : انت أصل هذا البلاء واني اقسم بآبائي ان كل مـن ذكر لي العرب منذ هذه الساعة قتلته ولو كان ابني الاكبر ثم فكـر بما كان من عمر وتصور كيف مد له يده ليقبلها بعد الرجاء والامتنان ثم نهض الى جواده فركبه غير ملتفتاً الى تلك الارض وسار خلفـه قومه وقد نشر على قصره وديوانه القماش الاسود وفعل مثل ذلـك كل اعيان البلد وكان الحزن شاملا ، وصار عندما يخرج الى ديوانه يتمثل امامه شخص عمر العيار فيضطرب ولايقدر احد من قومه أن يذكر له العرب أو اسم احدهم .

ولنترك كسرى حزيناً ، ونعود الى العرب وافراحهم ولم يكن شيء يكدرهم الا غياب عمر اليوناني ، وكان الامير حمزة يتمنى أن يعرف مكانه ، هذا وقد ارسل بعض العيارين لاستماع اخباره عسى أن يقف احد منهم على خبر لمكان وجوده .

وقد مضى على العرب نحواً من اربعين يوماً في ذاك المكان ينتظرون ما سيكون من امر كسرى لكنهم لم يعلموا من أمره شيئاً عندها قال الامير حمزة : ها قد مضى اكثر من شهر ونصف ونحن نجهل تدبير كسرى واخشى ان يكون قد عمد الى حيلة جديدة او عاد الى جمـع الجيوش ليفاجئنا في هذا المكان انتقاماً من عمر العيار .

فقال عمر : سوف اسير بنفسي حسب عادتي واكشف لكم خبر كسرى وماذا يدبر ، فقال الاندهوق : نخاف عليك ان تقع في قبضـة

وهو مغتاظ منك فلا يبقي عليك ، قال : انني اعرف ذلك ولكن لااظن ان احداً من العجم اوغيرهم اذا تزيبت بزيه يقدر على معرفتي فكونوا بأمان من هذا القبيل .

سار عمر الى ان وصل الى المدائن ما راى اهتماماً كالسابق ، فدخل الى الايوان ووقف بين الحجاب ونظر الى كسرى فرآه مطرق الى الارض لايتكلم ولايقدر ان يفوه بكلمة امامه فزاد عجبه وشعر ان كل ما هو جار كان بسببه وبقي واقفا الى ان ارفض الديوان فتأثر بزرجمهر حتى دخل الى قصره فدخل عمر خلفه واغلق الباب ثم تقدم منه وقبل يده فهش له الوزير وقبله بين عينيه وقال :

مرحباً بك ياخا العرب ، انك القيت بقلب كسرى حسرة لاتمحى الى آخر الزمان ، ان مافعلته انت بيوم واحد اوقعه بالحزن مدى الحياة ، وعلى ما اظن ان كسرى سيبقى على هذه الحالة مدة غير قصيرة وعلى كل يجب على العرب أن تكون متيقظة وتحافظ على نسائها وأطفالها ، فوعده عمر بكل مااوصاه به وسار من المدائن عائداً الى حلب وقد التقى بقومه واخبرهم بما كان من كسرى وما اخبره بزرجمهر ، فقال الامير حمزة : الآن صفا لنا الزمان ولا من شيءيكدر علينا صفونا الاغياب ولدي عمراليوناني ، ولكن املي بالله بأن يجمعني به عن قريب ، وقد صرف العرب اكثر من ستة اشهر وهم في راحة وهناء لاحرب ولا قتال ، وبينما كان الامير جالساً في صيوانه وعنده فسانه وابطاله واذا بخادم اصطبله وقف بين يديه .وهو مطرق الى الارض فارتاب الامير من امره وقال له : ماسبب حضورك في مثل هذا الوقت ، هل اصيب جوادي بأمر ما ؟

قال : اعلم ياسيدي اني منذ ثلاثة أيام خرجت الى احدى الحقول وسرحته هناك وعدت لقضاء بعض مصالحي ومن ثم عدت الى ذلك الحقل فلم فعلمت ان الجواد قد سرق واخذ الى خارج القبيلة فلما سمع الامير هذا الكلام وقع عليه أشد من ضرب الحسام وبقي برهة مطرقاً الى الارض ثم التفت الى عمر العيار وقال له : سرانت وفرق عيارك في سائر الطرقات عسى احداً منهم يعثر عليه فانطلق العيارون للتفتيش عليه .

وبقي الاميرمشغول الفكروالخاطر على جواده ، وقد عاد العيارون بالخيبة والفشل ، ورجع عمر وقال لاخيه : اني فتشت في كل هذه النواحي فلم اعثر عليه ، ولذلك عولت ان اذهب الى الحدائق فلربما يكون الذي سرقه يذهب به الى هناك .

قال : سر متكلا على الله سبحانه وتعالى فهو يدلك الى الصواب فسار عمر بعد ان غير زيه وصار كواحد من الاعجام وقد دخل الحدائق ووقف في ديوان كسرى فرآه كالمرة الاولى عابساً لايبتسم فانتظر الى ان انفض الديوان وخرج بزرجمهر فاقتفى اثره حتى دخل قصره فقبل يده وسلم عليه فسأله عن اخيه وباقي العرب فقال له : الجميع بخير ولكن جواد حمزة قد سرق فجئت الى هنا لاكشف امره فهل لسيدي الوزير علم بذلك ؟ قال : نعم اني عرفت بسرقة الجواد واظن ان اخاك ماعاد يقدر ان يصل اليه بطول حياته . قال عمر : ولماذا ياسيدي ومن الذي سرقه ؟ .

قال : ان الذي سرق الجواد هما عمر بن شداد وصقلان الروحي الذين تركهما اخوك في مكة يكنسان اسواقها ففرا من مكة وجاءا الى حلب واختلطا بالعرب وكان مرادهما الايقاع بك وباخيك فراياك ساهراً على نفسك وعلى اخيك ، وفي ذات يوم كانا خارج المدينة في احدى الحقول فرايا جواد اخيك فقال احدهما : هذا جواد الامير حمزة فاذا اخذناه وتركناه يحترق عليه الى الابد ، ثم تقدما من الجواد ليمسكاه فلم يقدرا عليه فأتياه بفرس وقدماها اليه واحتالا عليه حتى قيداه وجراه خلفهما ودخلوا المدائن فرحين مسرورين ودخلا على كسرى ومعهما الجواد فغضب غضباً شديداً وسأل بختك من الذي اذن لهما ان يأتيا بالجواد ثم طردهما من امامه وامرهما ان لايبقيا الجواد في المدائن والا قتلهما . فخرجا وفي المساء اجتمعا بالوزير بختك فقال لها : ان كسرى لايطيب خاطره ولا يهدا غيظه ما لم يقبض على عمر ويقتله وبما ان الملك لايريد ان يبقى هذا الجواد في المدائن فخذوه واذهبوا به الى بلاد العبيد والسودان الى فرهود صاحب التكرور فهو قادر ان يحميكما من غدرات الايام وانا اعرف ان العرب لايتركون الجواد ، واني سأكتب كتاباً الى فرهود اوصيه بكما فاستحسناهذا الامر ، وقد جاءني احد خدام بختك بكل ماسمع وقد تكدرت من هذا الخبر وحزنت على الجواد الذي لا نظير له .

قال : اني اعدك ان اخي سيذهب الى تلك النواحي ويأتي بالجواد ويقتل فرهود ويجازي الصين وسوف تصل اليك الاخبار .

قال : وفقه الله وابعد عنه كل شر وقهر اعداءه بين يديه فشكره عمر على غيرته وقبل يديه وخرج من المدائن ولما وصل الى حلب دخل على اخيه واعاد عليه كل ما سمعه من بزرجمهر عن الجواد وانه اخذ

الى بلاد السودان الى فرهود فغضب حمزة وقال : سأسير في اثرهما اينما سارا ولا اترك جوادي ولو اخذوه الى داخل البحور السبعة وعليه فاني عون ان اذهب الى خلاصة فمن اراد منكم المسير معي فليكن على استعداد ومن اراد البقاء في هذه البلاد فله الخيار .

فقال الجميع: اننا لانفارقك ولانبتعد عنك فشكرهم الاميرواوصاهم ان يكونوا على اهبة المسير فيمدة ثلاثة ايام، فأخذوا في تدبير امورهم وحملوا الاحمال والخيام وكل مايلزمهم من المؤن وفي اليوم الثالث ركب الامير على جواده الاشقران وركب الى جانبه بقية الامراء والفرسان وساروا عن حلب بعد أن حصنوها ولازالوا في مسيرهم حتى وصلوا الى دمشق الفيحاء وكان ذلك في زمن الربيع فسر الامير من تلك الارض وامر عساكره ان تنزل في ضواحي البلد واوصى ان لا احد يمس المزروعات فخرجوا اليه اهل البلد وترحبوا به كل الترحيب وقدموا له الاكرام الزائد هذا وقد صرف الامير ايام الربيع عندهم وقد رأى من الانس واللطف مالم يره في بلد من البلدان التي مر عليها .

وما برحوا فيذاك النعيم مدة غيرقصيرة حتى قارب فصل الخريف فرحلوا من هناك آسفين على فراق أولئك الناس الذين ضربت بأنسهم وكرمهم المثال ، ماعدا طوربان . فانها كانت تلك المدة مفطورة القلب باكية العين على بعد زوجها عنها وليس عندها الا ولدها سعد وقد قارب العشر سنوات من عمره ، وداموا مسيرهم مدة إيام حتى قربوا من مصر وشاع خبر وصولهم الى تلك الديار ، فصارت العمال وحكام المقاطعات يأتون اليهم ويقدمون لهم كل احتياجاتهم وحضر حاكم مصر وسار بين يديه الى المدينة وقد خرج الكبير والصغير الى ملاقاته وقد زينو البلد احتفاء بالامير وقومه وبقي عدة ايام ولما عزم على الرحيل وصل الى الامير اندهوق كتاباً من عمه يقول فيه اعلم يابن اخي انه في هذه الايام طمع فينا ملوك الشركان وهم ثلاثة ومعهم عسكر جرار وقد زحفوا علينا وفي نيتهم ان يملكونا فدافعنا عن بلادنا دفاع المستميت لكننا لم نقدر عليهم فحاصرنا داخل المدينة لحين حضورك الينا فاياك والاهمال فان البلاد ستخرب والنساء ستبقى والرجال ستقتل ولايبقون على احد فاسرع بقومك والسلام .

فلما قرأ اندهوق الكتاب اطرق الى الارض برهة فقال له الامير : هيا بنا الى بلادك يااخي لنفرج عنكم هذا الكرب ومن ثم نعود الى بلاد السودان ونخلص الجواد :

فقال له : الامر لايحتاج الى مسيرنا كلنا فاني اعرف من نفسي، كفؤ لهلاك المعتدين غير ان الذي يكدر في هواني اريد ان أبقى بين يديك واقاتل في ركابك ، قال : اننا واثقين من بسالتك واقدامك . فسر الى بلادك واكشف عنها الضيم واذا رأيت ان الامر بحاجة الينا سرنا اليك وكشفنا عن بلادك الهم والغم . فاجاب اندهوق رأي الامير ونهض بقومه وودع العرب وهو باكي العين ورجاله الذين جاء بهم وهو يتمنى أن يصل باقرب وقت، وبعد مسيره امر امير العرب ان يركبوا ويسيروا في طريق السودان ليزحفوا من هناك على التكرور فركبوا ومشوا والامير في مقدمتهم وهو حزين جدا وما بعدوا عن مصر الاساعات قليلة حتى ظهر من خلف غبار مرتفع ومن تحته فرسان تسير مسرعة نحو مصر فوقف الامير في مكانه وقال لاخيه عمر سر واكشف خبر هؤلاء [illegible] [illegible] هو قائدهم واذا به [illegible] فلمتهم الامير عمر اليوناني والى جانبه رجل عظيم فصاح صياح الفرح وتقدم نحوهم فلما رآه ابن حمزة ترجل عن جواده ورمى نفسه عليه وصار يقبله وهو يشكر الله على سلامته واخبره بأن اباه ارسله ليكشف خبره وانه بكدر عظيم من اجله ثم انه رجع الى الامير وقال بشراك يا اخي فقد فرج الله كربك وارجع اليك ولدك وهو [illegible] سالم من غدرات الزمان ، فطار فؤاد الامير فرحاً وكاد يغمى عليه من شدة الفرح وما لبث حتى وصل ابنه فترجل وتقدم وصار يقبله ويشكر الله على رجوعه اليه سالماً وفعلت مثله جميع فرسان العرب وكان الفرح شاملاً وامر الامير ان يعود الجميع الى مصر ليبقى هناك بعض ايام اكراماً لولده ليرتاح من مشاق السفر والجهاد في تلك [illegible] [illegible] ، فرجعوا ثانية الى المدينة [illegible] [illegible] المدينة وهنا الامير بولده واولم وليمة عظيمة اكراماً له وزين المدينة زينة فاخرة وبعد ذلك سأل الامير ابنه عن [illegible] في اى مكان كان كل هذه المدة ؟ فاخبره بقصته من اولها الى آخرها وقال :

لما جرحني زوبين الغدار وشرد بي الجواد كنت غائباً عن الصواب فسار بي الجواد سيراً حثيثاً الى ان وقف في ارض مقفرة فانتبهت الى نفسي قليلا فرأيت الدم يسيل بغزارة من جرحي وقد يئست من الحياة وكان همي العظيم طوربان وولدهما سعد وخفت ان اموت ولا اراهما وبينما على مثل ذلك فاذا بثلثمائة من الاكراد تحت رئاسة

الامير الفضبان قد صادف مرورهم من ناحيتي فراوني ملقى على الارض وانا ائن من الوجع والالم فشفقوا علي وتقدموا مني وحملوني معهم بعد ان ضمدوا جرحي وساروا بي حتى جاؤوا قبيلتهم وكانت القبيلة تحت امرة اخت الفضبان وهي من البنات ربات الجمال واسمها هدلا فعرضوا امري عليها فحنت الي وقالت لهم حسناً فعلتم لان الانسان يحتاج الى مساعدة بني جنسه ، وامعنت في النظر فعلمت انني من ابناء الامراء فامرت أن يضعوني في بيتها وان يلازمني الطبيب صباحاً ومساء الى أن اشفى وتذهب عني الآلام وصارت كل يوم تأتي الي وتخدمني بنفسها وقد صرفت عندها ستة اشهر حتى قدرت بعدها عن الجلوس والكلام فدنت مني الاميرة هدلا وهي مسرورة بشفائي وقالت : اعلم ايها الرجل اني لست من الناس الذين يتباهون بعمل الجميل ولا احب ان اسألك عن نفسك كي لا يقال عني بأني عملت لاجل غاية حتى ان نفسي لاتساعدني ان أعرف من هو الذي عملت معه المعروف ويكفيني ان اعرف انه انسان فقط .

اما الغاية ان اعرف أصلك لتأكدي انك من السادات العظماء ، قال : اني لا اريد أن أباهي بنفسي وجل قصدي كان ان اخفي امري الى ان يسمح لي الزمان حتى أكافئك على معروفك غير اني لا احب الكذب ، وحيث انك سألتيني عنه فاشرحه لديك لتعلمي بأنك وضعت الحبل في محله، فأنا ابن من رجح ميزان العرب واخفى شمس العجم، فاهتزت طرباً وقالت : انعم وأكرم لقد عرفت بأنك ابن فارس برية الحجاز الامير حمزة البهلوان الذي تمنيت ان اكون في ركابه فهل انت من زوجته مهردكار ؟ قال : كلا ثم حكيت لها قصتي من الاول الى الآخر الى ان جرحني زوبين الفدار وكيف شرد بي الجواد فقالت : قطع الله زوبين الغدار واني شكر الله الذي أوصلك الي ، سمح لي ان اخدمك فتكون مكافأتي عندك قبولي خادمةلك . فأدركت غايتها من انها تريد الزواج مني وقد اعجبني حسنها وكرامة اخلاقها وكنت اريد ان امتنع كي لااغيظ طوربان الا انني كنت اشعر بمعروفها معي واهتمامها بي لكني اظهرت بانني لا ازال اتألم وكانت قد ادركت بفراستهاوعرفت ان سببترددي كوني متزوج بغيرها وكانت تتحرق كيف سبقتها عليه طوربان ومع كل ذلك فقد علقت املاً كبيرا بأنها ذات يوم تكون زوجة لي وزاد هيامها وغرامها وعندما تأكدت بأنني من أشرف الناس وان ابي الامير حمزة فزادت في اكرامي وانتشر

خبر ذكري في كل القبيلة فصار كل واحـد منهم يرغب ان يشاهدني ويخدمني وبقيت على ذلك مدة شهر ايضاً الى ان شفيت تماماً وصار بامكاني ان اركب برفقة الاميرة هدلا واخيها ونسطو على كل عاص وكثيراً ما كنت ازور هدلا بقصرها ونقضي الساعات الطوال على الحظ والانشراح ورايت نفسي مضطراً ان ابادي جميلها بجميل مثله وفي النهاية اتخذتها زوجة لي وزففت عليها وسررت من قربها وبعد ان انقضت عدة ايام قلت لها : قد انتهى الآن كل شيء ولا يخفاني انني منشغل البال بسبب اهلي ولا اعرف ماذا جرى عليهم في غيابي فأرى من الواجب علي المسير الى حلب والانضمام الى العرب ،

قالت لي : اليك ما شئت فاننا كلنا عبيدك وبين يديك وما من احد خالفك ، فركبت وركب معي الغضبان وداومنا المسير مدة ايام حتى صلنا الى حلب فلم نر هناك احداً من العرب فخفق قلبي وقد علمت ن حاكم حلب بأن ابي وقومه سار في طريق مصر الى بلاد العبيد السودان واخبرني بقصة الجواد وفي اليوم التالي رحلت متتبعاً ثار ابي حتى وصلت الى الشام فأخبروني انه سار وهكذا الى ان جتمعت بك في مصر .

وكانت طوربان اشد الجميع فرحاً وقد زالت عن قلبها الاحزان، لما دخل عليها تلقته وترحبت به وسلمت عليه فأخذها الى صدره قبلها في جبينها وشكر الله الذي رآها سالمة وكذلك ولده سعد ورآه د كبر وصحته جيدة ففرح به واخبر زوجته بما كان من امره فقالت : الحمد لله الذي ارجعك الينا سالما ، ثم روت عن كل ما كان من امرها عند كسرى وكيف انه اراد العرب مع ولدها الى ان جاء عمر العيار وخلصهم جميعاً ، فقال لها : يا ذل العرب من بعده ، ثم قضى ليلته عندها الى الصباح .

وبقي الامير حمزة في مصر سبعة ايام وبعد ذلك رحل من هنا في طريق بلاد السودان بتلك الحملة العظيمة ودام في المسير بعد ذلك الى الملك فرهود صاحب التكرور فضربوا خيامهم ونزلوا في ساحة فسيحة وقدسدوا السهل والجبل وضرب الامير حمزة صيوان ليون شاه ونصب عند بابه علم بيطار وقد تزينت من جماله تلك الارض .

ثم كتب رسالة الى فرهود وراسلها اليه وانتظر الجواب .

قال : وكان فرهود من الأبطال العظام واصحاب البسالة والاقدام

فذات يوم جاء عمر بن شداد الحبشي وصقلان الرومي ومعهما اليقظان فسلماه اليه ودفعا اليه كتاب بختك فقراه وقال :

لا بد من ان يرى بختك ما افعل بالعرب اذا جاؤوا بلادي واما انتما فعلى الرحب والسعادة وان بلادي بين ايديكا ، فقالا انا لا نريد ان نحملك متاعب بل اقبلنا في بلادك الى حين نتخلص من ظلم العرب .

قال : سوف يظهر لكما عملي وكان قد اعجبه اليقظان واراد ان يركبه فعصي عليه وكان يهجم على كل من يقرب منه حتى قتل خمسة من العبيد فغضب فرهود واراد ان يقتله فقاده العبيد الى اصطبل خاص ورضعوه فيه ، وصبر فرهود الى ان ينال مراده ، وصار كل مدة يأتي ويجرب نفسه دون ان يحصل على نتيجة ، ولما وصل العرب واستلم رسالة الامير حمزة واذا بها ما يلي :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اعلم ايها الملك الجاهل اني انا الامير حمزة فارس برية الحجاز ومذل الا كاسرة قد جئت بلادك لاجل غاية واحدة ، وهي انه بلغني ان عمربن شداد وصقلان الرومي قد سرقا جوادي واتيا اليك فقبلتهما واخذت الجواد لنفسك فأريد منك ان ترجع الي جوادي في الحال وتسلمني هذين الخبيثين لاسير عن ارضك ولا اضر احداً من بلادك وتكون قد حقنت دماء بني البشر ورفعت العداوة من بيننا والا فاني لا انفك عن بلادك ما لم اضربها واقتل كل امير وسيد فيها واسترجع جوادي قوة واقتداراً والسلام .

فلما قرأ فرهودالرسالة قال للرسول : عد الى اميرك واخبره بانني لا اخشى تهديده ووعيده وليس له عندي الا الحرب . فعاد الرسول واخبر الامير حمزةبجواب فرهود، واقام العرب مدة خمسة ايام وفي اليوم السادس خرج فرهود برجاله وهم كالجراد المنتشر وضرب خيامه مقابل خيام العرب فاستعد الامير حمزة في اليوم التالي للحرب والقتال .

وعند الصباح ضربت طبول الحرب وخرجت الفرسان من مرابضها كأنها اسود البطاح ، ثم اشهر الامير حمزه سيفه واشار الى العرب بالهجوم واقتحم المعركة بقلب قد من صوان وهو ينادي انا حمزة العرب واشتد القتال وعظمت الاهوال ، واما فرهود فانه غاص بين

العرب وقد قلب المياسر على الميامن ، وبقي القتال قائماً الى ان قرب الزوال فدقت طبول الانفصال فرجع الفريقان الى المضارب والخيام بعد ان صبغوا الارض بالاحمرار وبات الطرفين وهم على جانب عظيم من التعب ، وقد تعجب الامير حمزة من السودان وجلادهم وهم لا يخافون الموت .

وعندما اشرق الصباح نهض الفرسان الى خيولها وتقدم الفريقان وفي اقل من ساعة حمل الجميع على بعضهم بعضاً ، واستمر القتال قائما بين بين الفريقين مدة عشرون يوماً وقد ضجر كل من الفريقين وقد قال فرهود لقومه : اني لم اكن احسب ان فرسان العرب اقوياء بها المقدار ، فقد اهلكوا نصف قومي وقد عدمت الوسيلة لانقراضهم ، ولكن لابد من ان اباشر القتال بسيفي وسوف يرى الامير حمزة ما يحيره ويضطره الى التسليم .

واما الامير حمزة فانه اجتمع بقومه ودار بينهم حديثاً عن فرهود ورجاله ، فقال الامير : اني استغرب كيف أن فرهود لم يحاربنا على جوادي واخاف ان يكون قتل الجواد او ابعده .

فقال عمر العيار : اني سأذهب في هذه الساعة واكشف خبر السودان واعرف اين الجواد ، وان امكنني الوصول اليه احتلت واتيت به ولو كان دون الف عيار ومحتال .

فقال الامير : سر على توفيق الله عسى ان الصدف تساعدك هذه المرة كما في غيرها وتأتيني باليقظان .

فلبس عمر في الحال ملابس السودان وتزيا بزيهم حتى صار كواحد منهم وانطلق الى معسكرهم واختلط فيهم وهو سائر من مكان الى مكان حتى وصل الى صيوان فرهود ودخله ووقف بين الخدم ونظر الى فرهود وسمع عمر ابن شداد يكلمه بشأن العرب قائلا : اني اكفل لك النصر والفوز وقد خطر في بالي خاطر وهو انه عندي سلسال من الحديد اذا القيته على الفارس ولو كان بعيداً علق به فتسحبه اليك اسيراً . حيث انك نويت غداً على المبارزة فيجب ان يكون معك ، وها انا ذاهب لاحضاره اليك .

فقال : افعل مابدا لك وعجل بالسلسال ، فنهض عمر وخرج امام الجميع من الصيوان ، وبقي عمر العيار ينظر اليه ويتعجب من خيانته ، فأدار بنظره الى فرهود وهو آمن من غدرات الزمان وفيما هو كذلك لم يشعر الاوعمر ابن شداد قد قبض عليه من الوراءوصاح:

هذا هو عمر العيار ياسيدي وقد وقع في ايدينا وجاء ليحتال علينا فهلموا ايها الرجال وامسكوه ، فاسرع الرجال اليه وقبضوا عليه ، فاندهش كيف أخذ بغتة واراد ان يحاول وينفي عن نفسه فلم يسمع له أحد بل أوثقوه وقدموه امام فرهود ففرح غاية الفرح وقال :
طالما سمعت عنه انه شيطان في صورة انسان ولكني اراه كواحد منا وليس من العرب • ولو رايته الف مرة لما عرفته ، ثم اخبره بما كان من أمر هدهد مرزبان وكيف قتله واحتال على كسرى فجعله يقبل يديه وخلص النساء من الحرق ، فتعجب فرهود وقال : هذا لابد من قتله وهلاكه فقال ليس في قتله فائدة الآن ، وارى ان نذهب به الى كسرى ونسلمه اياه حياً ليقتله وينتقم لنفسه منه ليعطينا نصف ملكه ، ولابد لي من الاحتيال لسرقة الامير حمزة ونسير بهما الى الملك الاكبر وسوف ترى ما سيكون لنا عنده من الاكرام .
وكان السبب في القبض على عمر العيار هو أن ابن شداد كان محتالا من اكبر العيارين وقد عرف ان عمر العيار لابد له ان يأتي الى صيوان فرهود وعرف انه اذا غير زيه لا يعرفه ، فعد الخدم الموكلين بخدمة الصيوان فاذا هم عشرة ففكر انه متى رآهم زادوا واحداً يكون الزائد هو عمر نفسه لكنه بقي عليه أن يعرف من هو بينهم فدعا بالخدم المذكورين وقال لهم ان هذا الخبيث لابد له وان يأتي يسترق منا الأخبار وربما سرق سيدكم وقد نويت على القبض عليه ، ولكي اقدر على القبض عليه فانكم متى رايتموني وضعت يدي على راسي فليقبض كل واحد منكم بيده اليمنى على اذنه اليسرى والذي لايقبض اذنه يكون هو عمر العيار فتقبض عليه ، واوصاهم ان يكتموا هذا الامر فيما بينهم وبقي منتظراً حتى تلك الليلة فعد الخدم وهو يكلم فرهود فرآهم قد زادوا فتأكد من مجيء عمر العيار فمد يده الى راسه فجعل كل واحد يقبض اذنه ما عدا عمر العيار فانه لم ينتبه الى هذه الحيلة وقد تمكن من القبض عليه كما تقدم .
ثم ان فرهود دعا اليه عياره وقال له : اني اسلمك عمر العيار هذا واوصيك ان لاتفارقه دقيقة واحدة واذا هرب كان جزاؤك الموت ثم تقدم ابن شداد واوثقه وشد يديه الى بعضهما فصار عمر العيار يتحسر على ما اصابه .
واما الامير حمزة فانه صرف قسما من الليل بانتظاره فلم يرجع فشغل باله من جهته . واخيراً نهض الامير الى صيوانه وتفرق

العرب كل الى صيوانه على امل ان ينهض في الصباح الى الحرب والكفاح .

واما عمر بن شداد ورفيقه فانهما بعد أن انصرفا من حضرة فرهود قال بن شداد لرفيقه : مرادي ان احتال على قبض الامير حمزة ولا ارى انسب من هذه الفرصة . فهلم بنا الى معسكر العرب فنأتي بحمزة ، وانسل الاثنين بين العرب من مكان الى مكان والعرب نيام حتى وصلا الى صيوان الامير حمزة فلم يريا احدا عند بابه سوى خادمين وقد تغلب عليهما سلطان الكرى وبغتة هجم كل واحد على حارس وسد فمه والقاه على الارض واخذا قليلا من البنج فاشملاه ورمياه داخل الصيوان وانتظرا برهة ثم دخلا واوثقا الامير حمزة وحملاه وسارا به الى معسكر فرهود وهما بمزيد من الفرح فدخلا على فرهود وهو نائم فأيقظاه من فراشه ووضعا الامير حمزة امامه .

قال : حسناً فعلتما ، وكيف استطعتما ذلك ؟ فاخبراه بعملهما ، فأمرهما ان يعطياه البنج ففعلا ولما استيقظ الامير حمزة وجد نفسه بين الاعداء وامامه فرهود فعض على كفيه من شدة الاسف وتأكد من وقوعه بين ايديهم ؟ فقال له فرهود : كيف ترى نفسك الآن ؟ فهل عرفت أن عداوة كسرى لاتطاق ، فلا بد من هلاكك وقومك في اقرب وقت ؛ فقال بن شداد : سنسير به الى المدائن ونذبحه عند اقدام كسرى معاخيه عمر العيار . فقال لفرهود . انَ كنت تظن ان حمزة وقع في أسرك وانك تقدر على هلاكه فقد اخطأت لأن الهي قادر على خلاصي لأن بين جيوشي كثير من امثالي ولا بد لهم من اخذ ثاري ، فافعل الآن ما انت فاعل فغضب فرهود من كلامه واراد ان يبطش به فقال ابن شداد: ابقه الآن تحت الحفظ حتى نهلك قومه ونسير بهما الى المدائن . ومن رأيي أن ترسله الى قلعة الحديد على شاطيء البحر وتوكل به حاكم القلعة الى انتطلبه وقل لهان يسلمه الى أحد ، فاستصوب هذا الامر وارسله مع جماعة من عسكره الى محافظ القلعة وكتب له كتاب بأن لا يسلمه الى احد مطلقاً .

فاستلمه المحافظ وكان اسمه الامير هداد ووضعه داخل القلعة واقفل ابوابها ، ولما راى الامير حمزة نفسه ماسوراً خاف كثيراً على العرب سيما اولاده وزوجاته ، واخيراً صلى الى الله وطلب منه المعونة وبقي على امل الفرج منه تعالى .

وفي صباح اليوم الثاني نهض العرب من مراقدهم وافتقدوا اميرهم فما وجدوه ورأوا الخادمين موثوقون ففكوهما وسالوهما عما كان ؟ فأخبراهم بعمل السلالين فتكدروا كثيراً ، ولما راى عمر اليوناني حالهم قال : لاترتاعوا ولاتضطربوا فشدوا عزائمكم واحملوا على الاعداء فاذا فزتم خلصتم الامير ، واظن أن عمر العيار وقع في ايديهم ، فان كان ابي قد اسر فأنا مكانه وسترون انني اضحي بنفسي في سبيلكم .

فقالوا : اننا نقسم بالله العظيم أن تكون ارواحنا فدية عن الامير ولا نرجع عن القتال حتى تخلصه ونهلك الاعداء ، فشكرهم عمر وامر في الحال بضرب طبول الحرب وتقدمت عساكر العرب كأنها اسود الدحال .

وكان فرهود يظن بأن العرب لا تقدر على القتال بعد اميرها ،حتى رآهم وقد حملوا فتعجب منهم وركب بعساكره وفي نيته ان يوقع بهم في ذلك النهار ، وبأقل من ساعة حمل العرب على السودان واشتبكا القتال وفعلت فرسان العرب افعال مردة الجان وما جاء النهار حتى راى فرهود عظيم فعلها ورجعت وهو منكسر الخاطر مما راى في ذلك النهار وما حل بقومه الا انه كان بطلاً صنديداً فعول ان يبارزهم فيما يأتي من الايام غير أن العرب لم يباشروا بالقتال وقد اختاروا ان يريحوا أجسادهم من تعب ذاك اليوم حتى يتمكنوا من الثبات في يوم آخر .

أما الامير عمر العيار فانه بعد اسره بثلاثة أيام قال للعبد الموكل بحراسته ان نجم العرب قد افل واذا قدر لي وخلصت من هذا الاسر اخلصت الود الى سيدي فرهود وخدمته معك . واني ارجوك متى لحق بالعرب مصيبة لاتخفها عني لأني أتأمل انقراضهم بأقرب وقت، قال : انهم بويل وشدة حيث سار عمر بن شداد الى معسكرهم ليلا وسرق اميرهم حمزة وجاء به الى سيدنا فرهود مقيداً فأرسله الى قلعة الحديد في وسط البحر ولا بد من أسر أبطال العرب واحداً فواحداً وبعدها يتفرقون وينقرضون .

فلما سمع عمر العيار هذا الكلام كادت مرارته ان تنفطر فقال في نفسه هلكت العرب أن تقاعدت عن نصرتهم الا انه اظهر الفرح وقال: بشرك الله بالخير فهذا الخبر ادخل على قلبي الفرح فأريد منك يا اخي ان تطلق سراحي لأذهب الى فرهود واعرض عليه خدمتي علّه

يقبل ما اسأله اياه ، قال : انني اكرمك واطعمك واما اطلاق سراحك فلا امل به لاني اعرف يقيناً ان سيدي لا يقبل بخدمتك وانه مصرعلى حاله وقال له : صدقت يا اخي فما من سبيل الى الحياة وقدنسيت ذلك ، واني لا ابكي الآن على نفسي ، ولكني ابكي على ما معي من الذخائر التي كنت افوز بها على كل سيد وبطل واخاف اذا انا مت يأخذهم كسرى ، واني اذا اردت ان اتزيا بزي فرهود لما صعب علي واذا اردت ان اعرف طرقات البلاد جميعهاعرفتها بدقيقة واحدة واذا اردت ان اكتشف كنوز الارض ظهرت لي وغير ذلك مما لا يوجد عند احد من العالم .

فلما سمع العبد هذا الكلام حدثته نفسه ان يحتال على عمر العيار ويأخذ تلك الذخيرة منه فقال :

لاريب يا ابن الخالة اذا مت اخذوها منك ولا سيما هذان الخبيثان اللصان الذان سرقا جواد اخيك ، قال : واين الجواد الآن ؟ فاخبره بقصته وجعل يقدم له الاكرام ويعطيه الاكل اضعاف ما تعين لهحتى جاءه ذات يوم وقال له : اني حزين جداً يا ابن خالتي على ما اصابك ولا اعرف كيف يكون مصيرك فأسأل زحل ان يخلصك من ايدي هؤلاء الظالمين ، قال : لا امل لي بالخلاص لكن يا أخي اريد منك ان تقبل مني هذه الذخيرة التي اشرت لك عنها ولا تطلع احداً عليها ، فهي تساوي ملك كسرى فانت احق بها من غيرك لانك اكرمتني واحسنت معاملتي .

فلما سمع العبد هذا الكلام كاد يطير من الفرح فقال له : أصحيح ما تقول قال : اي وابيك فاطلق يدي الواحدة فقط لادفع لك بها ولاعلمك كيف تستعملها ، قال : وكيف اطلق يدك وقد منعني سيدي من ذلك ، واخاف ان تتخلص فيقتلني سيدي ، قال : من اين لي ان اتخلص وانا مقيد الارجل ويدي الثانية مربوطة وانت واقف امامي ومع ذلك فانا لا ارغب في اطلاق يدي الا لاجلك فاذا رفضت ذلك تندم ويأخذ تلك الذخيرة غيرك .

فتحركت عواطف العبد الى الحصول على هذه الذخيرة وقال في نفسه : اذا فككت له يده ماذا يقدر ان يفعل ورجلاه مقيدتان ، ومتى اخذت منه الذخيرة وتعلمت كيفية العمل بها اعدته الى الكتاف ، ثم قال لعمر : اني لا أخاف منك يا اخي واجيبك الى ما تطلب وها انا افك لك يدك الواحدة فأفعل ما انت فاعل واعذرني على امتناعي عن فك الثانية لاني اخاف من فرهود .

قال : اني اعرف ذلك ولو كان لي اقل امل بالخلاص لما سألتك هذا السؤال ولكني مؤكداً موتي فيأخذ اعدائي ذخيرتي واكون مت مغتاظاً مقهوراً فمتى اطمأن بالي أموت مرتاحاً واعرف ان اعدائي ولم يحصلوا على ذخيرتي . فتقدم العبد من عمر وفك يده الواحدة وقال له : قم بوعدك يا اخي فقد اجبتك الى طلبك ، قال مرحباً بك ، ثم مد يده الى داخل ثيابه واخرج علبة صغيرة من النحاس فيها برغي اذا حللته ورفعت الغطاء وطلبت نوع من الطعام حضر في الحال خذها واحضر لنا الطعام الذي تريده لنا كل منه ، فاخذها وقصد ان يفتحها فلم يقدر فقال له عمر امسكها وشد البرغي بفمك ، فأخذ العلبة بين يديه وجعل يشد عليها باسنانه وقد تحول ثقب البرغي الى انفه وكان في تلك العلبة بنجاً فلعب في انفه وفي الحال وقع الى الارض كالقتيل فتناول عمر الخنجر وقطع به وثاقه وفك رجليه وتقدم من العبد فربطه وهو غارق في الثبات واخذ منه ماكان معه وخرج من الخيمة مسروراً وكان الوقت ظلاماً فلم يقصد صيوان فرهود بل وبقي كامناً الى ان عرف الصيوان المقيم فيه عمر بن شداد ورفيقه صقلان ، فانتظر بعيداً مستتراً بالظلام الى أن رآهما دخلا الصيوان فصبر ايضاً ساعة الى أن [illegible] من نومهما فجاء من ظهر الصيوان ومزقه بخنجره ورمى قطعة من [illegible]ج مولعة الى الداخل وصبر قليلا ثم وسع الخزق ودخل منه بخفة وتقدم من اللصين فربطهما واخذ خنجر وقطع اذانهما وانفيهما واخرج من عبه مرهما وضعه مكان الجرح ليقطع الدم واعطاهما ضد البنج وتركهما وخرج وهو يقول في نفسه لو قتلتهما لما فعلت حسناً واذا استيقظا ورأيا حالتهما وعلما اني انا الفاعل انفطرت مرارتهما ودام في مسيره حتى وصل الى معسكر العرب وجاء الى المكان الذي فيه جماعته العيارون فنهضوا اليه واعترضوه فاظهر لهم نفسه ولما تأكدوا انه سيدهم عمر صفقوا من الفرح وانتشر الخبر بين الجميع ونهض عمر اليوناني ورؤساء القبائل واجتمعوا بعمر وهنؤوه بالسلامة وسألوه عن حاله. فاخبرهم بما وقع له حتى تخلص من الاسر ، فمدحوه على فعله وقالوا له اننا نخاف على الامير من العذاب لانه تحت الحفظ ، قال : كونوا براحة من جهته طالما انا مطلق الحرية فلا يصعب علي خلاص اخي ، انما اريد منكم مداومة الحرب بثبات، فباكروا الى الهجوم على فرسان العبيد الى ان يعود اليكم فارسكم ، ثم انهم صرفوا ليلتهم دون نوم الى ان اشرق الصباح.

ولما اشرق الصباح نهضت العرب من مراقدها واعتلت جيادها وتقدمت طالبة القتال وارتجت الارض من حوافر خيولها ، فاضطر فرهود ان يحمل بابطاله وانتشب القتال وزادت الاهوال وقد فعل عمر اليوناني في ذاك اليوم افعال عنترة بن شداد ومثله فعلت الفرسان ودام القتال الى المساء فدقت طبول الانفصال ورجع العرب مسرورين ودامت الحرب مدة ثلاثة ايام وبعدها اتفق الطرفان على عقد هدنة عشرة ايام وكان ذلك بطلب عمر العيار حيث كان قصده ان يذهب في خلاص اخيه من قلعة الحديد وفي نفس تلك الليلة ذهب الى صيوان مهر دكار واخبرها بانه ذاهب الى خلاص اخيه ولا تمضي ايام قليلة الا ويكون في معسكره عند قومه ، فشكرته على ذلك وقالت له : ان سعيت وخلصت اخيك اعطيك كما تشتهي وتزيد ، فوعدها بكل خير وجاء بعد ذلك الى فرسان العرب وقال :

اريد منكم ان تجمعوا كل السلاح الموجود عند العرب ثم تركهم واخذ معه بعض عياريه وسار يومين كاملين حتى وصل الى شاطىء البحر فراى هناك مركباً راسيا فنزل اليها مع جماعته بقصد الفرجة ولما صار فيها امر عياريه ان لايبقوا على احد من الملاحين فقتلوا الجميع وجاء بالمركب الي الشاطىء الثاني وامر العيارين ان يذهبوا الى المعسكر ويأتوا بالسلاح الذي جمعوه ونقل العيارون ان ينزلوا بالمركب ولبس وهو ملابس ملك كبير وافرغ عليه عدة كاملة من السلاح واخذ المرآة بيده وتكحل بميل المكحلة وقال بحق ماكتب عليك من الاسماء ان تغيري حالي الى حال قابض بن مخلص ملك ملوك السودان وسلطان العبيد الاكبر من رآني [illegible] ونظر في المرآة فاذا هو كما اراد . حينئذ امر جماعته ان تحل المراسي وينشر الشراع وتسير في ظهر البحر وما مضى الا ساعات قليلة حتى غابت السفينة عن الشاطىء واذ ذاك امر عمر ان يديروا مقدمة السفينة الى جهة قلعة الحديد ففعلوا وسارت السفينة تخترق عباب البحار وقد نشرت علماً كبيراً يدل على ان رجلا عظيماً بالسفينة وفي اليوم الثاني وصلت السفينة الى القلعة وقارنتها فخرج الامير هداد حافظ القلعة واعترض على السفينة ان لاتقرب من القلعة فصاح به بعض الملاحين وقال :

-ويلك ما هذه الوقاحة ، هلم الى تقبيل ايادي الملك الاكبر قابض ابن مخلص سيد السودان وفخرهم ، وهو يدعوك ليسألك بعض

الاسئلة يجب ان تجيبه عليها ، فلما سمع هذا الكلام اضطرب وبادر بالحال الى السفينة وهويتعجب كيف ان الملك العظيم جاء الى القلعة، ولما وصل سجد بين يديه وقبل قدميه ووقف منتظراً امره . ثم قال : ماذا تريد من عبدك ياسيدي ؟ .

قال اريد أن اسألك عن الحرب مع العرب هل تعرف شيئاً عنها؟ قال : لا اعرف الا ان الحرب واقعة بين قومنا والعرب وقد اسروا امير العرب وارسلوه الى عندي ، قال : قبح الله فرهود فلا بد من فصله ومجازاته على عدم اعتباري كيف يحارب العرب دون ان يبعث الي ويسألني وقد اهلك كثيراً من السودان ، ولما بلغني الخبر حضرت بنفسي لطرده وحبسه في هذه القلعة الى ان يموت ، واما انت فاني اعرف صدق خدمتك فانه يليق بك ان تكون ملكاً وسيداً ، وقد اقمتك حاكماً بدلاً من فرهود منذ هذه الساعة ولكن اكتم هذا الامر لارى مايكون من أمر العرب .

فلما سمع الامير هداد سيد القلعة كلام القابض فرح فرحاً لا يوصف وامل بالخير الكثير وانه بعد قليل يصير حاكماً على السودان عوضا عن فرهود فزاد في اكرام مولاه وتعظيمه ودعاه الى القلعة ليتناول الطعام عنده ، قال : سأفعل ذلك اكراماً لخاطرك ولكن اخبرني كم عدد الحراس المحافظين على القلعة ؟ قال : اعلم ياسيدي ان فرعود اعهد الي برآسة خمسة عشر نفرا من الحراس وجميعهم عندي في هذه القلعة .

فاظهر عمر كدراً وغيظاً وقال : قبح الله هذا الخائن فانه يريد ان يخرب بلادناويجعل مطمع الفاتحين نافذاً فنياً ، واذ علموا ان بالقلعة خمسة عشر حارساً فجاءوا الى القلعة وملكوها ، وهو ملتهي بقتال العرب لايرسل الي بالاخبار ولا يقدر ان يدافع عن السواحل ، فسوف يرى مايحل به على عدم إعتباري فهلم بنا الى القلعة ، ثم امر العيارين ان ينقلوا السلاح الى القلعة وقال لحاكم القلعة ابق هذه الاسلحة لبينما يصل الينا باقي العساكر الذين آتين على المراكب ، فأجاب امره طوعاً وكان يعد نفسه بكل جميل واحسان .

ثم صعد الامير عمروجماعته العيارون الى القلعة فلاقاهم الحرس وسجدوا لملكهم الاكبر وقبلوا ايديه فتبسم في وجوههم ولما جلسوا قال الاميرهداد اذا شئت ياسيدي اتيتك بالامير حمزة الذي اخبرتك عنه .

قال : ما من حاجة لي به الآن وسوف انظر ما افعل به ، واما انت فاصعد الى اعالي القلعة وانظر في البحار هل اقبلت المراكب ام لا فصعد كما امره فراى مركباً بعيدة فعاد اليه واخبره بما راى ، فقال لاريب هذه طليعة المراكب ، وبعد قليل احضر الطعام على الموائد وصف امام عمر وجماعته فقال لهداد : ان هذا الطعام هو لكم واما انا فلا ارى ان آكل الا من الطعام الذى احضرته معي .

ثم امر ان يؤتي بالطعام فاسرع العيارون واحضروا الطعام فوضعوه امامه وامر حاكم القلعتان يجلس على سفرة الطعام مع جماعته فامتنع تادبا فقال له : اني اريد ذلك فانك صرت منذ الآن من عظماء رجال السودان ومثل ذلك هؤلاء الرجال فاقيم كلاً منهم على مقاطعة واجعلهم من سادات البلاد .

فجلسوا جميعهم باحترام وابتداوا ياكلون ويتعجبون من كرامة اخلاق الملك ، وما استقر الطعام في جوفهم حتى وقعوا على الارض كالاموات فأمر عمر العيار ان يذبحوا عن آخرهم ماعدا الامير هداد فذبحهم العيارون ودخل هو الى غرفة القلعة وفتش بها حتى راى الامير حمزة في حجرة في اسفل القلعة فدنا منه وفك قيوده وعرفه بنفسه ففرح فرحاً عظيما وصعدوا في الحال وتركوا القلعة واخذوا معهم الأمير هداد ولما صاروا خارج القلعة اضرموا فيها النار وركبوا المراكب وساروا يتقومون الى الشاطىء ولما وصلوا الى الشاطىء خرجوا الى البر وساروا من هناك حتى وصلوا الى معسكر العرب .

ولما عرف الفرسان بوصول اميرهم كاد يطيروا فرحاً وتقدموامنه وسلموا عليه ودارت الافراح بينهم ودخل الامير بعد ذلك على زوجته مهر دكار ولما راته قامت اليه وقبلت يديه وهنأته بالسلامة وبات عندها تلك الليلة ولما اصبح الصباح نهض من نومه فسمع طبول السودان تضرب فأمر ان تركب فرسان العرب وابطالها ، وانتشب القتال بين الفريقين فكان ذاك اليوم عظيم الاهوال ولما اقبل المساء ضربت طبول الانفصال فرجعوا عن الحرب والقتال ونزلوا في الخيام وقد ملئت الارض من القتلى فقال فرهود لرجاله : اني اتعجب من ثبات العرب واقدامهم فقد اهلكوا بنا كثيرا فقال له عمر بن شداد لقد قلت لك قبل الآن ان العرب قوم صناديد ومن اللازم أن تبارزهم واحداً لواحد ومتى قتلت رؤوسهم هانت عليك الاذناب ، قال : في

الغد ابارز ابطالهم وفرسانهم ولي ثقة كبرى بان افنيهم عن آخرهم وبات فرهود على هذه النية .

وفي صباح اليوم التالي نهض من فراشه وركب جواده بعد ان تقلد بسلاحه وسبق الجميع الى ساحة القتال ، وكانت العرب قد ركبت وفي نيتها الهجوم لكنها توقفت عنـد ما رات الامير فرهود يصـول ويجول ويطلب براز الابطال وفي الحال صدمه الامير جمزة صدمـة جبار واخذ معه في الحرب وقد اتسع عليهما المجال حتى تعجبت منهما الابطال ومازالا على مثل ذلك الى ان خيم الظلام فافترقا بسلام ورجع العسكران الى الخيام وباتوا الى الصباح فتقدموا يطلبون الحرب واذ ذاك توسط فرهود الميـدان ولعب على الاربعة اركان واراد حمزة ان ينزل اليه فاذا به رأى الامير سعد اليوناني قد صار ولما رآه فرهود تعجب من صغر سنه وقال له :

اني اشفق عليك ايها الغلام فأرجع الى امك ولاتخاطر بنفسك فما انت من رجال سيد السودان ، فقال له : سوف ترى مني ما تتحدث به الفرسان جيلاً بعد جيل ، كيف لا وجدي الامير حمزة البهلوان ، وأبي الامير عمر اليوناني عروس الميدان .

ثم صاح وارتمى عليه فالتقاه فرهود بقلبه أشد من الجلمود وهو يتعجب من عمله لصغر سنه فأخذا في الكر والفر والامير حمزة فـي حيرة عظيمة من ابن ا[illegible] يبدي فرهود وقد خاف عليه كل الخوف ، اما سعد فانه كان ينقض على فرهود انقاض الصواعق ويدور مـن حوله كقضاء الله المنزل ولا يترك باباً من ابواب الحرب الا وطرقه وما زالا على مثل ذلك الى الزوال فافترقا المتقاتلان على سلام ورجـع الامير سعد فاخذه جده وقبله بين عينيه وجاء الى صبوانه وهناك قال له : اني الومك على نزولك الى فرهود فانه بطل عظيـم وانت لا تزال صغير السن .

قال : اني بعنايتك ودعاك لم يلحقني ضرر وقد امرتني امي ان انزل اليه ، ولو لا تعلم اني كفؤ له لما امرتني بذلك فارسل الامير الـى طوربان فحضرت بين يديه فقال لها : كيف تلقين بولدك الى الخطـر ، فقالت : كلا ياسيدي فأني ربيت ولدي وبارز فرسانا كثيرة وانا اعرف مقدار شجاعته ، قال : كيف كان الحال فانه صغير السن وليس من الصواب ان يقاتل اول مرة مثل فرهود ، قالت اني ارغب ان يكون بطلا عظيماً ومن يقاتل في اول مرة مثل فرهود وهو بهذا السن لا يصعب

عليه فيما بعد ان يزيح الجبال وجل غايتي ان يكون له اعظم اسم بين العرب .

فقال سعد : لاتخف علي ياجداه فالعمر محدود فلو كان عظمي اشد مما هو الآن لما تركت خصمي يفتل العنان ، ومع كل هذا لابد لي من قتله فارجوك ان تسمح لي في الغد بقتاله لاريك ماذا سأفعل به .

فقال: هذا لااريده ولااسمح به، فانا اعرف ان فرهود قليل المثال ولا اريد ان يبرز اليه سواي ، واما انت فاني اقيمك على قبيلة الاكراد فتكون رئيس قوم من الآن .

واما ما كان من فرهود فانه رجع الى صيوانه وهو كثير الغضب ولما اجتمع بقومه فسألوه عن حاله فقال اني اعترف بان العرب قوم جبابرة وقد رأيتم الذي قابلني في هذا اليوم لا يبلغ الحادية عشرة من العمر ومع ذلك فليس هو دون الامير حمزة في الجولان ، واني قد مال قلبي اليهم ومن عادة الشجاع ان يحب الشجاع .

ولما كان الصباح خرج العسكران الى ساحة القتال فبرز الامير فرهود الى ساحة الميدان وطلب مبارزة الفرسان فالتقاه الامير حمزة وقال له هذا اليوم آخر ايامك ، ثم هجما على بعضهما هجوم الأسود الكواسر فرأى الامير حمزة ان المطاولة تضربه فرمى سيفه باسرع من لمح البصر وقبض على خصمه بيديه وعول ان يقتلعه من بحر سرجه فوقعا الاثنين على الارض فطال الامير جمزة على خصمه واخذه اسيراً وسلمه الى اخيه عمر العيار فشد وثاقه ورجع من ساحة القتال بعد ان ضربت طبول الانفصال ، وهو متعجب من شدة بئس فرهود .

ولما رأى عمر بن شداد وصقلان الرومي ما حل بفرهود ايقنا بالهلاك وعولا على الهرب والفرار، وقد رجع الامير حمزه الى معسكره مؤيداً منصوراً ودخل الصيوان وطلب الطعام فأكل حتى اكتفى واجتمع حواليه الفرسان وجلسوا في مراكزهم فحينئذ طلب فرهود فجاؤوا به وهو مقيد بسلاسل من حديد . وعندما رآه الامير قال له :

انك يافرهود قد تعديت علي في الوقت الذي لم يكن بيني وبينك عداوة فكيف ترى نفسك الآن ؟ فأطرق براسه الى الارض وسقط الدمع من عينيه فقال له حمزة : لو كنت وقعت بيدك لما عفوت عني بل كنت ارسلتني الى عدوي كسرى، واما انا فاني ارغب في العفو

عنك لانك من الفرسان الاشداء ونفسي تانف أن تهين بطلا ، فاذا آمنت بالله تعالى وتركت عبادة النار حللت وثاقك واطلقتك .

فلما سمع فرهود هذا الكلام على انه صادر عن نفس كريمة فقال ان ما تطلبه مني من عبادة الله لا امتنع عنه بل افعل كل ما تامرني ، واتاكد ان لادين ولا دنيا تفصلني عنك مادمت حياً ، وساسلمك عمر بن شداد ورفيقه حال وصولي الى المدينة .

فلما سمع الامير هذا الكلام وتأكد انه صادر عن نية سليمةوقلب صادق تقدم منه وحل وثاقه واعتذر اليه وقال له : انت مخيربالبقاء معنا أو الذهاب الى بلدك ومعسكرك .

قال : اني لا ادخل المدينة الا وانت معي لأنها اصبحت ملكك ، ثم ان فرهودجلس بالقربمن الامير ونهض فرسان العرب وسلموا عليه ثم ان حمزة سأل فرهود عن اليقظان فقال : اعلم ايها الامير ان قلبي مال كثيراً الى هذا الجواد فاردت أن اركبه فامتنع علي وكان يظهر العجائب فوضعته في مكان منفرد ووكلت بخدمته جماعة من العبيد واوصيهم ان يعاملوه بلطف ومع ذالك فأني حاولت مراراً ان اقترب منه فكان يضرب بقوائمه وقد قتل جملعة من خدمي فتحقق عندي ان هذا الجواد يحفظ كرامة صاحبه فقال لفرهود : اطلباليك الآن أن ترجع الى المدينة وتقبض على الشقيين وفي الغد انزل انا الى المدينة مع أصحابي ونرى مايكون هناك واما انت عليك أن تخبر قومك بما كان بيننا وترض عليهم عبادة الله عز وجل فمن قبل كان صديقنا ومن امتنع كان عدونا .

فاجاب فرهود في الحال وودع الامير وجماعته بعد أن عزمهم الى ضيافته وسار الى المدينة فرأى الابواب مغلقة فطرقها واخبر قومه بوصوله ففرحوا كثيراً وفتحوا له فدخل والا جتمعوا حواليه وسألوه عن سبب خلاصه فاخبرهم بحلم الامير حمزة وعرض عليهم الايمان فآمنوا وقالوا كلنا بين يديك .

قال : اني صرت من فرسان الامير وسأسير اين سار ، ولكني لا ارى عمر بن شداد ورفيقه بينكما ، قالوا منذ دخولنا المدينة مارأيناهما فافتقد اليقظان فوجده في مكانه وبات تلك الليلة وعند الصباح نهض واخذ اعيان قومه ولاقوا العرب عند ابواب المدينة فالتقوا ببعضهم ورجعوا امامهم وكان ذاك اليوم عظيماً جداً وبعد ان استراح الامير طلب ان يرى الجواد فقام فرهود وسار مع الامير الى الاصطبل

وامر بفتحه ولما فتح الباب رمى الامير نفسه على الجواد وعانقه وهو يبكي من الفرح ؛ واما الجواد فانه صار يصهل ويمرغ راسه عليه حتى تعجب كل من رآهما، ثم فك الامير قيوده واخرجه من الاصطبل وسلمه الى سايسه الذي كان معتاداً عليه ورجعوا الى دار الضيافة وهم في فرح زائد وسرور .

وبعد ان انقضت مدة الولائم قال الامير لفرهود : لم يبق في وسعنا ان نبقى اكثر من خمسة ايام ومن ثم نرحل الى حلب . قال : انني بانتظار امرك وسأذبر نفسي في هذه المدة . واخذ منذ تلك الساعة يجمع العساكر التي يريد ان يأخذها معه واقام مكانه وكيلا على بلاد السودان من ابناء عمه واوصاه بالحلم والعدل .

وفي نهاية الخمسة ايام ودع قومه واخذ عياله وجميع مايحتاج اليه من المؤن فحمل الاحمال وكذلك العرب فانهم حملوا احمالهم وودعوا اعيان المدينة وقد سار مع فرهود من قومه نحو ثمانين الف مقاتل وساروا في طريق مصر وداموا المسير الى ان وصلوا الى اراضي مصر فضربوا الخيام هناك ونزلوا للراحة .

فبلغ حاكم مصر رجوع العرب منصورين فخرج في الحال مع اعيان قومه وسلموا عليهم وترحبوا بهم كل الترحيب وعملوا لهم الولائم وذبحوا الذبائح وكانت ايام اقامتهم هناك على الحظ والانشراح مدة عشرة ايام .

وفي اليوم الحادي عشر اجتمع فرسان العرب في صيوان اليور شاه واخذ كل مركزه وبعدها نهض المعتدي حامي السواحل وقال للامير حمزة : اعلم ايها الامير اننا اتفقنا على امر نريد ان نعرضه عليك ولا اظن الا انك تستحسنه وتوافقنا عليه . قال : قل فاني ارغب على الدوام في كل مابه الخير والنجاح . قال : انت تعلم اننا لابد ان نرجع الى حلب ونقيم هناك نترقب احوال كسرى وان الحرب لابد ان تعود وما دام بختك حياً فانه يغتنم الفرصة المناسبة ليحمله على الاسلام ولابد من ان ينهض ذات يوم بمهمة اشد من الماضي وهو سلطان عظيم . ومن حيث ان الحرب لابد منها ونحن حتى الساعة متفرقين فعليه فقد اعتمدنا ان يكون لنا من السلطة مالغيرنا ونكون كلنا تحت سلطة واحدة .

قال : لا امنعكم من ذلك فانظروا فيما يوافق ، قال المعتدي ان ما يوافق ان نختار لنا واحداً نقيمة ملكا علينا ويكون له السلطات المطلق فينا ويكون على الدوام تحت العلم الاكبر ، وكما للعجم ملك عظيم يكون للعرب كذلك .

قال : اختاروا لكم ملكا وافعلوا ماأردتم ، فانا كواحد منكم ارغب في توسيع سلطتنا وعلو شأن العرب وان لا يكون كسرى ارفع مقاماً بل ربما نقلنا العظمة والسلطان الذي له الينا .

قال المعتدي اننا اتفقنا واخترنا ان يكون صاحب هذا العلم انت ونحن باجمعنا من اتباعك .

قال : هذا لايمكن ان اقبله لاني أنا رجل حرب ، وعليه لا ارغب ذلك ولا ارضاه .

فراى الجميع كلامه حقاً ونظروا الى بعضهم ثم قال المعتدي :اعلم ياسيدي ا نكلامك هذا هو الصواب ، وقد اتفقنا ان يكون الحاكم علينا ابنك عمر اليوناني ، فرفض عمر هذا الامر وقال : اني كأبي ارغب في كبح اعدائي فاختاروا لكم ملكاً غيري فعادوا الى التفكير ثم قالوا : اعلم ايها السيد اننا اتفقنا اتفاقاً باتاً وما من عذر فيه لك ان ابنك قياط ابن مهر دكار قداخترناه علينا ملكاً لانه من نسل ملكي وان اختيارنا هذا في محله وما ذلك الا من توفيق الباري .

فلما سمع الامير كلامهم عرف انهم اصابوا فقال لهم : اذا كان ولا بد من ذلك فاذهبوا الى امه مهر دكار واعرضوا عليها الامر فان اجابت كان خيراً والا فانا اخابرها بمثل هذا الامر .

ثم اجتمع سادات العرب جميعاً وساروا الى صيوان مهر دكار فدخلوا وسلموا عليها فترحبت بهم واكرمتهم وسألتهم عن سبب مجيئهم ؟ فقالوا لها اننا جئنا اليك بأمر يتعلق بك وحدك ، قالت تفضلوا بماذا تطلبون ، فأخذوا يشرحون لها بالتفصيل كل ماارادوا وما دار بينهم وبين الامير حمزة من الكلام وكيف ان امر قياط منوط لخاطرها ، فاذا هي لم تقبل انا لا اوافق فقالت اني اعرف هذا الراي موافق للعرب ولابدلهم منه ، الا انه لاخفاكم انه حتى الساعة لم يأتيني غير هذا الولد فهو عندي بمنزلة الروح من الجسد واخاف ان يصاب بمصيبة فاقع مع زوجي بالقيل والقال ، لاني متحيرة من الامير لم لم يأتي معكم وهو ابنه وشريك الراي فيه .

قالوا : اننا عرضنا هذا الرأي عليه فأجاب انه يوافق كثيراً الا انه قال لنا ان مهردكار لاتوافق عليه فاخذنا العهدة على انفسنا بأن نأتي اليك ونسألك في ذلك ونطلب اليك قبوله اكراماً لخاطرنا ولاريب اذا قبلت انت التماسنا ورجاءنا فرح هو ايضاً :

قالت : وكيف لم يحضر الامير عمر العيار ؟ قالوا لم نعرض عليه هذا الامر لعلمنا ان الامير حمزة هو اخوه وانه لايرضى الا اذارضيت انت ، فانظري في طلبنا فان العرب باحتياج لى ذلك .

فاطرقت برهة صامتة وقد خجلت من سادات العرب فرفعت راسها وقالت : انتم تعلمون انني اذا اجبتكم ويصير ابني ملكاعليكم يلتزم ان يحمل اثقال العرب جميعها فلذلك اجيبكم على طلبكم لكن بشرط ان يأتي معكم اما الامير حمزة واما عمر العيار وتحلفون لي اليمين على محبته وتتكفلون بالسهر على راحته فهذا مااريده منكم وارجوكم عدم مؤاخذتي والسلام .

فلما سمع الفرسان كلامها سكتوا وقد علموا انها اصابت في طلبها هذا لانه ولدها ، وساروا من عندها ودخلوا على الامير حمزة فوجدوه بانتظارهم فقال لهم : ماذا فعلتم ؟ .

قالوا : اننا عرضنا الامر على مهر دكار فاشطرطت علينا أن تكن انت معنا او اخوك عمر العيار فلذلك نريد منك أن تذهب معنا اليها .

قال : هذا لايمكن ولا اريد أن اكلم مهر دكار بهذا الشأن فاذا شئت ان تذهب فاذهب من نفسك . فوقف عمر العيار وقال : هلموا ياسادات فاني اسير معكم واتكفل لها بكل ماتطلبه ولو بعته بذلك حياتي :

ثم انهم ساروا جميعاً ودخلوا على مهردكار وقالوا لها : ها قد جاء معنا عمر العيار وهو يتكفل ماتطلبه ، فقالت له : انت تعلم بأن لااولاد لي غير قباط ولم يشأ الله ان يرزقني غيره ، لكني لا اريد ان امنعه عنكم بل ارى من الواجب عليه أن يكون م... ، غير انه لم يكن رجل حرب وكفاح فهل تكفل لي حياته من الاعداء فقال : كيف لا ادافع عنه وهو ابن اخي واحبه كروحي فاذا اصيب بنائبة لاسمح الله كنت كنت له الفداء ، قالت : توكلت على الله ثم دخلت الصيوان وجاءت بالامير قباط وقالت : هو ذا سلطانكم فاقتربوا منه وسلموا عليه ثم قالت : اقسم عليكم بالله العظيم واستحلفكم بكل نبي عظيم أن تحاموا عن ولدي من اعدائه وتسهرون على حياته كما يريد الله سبحانه وتعالى .

فاقسموا لها جميعهم وشدد الامير عمر الاقسام ودنا من ابن اخيه وقبله ثم قبلته امه فأخذوه ودخلوا به على ابيه فقبله وقال : هـذا ملككم وهذا الذي اخترتموه ، فدعوا بحاكم مصر واقاموا الافـراح من اجل ذلك مدة سبعة ايام وقد زينت المدينة اكراماً لسلطانهـم الجديد ثم جاءوا بصولجان الملك فسموه له والبسوه تاج سليمان وثوبه ودعوا له بالعظمة والجاه ، وكان قياط ذو ذكاء مفرط ، فخطب خطبة بليغة وحض العرب على محبته وبذلك يسودون على العـالم اجمـــع .

فضجوا بالدعاء له وسألوه أن يختار وزيراً من الامراء ليكـون مديراً له ، فقال : انـي اختار عمـي عمر العيار وغيـره لا اريـد ، فاستحسـن الجميع هذا الراي وقالوا لقد نظرت موضع النظر ، فقال عمر : اني لا اريد ان اكون وزيراً ، ولا احب ان افارق حمزة .

فقال السلطان : اني احب أن لاتفارقني فاستمد برايك واكون على الدوام تحت رعايتك . فأنتم اخبرتموني سلطانا فمن الواجب عليكم طاعتي ، فاضطر عمر العيار ان يقبل ذلك بالرغم عنه ، وفي الحـال وضعوه على كرسي الوزارة بجانب السلطان وباركوا له بهذه الخطـة المهمة .

هذا وقد اشترط علي ابن اخيه امام الجميع أن يكون مطلق الحرية في ذهابه وايابه في الليل او النهار حيث لايستغني عن محافظ المعسكر ومراقبته لجواسيس الاعداء ، فاستحسن الجميع طلبه ووافق عليه السلطان ، وكتبت الرسائل وارسلت الى كل البلدان التي دخلت في يد الامير حمزة بأن الملك الاكبر هو (قياط) ابن الامير حمزة وان الوزير الاكبر هو عمر العيار .

هذا وقد صرف العرب بعد ذلك مدة شهرين في مصر وهم بالفرح الزائد وصار السلطان يحكم بالعدل والانصاف بين العرب . وقد احبه العرب حباً زائداً وسروراً من فصاحته وذكائه ، وفي اليوم الاول من الشهر الثالث اخذوا يفكرون في امر السفر وقد استشاروا ملكهـم فـي ذلـك فقـال :

هذا لابد منه وسلعين يوما مخصوصا للرحيل ، وفيما هم علـى مثل ذلك اذ دخل عليهم رسولاً وبيده كتاب وهو من الاعجام .

فنظر في الجميع ثم تقدم من الملك الجالس على الكرسي الكبير وسلمه اليه بعد ان قدم له شروط الخدمة المطلوبة ، فنظر فيه واذا بـه من

كسرى انو شروان ففضه وسلمه الى الوزير عمر ليقراه فقراه علينا واذا به :

(من كسرى انو شروان صاحب التاج والايوان والعظمة وعلو الشأن وحاكم الدنيا بما فيها الى جماعة العربان وسكان البادية الذين تعدوا حقوق سطوتي وخرقوا شأن السلطان وحرمتي) .

لقد فعلتم معي الافعال القبيحة واخذتم ابنتي بالرغم عني فقد تعدت عبيدكم علي فقتلوا مرزباني واحطوا من قدري ففضيت الطرف عنكم وعولت ان لايذكر لي اسمكم الى آخر الزمان وفي ظني انكم ترجعون عن غيكم وتتركون هذا التعدي فبلغني انكم اتخذتم سكوتي من باب العجز فأقمتم لكم سلطاناً لقبتموه بالسلطان الاكبر وقد ابلغني وزيري بختك ان قصدكم نقل عظمة العجم الى العرب وقرض الدولة الكسروية فلذلك اخطركم اني منذ الآن سأسير في اثركم واحاربكم الحروب الهائلة حتى تفنون عن آخركم واني اقسم بتربة اجدادي الاكاسرة باني افعل اعظم مما اقول الا اذا رجعتم عن خطأكم ونزعتم التاج عن ملككم وكل منكم يذهب الى بلده فتحفظون بذلك حياتكم وكفاكم ما فعلتم والويل ثم الويل من التمرد والعصيان .

فلما سمع العرب ماقال الكتاب قال السلطان : اسمعتم ايها السادة ماذا يطلب كسرى ، فبماذا تريدوا ان تجيبوه ؟ .

قالوا : أنت الآمر فينا والملك علينا ، فاجب بما تختار ، فأمر ا، يكتب الجواب كما يأتي :

(بسم الله الرحمن الرحيم والسلام على انبيائه المرسلين)

من السلطان قياط بن الامير حمزة الى جده كسرى انو شروان لقد وصلني كتابك (فهمت مضمونه فاذا به مايدل على عتوك وتفاخرك مع انك تعلم ان العرب اصحاب سلطان ولهم الكلمة النافذة في كل مكان واعلم باننا انزلنا من قدرك ولا نزال نحاربك حتى نبيد شوكتك فلا يقال فيما بعد انه يوجد كسرى انو شروان، وليكن عندك اكبر علم على اننا جادين لنقلل من هيبة العجم ونهدم الايوان ونقيم في المدائن حاكماً عربياً من قبلنا ولا تندهش من ذلك لاننا متكلين على الله وهو قادر على معونتنا ، ولو كنت تعبده لما فعلنا بك شراً فكن على حذر وعما قليل ترانا حول مدينتك و فرساننا تطيح بفرسانك وتشردهم والسلام على من اتبع الهدى .

ولما قرا الكتاب على العرب فرحوا باجمعهم فرحاً عظيماً ، ومن ثم اعطوا الكتاب الى الرسول فاخذه وسار يطلب المدائن وبعد مسيره قال السلطان : اعلموا ايها السادات ان كسرى ما كتب مثل هذه لكتابة الا وفي عزمه ان يحاربنا ولاريب انه جمع القوات اللازمة ، وارى من المناسب ان نرحل من هذه الارض ونرتقب حركات كسرى واعماله ، فاستعدوا للسفر حيث نكون بعيدين عن هذه الديار ، ثم نظروا الى الامير حمزة فوجدوه يبكي فاحتاروا في امره وقالوا له لما هذا البكاء ونحن في فرح لا يوصف . قال اني اعرف عظم الفرح الذي نحن فيه ولكني على الدوام اتذكر شيئاً واعد نفسي به ، وقد عولتم على الرحيل قبل الحصول عليه .

فقالوا اي شيء تتذكر ؟ قال : انتم تعلمون انني في هذه الارض فارقت اخي اندهوق ابن سعدون وكان وعدني بان لاتطول غيبته وحتى الساعة لم اعرف عنه شيئا ولهذا تروني ابكي ، واني اقسم بالله انني لا ابرح من هنا الا عندما يرجع اندهوق ولابد لي من استطلاع اخباره ، واطلب من اخي عمر ان يسرع الى سرنديب الهند ويطفيء من قلبي هذه الجمرة ، وكان عمر العيار يرغب في ان يعرف ماذا حدث للامير اندهوق لانه كان يحبه كثيراً ، فقال لاخيه ابشر ايها الامير فالذي تطلبه انت ارغب به قبلك ، وسوف اعود اليك بالخبر المفرح ان شاء الله .

ثم التفت الى السلطان واستأذنه بالمسير فاذن له وسار من هناك بعد ان ودعهم جميعاً ولا زال في مسيره الى ان قرب من سر نديب الهند وكان لابسا ملابس الدراويش فنظر الى بعد فراى معسكراً فتقدم من احد الحراس وسأله لمن هذا المعسكر ؟

قال: لاندهوق وهو من كرماء الناس فاذهب اليه لانه يحب الدراويش ففرح عمر عند سماعه هذا الكلام وتقدم من الصيوان ووقف ببابه فوجد اندهوق جالساً ومن حوله ثلاثة ملوك من ملوك التركمان فتقدم عمر وقبل يديه ثم طلب احسانه فتعجب اندهوق من فصاحته وامر ان يدفعوا اليه ستمائة دينار فأخذها ولكنه لم يرضى بها فقال اندهوق: الم يعجبك هذا المقدار ؟ فقال : كلا وارى من العيب على رجل عظيم مثلك ذلك واذا بشيحان وقف في الباب وقال لا تكن طماعاً ايها الدرويش فالتفت اندهوق فراى شيحان واندهش من وجوده وقال من هذا ربما يكون عمر العيار ، قال هو فخر العرب فنهض اندهوق

واقفاً ورمى بنفسه على عمر وسلما على بعضهما ثم قال عمر أيكون عطاء اندهوق الى عمر مبلغاً قليلا .

قال : اني ورب الكعبة لا امنع عنك شيئاً وكل ما هو لي تحت امرك خذ منه ما شئت فشكره عمر ونزع عنه ثوب الدراويش وتقدم من الحاضرين وسلم عليهم ثم اخبر اندهوق عن كل ماوقع للعرب في بلاد السودان فتعجب من ذلك وقال : لاريب ان الامير حمزة موفق وأن الله سيعطيه اضعاف ما اعطاه وقد عملتم حسناً بانتخاب الامير قباط سلطاناً عليكم فالآن تمت سعادة العرب ونالوا من المجد مالم ينله كسرى لان في معسكركم من الفرسان ما لم يوجد مثلهم في جميع اقطار الدنيا ، ثم اخبره عمر عن ان الامير اقسم انه لايفارق مصر الا بعد ان يعرف ماذا جرى عليك حتى اذا كنت بخير وعدت اليه ، واذاكنت بضيق سار هو اليك فشكر اندهوق غيرة الامير وامر رجاله بالمسير في الحال .

وسارت جيوش الهند والتركمان وقد سدت الطريق بالطول والعرض الى ان قربوا من مصر فنزلوا للراحة وسار عمر العيار ليبشر اخاه بقدوم صديقه واخيه اندهوق ولما اقبل على صيوان اليون شاه دخله وهو جالس فسأله السلطان عن انه هون فلم يجب بل بقي معبساً فعرف الامير حمزة قصده فقال : اخبر بالخير ولك مني الف دينار .

فقال السلطان واني أزيدك فوقها فحينئذ قال للسلطان اني جئتكم بالامير اندهوق وبعد ساعتين يكون في هذا المكان ففرحوا جميعاً ولا سيما الأمير وخرجوا في الحال الى ملاقاته واجتمعوا به وقبلوا بعضهم بعضاً وكان لهم يوماً عظيما ذبحوا فيه الذبائح واعلنوا الافراح وقد عرف اندهوق ملوك التركمان بفرسان العرب وسلطانهم فترحب بهم الامير كثيراً وعين لهم مقاماً بين الملوك وصاروا منذ ذلك الحين مع العرب ، واولم حاكم مصر وليمة فاخرة اكراماً لاندهوق وللامير حمزة وزينت المدينة وكان عمر العيار قد دعا بجماعته وقال اتبعوني فقد جئت اليكم بغنيمة عظيمة فلحقوا به فرحين فصعد الى اكمة عالية وجعل ينثر الاموال عليهم وهم يلتقطونها حتى فرغ ثم قال ياليت لي أموال العالم كلها لكنت افعل بها كما ترون .

وبعد ان صرفوا ايام الافراح في ذاك المكان ولم يعد من مانع يمنعهم عن الرحيل امر السلطان قباط بالمسير فركبوا جميعاً بحسب مراتبهم

ورفع علم بيكار لاشتهار فوق راس السلطان ومشت بعده الطوائف على الترتيب وقد سدوا الفضاء مشرقاً وغرباً وقد خرج حاكم مصر لوداعهم كل ذاك النهار وعند المساء رجع الى بلاده وسارت العرب في طريقها ينتقلون من مكان الى مكان حتى قربوا من حلب وعرف بوصولهم نصير الحلبي فخرج بقومه لملاقاتهم وهنأهم بالقدوم ودخلوا جميعاً الى المدينة وسلم الجميع على بعضهم البعض والتقى الاحباب بالاحباب وفي اليوم الثاني اجتمع العرب بنصير الحلبي وسألوه عن حال كسرى فقال : ان ما اعلمه انه مضطرب الافكار ، وانه يستعد للحرب وقد حضر الى المدائن عمر بن شداد وصقلان الرومي واخبرا كسرى بأسر فرهود واستملاك بلاد السودان فنوى كسرى ان يعود الى ما كان عليه وان الذي حمله على ذلك هو بختك .

فقال الامير فليفعل ما يشاء فاننا لانخافه ولا بد من كده ، ثم امر ان تقام الافراح في المدينة وقد تزوج في تلك الايام نحو ثلاثين الف شاب بثلاثين الف بنت فكانت الاعراس قائمة في كل جهة والغناء والرقص وصرفوا نحو ستة اشهر على الحظ والانشراح ، واما فرهود فانه راى لذة عظيمة في صحبة الامير ونسي بلاده واوطانه .

وبعد ذلك قال الامير : اننا نريد ان نعرف ماذا يفعل كسرى في هذه الايام ، فأخاف ان يكون سكوته لدسيسة يفعلها ، فقال عمر : اني اذهب انا بنفسي لاني اشتقت الى الوزير بزرجمهر ثم سار يقطع الفيافي والقفار الى ان قرب من المدائن واذا به يرى الجيوش متجمعة خارج المدينة والخيام مفصوبة حولها ، فقال في نفسه : لاريب ان كسرى يجمع العساكر لقتالنا ، ومن من بين الخيام وهو بزي الاعجام لايعرفه احد منهم ، ولما وصل الى ديوان كسرى اختلط بين الحجاب فراى كسرى جالساً والى جانبه بختك واعيان العجم يتذاكرون بأمر العرب وبختك يزيد الطعن في العرب وعمر يسمع ويرى ويقول في نفسه لابد ان تريك العرب ماذا نفعل ، وبقي صابراً الى ان انقضى النهار وانصرف كل الى قصره وسار بزرجمهر الى بيته فتأثره حتى دخل خلفه وتقدم منه وقبل يديه وبلغه سلام اخيه وسلطان العرب وقال : اني اتيت مستخبراً عن احوال كسرى ولماذا يجمع هذه العساكر ؟

فقال له : ان كسرى قد عزم في هذه المرة ان يجمع من العساكر ماتضيق الارض دونه ، وان الذين سيسيرون الى حربكم هم ٢١ كرة

وقد ابتنى كسرى في هذه الايام مدينة سماها نهروان وارسل اليها افلنطوش وزوبين مع خمسة آلاف فارس من فرسانه وان عمر بن شداد اخبره ان داغور الهندي هو من اشد فرسان العالم بسالة وسيحضر قريباً .

قال عمر : اني لا افارق هذا المكان حتى يصل داغور وانظره ، ولكن اريد ان اسالك كيف ان كسرى حرم على نفسه سماع ذكر العرب والآن رجع الى عداوتنا ؟ قال : انه كان عزم على ترككم غير ان بختك عند مابلغه ما فعلتم بالسودان جعل يدس الدسائس وقد وجدوسيلة كبرى عندما بلغه انكم اخترتم سلطاناً كبيراً فتكدر كسرى وخاف على شرف دولته فتحركت في نفسه عوامل الانتقام وعزم على ان يفلجكم في هذه المرة بقوة تفوق الحد واقسم انه لايرجع عنكم اما بخرابكم واما بخرابه .

فقال عمر : اننا نستعين عليه بالله خالق الليل والنهار ، ولكن اسألك هل يوافق ان اخبر اخي بالذهاب الى نهروان قبل ان يصله كسرى وعسكره ، قال : اني احب ذلك واذا وقع بأيديكم زوبين وافلنطوش فاقتلوهما ، وان في شهروان مؤونة كسرى وذخائره .

وقد بقي عمر في المدائن مدة اربعة ايام وفي كل يوم يختلط الخدم والحجاب وعند المساء يعود الى قصر بزرجمهر ويبيت عنده وفي اليوم التالي وصل الخبر الى كسرى بوصول داهور فامر بختك والاعيان ان يخرجوا لملاقاته فخرجوا وخرج معهم عمر العيار ولازالوا سائرين حتى راوا العساكر قد اقبلت وكلها من رجال الهند واكثرهم يركب الافيال فتقدم عمر العيار ليرى داهور الهندي فوجده بطل نادر المثال وعليه من السلاح مالا يقطع فيه السيف ولا تخترقه الصواعق فقال عمر في نفسه لم يبق لي من مشغل هنا ولا بد من الاسراع الى اخي واخبره بما رايت وادعه يذهب الى نهرو ان قبل ان ياتيهما كسرى ، ثم اطلق ساقيه للريح حتى وصل حلب ودخلها بسلام فراى العرب مضطربين عليه ولما راوه فرحوا به فاسرعوا اليه فاخبرهم بكل ماراى وسمع واخبرهم بما قال الوزير بزرجمهر بشأن الاسراع الى نهروان ويستولي على الذخائر والمهمات قبل ان تصل عساكر كسرى وينبغي اسر افلنطوش وزوبين وقتلهما ، فوافق الجميع على الذهاب الى نهروان وفي اليوم التالي ركب السلطان على جواده واحتاط به حراسه والى جانبيه عمر العيار ومشت المواكب والكتائب

من طوائف مختلفة وداموا في المسير الى المساء ونصبوا الخيام للمبيت وقد اجتمعوا العرب في صيوان السلطان فنهض الامير سعد بن الامير عمر اليوناني وتقدم من عمه وقال له : اطلب منك ان تسمح لي بالذهاب في مقدمة الجيوش لاشغل افلنطوش بالقتال لان كثرة عددنا لاتدعنا نسير بالعجلة الواجبة .

فلما سمع الامير حمزه ذلك اعترجه قبل ان يجيبه السلطان وقال: يجب ان نبقى كلنا مع بعضنا ولو تعوقنا بزيادة ثلاثة ايام .

قال : اني اطيعك ياسيدي بكل شيء الا في هذا الامر اذ لا بد لي من ان اسبقكم واسير في هذه الليلة لان لي ثأراً على زوبين الغدار وافلنطوش واريد ان اشفي قلبي منهما .

فقال له : هل امك التي حملتك على هذا العمل ؟ قال : اني اعرف انه عدوها والحت علي ان اركب في مقدمتكم فوعدتها بذلك ، فغضب الامير من عمل طوربان فدعاها اليه في الحال فجاءت وقبلت يديه وقال لها : ان ابنك خبرنا بانك سألته الذهاب امامنا الى نهروان ليحارب زوبين قالت : نعم اني فعلت ذلك ولا انكره ، قال : كيف يهون [illegible] يك ان نخاطر به وليس لك سواه فضلاً عن انك تحمليه على العصيان ومخالفة [illegible]رنا ، قا[illegible] [illegible]معاذ الله . وانت تعلم ان زوبين اراد الغدر بي وفعل معي افعالا [illegible]كن ان انساها ولاسيما عندما قصد حرقنا بالنار وحرق اولادنا وعليه فان ابني كان قد مات من تلك الايام فزيادة عمره كانت من الله ، وخير عندي ان يموت تحت ظلال السيوف من ان اراه متقاعساً عن اخذ ثاره ومتكلاً على غيره ، ولا اريد الا ان يذهب لوحده او لايشفي غليل قلبه وقلبي .

فلما سمع الامير حمزة كلامها تكدر منها وعنفها بالكلام وابى ان يسمح لابنها بالذهاب وخرجت غضبى ونوت على الذهاب والسفر في تلك الليلة .

وبعد ان نام الامير حمزة بساعتين جاء عمر العيار وايقظه من نومه وقال له : ان الامير سعد قد ركب بجماعته الاكراد وسار فطلبت اليه ان يرجع فأبى فهو عنيد لايسمع فامر الامير ان يأتيه بابنه عمر فسار اليه ودعاه ولما جاء قال له الامير : اريد منك ان تذهب وترجع ابنك من السفر قال : اني لاافعل ذلك وقد نهيته فلم يسمع مني لانه محب لامه وامه لا تقبل الا ان يسير في الاول ، وعندي ان ندعه وشأنه وفي الصباح نسير في اثره فلا يبعدنا كثيراً . فسكت الامير وهو غير راض

من امير سعدون عناده وخائفاً عليه ان يرمي به جهله في الخطر فيعلمه وهو من الابطال الاشداء .

وعند الصباح امر العساكر بالرحيل فركبت الفرسان وساروا يتقدمون خلف الامير سعد بعد رجوعه الى معسكره امر الفضبان رئيس الاكراد ان يستعيد للرحيل ويأمر الرجال بالمسير بعد قليل ، فصدع للامير وعند منتصف الليل ركب الفضبان وطوربان وساروا فشعر بهم عمر العيار لانه كان ساهراً على المعسكر فاعترضه فلم يستفد شيئاً وبقي سعد سائراً بجهد ولجتهاد وهو يتمنى ان يصل الي نهروان ليأخذ لنفسه بالثار من زوبين الغدار وجده افلنطوش المكار ولما وصلوا الي قرب معسكر الاعجام كان الوقت ليلاً فوقف سعد ونظر اليهم ثم قال لامه : اعلمي اني لا اريد ان اضيع الوقت عبثا وفي نيتي اكبس الاعداء قبل اتيان الصباح ، قالت افعل ماتريد يابني قال: اذاً ننقسم الي ثلاث فرق ونهجم عليهم بغتة وانا اتكنى بالامير حمزة وانت بالاندهوق والفضبان بالمعتدي واذا راى الاعداء ذلك ظنوا ان العرب جميعها كبستهم فيوقعوا في الارتباك ويتفرقوا ، فاستصوبت رايه وانقسم الاكراد الى ثلاثة اقسام كل عشرة آلاف في ناحية تحت امرة واحدة .

وبينما كان الاعجام نائمون واذا بالامير سعد قد انحط عليهم كانه قضاء الله المنزل وانطبقت العرب عليهم من كل ناحية وعملوا في اعدائهم السيوف وجعلوا يدافعون عن انفسهم وهم بارتباك عظيم ، والامير سعد يفعل بهم كما تفعل النار بالقش اليابس وينادي : انا الامير حمزة العربان فيقلب الميامن على المياسر وقد ترك القتلى كالتلول . ومثل ذلك فعل طوربان والامير الفضبان ودامت الحرب قائمة الى ان اشرق النهار فنظر زوبين وافلنطوش ان عدد المحاربين قليل جداً وكانا قد ركبا جواديهما وانزويا في جهة من جهة المدينة مع كثير من قومهما .

ولما عرفا ان حمزة ليس هناك جمعا فرسانهما من كل ناحية وقاتلا كل ذلك النهار الى المساء ، وقد قتل في الليل نحو خمسين الفاً من الاعجام وفي النهار لم يقتل الا القليل .

وزوبين وافلنطوش يبذلان جهدهما ليقبضان على طوربان وولدهما ويصيحان بالعساكر ان تهجما عليهما حتى ضاقت من الاكراد الانفاس ، واما سعد وطوربان فقد ايقنا بالهلاك لانهما قاتلا جيشاً عرمرماً وفيما هما على مثل ذلك الا واصوات خرجت من طرف البر وعساكر الهند قد

اقبلت وهي مسرعة طالبة القتال وحملت باسرع من ريح الشمـال وفي مقدمتها فارسها الأوحد الاندهوق وهو ينادي ابشر ياسعد فقد جاءك الفرج وحمل معه قومه من كل ناحية حتى ارتجت من تحتهم الارض واتسع على الامير سعد وطوربان المجال فطالا واستطالا وحز باقي الاعجام وابلوهم بالهلاك وقد دب فيهم الفزع فعولوا على الهرب والفرار غير أن الامير سعد وجماعته سدوا عليهم الطرقات وطوربان تخترق الصفوف وتود ان تلتقي بزوبين الغدار لتسقيه كأس البوار، غير ان ابنها سعد سبقها اليه وهو مزمع على الهرب فضربه برمحه فقلبه عن ظهر الجواد فادركه بعض رجال سعد وشدوا وثاقه وكذلك التقت طوربان بابيها فأراد أن يضربها بسيفه فأخذت لنفسها الحذر وارمته الى الارض فأخذوه اسير هذا والقتل عامل في الاعجام من كل ناح سد الله في وجههم طرق الهرب وسعد كالاسد الكاسر لايقع نظره على واحد الا وانحط عليه واعدمه الحياة وكان من جملة الـذيـن اسرهم عمر بن شداد وصقلان الرومي ، هذا وما جاء العصر من ذاك النهار الا وقد فنيت الاعجام عن آخرهم .

فاخذ العرب في جمع الغنائم والاسلاب ثم التقوا ببعضهم البعض وسلم الامير سعد على اندهوق وشكر غيرته وكذلك طوربان مدحته وقالت له : لولاك أيها البطل لما نجحنا ، فقال : من مثل هذا كان يخاف الامير حمزة وقد بعثنا في أثركم في اليوم الثانـي والحمـد لله عـلى سلامتكم ونوال مرادكم من اعداءكم الاوغاد ولاريب ان الامير وسائر العرب سيسرون جداً بالذين اسرناهم وينتقمون منهم .

فقال سعد : كيف لاواني اريد أن اقتل زوبين الغدار واجاز بـه على فعله القبيح وكذلك جـدي افلنطوش حيث لم يشفق على أمي وعلي شاملا وهم بانتظار السلطان وكان الاعجام الذين هربوا من المعركة ساروا في طريق المدائن يقصدون المدائن حتى وصلوا وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور ولما وقفوا امام كسرى سألهم عما حل بهم ؟ فأخبروه بتفصيل الوقعة في نهروان وان ابن عمه وزوبين الغدار وعمر ابن شداد وصقلان الرومي وغيرهم من اعيان العجم قد اسرو .

فاضطرب كسرى وكاد يغشى عليه وصار يلوم بختك ويقول لـه ما ارتأيت رأياً الا وكان منه العذاب والهلاك ولاسيمـا ان العـرب سيقتلون ابن عمي في هذه المرة لانه وقع بأيديهم . قال : اني لااستحق ياسيدي هذا التوبيخ فما دبرت الا حسناً ولم اكن اعرف من أيـن

عرف العرب بأن عساكرنا في نهروان ، واني اطمنك بأن هذه المرة ستنقرض هذه الطائفة انقراضاً تاماً ويكون انقراضهم عن يد داهور الهندي وقد تجمع عندنا ٢١ كرة وكل كرة مائة الف عنان ، واما خوفك على ابن عمك فهو من باب الاوهام لاني اعرف جيداً ان العرب لاتمد اليه يداً خوفاً من سطوتنا ، فأمر العساكر ان تستعد للرحيل حتى في مدة سبعة ايام نركب ونسير الى خلاص رجالنا وهلاك العرب ، وننزع منهم علم بيكار الاشتهار ، فامر كسرى بأن يكون الجميع على اهبة الرحيل والسفر في اليوم السابع .

اما العرب فان الامير سعد احضر في المساء جده وزوبين يبكي ويتندم وسعد لايلين ، وقد قال لهما : لو كان امركما بيدي لقتلكما لا محاله ولكن امركما عائد الى جدي الامير حمزه لانكم تعديتما عليه كثيراً ، وصار يرقبهما بنفسه خوفاً عليهم من الفرار ، وبقي مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع لاج علم بيكار الاشتهار واشرقت انواره على جوهرته الكبيرة وعلى عموده الوضاح ، فخرج اندهوق والامير سعد وطوربان وملوك التركمان ولاقوا سلطان العرب ومن معه ولما وصلوا ترجلوا وسلموا فالتقاهم الامير حمزه واولاده ومن معهم وسألوهم عما اصاب الاعجام فاخبره اندهوق بالنصر والاستيلاء على ذخائر الاعداء ، وبأسر زوبين وافلنطوش وعمر بن شدادوصقلا، وغيرهم كثيرمن اعيان العجم ، فسر الامير سروراً لامزيد عليه وسار، جميعاً الى ضواحي نهروان .

فنظر الوزير عمر في البر فاختار مكاناً موافقاً لهم وامر ان تضرب الخيام فيه ففعلوا ولم يكن الا القليل حتى ضربت خيام كل امير الى ناحية وكل ملك الى جهة وفي الوسط ضرب صيوان اليون شاه وهو اعمدة من ذهب وبعد ان استقر بهم عاد الا[illegible] [illegible]بره حمزة بما فعل الامير سعد وكيف بدد شمل الاعداء واسر زوبين .

فقال الامير سعد : انا كدنا نقتل لو لا يدركنا اندهوق ويساعدنا وينتشلنا من ايدي الاعداء فقال الامير : نحن نعرف ذلك ونعرف ان جهلك يلقيك بالمخاطر ، وان كنا نتأكد فيك الشجاعة والبسالة التي لاتوجد بغيرك من فرسان هذا الزمان لكن يجب من الآن فصاعداً ان نطيع اوامرنا ولا تعصاها والا فلا تكون منا ، فقال له : ياجداه انت تعرف مافعل زوبين الغدار مع امي وكيف قصد اذلالها واهانتها ولو ابي ما خلصها لكان فعل ما فعل وبعد ذلك غدر بها وبمهردكار

٧

واخذونا الى المدائن وقصدوا هلاكنا بالنار لو لم يسارع عمر العيار الى خلاصنا فكيف اسمع مثل هذه الأخبار واسكت عن أخذ الثأر ولا سيما امي تدفعني اليه ولا تريد أن أحداً يأخذ لها بثأرها الا انا لتشفي غليل قلبها من قتلهما ، وها قد انقضى الامر الآن يبق الا صدور امرك بقتلهما لينالا جزاء غدرهما ، فسكت وعرف أن الحق بيده وان قتل زوبين ورفاقه لابد منه .

فطلب السلطان ان تقدم الاساري بين يديه فجاءوا بهم مقيدين ولما رآهم الامير حمزة والعرب وتحركت فيهم شهوة الانتقام فقال لهم لقد آن اوان قتلكم وستجازون على فعلكم ، فقال زوبين وعلى اي شيء نستحق القتل وقد خدمنا كم مدة واخلصنا لكم الود فقال عمر العيار : ان الزمن الاول قد مضى ولا مطمع لكم بالخلاص فقد عرفناكم وعرفنا انكم من الاشرار ولو لا اخي حمزة لما تركناكم واما الآن فامركم عائد الى سلطان العرب ووليهم .

فقال السلطان : لابد من محاكمتكم فاذا كان الحق معكم عفونا عنكم والا حكمنا عليكم بالقتل ، ثم ان السلطان اقام مجلساً للحكم مؤلفاً من اسطون الحكيم والملك استانوس وثلاث ملوك التركمان وفرهود ملك السودان ، وقال : هؤلاء ملوك ولايمكن أن يحكموا الا بالعدل وعين في اليوم الثاني محاكمة المجرمين .

وفي اليوم الثاني احضر المجرمون وهم مقيدون الى هيئة المحكمة وحينئذ طلب رئيس المحكمة ممن لهم ادعاء على هؤلاء المجرمين أن يتقدموا بشكواهم فتقدمت طوربان وادعت على ابنها وزوبين بأنهما كان متفقين على اخذها غدراً وخيانة ولو لا عمر اليوناني ما خلصني لكان زوبين نال بغيته مني ، وفي المرة الثانية غدروا بنا وقادونا الى المدائن واعتمدوا على قتلنا بعد ان إذاقونا مر العذاب ، فقال زوبين: اني وان كنت غدرت بها فقد سامحتني في المرة الاولى ولم تطلب الانتقام مني وحيث تركت حقها فلا حق لها من هذا الوجه واما من جهة الغدر لقد اغتظنا من عمل العرب معنا ففعلنا واما امر احراقهم فهذا لايعنينا فهو من خصائص كسرى الملك الاكبر لان امر الهلاك والبقاء عائد اليه .

ثم تكلم حمزة بما فعل معه زوبين وسكا ماورقا وعمر بن شداد وصقلان وفي المذاكرة قررت المحكمة بوجوب قتل الجميع لانهم خائنون وجزاء الخائن الاعدام ، وطلبوا من السلطان أن يأمر بقتلهم

فقال السلطان : اني اوافق على ذلك ولا اظن ان الله سبحانه وتعالى يسألنا عن قتلهم ، غير اني لا اريد قتلهما على مراى من كسرى والاعجام فيعرفون احتقارنا لهم ونحرق قلوبهم ليتأكد بختك اننا ما فعلنا ذلك الا لنريه انه اذا وقع بأيدينا فعلنا معه ذلك .

فلم يعترض عليه احد في ذلك واعيد المجرمون الى مواضعهم وبقي السلطان وجماعته في ذلك المكان مدة سبعة ايام بانتظار العجم الى ان ظهر لهم غبارهم وقد سد الفضاء ، فعرفوا بوصولهم ، عندما امر السلطان ان يصعد الفرسان الى اكمة عالية ليروا جيوش كسرى ويشاهدوا داهور الهندي الذي اخبرهم عمر العيار عنه فصعدوا الى مكان عال مطلا على الطريق واذا بجيوش كسرى اخذت ان تتقدم وهي منتشرة كالجراد والاعلام تلوح من تحت الغبار ولا زالوا في تقدمهم حتى وصلوا وضربوا خيامهم ، فنظر العرب الى داهور وهو على ظهر الفيل فتاكدوا انه من الابطال الصناديد وصدقوا ما قاله عمر العيار وما فيهم الا وحسب حسابه ، فقال الامير حمزة : اني اقول ان في الدنيا كثيراً من الفرسان منه ثم انهم رجعوا الى الخيام ينتظرون البدا في القتال .

واما كسرى فانه نظر الى العرب وشاهد العظمة التي هم عليها فقال لبختك انظر الى العرب فانهم يتظاهرون بالعظمة واني كلما نظرت الى علم بيكار الاشتهار يتفطر قلبي ولا اعلم في اي زمان احصل عليه قال بختك لاريب اننا في هذه المرة نقلع آثار العرب ونرجع شرف الفرس وننصب العلم امام صيوانك ، ولاريب انهم شاهدوا كثرتنا وراوا ما اضاع عقولهم ، فاكتب لهم واطلب منهم ارجاع العلم المذكور وتسليمنا مهردكار وطوربان وحمزه واولادهم واخبرهم بانك تعفو عن كل من يطيع فاستحسن كسرى ذلك وكتب كتابا الى سلطان العرب يأمره ان ينزع التاج عن راسه ويحضر الى ديوانه صاغراً فيعفو عنه وعن امه مهردكار واما ابوه حمزه فلا بد له من قتله وقتل عمر العيار ولما انتهى من كتابة هذا التحرير ارسله الى السلطان قياط فاخذه الرسول وجاء معسكر العرب ودخل الصيوان ووقف باحتشام بعد ان ناول الكتاب الى السلطان .

فاخذه وفضه ثم اعطاه لوزيره ليقراه علنا ففعل حتى سمعه الجميع ، فحينئذ قال الملك للرسول : اذهب الى مولاك وقل له ان لا جواب عندنا الا الاسمر الهندام ، واننا ما جئنا هذا المكان الا لاجل

محاربته وفي نيتنا نزع الملك منه ونلبسه ثوب الذل والهوان ونبيدعن وجه الارض كل من لايعبد الله العزيز الجبار .

قال فرجع الرسول الى معسكر الاعجام ووقف بين يدي كسرى واعاد اليه كل ماسمعه من العرب وسلطانهم ، فغضب الغضب الشديد واقسم أن لايبقى من العرب ديار ولا من ينفخ نار ، وامر العساكر ان تستعد للقتال وكذلك العرب فانهم هيأوا نفوسهم للحرب وعولوا على قتل الاساري في الصباح . فنصبوا في وسط الميدان ابواباً من الخشب يظهر من كل الجهات ويعلو عن الارض ذراعين .

ولما كان الصباح ضربت طبول الحرب فتقدم الفريقان وقبل أن يتم الانتظام احضر عمر العيار الاساري باجمعهم ورفعوهم على ظهر الايوان وهم موثقين بالحبال واذ ذاك تقدم الامير حمزة وهو على ظهر جواده اليقظان ونادي بافصح لسان وقال :

انظر ياكسرى ماذا يجري بفرسانك واعيانك وابناء عمك وسوف يحل بك ما يحل بهم عن قريب ، ثم جزد حسامه وهجم على الايوان وقبل ان يصل إليه سبقته طوربان وصاحت : يالثارات الشرف من هذا الخائن المهان وضربت زوبين الغدار بالصارم البتار فقسمته نصفين والقته الى الارض وهجم مثلها باقي ابطال العرب وكان حمزة قد قتل انطوش وقتلوا هم الباقين .

فلما راي كسرى ذلك كاد يغمى عليه وصاح بملء رأسه بفرسانه ان تحمل على العرب وهو يلعن بختك وكاد يفقد صوابه على قتل ابن عمه .

هذا وقد حمل العرب على العجم وقد سطا الامير حمزة سطوة جبار واهلك من العجم نحو الفين وفعل مثله فرهود البطل المغوار واما اندهوق الاسد الكرار فقد أرعب بفعله الكبار والصغار وكذلك باقي العرب فقد خاضوا المعركة وفعلوا افعالا تحير الافكار وحامت الحرب كذلك الى الزوال وضربت طبول الانفصال ورجع داهور الهندي بعد أن قتل كثيراً من العرب ولو وجد ثلاثة فرسان مثله في معسكر العجم لفازوا بالمطلوب لانه على ما يقال من طبقة الامير حمزة في القتال .

ثم وقف الامير سعد وقال : اني كنت احب اجرب نفسي مع داهور باجداه فارتاح الامير من ذلك لانه يعرف عناد سعد وقال له : اياك من أن تفكر بمثل هذا الامر فما من احد يقاتله غيري لان لي ثأرا عليه ، فقال عمر العيار : ان امر قتال داهور مفوض لخاطر الوزير

بزرجمهر فأريد ان اذهب اليه واستشيره واعرض عليه واقعة الحال، وكان عمر قد قال ذلك ليقلل من امل سعد ببراز داهور ويمنع اخاه عن برازه ، وربما فكر بحيلة لخلاص العرب ، فأجاب الجميع طلبه وحبذوا رايه ، عندما نهض عمر ونزيابزي واحد من حجاب كسرى كواحد من حجابه واصغى الى مايقولون فقال داهور : اني تعجبت جداً من قتال حمزة واعترف انه بطل عظيم وكلانا متساويان . واني اريد ان نتوقف عن الحرب مدة ايام الى ان ارتاح مما لاقيت .

فقال بختك : اننا سنحمل في الغد بالعساكر فيمكنك ان ترتاح يوماً او يومين ومن ثم اطلب البراز فيأتيك حمزة ويكون غير مرتاح فاستصوب كسرى كلامه واجاب طلبه ، وانه في الصباح اذ نهض العرب للقتال يباكرهم رجاله ويقاتلونهم حتى المساء .

وبعد ذلك سار الوزير بزرجمهر وعمر باثره حتى دخل صيوانه فتقدم منه وقبل يده وبلغه سلام العرب واستشماره في امر القتال قال : لو جئتم الي في بادىء الامر لما تركناكم تقاتلون ابداً لتأكدي انكم لا تأتون بالمطلوب وما من امل بالنجاح في هذه الايام ، لان منية داهور عن يد فارس شاب اشقر اللون طويل القامة وهذا الذي يقدر على خلاص العرب ويفتخرون به جيلاً بعد جيل . والآن متى ذهبت الى اخيك وسلطانهم فبلغهم سلامي ودعهم يذهبون الى المدينة الى ان يأذن الله بالفرج وبعد قليل من الزمن يصل الى هذا المكان والا لو قاتلتم الى آخر الزمان لما نلتم من داهور غرضاً .

ثم ان عمر قبل يد الوزير وخرج من صيوانه وجاء العرب ودخل على السلطان وعنده الفرسان باجمعهم فلما استقر به الجلوس اعاد عليهم كل ماسمعه من بزرجمهر وحرم عليهم القتال الآن وقال ان من يقتل في هذه الحرب يكون ظلماً وغدراً لان الله لم يأذن بعد بقتل داهور فتربصوا ودخلوا المدينة واقيموا فيها للراحة

فقال حمزة : لو لا امر بزرجمهر وشوره لما تركت القتال ، فاذا تخلى داهور عن الاعجام مدة يومين بددت شملهم ، ثم ان السلطان امر الفرسان بان تدخل المدينة الى ان يأتي الله بالفرج .

فدخلوا المدينة ولم يبق في الخارج احداً . وعند الصباح نهض كسرى وقومه فلم يروا احداً من العرب فقالوا انهم عرفوا عجزهم وتقصيرهم عن قتالنا ففازوا بانفسهم . وقال بختك : اننا اذا ابتنا

على عزمنا في هذه المرة الطائفة وفرقنا شملها ، ويمكننا ان نقيم في محلنا الى ما شاء الله حتى تفنيهم الايام .

واما العرب فانهم بقيوا في المدينة مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع خرج الامير عمر الى البرية وصعد الى تلة عالية ووضع المرآة في وجهه وهل ينظر فيها الى البر عساه يرى الفارس الذي اشار عليه بزرجمهر وفيما هو ينظر راى عن طريق . ـة فارساً ابيض اللون اشقر الشعر طويل القامة مسربلاً بالحديد وهو كانه الليث في عرينه وبين يديه غلام اسمر اللون مدجج بالسلاح كانه عفريت من عفاريت السيد سليمان فاحتار عمر بأمر الفارس وعياره وقال : لابد لي من الاستطلاع على خبرهما ومن يكونان ثم اخفى المرآة في صدره وتقدم في الطريق فراى الفارس والعيار يتقدمان بسرعة فكمن ينتظر ما يكون منهما وبقي كامناً الى ان قرب منه فتحرن عمر وصاح الفارس للعيار وقال : ويلك يا سيار انظر من في الطريق . فاذا كان أسداً فاقتله او ان انساناً فانصحه ان لايتعرض لرستم ابن الامير حمزة البهلوان فصار عمر يتحايل له تحت الظلال وفيما هو كذلك لم يشعر الا وسيار العيار يقبض عليه من اكتافه ورماه الى بعيد امام الجواد ، فصاح به الفارس قائلاً من هذا : قال عفريت اسود يريد ان يوهمنا في الليل ولكني قد عولت على قتله في الحال . قال اياك ان تمد اليه يد قبل ان انظره ثم انه قفز الى الارض كأنه الغزال فراى سيار واقفاً امام عمر وبيده خنجره وعمر يضحك غير مكترث بما يفعل فلما رآه الفارس صاح به قائلاً : ويلك ماذا تفعل هنا في هذا الوقت فاخبرني الصحيح والا قتلتك في الحال .

قال اني لااخاف منك ولا من الف فارس مثلك ، ولكني ماوقفت في هذا المكان الا لاعرف من انت وما اسمك ؟ .

قال : اسمي رستم ابن الامير حمزة البهلوان . قال : وما اسم امك ؟ قال : اسمها مريم بنت الملك قيصر قال : وهذا الغلام من يكون قال : هو عياري سيار ابن الامير عمر العيار الذي لايوجد اخف منه في هذا الزمان ، قال : انني اراه قليل التربية وعديم الآداب ، قال : ولماذا ومن اين عرفته ؟ قال : حيث يمديده الى ابيه ويجسر ان يشهر عليه السلاح . واني اعرفه الآن بنفسي . فانا عمر العيار وزير سلطان العرب وابو سيار وقد جئت بانتظار الفرج للعرب وهو انت ، فلما سمع رستم هذا الكلام تقدم من عمر وسلم عليه وكذلك سيار قبل يد ابيه واعتذر اليه عن عمله .

ثم سال رستم عمر عن ابيه وعن سبب قيامــه في تلك الجهــة ؟ فاعاد عليه القصة من اولها الى آخرها واخبره بامر داهور الهندي والفرس وان فرسان العرب مقيمين في هذه الارض على الياس .

فهاج وصاح واقسم بابيه انه لايدخل المدينة قبل ان يقتل داهــور الهندي ويرمي الاعجام بالويل والهوان . ثم قال لعمر : سر انت الى العرب وخبر ابي بقدومي . واما انا فاسير راساً الى معسكر الاعجام واباشر بالحرب معهم واقتل داهور وكل من يلوذ بالاعداء .

فقال له : ان اباك قد قتله داهور فزاد غضب رستم ونزلت الدموع من عينيه وصاح بصوت اهتزت له الجبال ونهض في الحال الى ظهر جواده وقال : اذا كان الزمان لم يسمح لي ان ارى وجه ابي قبل ان يموت فقد سمح لي ان لااترك ثاره وسار مسرعاً والدموع تنحدر على خديه وبين يديه عياره سيار يقطعان الارض نهباً ورجع عمر العيار متاثراً مما شاهد وراى من الامير رستم وقد عرف انه من صناديد الرجال ، وما قال له ان اباك مات الا ليحترق الى اخذ الثار فيقتــل داهور ، وبقي مسرعاً الى ان وصل العرب فدخل على اخيه وكان الوقت صبحاً فايقظه من نومه وقال له :

قم الى صيوان اليون شاه لاني اريد ان اجمع الفرسان لامرهام، فقام ودخل الصيوان بينما كان عمر يجمع الفرسان ولما اجتمعوا وتم انتظامهم قال عمر : اعلموا ايها السادات اننا مقيمين هنا على انتظار الفرج منه تعالى ، والآن قد ثبت لدي ان الفرج قد اذن به الله تعالى ولم يرضى بان نبقى تحت الحصار ، فليذهب كل واحد منكم ويستعد للقتال ، فاخرجوا برجالكم وعساكركم واصطفوا كالعادة وسترون النصر بدون شك ، فيوم الغد هو اليوم الفاصل ولا ريب بمعونته تعالى وتندفع عنا قبائل الاعجام ويهرب كسرى ويقتل داهور العاتي المتكبــر .

فصغى الجميع الى كلامه وانصرفوا الى قومهم واخذ كل سلاحه ودعا رجاله وامرهم بالاستعداد الى القتال ، ولما اشرق نور الصباح رفع علم بيكار الاشتهار فوق راس السلطان وتحركت ركابه وسار من حواليه حراسه وابطاله ثم امر ان تضرب طبول الحرب والكفاح.

فسمع كسرى ذلك وقال لبختك : ها ان العرب قد خرجوا للحرب ولا اعلم السبب الذي دعاهم الى ذلك .

قال : لاريب ان الزاد قد فرغ منهم فطلبوا الحرب ليهلكوا بها افضل من يهلكوا جوعاً . وارى ان تسأل داهور ان يبادر ابطالهم فيميتهم ومن يحمل على الباقين فيبيدهم وندخل المدينة ونجعلها معبداً للنار وندعو العرب للسجود لها فمن اطاع عفونا عنه ومن ابى احرقناه بها ، وهو مازال حاضراً فقال : اني سابرز الى حمزة في هذا النهار عسى النار تنصرني عليه فاقتله ومتى قتل هان علينا كل شيء .

وبعد ذلك امر كسرى بأن تضرب طبول الحرب والكفاح وتقدم الجيوش الى وسط الميدان ولم يكن الا القليل حتى اصطف الفريقان ووقف كل فارس في مركزه ، واذا بداهور الهندي قد تقدم الى وسط الساحة وهو على ظهر فيله كأنه البرج المشيد وعلى راسه خوذة من الفولاذ وعليه صدرية من الحديد لاتعمل فيها الصوارم وبعد ان استقر في الوسط امر جماعته ان ترجع الى الوراء وتقف باحتشام فرجعوا فحينئذ اشار الى العربان وطلب اليهم ان يبعثوا باميرهم لينهي اجله في ذاك اليوم .

وكان حمزة على اليقظان فاراد ان ينزل اليه الا انه سمع صوتاً اشبه بالرعد القاصف قد خرج وانحدر فارس على فرس ادهم كأنه الليل الحالك فنظر حمزة اليه فرآه ابيض اللون وشعره يميل الى الشقرة وهو مدجج بالسلاح وعيناه تقدحان شرار النار فنظر العرب الى الفارس وهم متعجبون منه ولا سيما عندما راوه غريباً عن الطرفين وعليه ثياب الملوك القياصرة .

ثم اطلق ذاك الفارس عنان جواده فخرج به كأنه البرق الخاطف وبين يديه سار العيار يسبق الجواد حتى حير عقول الرجال ومازال سائراً الى ان توسط الميدان .

وكان عمر العيار قد عرفهما حق المعرفة فترك مقامه وانطلق يجري الى ان وقف امام الامير حمزة وصار ينظر الى رستم حتى رآه قد وقف امام داهور وامتشق من وسطه الحسام واراد ان يهجم عليه فقال له داهور :

كيف تقاتلني وانت لم تعرفني ولا اخبرتني من انت مع انك صغير السن فتخاطر بنفسك عن غير هدى . قال اما انا فاني اعرفك بنفسي انا الملك قيصر ملك الروم واسمي رستم ؛ واسم ابي الامير حمزة البهلوان واما قولك بأني صغير السن فهذا هو الفخر العظيم الذي يشهد به كل جبار كريم لاني بدون شك ساقتلك وانال بقتلك غايتي .

قال : ان اباك الامير حمزة هو مشهور بالبسالة ومع ذلك فقد فر من امامي ولم يقدر على الثبات فكيف تقدر انت على قتالي والوقوف امامي ؟

قال : سوف ترى مني ما تتعجب منه انت وباقي الفرسان .

ثم هجم عليه وصدمه بقلب كأنه قد من الصخر ، فالتقاه داهور وحمل عليه كأنه قضاء الله المنزل والتحما في القتال وهما يصيحان ويهمهمان وقد ابهروا نواظر الفرسان ، وقد اعجب الامير حمزة قتال هذا الفارس وتحير عندما راى سرعة جولانه وقد مال قلبه اليه كل الميل ثم التفت الى عمر العيار وقال اصدقني الخبر فانك عالم بحاله ولولاه لما اخرجتنا الى الحرب ، ولم يبق لي صبر عن معرفة اسمه وحاله .

قال : اعلم ان هذا الفارس هو ابنك رستم ابن مريم بنت الملك قيصر التي تزوجت بها والذي تراه يدور من حوله هو سيار ابن عمر العيار من الجارية التي تزوج بها هناك .

فلما سمع حمزة ذلك كاد يطير من الفرح وتساقطت الدموع من عينيه واراد ان يلقي بنفسه عليه فقال له عمر : اصبر وانظر ابنك لابد ان يقتل خصمه بوقت لانه بين يديه كالشاة امام الذئب .

فما زال رستم في قتال داهور كأنه القضاء المنزل حتى اتعبه وضيع منه صوابه وعرف انه ما عاد يقدر على الثبات واذ ذاك سد عليه طرقه وطرائقه وصاح بصوت اشبه بالرعود والقواصف رن في آذان تلك الجموع وهي ماخوذة من افعال الأمير رستم الذي لم يخلق على وجه البسيطة اقدر منه بسرعة الضرب والطعان ، ثم قال في صياحه هلموا ايها العرب اصحاب الحسب والنسب وانظروا فعل ابن الامير حمزة في عدوه داهور الهندي القرنان وتذكروا هذه الضربة الى آخر الزمان ثم رفع الحسام في يده وصاح يالثارات حمزة ونزل بالسيف يهوي كأنه الرعد القاصف ولما راى داهور ارتبك ولم يعرف يمينه من شماله وراى الموت عياناً ومد يده بالطارقة ليلتقي سيف الاميررستم وهو سيف الشاه ياقوت الأزرق فوقع السيف على الطارقة فقطعها نصفين واصاب الخوذة فابراها واصاب راس داهور من اعلاه ففلقه ونزل السيف باسرع من لمح البصر حتى اصاب ظهر الفيل فنزل به نحو شبرين فوقع داهور قطعتين وضرب الفيل بخرطومه الارض من

من شدة الالم وأراد ان يضرب رستم بخرطومه لولا ان اسرع بضربة القته على الارض جثة هامدة .

اما كسرى وبختك لما راوا داهور قد قتل كادت تنفطر مرائرهم من شدة الفيظ . وفي تلك اللحظة صاح الامير حمزة بفرسان العرب ان تحمل من كل ناحية ومكان وحمل هو في مقدمتها كأنه الاسد الغضبان فارتمت العرب على العجم ونزلوا عليهم بضرب الحسام وقد ترجح لهم الفوز والنجاح ، فدافع العجم دفاعاً قوياً على امل الثبات الى آخر النهار ومن ثم يطلبون الهرب تحت ظلام الاعتكار .

فقامت القيامة ولم يسمع بمثل ذاك اليوم منذ قديم الازمان لان رستم فعل افعال الجان فأفنى جموع كسرى وشردها وفعل مثله الامير حمزة وهو مسرور القلب فرحان باعمال ابنه عروس الميدان، وكذلك عمر اليوناني فانه من فرحه بأخيه طال واستطال وفرق الرجال من اليمين الى الشمال، وباقي فرسان العرب فقد فعلوا افعال اسود الدحال ووطدوا العزم بأن لا يرجعوا من ساحة القتال الا بعد تفريق الاعجام دون امهال .

اما كسرى قد خاف ان يقع بين ايدي العرب فامر حراسه ان تسرع من ذاك المكان وكر راجعاً وبختك خلفه وبزرجمهر وباقي اعيان الفرس ، ولما رأى العجم أن ملكهم قد هرب الووا اعنة خيولهم وطلبوا الفرار واملوا في الخلاص من العرب فلم يمكنهم منه بل داوموا القتل في اقفيتهم الى الظلام وقد قتلوا منهم مقتلة عظيمة ومن ثم رجعوا سالمين غانمين فرحين الى الامير رستم فراوه يبكي فسألوه عن سبب بكائه فقال : قبل كل شيء دلوني على قبر ابي الامير حمزة لكي ابكي هناك وابل ضريحه بدموعي ، فلما سمع الامير حمزة وصار يقبله فقبل يديه وهو غير مصدق بأنه ابوه فحينئذ وصلت مريم بنت قيصر ونزلت عن الهودج وسلمت على الامير حمزة باحتشام وقالت لابنها: هو ذا ابوك ياولدي فقال : عجباً كيف يقول عمي عمر بان ابي قتل وان الذي قتله هو داهور الهندي ، فقال عمر : لا تصدق ذاك فهذا ابوك وما قلت لك ذلك الا لأزيدك ميلاً للانتقام والحمد لله فقد قضيت الغرض وشفيت المرض .

وبعد مضي شهرين كانت استراحت العرب من الحرب ، جمع السلطان سادات العرب وملوكهم وقال لهم : انتم تعلمون ان كسرى لا يستخف به فاذا تركناه على حاله عاد وجمع العساكر والابطال اكثر

من الأول وعاد علينا مادام الوزير بختك عنده لايتركه يسكت عن قتالنا واری من الموافق أن نسير بأجمعنا من هذا المكان وننزل في ضواحي المدائن ، ونطلب من كسرى ان يسلمنا بختك وان يصالحنا على شروط نطلبها منه فان اجاب نقتل بختك ونعود الى بلادنا وان ابى نحاصر المدائن ونهدم ابوابها وننزع ملك كسرى الى آخر الايام .

فاستصوب الجميع كلامه ورايه وعولوا عليه وبعد عشرة ايام ركب الملك العربي وفوق راسه علم بيكار الاشتهار ومشى بين يديه الخدم والعيارون ومشت الفرسان وما زالوا في سيرهم عدة أيام وليال حتى وصلوا الى المدائن وهناك ضربوا خيامهم ، فوصل الخبر الى كسرى فخاف ان يهجموا على المدينة ويملكوها وأمر ان تقفل الابواب جيداً وحاصر في الداخل ينتظر الفرج .

وبعد ان استقر بالعرب الجلوس اخذ الملك يكتب كتاباً الى كسرى يقول له فيه :

(بسم الله الواحد القهار ، خالق الليل والنهار ؛ لا اله الا هو العزيز الجبار ، له الملك والعظمة والسلطان . من الملك قباط ابن الامير حمزة ملك ملوك العربان الى الملك كسرى انوشروان صاحب التاج والايوان .)

اعلم أيها الملك الاكبر اننا وان كنا قد فزنا عليك ونلنا ما نتمناه الا اننا مازلنا نعتبرك ونحترم قدرك لانك جليل القدر عظيم الشأن وجدي ابو امي هو صهرك ولذلك لا نرغب في احراق حرمتك ونحب ان نستأصل هذا الشر من بيننا وذلك لايمكن الا بعد قتل بختك الوزير الذي كان السبب في كل ماجرى حتى قتل الوف والوف بسببه ولذلك نريد منك ان تسلمنا بختك وبعد ذلك تعترف بسلطنة العرب واستقلالهم التام وان لايكون للفرس عليهم فيما بعد لا جزية ولاضريبة وان الملوك والبلدان التي دخلت في أيدينا تكون لنا مع ملحقاتها ومن شاء من الامراء والملوك ان يترك سلطنة الفرس ويدخل تحت سلطنة العرب ان يخرج عن طاعتهم وينضم اليكم فلا نمنعه فاذا تم ذلك رحلنا عنك وتركنا لك بلادك وسالمناك الى الابد .

والا مادام بختك في قيد الحياة يعود الى الافساد فسلمنا اياه تسلم بلادك والا زحفنا عليك وضربنا ملكك ونزعنا تاج الاكاسرة منك وحملناه الى العرب وابدنا كل عبدة النار الى آخر الزمان .

وبعد أن فرغ من هذا الكتاب طواه وبعثه مع رسول الى كسرى فاخذه وسار حتى وصل الى الايوان وتقدم من كسرى وهو في ديوانه وسلمه التحرير ، فقراه وعرف رموزه ومعناه ، ثم التفت الى بختك وقال له : ماذا اجيب العرب وهم يطلبون الينا ان نسلمهم اياك ليقتلوك وقد اصابوا في ذلك لانهم كانوا عبيدي فعملت على هلاكهم حتى يعمدوا عدواتي وساعدهم الزمان واذا لم اجبهم هلكت الى الابد ، قال : اصبر ياسيدي علي بضعة ايام وانا اتعهد لك بارجاع العرب عن بلادك ريثما أنظر في طريقة تريح بالك وتحفظ حياتي وحياتك .

فاصرف الرسول الآن الى ان نرى من هو احسن ، فسمع كسرى كلامه وخاف ان يسلمه اليهم فيفقد تدبيره ومشورته ، ثم التفت الى الرسول وقال له : اننا سنرسل الجواب الى مولاك في غير هذا اليوم بحيث تكون فكرنا بطلبه .

فرجع الرسول واخذ بختك في التفكير مدة ثلاثة ايام وهو يجهد نفسه ليرى طريقة يتخلص بها من العرب ، وفي اليوم الرابع حضر الى ديوان الملك وهو باسم الوجه مسرور الخاطر وقال اني بذلت الجهدالجهيد فلم ارىالا طريقة واحدة وهي أن تبعثوزيركبزرجمهر الى سلطان العرب ليكون الواسطة لصرفهم عن المدينة لانهم يعتبرونه ويحبونه ، فلما سمع كسرى هذا الكلام تمسك به وقال لبزرجمهر : اي وزيري اني افوض اليك امر دفع للعرب عن المدينة واذا قصدت ذلك فانك تقدر عليه لامحاله . قال سأبذل جهدي وانت تعلم انني ارغب في حسم النزاع بينك وبينهم كلما اجتهدت في اطفاء جمرة العدوان اجتهد غيري في اشعالها ، ولذلك لااظن ان العرب يصغون الي اذا لم يوافقهم كلامي .

قال : لابد من مسيرك اليهم ، فانت امين على بلادي فدبر ماشئت من هذا الوجه وابذل جهدك في اقناعهم ، فنهض بزرجمهر وركب بغلته وخرج الى المدينة وبقي سائراً حتى وصل الى معسكر العرب فوصل الخبر الى الامير حمزة بقدومه فاسرع في الحال الى ملاقاته مع فرسان العرب ولما وصلوا اليه ترجل وسلم عليهم فقلبوا يديه ومشوا امامه بكل احترام حتى دخل صيوان اليون شاه فلاقاه السلطان الى الباب وسلم عليه واجلسه الى جانبه وامر ان يؤتى له بالشراب ثم قال له الامير لم تأتينا الا لغاية مهمة لانعلمها فافدنا عن اهل كسرى قبل ان يسلمنا بختك وقبل بشروطنا ؟

قال : اعلم ان بختك طلب الى كسرى ان يرسلني اليكم بشأن الصلح وابعدكم عن المدينة وكنت اجد ان لا أحضر ولكنه الح علي به . فقال السلطان : انظر ايها الوزير الحكيم في كل شيء تريده فاننا باجمعنا طوع امرك وتحت ارادتك فلا نعصي لك امراً ، فاذا امرتنا بالرحيل رحلنا وان امرتنا بالبقاء بقينا .

قال : اني مرتاب في هذا الامر ، لان بختك اذا رحلتم عاد الى اضرام نار البغض في قلب كسرى فيعده الى الحرب ويجمع ضدكم الفرسان ، وربما اكثر من الاول ولا اعلم ماذا تنتهي اليه الحال فيما بعد ، مع انكم الآن قادرون على اجباره بكل ماتريدون لان الدولة الكسروية تبغض كل من يعبد الله سبحانه وتعالى ودائبة على عبادة النار في الصباح والمساء واي شيء احب لدي من ان ارى الاعجام باجمعهم يسجدون لله ويوحدونه ويهدمون معابد النار .

ومن وجه آخر اريد ان لا ارجع بالخيبة والفشل ويشتبه كسرى في اماتني ويظن اني اتفقت معكم على دوام العناد .

فقال له الامير حمزة اننا نحترم قدومك علينا فلا نعيدك بالخيبة فأخبر كسرى انناصالحناه ولانريد شرطاً غيرانا لانرحل عن بلاده بل نبقى نحوشهرين بعيدين عن المدينةمقدار نصف ساعة فيمكن لرجالنا أن يدخلوا المدينة ولرجال الاعجام ان يأتوا معسكرنا دون أن يكون بيننا عداوة ما ، ومن ثم نرى ما يكون من امره ويمكن في هذه المدة ان نرتاح نحن ايضاً من اتعاب السفر .

واقول ايضاً ان بختك لايمكن ان يرانا بالقرب من المدينة ويسكت عن عداوتنا ، فاذا بدا منه شيء جديد يكون الحق عليه ونحتج امام كسرى بانه ما عمل على الوفاء بل قصد لنا الشر .

فاستصوب بزرجمهر ذلك واقام عندهم نحو ساعتين وقد تناول الطعام وودعهم وعاد الى المدينة ففتحت له الابواب ودخل وسار الى الايوان فقال له كسرى: اخبر ايها الوزير هل قبل العرب بالصلح؟
قال : انني صرفت وقتاً بالمخابرة معهم والذي قدرت ان اجريه هو انهم قبلوا بالصلح وان لايطلبوا لذلك شروطاً ولكن لم يقبلوا بالرحيل لخوفهم من بختك ليعيد اليك جرثومة الانتقام فتجمع العساكر بقصد حربهم فاعتمدوا ان يقيموا مدةشهرين بعيدين عن المدينةمقدار نصف ساعة وما من مانع يمنع اختلاط العسكرين اذ لا يكون بينهما حرب ولا قتال وكل ما مضى يكون منسياً من الطرفين ، فلما سمع كسرى

ذلك سر سروراً لا مزيد عليه وقال : لابد من ان في هذه المدة نرى طريقة الى مرضاة العرب وحيث وعدوا بعدم القتال فانهم يقومون بوعدهم ، وكذلك بختك فانه رأى ان العرب قد تنازلوا عن قتله فلم يعد يهتم الا بهلاكهم وامن على نفسه من الموت والهلاك .

واجلى العرب عن المدينة وبدوا قليلا عنها وانتشر خبر السلام بين العرب والعجم فسر الفريقين وصار اهل البلد يخرجون الى معسكر العرب وما من مانع يمنعهم عن بعضهم البعض ودامت هذه الحالة مدة سبعة ايام غير ان في هذه المدة كان لهيب النار يشتعل في قلب بختك حتى كاد يقتله ففضل الموت على هذه الحالة وبحث عن طريقة تكدر العرب وكان يحب حرق قلب الامير حمزة ولم يروسيلة الى ذلك الا السعي في قتل اولاده بالحيل والخداع ولما تقرر في ذهنه هذا الامر صار يفكر في اتمامه وكان يؤكد انه اذا قتل الامير رستم وعمر اليوناني مات الأمير حمزة حزناً عليهم وما برح على ذلك الى ان لاح وجه الحيلة وحينئذ اجتمع بقرمز تاج ابن كسرى وقال له انني اريد ان اطلعك على امر لك فيه الخير ، ولكن قبل كل شيء ارغب ان تقسم لي بكتمان الامر وعدم اظهاره ، فابتسم له بذلك وشدد الاقسام فقال : اعلم اني في هذا اليوم اجتمعت بابيك وتذاكرنا بشأن الملك فقال : لقد سئمت نفسي وارى ايام حياتي الاخيرة قد دنت ولذلك اريد التنازل عن الملك لولدي خرسف لانه حكيم عاقل فاعترضت عليه في ذلك وقلت له اذا كنت قد نويت على التنازل فسلم الملك الى قرمز تاج لانه ذو همة ونشاط واشد ادراكاً من اخيه ، فقال لي ان قرمز تاج محب للعرب ، ففي كل يوم يذهب ويختلط بينهم ، ولغاية اليوم ما رايت منه عملا يذكر يستحق به ان يكون ملكاً على بلاد الاعجام فلم اوافقه على رايه ابداً وحاولت ان اترك الحديث لوقت آخر بينما اكون قد اجتمعت بك ودبرنا طريقة ترضي ابيك ويظهر بها فضلك على العجم .

فلما سمع قرمز تاج ذلك قال لبختك : انت ابي فدبر امري وابذل جهدك ولاتدع اخي يأخذ الملك ، فاذا ساعدتني عليه شاركتك في الحكم ، قال اني فكرت في ذلك كثيرا فلم ار الا طريقة واحدة وبها اقدر ان امنع ابوك عن التنازل الى اخيك ويلزمك ان تكون حكيماً عاقلا .

قال : قل ماتشاء فاني اخاطر بروحي لاجل غايتي ، قال : انت تعلم ان السلام واقع بيننا وبين العرب الى مدة شهرين وبعد ذلك لا بد من عودتهم الى الحرب والقتال ، وقد رايت رايا حسنا وهوان تتوصل الى اسر احد من اولاد حمزة وتخفي امره ثم تاسر غيره حتى تضعف العرب فاذهب اولا الى عمر اليوناني واظهر مودتك اليه وداوم على ذلك مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ادعه الى قصرك واحذر من ان يعلم احد بذلك ومن ثم نقبض عليه ونسلمه الى ابيك واقول له: هو ذا ولدك يهتم بامر الملك .

فقال قرمزتاج سوف افعل ما امرت به فكن مطمئنا ولا ادع اخي يأخذ الملك ويكون ابي راضياً عليه اكثر مني

ثم ان بختك فارق قرمزتاج بعد ان اوصاه على كتمان هذا السر وان لايدع العرب يذكرون غايته ، واجتمع الامير خرسف بكسرى الثاني وقال له نفس الكلام الذي قال لأخيه وان اباه راغب تسليم الملك اليه فارتاح خرسف وسلم كل ارادته الى بختك ، قال اني رايت من الصواب ارضاء لخاطر ابيك ان تسعى الى رستم ابن الامير حمزة وتضيفه ثلاثة ايام ثم تعزمه الي قصرك وحينئذ تقبض عليه وتسلمه الى ابيك فيعرف فضلك قال : سوف ترى مني ما يرضيك فلا بد من اسر رستم بالحيلة التي يدبرناها وبذلك اكون مستحقا للملك ، فيسر الوزير بختك لما راى الاثنين انقاذا اليه ولاح له ان اولاد الامير سيقعا في يديه قريباً فيقدمهما الحياة ومن ثم يدبر في هلاك غيرهما ، وفي الصباح خرج قرمزتاج من المدينة وسار حتى جاء صيوان عمر اليوناني فدخل وسلم عليه فترحب به احتراماً لزيارته فقال ابن كسرى : اني : رايت من العار علينا ان يكون السلام بيننا ونحن نتقاعث عن خدمتكم ، اولا لأنهم ضيوفنا ، وثانياً لاننا نرغب ان تتمكن المودة بين العرب والعجم ولو اطاعني ابي لقتل بختك وصالح ابيك وارتاح باقي عمره ، ولكنه يحبه كثيراً ويخاف نفوذه .

فقال عمر : ان الشر لاينقلع من بيننا الا بعد موت بختك الخبيث.

فتصنع خرسف المكنة وقال : اني اقسم لك بالمعبود الذي تعبده اني اتمنى من كل قلبي ان يسود الوئام بيننا ، واذا اسعدتني النار وصرت ملكاً مكان ابي لاصلب بختك على باب المدينة لينظره الغريب والقريب .

قال عمر : انك سليم النية ولكنك ابن اكبر عدو لابي فلا يمكن ان

يركن لكم بعد ان غدرتم به كثيرا . قال : اني ارغب من مصاحبتكم وان اتعلم فنون الحرب وصيد الوحوش واتسلى معك ولا افارق ركابك، فقال عمر : حباً وكرامة ، فغداً اقول لاخي رستم ان يصحبك معه كل يوم الى الصيد وتتعلم منه الفروسية وملاقات الابطال ، فشكره على ذلك ، وفي اليوم الثاني اجتمع عمر بأخيه رستم ورجاه بأن يصطحب معه خرسف بن كسرى الى الصيد والى الميدان ليتعلم منه فنون الحرب والقتال .

فاجابه رستم الى ذلك وقال لخرسف : اني اريدك ان تكون معي وترافقني في الصيد والتنزه ، ولأسيما انك تعرف مكان الغزلان والوحوش لتدلني عليها وتذهب بي الى مرابضها لان هذه البلاد هي بلادك تعرف داخلها وخارجها .

وعلى ذلك اتفقا . وصار رستم في كل يوم يذهب الى الصيد من الصباح الى المساء ويعود خرسف الى المدائن ورستم الى مضارب العربان . الى ان كان ذات يوم خرج رستم والى جانبه خرسف وبين يديه سيار فسار بهم خرسف في اكمة ، عالية تنحدر الى لحف جبل فيه من الوحوش شيء كثير ودار به حول واد طريقه صعب المسالك لايمكن المرور فيها الا في النهار وعند العصر اوصله الى سهل كثير الاشجار ترعى به الغزلان فسر رستم من ذلك وصار يصطاد منها وهي تنفر من بين يديه ولازال كذلك حتى غابت الشمس وقد اصطاد كثيراً واراد الرجوع ، فقال خرسف : في اي طريق نسير الآن والطريق صعبة والليل ادركنا ، قال : الا يوجد طريق غير هذا نسير عليه ؟ قال : يوجد طريق لكنه بعيد فلا نصل منه الى المدائن الا بعد عشرة ايام ، قال : الا يوجد في هذه الارض مكاناً نبيت فيه ؟ قال : يوجد بالقرب من هذا المكان قرية صغيرة مبنية في مكان مطل على السهل فيمكننا ان نذهب اليها ونبيت عند شيخها الى الصباح ، فوافقه رستم وسارا مقدار ساعتين وسيار معهم حتى اقبلا على تلك القرية ودخلا على شيخها فترحب بهما وقبل يد خرسف وانزله في مكان يليق به وذبح الذبائح وبعد ان اكلا وصرفا السهرة وعولا على المنام اخذ رستم الى غرفة صغيرة لينام فيها ، وقبل ان يأوى الى سريره خطر في باله ان يتفقد سيار وفرسه الدهماء .

فخرج وما اجتاز الباب حتى راى شبحاً لاح له وهو يتلصص ليقرب من الغرفة وقد ستره الظلام ، فاشهر سيفه وقصد ان يضرب به

الشيخ واذا به سمع صوت فتاة تقول : لا تفعل يارستم فما هذا جزاء من يريد لك الخلاص من الموت .

فارتاع رستم وقال : من اي شيء تخلصيني وانت من تكونين ؟ قالت انا بنت شيخ هذه القرية وقد اتيت لاخبرك بامر فيه نجاتك من الهلاك ، منذ ثلاثة ايام اتى كتاب من رسول الوزير بختك يقول له فيه انه في بحر هذا الاسبوع سياتي قريتك الامير خرسف ابن ملكنا الاكبر ومعه رستم ابن الامير حمزة البهلوان ومعهم غلام اسود فاصبر عليه الى ان ينام بينما تكون مستحضراً على خمسين رجلا مدججين بالسلاح يدخلون عليه وهو في سريره فيقتلونه ويقتلون العبد الذي معه واياك ان ينجوا احدهما وان خرسف سيحتال عليه ويحضر به اليك فلا بد من قتلهم وان تاخرت اهلكك الملك الاكبر ، فاستعد ابي من ذلك الحين واستعان على قتلك برجال القرية وهم الآن ينظرون الى ان تفرق في ثبات نوم عميق لكي يقتلونك ولما رايتك لم يهن علي قتلك فاتيت واعلمتك كي تنجو بنفسك كما تراني اريد ان تأخذني معك الى قومك قبل ان يحل بك العطب .

فلما سمع رستم هذا الكلام غاب عن صوابه ثم قال للبنت :اذهبي الى بيتك واستعدي للذهاب معي ولكن سوف ترين ما افعل قبل ذهابنا ثم عاد في الحال الى سلاحه وتقلده وخرج الى فرسه فوجد سيار ساهراً عليها فقادها بعيداً عن المكان ووقف ينتظر اتمامالعمل وهو مصمم على قتل خرسف اذا كان ما اخبر به صحيحاً ولم يلبث الا القليل حتى راى الرجالمع شيخ القرية مقبلين تحت ظلامالاعتكار ودنوا من المكان الذي كان نائماً فيه رستم وفتحوا بابه وشهروا سيوفهم وهجموا على السرير فلم يجدوا احداً فعولوا على العودة الى بيوتهم واذا بالامير رستم قد ركب وصاح فيهم وامتشق حسامه واخذ يضرب فيهم يميناً وشمالا حتى قتل اكثرهم وهرب الباقون ، وبقي رستم يضرب ويقتل من وقع امامه حتى وصل الى المكان الموجود فيه خرسف فدخل عليه فتظاهر بالتجاهل وقال له :

ماذا تريد . ولما انت هكذا ؟ فلم يجبه الا بضربة من حسامه القته الى الارض قتيلا وقطع راسه وعاد الى جواده ليركبه واذا ببنت شيخ القرية قد عارضته وقالت له : خذني معك ياسيدي اذ ليس من العدل ان تتركني هنا .

قال : كيف اتركك واني دفعت عني هلاكاً كان محتوماً . فركب



جواده واردف الفتاة خلفه وسار طيلة ذلك الليل حتى ظهر الفجر ، واستمر سائراً حتى وجد فرسان العرب وابوه يفتشون عليه ولما اجتمعوا به سأله أبوه عن غيبته ؟ فقال : استغفرك اولاً يالبي ، وما انا بعاصي بعد ذلك امر الملك فان الامر كان خدعة تمت علي وهذه الفتاة ابنة شيخ القرية وهي سبب نجاتي ،

ثم رجعواالى صيوان الملكواجتمع سادات العرب وعرفوا ماحصل وقد ارسل رستم عياره سيار براس خرسف الى المدائن وقالت له: علقه على باب الديوان في ظلام الليل ؟ ففعل سيار وعلق الراس وعاد، وفي الصباح رأى الراس قوم كسرى فصاحوا بالويل والثبور وعظائم الامور وجاء كسرى فرأى راس ولده فكاد يغمى عليه ، وقد خاف بختك كثيراً وخشي ان ينفضح امره ؛ ثم اقبل العرب على المدينة وحاصروها . ولم يسمحوا بدخول احد اليها ولا خروجه منها .

فجمع كسرى رجاله ووزراءه وقال لوزيره بزرجمهر : ارايتكيف نقض العرب العهد ؛ فقال بزرجمهر : ما نقض العرب عهداً وما خانوا وقد وعدوني وعداً صادقاً ؛ ولكن بختك دبر مكيدة اودت بابن سيده وجعل المدينة في حصار لانعلم مداه .

لقد كان خرسف يذهب الى رستم كل يوم ؛ وما ذلك الا لغاية يعرفها . ودبرها الوزير بختك ؛ وما تركنا ندبر الامر لندفعالعرب عنا ونطردهم من بلادنا ، فوقع هذا القول من نفس كسرى موقع

القبول . وقال لبختك اما ان تحتال لرفع الحصار واجلاء العرب عن بلادنا ، واما صالحت العرب وسلمتك اليهم يمزقونك شر ممزق ، وقد امهلتك بضعة ايام وغير هذا لا احب ان اسمعه .

وبقيت البلاد في حصار شديد ، وفي اثناء الحصار خرج رستم للصيد ومعه سيار عياره ، فراى غزالة عجيبة شكلها ورام صيدها ، ففرت منه وجرى بجواده خلفها حتى دخلت قصرا اقيم في الخلاء ، فطرق رستم الباب ، فاطلت من نافذته ابنة جميلة وقالت : من الطارق ؟ فقال كنت اطارد غزالة لصيدها فدخلت هذا القصر ، فقالت : لقد دخلت في حمانا فان شئت قبلت رجاءنا فيها ، فقال : ومن انت حتى انظر في رجائك ؟ فقالت : انا قمرشاه بنت حاكم مدينة خوارزم ومن انت حتى اعرف من وضعت رجائي عنده ؟

فقال : انا رستم بن الامير حمزة البهلوان ، فتهللت فرحا وقالت : اهلا وسهلا تفضل على الرحب والسعة ، فانت ضيفنا الكريم .

ثم نزلت واستقبلته وقامت بوسائل اكرامه وراحته ، ووجد منها طهر العفاف وادب الحديث فراودته نفسه أن تكون له زوجة وبات عازما على أن يتحدث الى ابيها في شأنها . وفي الصباح قابل ابيها خاطبا وكلمه في امرها فقال : امهلني لاستشيرها وآخذ رايها .

فلما حدثها ابوها بامره قالت : ان في رجالنا كثيرا من امثاله ، فكيف ترضى أن اتزوج من رجل غريب على غير ديننا ؟ فقال : انه ابن امير وابوه قد ذاع صيته وعرفه القريب والبعيد هو الامير حمزة البهلوان ، وان بمصاهرته يقوي شأننا ، ولهذا فاني اراه لابنتي خير زوج .

فقالت : كما تشاء يا أبي ، ففرح ابوها وابرم عقد الزواج واقام عندها اياما ثم رجع الى معسكره واراد الله ان يكون منها ولد اسمه قاسم .

ذهب عمر العيار الى بزرجمهر ليعرف ماذا عزم عليه كسرى في امر بختك بعد ان قتل ابنه خرسف فقال بزرجمهر : مادام بختك حيا فان كسرى لن يقعد عن قتالكم ، وقد اخذ في جمع الجنود واستعان برعد المنقش حاكم مدينة صنداي ، وارى ان تذهبوا الى حلب وتقيموا هناك خير لكم من بقاءكم هنا .

فرجع عمر واخبر الملك ورجاله بما سمعه فأمر الملك بالرحيل الى ... فصدعوا بامره وارتحلوا .

قال : ولما رحل العرب عن المدائن تعجب الاعجام وارتابوا من ذلك الامر واخبروا به ملكهم فقال : لابد لذلك من سبب ، قال بختك : اذا شئت ارسلنا خلفهم من يأتينا باخبارهم .

قال : دعهم يذهبون فلا تتعرض لهم ولا تفعل شيئاً تلقينا به بالويل والخراب فاذا رحلوا ولم يرجعوا كان خيراً وهذا الذي اريده ولا اريد أن اسمعك بعد الآن تذكر لي حديثهم .

فسكت بختك في الحال لكنه في ثاني الايام ارسل من يستقصي اخبارهم وارسل الرسل والمكاتيب الى كل الجهات يستدعي العساكر ويجمع الابطال وفي نيته ان لا يرجع عن العرب واخذ يفكر في الطرق التي تبيدهم وتقرضهم عن آخرهم وسنرجع الى ما صار من العجم في غير ذلك المقام .

هذا وقد جاء رعد المنقش وجيوشه الجرارة واستقبله كسرى فرحاً به وشكا له ما قاساه من العرب ، فقال : وكيف كان ذلك وانتم اكثر منهم عدداً واعظم قوة ؟ فقال : ذلك ما كان واني اخشى على الملك منهم ، فقال رعد : سأجعلهم هباء تذروه الرياح فطب نفساً وانظر ما سيكون .

وبعد ايام امر كسرى بالمسير الى العرب في حلب وهناك قامت حرب قاسية بين الفريقين دامت خمسة عشر يوماً ، وقتل العرب كثيراً من اعدائهم حتى جاء يوم برز فيه رعد طالباً البراز ، فبرز اليه فارس من العرب فتلقاه رعد وما امهله حتى ارداه ، فغضب حمزة وهم أن يبرز اليه ولكن الفرسان تزاحموا وكل يريد أن يبرز الى رعد وانطلق من بينهم فارس وصار امام رعد واخذ معه في القتال وبينما هما في اخذ ورد انشق جيش العجم عن غلام فوق جواد كأنه الليل الحالك وبين يديه غلام احمر اللون وكان يدور حول الجواد كأنه طائر ، ووقف الغلام في وسط الميدان وعجب الجمعان من امره ، وكان عجبهم من ذلك الغلام الصغير الذي كان يعدو امام الجواد ومن خلفه ، ثم هجم على رعد هجمة الاسد وكان حمزة اذ ذاك ينبض قلبه عطفاً على هذا الغلام ، ويود أن يفديه بنفسه دون أن يفهم لذلك سبباً ، وانعقدت الانظار حول رعد والغلام ، ثم صاح الغلام صيحة ارتجت لها القلوب ورفع يده وقال : خذها ضربة قاضية من سعد الطوقي بن حمزة من زوجته لوعة القلوب ، فنزلت الضربة على عنقه وفصلت راسه عن جسده وسقط على الارض قتيلاً .

ثم عاد سعد وسلم على ابيه واخوته وفرحوا به كل الفرح واجتمع الامير حمزة بزوجته لوعة القلوب وطيب بخاطرها بعد ان سمع قصتها بتمامها وما لاقته من المصائب والاهوال ، وكذلك عمر العيار اجتمع بزوجته فانوس واقام معها في راحة وسرور .

وفي اليوم الثاني اجتمع الملك قباط مع امراء العرب وفرسانها وعرض عليهم ان يرحلوا الى المدائن لمحاصرتها حتى يذعنوا اهلها لارادة العرب فوافقوا على ذلك وامرهم ان يشدوا رحالهم اليها .

ولما وصلوا ضربوا خيامهم وارسلوا الى كسرى يطلبون منه وزيره بختك وبعدها تنتهي الحرب ويطمئن كل فريق في دياره .

قرأ الوزير بزرجمهر رسالة ملك العرب ، فالتفت كسرى الى بختك وقال : بآرائك الفاسدة وانواع الخبث الذي تلعب في صدرك قد اصبحت راحتنا وسلامتنا في تسليمك الى العرب لانك اصل هذه الفتن كلها ، واذا سلمناك لانكون قد ظلمناك ، ومن الخطأ ان احافظ عليك واضيع الملك واخسر البلاد .

فقال بختك : يسرني ان اكون فدية لك ولبلادك ، ولكني اعتقد ان العرب وجدوني حجر عثرة في سبيل اخذ عرشك والاستيلاء على بلادك فاذا اسلمتني اليهم وقتلوني فقد زال الحجر الذي كان يعترض سبيلهم وذلك ما اخشاه عليك بعد قتلي ، والمحافظة على حياتي محافظة على عرشك وبلادك فقال كسرى : ولكني ما وجدت من تدبيرك ومكرك الا شراً فاذا دبرت امراً يقضي على ما بيننا وبين العرب من شقاق فلا مانع لدي من المحافظة عليك .

فقال بختك : كلف وزيرك بزرجمهر ان يهادنهم اربعين يوماً وعلي ان ادبر ما يرضيك وتحمد عاقبته ، فامر كسرى بزرجمهر ان يهادن العرب اربعين يوماً وان يقنعهم بضرورة المهادنة لاقرار السلام - وان امتنعوا وابوا كان ذلك تقصير منك في اقناعهم .

فقال بزرجمهر : واية علاقة بيني وبين العرب حتى تحملني تبعة اقناعهم ؟

واني قبل بولد حمزة سعيت في ان يكون من رجالك وكان الامر كما اردت في خدمتك بضع سنين ، وكنت راغباً في ان تزوجه ابنتك ولو فعلت ذلك كنت الآن سيد ملوك الارض .

فقال كسرى : ذلك حق ، ولكن ما مضى فات ، وعلينا الساعة التي

نحن فيها ، فاذهب اليهم ودبر بحكمتك ما شئت ، فما انت عندي الا الوزير الناصح الامين .

ركب بزرجمهر بغلته وذهب الى العرب فرحبوا به واجلسوه بجوار الملك في صيوانه وقال له الملك : مر بما شئت نحن لانرد لك امـراً ، فذكرهم لهم مادار من الحديث بينه وبين كسرى وبختك ، وان كسرى يريد الهدنة اربعين يوماً ، فقال الملك : اشر علينا بما تريد فانا فاعلون ما تامرنا به ، وهل يترك الخيانة والغدر ان هادناه ؟ فقال بزرجمهر :

لن يسلوا الغدر مادام بختك حياً ، ولهذا ارى ان لا تقبلوا بالهدنة وان تستمسكوا بطلب بختك وقتله ، فقال : وهل نرضى ان ترجـع الى كسرى وتقول له : عجزت عن اقناع العرب وترضيهم بالصلح او بالهدنة ؟ فقال ذلك ما اريده ولابد منه ، واني ارغب في ان تأمر بعض فرسانك ان يتبعوني بسيوفهم فاذا قربوا من الإيوان صاحوا وشتموني ليعرف كسرى اني عجزت عن اقناعهم ، وحينئذ يسكت عن ايفادي لكم ، فقال حمزة :

معاذ الله ان نفعل ذلك ، فقال بزرجمهر : ذلك شيء لابدمنه وان لم تفعلوه اوقعتموني في تعب اليم ، فامر الملك قياط بتنفيذ ما رغب فيه الوزير واختار اربعة من الفرسان وكلفهم بطرد الوزير بزرجمهر الى ابواب المدينة ، ثم ودعهم وانصرف راجعاً ، ولما كان امام باب المدينة سمع الذين كانوا عنده من اهل المدينة صياحاً والتفتوا فوجدوا الوزير داخلاً ومن خلفه اربعة فرسان يطردونه ويشتمونه وينذرونه بالقتل ان رجع الى العرب مرة ثانية ، فنقل بعضهم هذا الى كسرى في ديوانه ، فالتفت الى بختك ووبخه وانبه لانه كان السبب في اهانة وزيره ، واذا بالوزير بزرجمهر يدخل عليه حزيناً غاضباً وقال : لقد علمت ياسيدي ما انا ممن يقف نفسه موقف الخطأ والاهانة ، وان العرب يعتقدون ان الفرس اعداؤهم لافرق بين كبيرهم وصغيرهم ، وقد كان الموت احب على نفسي من ان اهان من العرب ، وقد كانت اجابتهم لي ان شتموني وطردوني وقالوا : ان عدت الينا مرة ثانيـة قتلناك ، فابدى كسرى اسفه وقال . ذلك من مصائب بختك وآرائه الخاطئة . فقال بختك : لقد اهتديت الى ملكين ان حضرا قضينـا على العرب في ساعة واحدة ، ارسل بزرجمهر الى هارون المجنـون صاحب بلاد اليردع ومعه كثير من الهدايا والمنح وسأذهب انا الـى تركي طاووس التتري صاحب بلاد التتر . فان جاء هذان الملكان في

جنودهم محو العرب عن بكرة ابيهم ، فخفق قلب بزرجمهر ، وكادت مرارته تنفطر اشفاقا على العرب .

اما كسرى فانه اغتبط واشرق وجهه وقال : خذا ما شئتما من الهدايا واذهبا اليهما حالا فحمل كل منهما كثيراً من الهدايا الغالية ومضى كل منهما في طريق .

سار بزرجمهر متمنيا ان يحقق في مسعاه ومتمنيا ان يصل نبأ هذا التدبير الى العرب ولكن كيف يستطيع ذلك وبينما هو في هذه الحيرة اذا بعمر العيار يحييه ويسلم عليه. فوضع يده على كتف عمر وقال : لقد سررت بقدومك كثيرا ، ثم حكى له عما دبر بختك في شأن العرب وقال : ليكن سعيك منصبا على ابطال ما دبر ، وان تمنع اجتماع هذين الملكين بالمدائن ، فانهما ان اجتمعا وتعاونا في القتال حل بالعرب الفناء المحتوم ، وتلك محنة ارادها الله تعالى لحكمة يعلمها ، ولكنه لن ينسى المؤمنين الصابرين من عباده فشكره عمر ورجع مسرعاً الى العرب واخبرهم بما دبره لهم بختك ثم قال : اني ذاهب الى اليردع راجياً أن يوفقني الله الى حبس ملكها ومنعه من السير الى المدائن ، فقالوا : وفقك الله واعانك ونود ان لا تتأخر علينا لتطمئن نفوسنا .

دخل عمر على هارون في زي درويش واستنجداه فمنحه العطاء وخرج من المدينة يمشي فوجد صومعة منعزلة فسأل عنها فقيل له انها مكان السطح الرجل الذي له رأي نافذ في اهل المدينة وملكها هارون الذي لايفعل امراً الا برأيه .

فبرق نجم الامل في نفس عمر وتنكر بزي راهب ومضى الى الصومعة وطاف بها فلم يجد لها باباً ، فنادى من فيها فاطل عليه من نافذتها واحد من تلاميذ السطيح وقال ماذا تريد ؟ فقال اريد ان آتيكم ، فاستأذن التلميذ استاذه السطيح وقال : هاتوه الينا ، فادلوا له حبلاً وامسكه ورفعوه اليهم ، واقبل على السطيح وحياه ، ثم اخرج من جيبه كتاباً كان قد اعده زوراً على لسان البطريق الاكبر وناوله اياه فقرأ فيه :

« بلغني ما انت عليه من الصلاح والتقوى ومحبة البطريق الاكبر فاحببت أن اقوى الرابطة الروحية بيني وبينك ، فارسل اليك راهبا من رهباني ليكون في خدمتك وطوع امرك ، فقال السطيح : اهلاً

وسهلاً اني احب البطريق الاكبر حباً كثيراً ، ثم امر تلاميذه ان يأتوه بالطعام فأكلوا واخذوا يتحدثون حتى فرقهم النوم في مضاجعهم .

فتناوم عمر حتى غرق السطيح في نومه ، ثم قام اليه وذبحه ونزع عنه ملابسه وخبأه في مكان بعيد ولبس ملابسه واكتحل فكان هو السطيح نفسه ونام على فراشه حتى الصباح ، وجاء التلاميذ وقبلوا يديه وسالوه عن الراهب فقال : ساحدثكم عن المنحة العظيمة التي نعمني بها الراهب ، فانه استيقظ بعد منتصف الليل وقال : حان موعد صلاتي ووردي في بلادي واحب ان اذهب الآن اليها واعود اليك سريعاً ، فقلت : ان بلادك بعيدة وبينك وبينها سفر ايام ، فقال : انا معشر الرهبان نعرف شيئاً اذا تلوناه استطعنا ان نطير كاقوى الطيور واسرعها وقد علمني اياها وساجربا غداً ، فان وجدتها صحيحة علمتكم اياها ، فاذا لم تجدوني بينكم اكون قد طرت الى روميه وسامكث فيها عده ايام ثم ارجع اليكم ، فقالوا ولكنه لم يقدر ان يطير الى نافذة صومعتنا وادلينا له الحبل ورفعناه ؟؟ فقال : سألته عن هذا فقال : ما اردت ازعاجكم ولا الدخول عليكم من غير استئذان ، فصدقه التلاميذ وسكتوا ، وانتظروا ان يعلمهم كيف يطيرون بعد ان ينتهي من تجربته .

وكان الوزير بزرجمهر قد حضر وبلغ هارون رسالة كسرى ومنحه الهدايا فقال : اني احب ان امضي الى كسرى ولكني لا افعل شيئاً الا اذا استشرت السطيح وسمح لي ، فانه رجل تقي صالح لا اخالفه ولا اعصيه ، فقال بزرجمهر في نفسه : الله يوفق السطيح ليستشيره في الامر فقال السطيح : اني قادم اليه للتحدث معه ، فارسل اليه المحفة ورجالاً يحملونه عليها ، وعلم اهل المدينة انه قادم الى الملك .

فخرجوا من المدينة لاستقباله وتقبيل يديه والتبرك به . ودخل ديوان الملك والحفاوة به من الكبير والصغير ، ولما استقر به الجلوس عرض عليه طلب كسرى فقال : ياولدي ماذا يعبد كسرى ؟ فقال : الامر واضح يابني فكيف تترك حزب الله وتتبع حزب النار ؟ لو كان العرب والعجم يعبدون الله لاصلحنا بينهم ، وقاتلنا الباغين منهم حتى يفيئوا الى امر الله ، فقل لرسول كسرى : اننا من حزب الله الذي بيده الملك ، واقسم هدايا كسرى ثلاثة اقسام قسم للفقراء . وقسم للملك وقسم لرسول كسرى بزرجمهر . فاخذ بزرجمهر نصيبه ورجع . وعاد السطيح الى صومعته في حفاوة عظيمة ، وترك الملك

يستعد للرحيل الى العرب في جيشه الكبير ليرد عنهم كيد كسرى وانصاره ، لانه لايخالف السطيح في امر من الامور .

ونزل عمرمن الصومعةوجرى في طريق بزرجمهر حتى ادركه فسلم عليه وفرح الوزير وكان قد فهم في الديوان باشارة منه انه عمر ، ثم عاد بزرجمهر الى المدائن فوجد كسرى ينتظره فاخبره ما قال هارون فقال كسرى مادام قبل الهدايا فلا بد ان ياتينا ونشد به ازرنا .

اما عمر فانه شرح لجماعة العرب وملكهم مافعله فشكروه على ذلك . واما بختك فانه ارسل الى كسرى كتاباً يخبره فيه انه قادم مع ملك التتر وجيشه ، وبعد ايام وصل ملك التتر بجيشه ودخلوا المدائن وانتظروا اوامر كسرى بشأن القتال .

وبعد ثلاثة ايام من قدوم ملك التتر قامت الحرب واشتعلت نيرانها بين العرب والعجم ، فاندهش ملك التتر من ثبات العرب على قلة عددهم ، ثم دقوا طبول الانفصال لتطهير ساحة الحرب من القتلى ، وقد قتل في هذه المعركة عمر اليوناني ابن حمزة واخيه سعد الطوقي ، فحزن ابوهم والعرب عليهما حزناً اليما ، وجاءهم في هذه البرهة هارون وجنوده فزاد يقدومهم اهل العرب بالنصر العاجل .

وفي اليوم الثاني اشتبك الفريقان وخاض العرب غمرات هذه الحرب فكانوا كأنهم رسل الموت يخطفون الارواح وقد قتل في هذه المعركة ملك التتر واندحرت جنوده وجنود العجم ، ورأى كسرى انه لاثبات له فاسرع الى المدينة وامر الجنود ان يغلقوا الابواب .

هذا وقد ارسل الملك قباط الى كسرى يطلب منه بختك ويقول لقد عرفت انه كان سبباً في اهراق دماء الابرياء من جنودنا وجنودكم ، فاذا اشفقت على نفسك وبلادك سلمه الينا لنقتله وينتهي ما بيننا من عداوة وقد غفرنا لك ما تقدم من اخطائك وذنوبك ، وان امتنعت عن تسليمه فما نحن بساتين عنك حتى يتقلص ظلك وتذهب ريحك .

قرأ بزرجمهر كتاب العرب على الجالسين بأمر كسرى ، وكان بختك حاضراً فخاف خوفاً عظيما فالتفت اليه كسرى وقال : لقد سمعت ما قاله العرب وليس فينا من ينكره ، وما كنا ننتظر من العرب بعد قتل ابني الامير حمزة ان يتساهلوا معنا هذا التساهل العظيم ولهذا فقد صح عزمي على تسليمك حماية لانفسنا وبلادنا ، فقال بختك : ان حزني عليك وعلى بلادك اكبر من حزني على نفسي ، لان العرب لايزالون كاذبين ، واذا اردت ان تتأكد كذبهم فاكتب اليهم انكم قتلتم منا

اضعاف ما قتلنا منكم ، وقد رضيت ان اسلم اليكم بختك على ان تعطوني عمر العيار ، فقال كسرى : اني اعلم وانت تعلم ان العرب لايفرطون بكبش من قطعانهم ، فقال بختك : طالما انت تعلم ذلك فلم لاتكون مثلهم ؟ قال كسرى : نحن المغلوبون وانت ترى اننا محصورون وما قدرت ان تدفع العرب عنا .

قال بختك : اكتب لهم بانك ستسلمني اليهم بعد اربعين يوما حتى ادبر طريقة طردهم عن بلادنا .

كتب كسرى الى قياط ملك العرب رسالة تلطف فيها ووعده ان يسلم اليه بختك بعد اربعين يوما ، ولما قرات على مجلس العرب اختلفوا في صدقها فمنهم من صدقها ومنهم من كذبها ، وقال عمر العيار : ان كسرى يخادعنا ليمكن بختك من تدبير المكايد لنا ، وايده في قوله الامير حمزة وراى ان يشددوا الحصار على المدينة .

رجع بختك الى بيته حزينا لايدري ما يفعل ليحمي نفسه من الهلاك وبينما هو جالس دخل عليه الحاجب يستأذن لاخيه بختيار ، فقال : علي به ، كان بختيار هذا من اعظم الناس مكرا واحتيالا وافصحهم لسانا ، تعلم الطب والفلك والفلسفة ، فلما دخل سلم عليه وجلس بجانبه فقص عليه بختك ما هو فيه ، فاطرق بختيار قليلا ثم قال : سأريحك من العرب وادبر لك امر هلاكهم .

وفي الصباح امر بختيار الخدم أن ينزلوه من اسوار المدينة في الحبال ولما انزلوه مشى الى العرب فامسكه العيارون وقال لهم : امضوا بي الى ملككم فقد جئته بشيء ينفعكم فمضوا به اليه ،ورآه العرب الذين في حفرة الملك من اعيان الفرس ووجهائهم ، وامر الملك بجلوسه حتى يتبين امره وينظر فيه فلما جلس قال : ايها السادة ، ان دولة العجم افل نجمها ، وستقوم دولة العرب على آثارها ،لاني اعلم أن كل دولة تسير على الكفر والطغيان لا دوام لها ، وانا بختيار اخو بختك وقد حاولت ردعه عن مكره وخبثه فما استمع لنصحي وقد جئتكم لاكون خادما امينا فان قبلتموني فذلك لكم وان قتلتموني تقدمت راضيا لاني وفيت لنفسي حقها واني اعلم باني ميت بسيوفكم حين تملكون البلاد وتبطشون باخي وقد اصبحت عموم عائلتي يكرهونه ويتمنون ان يكونوا بين ايديكم خدما اوفياء .

اعجب العرب ببيانه وقوله وترددت عقائدهم بين صدقه وكذبه ،

فقال الامير حمزة انكم قوم كذابون ، وما جئتنا الا للغدر والخيانة .
فقال بختيار ، وما اسمعتني الا ما بنفسي ، لاني اعتقد انكم لا تصدقوني لكثرة ما جرى عليكم من الكذب والغش والخيانة ، فان ابقيتموني ساكون خادما لكم وان قتلتموني لا ذنب عليكم ولكن ذلك تقدير الله العزيز العليم .

قال حمزة : وهل تعرف الله حتى تذكره ؟ فقال اعرف الله واعبده فهو الذي خلق السموات والارض ، وسخر الشمس والقمر دائبين وجعل الليل والنهار خلفه وارسل رسلة للهداية حتى لايكون للناس على الله حجة .

صدقه العرب واطمانوا اليه الا عمر العيار فانه قال : هذا الرجل لايزال موضع ريبة في نفسي ، واري ان لا تتركوه بيننا ، فان كان صادقا فنحن عنه في غنى ، وان كان كاذباً فقد ابعدناه عنا وحمينا انفسنا من شره .

قال الملك قباط : اذا كان الله معنا فلن يقدر احد ان يضرنا ، ولا ينبغي ان نخيب رجاء وجل يريد ان يقيم عندنا على شريعة الله والجهاد في سبيله ، ثم قربه منه وانعم عليه ، وعاش بختيار عشرة ايام عيشة العابد الصالح ، وكان يسهر عند الملك يحدثه بكل مليح من الاخبار ، فاذا حان وقت النوم خرج الى خيمته ونام .

وفي الليلة الحادية عشره نام الملك وخرج بختيار ، ولكنه وقف عند باب الصيوان حتى غط الملك في نومه . فدخل عليه وذبحه بخنجره وخرج من الصيوان ووقف حائراً لانه يخشى ان يمسكه احد وقد تلوثت ثيابه بدم الملك ، وبينما هو واقف جاء عمر العيار وسأله : هل نام الملك فاجابه بصوت خافت ولسان مضطرب ، نعم . فارتاب منه عمر ودخل الى الصيوان فراى الملك مذبوحاً غارقاً بدمه ، فارتد الى بختيار وبقر بطنه بخنجره فسقط قتيلا ، وصاح بين الخيام : ان انتبهوا من نومكم وانظروا ما نزل بملككم من هذا الخائن الذي عصيتموني فيه ، قتله بختيار الخائن .

فخيم على العرب حزن اليم وكان ابوه وامه في حالة يرثى لها واختل في نظرهما ميزان الاعمال فقالت . امه مهر دكار زملت ابني امل في حياتي ولقد ائتمر ابوه والعرب واتفقوا على توليه الملك فحرموني ابني . فقال حمزة انت التي اخذت بيده الى الموت .

ورضيت ان يكون ملكا. واذا اردت اللوم فلومي والعني اباك وقومك. لانهم اشرار لايعرفون الانسانية . فقالت : انت وابي على وتيرة واحدة . ولو كنت عند ابي ما تجرعت هذه المصائب . ونبهتها غلظتها في مخاطبة زوجها فاحبت ان تغطيها بلين القول . لكن حمزة كان قد هاجه قولها فلم يترك لها فرصة فقال : انت تتشوقين الى بيت ابيك وتكرهين المقام فينا . لا تقيمين معنا بعد هذا اليوم . فتلقت مهر دكار بهذا القول مصيبة فوق مصيبة ابنها فوقعت على الارض مغشيا عليها . فانكر الامراء واعيان العرب موقف حمزة من زوجته . ولكنه في نظرهم في حالة شاذة لايعي فيها وعيه الذي فطر عليه ، فلم يستطيعوا ان يقولوا شيئا ، وشغلوا بتجهيز الملك ودفنه بين اناس حزينة من جميع العرب .

وبات العرب جميعا وهم في الم شديد من تلك الحالة التي وقعت بين الامير حمزة وزوجته ، وبات الأمير حمزة وهو في الم شديد من قولها ، وقد اصر على ارسالها الى ابيها .

لبثت مهردكار تعض اناملها حسرة وندما على ما فرط منها لزوجها . وكان بودها ان تنقضي حياتها دون ان يجد منها ما يغضبه . وفي الصباح دعا حمزة أخاه عمر العيار وقال له : خذ مهر دكار ومعها ما تريد في أخذه من المنزل واوصلها الى ابيها . فجادله عمر كثيراً ليثنيه عن عزمه وجد اخاه صلبا لا يلين فعزم في نفسه أن يدعها عند ملك من الملوك الاصدقاء حتى تنجلي غمة الحزن ، وتعود السكينة الى القلوب على غير علم من اخيه : وقال : امرك مطاع يا اخي واني ذاهب بها الى ابيها من هذه الساعة .

كانت مهردكار تحب رستم ابن زوجها محبتها لابنها ، وكان هو يحبها محبة لامه ، فجاء عمر العيار وقال له ان اخذتها الى ابيها اخذت امي ورحلت بها الى جدي وتركت ابي وشانه فقالت مهردكار : ان كنت يارستم تحبني كأمك لاتفعل ذلك لاني لا احب ان يقع اختلاف بين العرب بسببي ، وما اريد من عمر الا ان يأخذني الى حلب لاقيم هناك الى ان تنقشع سحب الاحزان ، وتعود المياه الى مجاريها ، فوافق رستم على قولها وقال لعمر ارسلها مع احد عياريك ولاتعلم ابي بالامر حتى نرى ما يكون .

حملت مهردكار امتعتها وملابسها ثم ودعت رستم وقالت له : لقد قتل ابني ، وكرهني زوجي ، وعبس الزمن في وجهي ، وربما حانت

منيتي وقدلااراك ولا ارىوالدك ، فاذا مت فاقرأوالدك مني السلام، وبلغه اني سامحته قبل ان ابرح بيتي هذا ، ولكني سأموت وانا في غيظ من نفسي لاني اغضبته ، فابتهل الى الله ان يحفظه ويكلأه بعين عنايته وارجو ان تطلب من والدك ان يغفر لي تلك الهفوة التي وقعت مني .

فقال رستم : اطال الله عمرك وان شاء الله ستعودين على احسن حال ، واعتبريني ابنك البر الوفي ، فقالت : اذا لهم والدك العفو ورضي عني فانه يكفيني أن يخبروني بانه رضي وسامح فاني ارجع اليه راضية شاكرة اعيش في ظله ، ولكني أشعر من نفسي ان هذا اليوم آخر عهدي بكم ، وان الموت ينتظرني ، ثم قبل رستم يديها وودعها .

كتب عمر كتابا الى صاحب حلب وجاء فيه أن يعني بامرها ويقوم بخدمتها بكثير من جواريها وخدمها ، ثم أعطا الكتاب الى ابنه الذئب وقال له : كن في خدمتها وحاميا لها حتى نصل الى حلب عزيزة مكرمة .

ظن حمزه أن مهردكار ذهبت الى أبيها ولم يمضي على ذلك بضعة أيام حتى تغير حمزة وادرك قسوته وظلمه ، فمالت نفسه الى ان يصالح كسرى وكره الحرب وانفرد عن الجماعة وركن الى العزلة وكان الفرسان قد أنكروا حالته ومالوا الى الاعتزال وتركه .

كان كسرى قد سمع في العرب صياحاً فسأل بختك عن ذلك فقال: اني أرسلت اخي بختيار لينفذ مكيدة دبرناها ويكون قد نفذها ، وهذا الصياح من اجلها ، فامره أن يرسل العيارين لمعرفة ما جرى.

ذهب العيارون متنكرين واقاموا فيهم وعرفوا كل شيء ثم رجعوا واعلموا كسرى بالامر، ففرح بختك وقال: انفرط عقد العرب وانفضوا عن اميرهم حمزة ، فاكتب اليه ان مهركدار وصلت اليك ، واطلب منه علم الفرس ، فكتب كسرى بذلك وبعث به احد عياريه الى حمزة، فلما قرأ حمزة الكتاب قال : لقد خسرت اعزائي ، وماذا يفيدني بقاء العلم عندي ؟ ثم نادى عمر اخاه ، فلما حضر قال له : سلم رسول كسرى علمه فقد مات اولادي وخسرت زوجتي ولا امل لي في عودتها فماذا اصنع بالعلم ، فكاد عمر ان يضيق من هذا القول وتلك الامر وقال له : ان ارسال العلم سيتبعه تفرق العرب وانفضاضهم من حولك ، وحينئذ لاتقوم لهم قائمة ، فقال : اسمع واطع وسلمه اياه.

فقال له بعض الامراء : ان هذا سيفرق الجمع ويحمل كل امير على ان يعود الى بلاده ، فقال : من اراد الرحيل منهم فليرحل .

فخرجوا من عنده غاضبين وذهبوا الى رستم في صيوانه واخبروه بما جرى ، فقال : ارى ان يرحل كل منا الى بلده ، وانا اولكم ، ثم نادى بقائد رجاله وامره بالرحيل فصدع بالامر ، وتبعه بقية الامراء. وما جاء الصباح حتى كانت الارض خالية .

فاندهش حمزة ودعا اخاه عمر وقال : اين الامراء والجنود ؟ قال: رحلوا الى بلادهم لانهم يئسوا منك ، فقال : واين ابني رستم ؟ قال: اول الراحلين ، لانك لم تستمع لنصحه ، فقال : هيا بنا الى مكة لنريح انفسنا من هذا العناء ، ثم قال : هل وصلت مهر كدار الى ابيها ؟ فقال : نعم لانك امرتني ولن اخلف امرك ، فقال في ذلة ومسكنة ويحك ياعمر ، اما كنت جديراً بشفقتك . والمحافظة على زوجتي ؟ وكيف طوعت لك نفسك ان تسلمها الى ابيها ؟ اما تعلم انه سيقتلها من دون رحمة ، ليت لساني كان قد قطع قبل ان آمرك بارسالها الى ابيها ، لاسلمك الله ياعمر ان لم تتدارك امري بالاصلاح وقد كان بيدك ، فقال : نصحتك مراراً ، وتصحك ابنك رستم ، ونصحك الامراء فما اجدى كل ذلك عندك شيئاً ، فوجدت من الحكمة ان ارسلها مع ابني الذئب الى نصير الحلبي ، ووصيته باكرامها والعناية بامرها حتى تعود اليها بعد ان يرجع اليك عقلك ، وقد رايت في الصواب أن افعل ما فعلت ، فخذ انت الفرسان والاموال وامضي بهم الى مكة وسأذهب الى حلب لاسترضاء زوجتي وآتي بها الى مكة ، فقام عمر ومضى حسب ما امره الامير وسار حمزة الى حلب من اجل زوجته .

اما كسرى فقد سره ما اصاب العرب من التفرق والانحلال فقال لبختك انت اليوم ازحت عن صدري حملا ثقيلا كأنه الجبال .

ركب حمزه جواده اليقظان وجد في المسير الى حلب ، ويكاد الشوق الى مهر دكار يطير به اليها .

حرج بختك الى قصره وهو عازم على ان يستمر في كيده ، فاحضر احد القواد وقال له : خذ معك الف فارس وامضي بهم الى حلب واعط واليها كتابي هذا وفيه امر من كسرى بتسليمك ابنته مهردكار فان ابي فهاتا قهراً .

وصل القائد وفرسانه الى نصر الحلبي ودفع اليه الكتاب فلما قراه اضطرب وحار في امره ، فهو لايستطيع ان يعطيه مهر دكار خوفاً من الامير حمزة ، ولا يستطيع ان يعصي امر كسرى خشية ان يكون العرب قد ذهب مجدهم وتفرقت كلمتهم فالتفت الى القائد وقال : اني وضعت مهردكار في قصر منعزل عن المدينة وجعلت لها من الجواري والخدم من يقوم بخدمتها ، فاذا كنت تريد اخذها فلا امنعك فاذهب انت اليها في قصرها دون علم مني ، واذا سالني حمزه عنها اعتذرت بان كسرى اخذها قهراً .

ذهب القائد اليها وابلغها انه جاء لياخذها الى ابيها . فقالت : جئت تطلب المحال ، ولان السماء اقرب اليك من اخذي . فقال لابد من اخذك كرهت او رضيت ، وكان معها خاتم فضة من السم القاتل فوضعته في فمها وابتلعت ما فيه من سم ، فظهرت في الحال على على جسمها اعراض التسميم وسقطت على الارض فاقدة النطق والحركة وفي ذلك الوقت حضر حمزة فوجدها على تلك الحالة ووجد القائد واقفاً امامها كالمذهول ، فجرد سيفه وشقه نصفين . وجلس يبكي امام مهردكار ويناديها . فلما سمعت صوته استجمعت قواها وقالت : عرفت حبك وسامحتك ، وجزاك الله خيراً ؛ وآخر كلمة اقولها لقد احببتك الى ان نلتقي في الآخرة ، ثم لفظت النفس الاخير؛ وجاءه نصير الحلبي فوجده جالساً يبكي بجوارها وقد قتل قائد كسرى فقال له : شغلت نفسك بالبكاء ، وتركت الف رجل من الفرسان حول المدينة ، فانتبه الى نفسه وقام الى اليقظان فركبه وشهر سيفه وخرج الى الفرسان وهو في ثورة البركان فاعمل فيهم سيفه وجزهم جزاً ، وشاع في الجيش ظهور حمزة ففعل اسمه فعل السحر ، واتفق ان سارت عاصفة في البرية اثارت الغبار فظنوها الجيش حمزة ؛ وكانت عزائمهم انحلت بموت قائدهم ، فامعنوا في الفرار عائدين الى المدائن .

وصل عمر العيار ومعه جماعة حمزة الثمانون الى مكة ، فسأله الامير ابراهيم عن ولده فقص عليه قصته ، فقال له ابراهيم : اذهب الى اخيك واحضره ليقيم بيننا ويرتاح من هذا التعب والعناء .

فعاد عمر الى اخيه فوجده باكياً على قبر مهردكار كئيباً حزيناً فجعل عمر يعزيه وهو لم يلتفت اليه ؛ فقال : ان اباك يدعوك اليك لانه يخشى ان يهدم كسرى بيت الله الحرام ، فقال : مالي وللدنيا

والامها ، ما انا بنازع عن قبر زوجتي حتى ينتهي اجلي وادفن بجوارها . ولما عجز عمر عن اقناعه واستمالته اخذ جواده وعدته ورجع الى مكة على ان يعود اليه مرة ثانية .

انتظر بختك القائد الذي ارسله الى حلب واذا بالمهزومين داخلين عليه خاسرين فاشلين واخبروه بان حمزة قتل قائدهم فاغتاظ وتكدر ولكنه ما يئس ولا فتر عن سعيه فارسل الجواسيس الى حلب لتنقل اليه اخبار حمزة ليدبر على ضوئها ما يكيده .

فلما وصلوا اليها وعرفوا مصير مهر دكار وحمزة بلغوه ما عرفوا باقصى سرعة فكاد يطير من شدة الفرح وقال : جاء وقت الانتقام من هذا الطاغية ولابد من قتله والحاقه بزوجته . فأحضر اليه اكبر العيارين واغدرهم وكان اسمه « قرقدان » وقال له :

ان حمزة قد ماتت زوجته وتخلى عنه انصاره ، وعكف على قبرها حزينا ولا سلاح معه ، فاريد منك أن تاتيني به ، وستجد ما يغنيك من المكافأة فقال: لك علي ذلك وساحضره في اقرب مايمكن من الوقت .

اخذ قرقدان جماعة من اتباعه العيارين وانطلق بهم الى حلب . وهناك اوقف اتباعه في مكان قريب من قبر مهردكار وتنكر هو في زي الدراويش ومضى الى قبة القبر ووقف ببابها يتلو ذكر الله ولما رآه حمزة استأنس به ودعا اليه وساله : من اين جئت ايها الدرويش ؟ فقال : اني من بلاد المغرب الاقصى ، خرجت منها صغيراً ، وعرفت الله وعبدته . فكان ربي يكرمني حيث نزلت . وقد رغبت في ان اسير الى مكة واقيم فيها عاكفاً على عبادتي حتى ينتهي اجلي . فقال حمزة: امكث عندي هذه الليلة فاني في حاجة الى من يؤنسني ويخفف عني ما نزل به . فقال قرقدان : وقاك الله كل شر ، فمن انت ؟ وما الذي دهاك ؟

* * *

قال : ان الله سبحانه وتعالى جعل من عباده الصالحين مثابة امن وسكينة . وقد وجدت فيك راحة من الم ، وانا اسمي حمزة ابن ابراهيم امير مكة ثم اعاد عليه قصته فقال قرقدان : ما شان المؤمنين الصابرين . وكيف تجزع من قضاء الله . اني ياولدي ان لم تصبر صبر الاحرار سلوك الناس وانمحى ذكرك واندثر ، فدع عنك هذا الحزن وتعال معي الى مكة وهناك تنسى همومك وتعيش بين ابيك واهلك .

فقال حمزة : استرح عندي هذه الليلة وليكن غدا مايكون، فاخرج فرقدان من جرابه خبزاً وتمراً وقال : ليس معي الا هذا التمر وهو خير مما تاكلون ايها الامراء ، فقال حمزة : اني احب التمر فاعطني منه قليلاً ، فناوله لدرويش بعضاً من التمر كان قد وضع فيه بنجاً، فلما اكله خدر في الحال وسقط مغشياً عليه ، فاسرع فرقدان الى جماعته وجاء بهم وكتفوه وحملوه وساروا به الى المدائن ، ولما بعدوا في مسيرهم امر جماعته بالوقوف واعطوه منبهاً فلما افاق حمزة وجد نفسه مقيداً في مكان قفر يحيط به جماعة من العيارين وفيهم فرقدان.

فادرك انه وقع في شبكة الغدر والخيانة فقال لهم : لما فعلتم معي هكذا وانا لم اضركم ؟ فقال فرقدان : نحن ما خرجنا من المدائن الا لاسرك واخذك الى كسرى ليثأر منك فسكت حمزة وقال في نفسه هذا ما جنته يداي .

وصل فرقدان الى بختك ومعه الامير حمزة ، فتخيل من فرحه كانه ملك الدنيا ودخل على كسرى واخبره فقال : اذهبوا الى الاعدام واقتلوه فقال بختك لاينبغي ان نقتله ، ولكني سأصلبه في الساحة العامة لوادي خراسان تحت الشمس ، فقال كسرى : افعل ما شئت ولاترني وجهه ، فخرج بختك وامر بوضعه في السجن الى الغد ، وكان الوزير بزرجمهر في حزن اليم من اجله .

اخذ الناس يتقاطرون على وادي خراسان ليشاهدوا صلب الامير حمزة ذلك الامير الذي افزع الانس والجن جرى كل ذلك وحمزة مسلم امره الى الله في صبر جميل .

اما عمر العيار فانه وصل الى مكة واخبره اباه ما كان من شأنه فقال : اذا كان قد عصاك واصر على بقائه بجوار قبرها كان من الواجب عليك ان تتجه وتأتيني به ؛ فارجع اليه ولا تأتي الا به . فقال عمر سأذهب اليه بعد اسبوع فربما تكون خفت عنه احزانه ورضي بالعودة معي .

وبعد سبعة ايام ذهب عمر اليه فلم يجده فسأل عنه نصير الحلبي فقال : لا نعلم عنه شيئاً وقد ظننا انه رحل الى مكة ؛ فدب الخوف في صدر عمر وظن ان يكون قد سرق وحمل الى المدائن . ولهذا اكتحل وتبدل شكله وصار كانه حجاب كسرى واسرع الى المدائن واجتمع بالوزير بزرجمهر وعرفه بنفسه وساله عن اخيه فقال له : الا تخشون الله ربكم ، وكيف تتخلون عن اميركم في شدته ؟ ثم حكى له ماجرى

لحمزة ، فتألم عمر وقال : ستجدني ان شاء الله اخلصه من محنته وجمعت العرب لينتقمون من كسرى وبختك فدعا له بزرجمهر بالتوفيق والنجاح .

انطلق عمر الى وادي خراسان واختلط بالعيارين الذين يحرسونه فدنا منه وجعل يشتمه وفي غفلة من العيارين افهمه انه اخوه عمر وانه ساع في انقاذه من الصلب فشكره حمزة ورجاه ان يسرع في انقاذه ، وانفلت عمر الى ابنه رستم في مدينة جده واخبره بمانزل بابيه وحمله تبعته ، وافهمه ان انحلال العرب وانفضاضهم من حول ابيه وكان هو السبب فيه فلم يطق رستم صبراً على ما سمع واحضر امه واعاد عليها عمر ما حصل لابيه ، فامرت ابنها بالركوب في الجيش ليدرك ابيه ولايعود الا به فامر رستم في الحال قائد جيشه ان يتحضر للسير غداً الى وادي خراسان فقال عمر : لاتسر الى وادي خراسان، ولكن انتظرني في وادي الكمال حتى اجمع اليك بقية العرب .

ثم اخذ عمر يطوف على بقية الامراء ويرسلهم الى وادي الكمال فتجمعوا هناك حتى غص الوادي بكثرة الجيوش واصبحوا في قوة لا يستطيع جيش كسرى ومثله من ان يثبتوا امامهم .

وبينما هم يتأهبون للمسير الى وادي خراسان راوا غبارا يدنو منهم فقال رستم ان العرب جميعهم حاضرين فلمن هذا الجيش ياترى ؟ فقال عمر . سآتيك بخبره حالا ، وانطلق اليه فوجد جماعة من الفرسان يقدر عددهم بثلاثين الفاً يتقدمهم شاب امرد مشرق الوجه مدجج بالسلاح ممتطياً جواداً ضخماً كأنه الفيل فتقدم منه عمر وقال : مهلا ايها الفارس ، هل انت صديق العرب أم عدو لهم اوعابر سبيل ؟ فقال الشاب ، اراك من العرب فمن تكون ؟ فقال : اني سألتك فاجبني ، فقال الشاب ، اني سائر الى وادي خراسان لتخليص الامير حمزة البهلوان فضحك عمر وقال : ابهذه القلة التي انت فيها تقدر ان تخلص الامير من يد كسرى ؟ لقد جاء العرب جميعاً ونزلوا بوادي الكمال لهذا الغرض ، واظنهم لاينالوا مأربهم الا بعد جهد جهيد ، وانا عمر العيار اخو حمزة ، فمن انت ايها الفارس البطل ؟.

فنزل الشاب عن جواده وسلم على عمر وقال : ان من كان ابوه رستم لايرهب الموت ، ولايهمه عدوه كثر عدده او قل انا قاسم بن رستم بن حمزه وقد بلغني كيف غدر كسرى بجدي وصلبه في وادي خراسان ، فجئت لخلاص جدي أو اهلك بين يديه ، فقال عمر : ان

العرب لاتنام على الضيم ، فتعال معي الى ابيك رستم في وادي الكمال ، لتكون له وللعرب قوة ، ومضى عمر به وبجيشه الى ابيه في وادي الكمال .

ولما دخل على والده وعرفه به فرح كثيراً وحمد الله وشكره وفاض عليه من حنانه ما قرت به عين قاسم ابنه ، وذاع خبره بين العرب فابتهجت نفوسهم وتقاطروا على رستم يهنئونه .

وكان عمر العيار بعد ان طاف على العرب وجمعهم رجع الى وادي الكمال ومعه عصبة حمزة الثمانون وعياروه ، ثم وزع العيارين في طريق خراسان وامرهم ان يقتلوا كل من يمر بهم حتى لا ينقل الى كسرى نبأ قدوم العرب وقد ادوا عملهم بكل اتقان ، فلم يدعوا عابراً الا قتلوه ، وبقي كسرى ووزراؤه يعتقدون ان العرب لا يزالون متفرقين ، وكانوا لايعرفون عنهم شيئاً اكثر من ذلك ، فاطمأنت نفوسهم وعكفوا على المرح واللعب ينتظرون عيد النيروز لصلب حمزة وحرقه ، فتسلل عمر اليهم ليعرف احوالهم ، ويضع الخطة الناجحة في قتالهم ، فوجدهم غارقين في جهلهم ومرحهم ، ورجع الى العرب واخبرهم ان جيوش كسرى تملأ الفضاء ، ثم سألهم عن الخطة التي يسلكونها في قتالهم وتخليص الامير حمزة ؟ فقال رستم : نهجم عليهم دفعة واحدة من كل ناحية . فقال عمر : كلا ، اقسموا جيوشكم ثلاثة اقسام ، قسمان يتناوبان القتال ليلاً ونهاراً ، والقسم الثالث من خلفهم يمدهم بالزاد والسلاح ويحمي القسم الذي يأوي الى النوم والراحة واجعلوا القتال مستمراً حتى تشغلوهم عن الامير حمزة ، ولاينتهي القتال الا بعد ان يخلص من الصلب ونرده الينا سالما ، واتفق الامراء على ما دبر عمر ونفذوه في دقة واحكام ، وجعلوا اول هجوم لهم في منتصف الليل والاعداء نائمون . واستعدوا لذلك في خفية وحذر .

استيقظ الفرس في منتصف الليل على ضرب السيوف وطعن الرماح ، فهبوا فزعين وعمدوا الى اسلحتهم مضطربين حائرين . وبدأت حرب طاحنة وقد اصر العرب ان لانهاية لها الا بفناء احد الفريقين ، ودامت ثلاثة ايام متتاليات كان في اثنائها مدبع الزمان قد ابلى فيها بلاء حسنا وكانت الحرب بين الفريقين عاتيه لاهبة . وفي اليوم الثالث خاف العرب ان يموت الامير حمزة من الجوع والعطش جعلهم هذا الخوف يتخذون هذا اليوم الفاصل بين الموت والحياة .

فنزلوا على اعدائهم نزول الصواعق فلاذوا بالفرار الى مدينةخراسان فدخلوها واغلقوا ابوابها ، وانزل العرب الامير حمزة فوجدوه بين الموت والحياة .

وكان بزرجمهر قد تأخر عن دخول المدينة ووقف متردداً فجاء عمر العيار وقال له : انك ان بقيت معنا فمالك عندنا الا كل اكرام ومحبة فقال : اني راغب في البقاء معكم لمداواة الامير حمزة وملازمته حتى يشفى وترجع اليه صحته وعافيته ، ورجع مع عمر الى صيوان الامير وكانوا قد اضجعوه الى سريره فنظر اليه وفحصه وقال :

ان اميركم لايزال حياً وسيشفى باذن الله تعالى . ثم سقاه واعطاه من دوائه وقام على علاجه اياماً حتى فتح عينيه وتحرك لسانه وكان فرح العرب بذلك عظيما واستمرت العناية حتى عادت اليه عافيته وركب جواده وكان مبعث سعادة العرب وهناءهم .

اما كسرى فانه جعل يسب بختك ويقول : انت سبب هذه المصائب وليتني سلمتك الى العرب وارحت نفسي وحميت ملكي فقال بختك : ما كنت اظن أن العرب سيجتمعون كما كانوا بهذه السرعة ، وماكنت ابغي لك الا النفوذ والنصر العظيم ، ولكن عمر العيار هو الذي دبر هذه الخطة وجمع العرب واخفى عنا اخبارهم حتى داهمونا بسيوفهم في حلك الليل .

كان حمزة وزوجته سلوى في احدى بلاد الشام فارسلها الى مكة لتقيم فيها وتضع حملها : لكن عمر الحبشي وصقلان الرومي سرقاها ومضيا بها الى ابن زوبين وهذا اهداها الى صاحب مدينة كيوال الذي ارادها لنفسه زوجة وخاطبها في ذلك فاظهرت الرضا واستمهلته ليثما تضع حملها . وبعد اربعين يوماً من وضعها احضرت صندوقاً ووضعت فيه ابنها ومعها جواهرها وحليها ثم احكمت اغلاقه والقته في البحر ليكون في رعاية الله يقضي فيه ما يشاء ووضعت في يده أسواراً كتبت فيه انه ابن الامير حمزة البهلوان وجاءها صاحب كيوال وطلب منها الوفاء بما وعدت فابدت له سرورها ورضاها ولما خلا اليها بقرت بطنه بخنجر كانت محتفظة به تحت طيات ثيابها ثم شقت به بطنها وماتت .

ولما دخل عليهما الخدم في الصباح وجدوهما مائتين وشاع الخبر واجتمع اهل المدينة وادركوا ان سلوى فعلت هذا صوناً لعرضها ولشرفها وكان بذلك شان عظيم بين الناس نساءهم ورجالهم .

وعثر صياد بصندوق الغلام عقت القائه في البحر فاخرجه واخذه الى بيته ، ودعى زوجته وفتح الصندوق بن يديها وهي تمنيه بالغنى والسعادة ، فقال الصياد . ربما كان لهذا الغلام شان عظيم وما وضعته امه في الصندوق والقته في البحر الا لتخفي امره ، فقالت زوجته : وما اعلمنا ؟ لعل امراة دفعها شذوذها الى أن فعلت بأبنها هذا ما فعلت ، وعلى اية حال فنحن لامال لنا ولا ولد ، فلنتخذه لنا ولدا ، ولعل الله يرزقنا بسببه، واخرج الصياد الغلام من الصندوق، ثم بحث في الصندوق فاخرج الجواهر والحلي فقال لزوجته : الم اقل لك ان هذا الغلام ذو شأن عظيم ؛ وما ارادت امه الا اخفاءه امره فوضعت معه في الصندوق هذه الجواهر لتنفق في تربيته ، لانها تبغي الحياة والبقاء ، فقالت زوجته : سواء اكان معه مال ام لم يكن فان الواجب الانساني يقضي علينا بكفالته ، ثم احست ان في ساعده شيئاً فتبينته فاذا هو سواراً فقالت : وهذا ساعده يحمل سواراً ذهبياً فنظر فيه وقرا : هذا ابن الامير حمزة البهلوان ، وامه سلوى؛ وكان صيت حمزة قد شاع عما عرفنا قصة سلوى وانها قتلت صاحب المدينة وقتلت نفسها ، فاندهش الصياد وقال : وضح الامر وعرف الغلام ؛ ووجب علينا ان نكتم امره وان نحسن كفالته ليكون منبع سعادة لنا الى الابد ، وعرف به زوجته، فقالت : انه ابننا وقد سميته (بديع الزمان) فانهض انت من الآن وافتح متجراً في المدينة وسيرزقنا الله من فضله بسبب هذا الغلام .

شغل الصياد بمتجره وأراد الله له الرواج والسعة ؛ وشغلت الزوجة بتربية الغلام وخدمته ؛ ولما كبر الحقه الصياد بالمدرسة فكان تلميذاً نجيباً ، حتى اذا ما انتهى منها جعله كاتباً في متجره ، والغلام لايعرف له ابا ولا اماً الا ذلك التاجر وزوجته ، وكانا من اصل عربي ويعبدان الله خفية ولهذا حرص الصياد على ان يعلم الغلام اللغة العربية علاوة على تعلم لغة المدينة .

كان فريد ابن زوبين يطوف بالمدينة فراى ذلك الغلام في المتجر فنال اعجابه ورغب ان يكون كاتباً في ديوانه فخاطب الصياد «التاجر» في شانه فلم يجد مفراً من الاستجابة له ووصاه ان يعني بامره لانه ابنه الوحيد الذي لم يرزق غيره .

فاخذه فريد وعني بتعليمه الفروسية وركوب الخيل والصيد وفنون القتال اذ وجد في فطرته استعداداً في هذا السبيل ، وفاق بديع الزمان اقرانه من الابطال والفرسان .

دخل بديع الزمان ذات يوم الى الديوان فوجد رجلاً جالساً بجانب فريد وهو يخاطبه في استكبار وانفة ويقول : ان الملك مهرين لم يرد ان يرهقك بعد قتل ابيك ويطلب منك الجزية التي كان يرسلها ابوك اليه ، وقد بعثني اليك لاطلبها منك بالمعروف ، فان ابيت عزلك او قتلك وولى على بلاده غيرك ، وكان الرجل قاسياً في بلاغه غليظاً في قوله ، فلم يحتمله بديع الزمان ، فشهر سيفه وضربه به فقتله .

فزع فريد ، ولام بديع الزمان وقال : لقد جلبت علينا المصائب بقتلك رسول الملك مهرين ، فنحن ضعاف امامه ، ومالنا قدرة على قتاله ، فقال بديع الزمان : انا الذي قتلته ، وانا الذي احمل تبعة قتلة وساذهب من فوري الى مهرين فأقتله كما قتلت رسوله ثم خرج من الديوان واختار ثلاثمائة فارس ومضى الى مدينة مهرين وعسكر على مقربة منها وبعث اليه كتاباً وقال فيه :

لقد ظلمت واعتديت ، وارسلت الى فريد تهدده وتطلب منه الجزية ، وغفلت عن ان بديع الزمان عنده ، فاخرج الى لقائي لاسقيك كأس الموت مريرة ، قرأ مهرين الكتاب وثارت ثورته وخرج في جنده الى لقائه ، فلما التقيا قال مهرين لبديع الزمان : كيف دفعك الغرور الى ان تعادي مهرين ، وليس لك في الفرسان ولا في المعارك شان يذكر ، انك لاتزال في دور الصبا والحداثة فما الذي حملك على ان تتحداني وتعاديني؟ فاسمع لنصحي وارحم ضعفك وارجع الى صاحبك صاغراً ذليلا .

فقال بديع الزمان : ان القول كثير . واستطيع ان اكيل لك منه ما يصغر شأنك ، ولكن مقطع الحكم في حد السيف ، فابرز لي لتعرف نفسك من بديع الزمان ، الذي ترميه بالصبا والحداثة .

لم يجد مهرين بداً من مبارزته ، وقام بينهما كفاح دام ساعات من الزمن ، ثم اختطفه بديع الزمان ورفعه بيده وقال : ما شانك الآن ؟ هل أضرب بك الارض ؟ فقال مهرين عفواً يابديع الزمان ، فما كنت احسبك تفوق حمزة البهلوان ، وما كان لمثلي ان يعادي مثلك فان عفوت عني كنت معك ومن اتباعك ، والأمر اليك .

فاعاده بديع الزمان الى ظهر جواده وقال : عفوت عنك ووهبت لك دمك ، فقد عرفتني وانت حر فيما تريده لنفسك . فقال مهرين : مااردت بقولي مكراً ولاخديعة . ولكني احببتك ولاابغي فراقك فاجعلني وقومي من رجالك الذين يحملون سيوفهم بين يديك حيث كنت ، فقال

بديع الزمان : قبلت صحبتك واخوتك ، ولن تراني بعد ذلك الا اخا وفيا ، ثم اصطحبا ودخلا المدينة في مظاهرة رائعة من الفرح والغبطة، ولبث عنده اسبوعاً مغموراً بالكرم والحفاوة البالغة ثم جند مهرين جنوده وسار معه الى فريد في مدينته وضربوا خيامهم في ظاهرها، ثم دخل بديع الزمان ومهرين على فريد في ديوانه فقال بديع الزمان هذا مهرين الملك قد جاءك اخا وفيا خاضعا لامرك ، فنهض اليه وسلم عليه وهناه بتلك الصداقة التي ستعود عليهم جميعا بالخير والسلام وبينما فريد جالساً في ديوانه اذ اتاه كتاب من كسرى يدعوه فيه ان يأتي بجنوده واتباعه الى وادي خراسان ليشهد القاء حمزة البهلوان في النار يوم عيد النيروز ، ولما قراه قال بديع الزمان وكيف وقع حمزة في اسر الفرس بعد ان آيسوا من قهره ؟ فحكوا له قصته وكيف سرق غدرا وغيلة ، واخذ فريد في الاستعداد والرحيل .

رجع بديع الزمان الى ابيه وامه ليستاذنهما في الرحيل ، واخبرهما بما هو ذاهب اليه ، فاطرق الصياد قليلا ثم رفع راسه وقال : وهل يرضيك أن تشهد قتل رجل يعبد الله ويؤمن به ؟ فقال نعم ، لانه ترك النار التي نعبدها وعبد غيرها ، فقال : وهل ترضى ان تشهد قتل رجل انت اقرب الناس اليه ، وتلزمك حمايته والدفاع عنه فقال : أوضح ماتريد هل هو اخوك حتى كنت اقرب الناس اليه ؟.

فقال الصياد : اصبح من المحتوم ان اطلعك على الحقيقة انت بديع الزمان وابوك حمزة البهلوان ، وقصتك هي كذا وكذا هو السوار الذي وجدناه في ساعدك ، فسكت بديع الزمان طويلا ثم قال: اصحيح ماتقول ؟ قال : لو لم تكن هذه الاسورة في يدك لاعتراك الريب فيما قلت ، فقال : وهل فريد يعلم ذلك ؟ قال : لايعلم احد حقيقة امرك الا الله وانا وزوجتي وقد ...رص على كتمان امرك حتى تبلغ رشدك ويكون امرك بيدك ، فقال : شكرا لك وانا مدين لك ولزوجتك بما يدين به ولد لوالديه ، غير اني في عجب عظيم . كيف ياخذني فريد لاشهد رمي ابي في النار ، لقد كفرت بنارهم وآمنت بالله الذي بيده ملكوت كل شيء وساذهب الى مهرين وفريد لادبر الامر وارى ما سيكون .

جلس بديع الزمان الى مهرين وقال له : لقد ظهر مايفرقنا ويقطع حبل الاخوة بيننا . فقال: لن يكون ذلك ابدا حتى يواريني تراب قبري فقال بديع الزمان : ان الامر كذا وكذا وحكى له قصته ، ثم قال :

ولهذا فاني ذاهب الى خراسان لاخلص ابي حمزة الذي اصبحت على دينه ، فقال مهرين : ذلك امريزيد في اخوتنا ويقوي الرابطة بيننا لاننا ندين بالنار خوفاً من كسرى ، ولو اتيحت لنا فرصة غير تلك لآمنا بالله وتركنا عبادة النار ، وبما ان حمزة ابوك وما دمنا نحبك فانانحب والدك، ولهذا فاني وقومي معك الى وادي خراسان لتخليص ابيك واميرنا ، فقال : شكراً لك ، واسمك من الآن عبد الله مهرين، وتعال معي الى فريد لادعوه الى دين الله وان نكون يداً واحدة وان عصى واستكبر قتلته وجعلت منه عبرة ومثلاً .

مشى بديع الزمان الى فريد ومعه عبد الله مهرين فلما جلسا واطمأنا قال بديع الزمان : عرفت في اللحظة الاخيرة ان ابي الامير حمزة البهلوان وقصتي هي كيت وكيت وحكاها له ثم قال : ومن اجل ذلك جئتك لادعوك فقال فريد : انت ابن سلوى التي اخفت امرك ؟ انت ابن حمزة الذي قتل ابي ؟ كيف يأويك ديواني وانت عدوي وعدو ابي ، لا كنت ولا كان ابوك وامك ، ولا بد من ذبحك . لم يجد بديع الزمان جواباً لهذا الغرور الا انه استل سيفه وهوى به على راس فريد فقتله ثم صاح في الرجال : من تبعني سلم من سيفي ومن عصاني فهذا مصيره — واشار فريد وهو غارق في دمه — وصاح مهرين : انا وقومي اول من يتبعك فخاف اهل مدينة فريد وصاروا جميعاً تبعاً له وعلى دينه ، ثم سار بالرجال الى وادي خراسان ، وكان له الاثر المجيد في تخليص والده الامير حمزة .

وسمع حمزة وامراء العرب قصة بديع الزمان ، فأسف حمزة على زوجته سلوى ، وفرح بابنه ونهض اليه وضمه الى صدره وفرح العرب وشكروا له شجاعته وما ابداه من الكفاح حتى نصرهم الله نصراً عزيزاً .

حسد قاسم بن رستم بديع الزمان على منزلته بين العرب ، فضحك حتى استلقى على قفاه ، فسأله جده حمزة : مم تضحك ياقاسم ؟ فقال ضحكت مما وجدته فيكم ، فقد ارتفعتم بابن الصياد الذي تربى في الذل والمهانة خدم فريد زوبين في ديوانه وجعلتموه اميراً فيكم ، فادرك حمزة انه حاقد وقال له : اذا جلست بين الامراء فلكن حديثك حديث الامراء ، فقال : وكيف ارضى ان يساويني في الامارة هذا الحقير وانا امير لابي وامي ؟ فغضب منه ابوه رستم وقال له : اذهب الى بلدك وبلد امك فلسنا في حاجة اليك ، فقال حمزة

لايحزنك ما سمعت من قاسم فهو ابن اخيك ؛ فقال : على اية حال فهو ابن اخي فليقل ما شاء ثم قال حمزة : مادامت المدينة اسوارها، ولا ينفعنا حصارها فلنرحل منها ، فقال الامراء : لناخذ راي عمر العيار في ذلك فقال عمر : امهلوني حتى اطوف حول المدينة فان لم اجد منفذاً اليها رحلنا ، ثم نهض قائماً وتنكر في صورة حاجب من حجاب ملكها شمهور ، وجعل يطوف حولها وهو لايجد منفذاً ، حتى وجد كلباً بجانب سورها فقال : هذا من كلابها ولابد ان يكون خرج منها ، وهذا الذي سيدلني على المخرج الذي خرج منه ثم نهره فجرى امامه وهو يعدو خلفه حتى دخل سردابا ضيقا فدخل فيه حتى صار في المدينة ، فقصد ديوان كسرى فوجده جالساً تعلو وجهه غمرة من الحزن والكآبة وبختك بجانبه فقال له كسرى : ارايت كيف خسرنا رجالنا وشرفنا وبقينا في المدينة كالمأسورين ولا نستطيع الخروج منها؟ فقال له : انتظرني حتى ادبر لك في الحال المنفذ الذي سنخرج منه دون ان تشعر بنا العرب ،" وانتظر عمر ليعرف ماذا يفعل ، وبعد برهة وجد عمر العيار شخصاً يقبض عليه وسمع بختك يقول : هذا عمر العيار فأمسكوه ، فلما أمسكوه واوقفوه امام كسرى فقال له : انت عمر العيار ؟ فقال : نعم ، فقال : لقد قتلت رجالي وخربت بلادي واذللتني ولاجزاء لك عندي الا القتل ، فقال عمر : مادام الامير حمزة قد نجا فلا يهمني قتلت أم حييت ، وان لي ولدين عيارين في العرب وهما اكثر مني قدرة واعظم نفعا ، فافعل بي ما شئت ، فانى لا ارهب الموت .

فقال بختك : سنقيم له بناء فوق سور المدينة ونضعه فيه على مرأى من العرب ، فاذا راوه جاءوا لانقاذه ، فحينئذ ترميهم جنودنا بالنبال حتى نقتل منهم كثيراً ، ثم امر محبوب النار العيار ان يسجنه عنده حتى يقيم البناء واوصاه ان يكون متيقظا حتى لايفلت من يده.

دخل محبوب النار وعمر العيار غرفة واغلقها وجلس الى جانبه واخذ عمر يفكر كيف يفر من هذه الغرفة فاهتدى الى حيلة فقال لمحبوب النار : ارايت لو احسنت الى اخيك العيار في سجنه بشيء من الخمر ليخفف عني بؤس الحبس ؟ فقال : هذا يسير علينا . ولا مانع لدي من اكرامك مادمت في يدي . ثم خرج واغلق الباب ومضى الى السوق واحضر طعاما وخمراً كثيراً .

ورجع فقال : احضرت لك فوق ما طلبت من الطعام والخمر ، فقال شكرا لك ، فاجلس واسقني لانني مقيد اليدين واشرب معي ، فجعل محبوب النار يطعمه ويسقيه ويشرب معه الخمر ، وكان محبوب النار شرها في الشرب فجعل يعب الخمر عبا حتى سكر وصار لا يعي فقال عمر : افكك يدي لاتناول الطعام والخمر واريحك ، فقال . حسناً طلبت فاني في حاجة الى الراحة ، ثم فك يديه فأخرج عمر جراب اسماعيل من جيبه وقال ضع رجليك في هذا الجراب ، فوضعهما وهو لا يعي ، وما لبث ان ابتلعه الجراب واصبح في داخله ، فناداه من داخل الجراب ، اخرجني ياعمر من هذا الظلام ، فقال . يخرجك بختك الذي تخدمه . ولو كنت مع العرب لكان معك مثل هذا الجراب وغيره ، فقال : اني أعدك ان اكون معك وان اطلق سراحك على ان اصحبك الى العرب لانجو بنفسي من بختك فقال : ناولني مفتاح القيود حتى أفكها فناوله اياها ومعها مفتاح الغرفة ، فأطلق عمر نفسه من القيود وفتح باب الغرفة وخرج منها ثم اغلقها ومضى ومحبوب النار في جرابه ، وكان هذا في منتصف الليل ، وقد عزم على ان يأتي برجل يضعه في السجن بدلا منه ، فراى شخصا واقفا على مقربة من قصر الملك شهور وكان الظلام شديداً ولكنه يرى فيه اكثر من غيره ، فقرب الى انف الرجل منديلا به بنج ، ولما ملأت ريحه انف الرجل وقع على الارض مغشيا عليه . فحمله وادخله السجن ووضع في يديه القيود والاغلال ، ثم اغلق الغرفة ومضى وكان هذا الرجل ابن الملك ، وكان واقفا ينتظر جارية من جواري ابيه ، فاستحق ما وقع فيه ، وقال محبوب النار لعمر . اني اعاهدك على ان اكون من عياريك اخدم العرب بصدق وامانة ، فقال ان العرب يؤمنون بالله ويبغضون الكفار الذين يعبدون النار ، فقال . آمنت بالله واعاهدك على الامانة والصدق . عرف عمر صدقه وتأكد ايمانه ، فأخرجه فقال محبوب النار . لقد فكرت في اطلاق سراحك ولكننا لم نفكر كيف نخرج من المدينة وليس فيها منفذ لنملة ، فقال عمر . تعال معي ومشيا في السرداب حتى خرجا من المدينة ، وعجب محبوب النار ان يعرف عمر مسارب المدينة وهو لا يعرفها .

اما بختك فانه في الصباح أن يأتوا بعمر ويضعوه في البناء الذي

اقاموه فوق السور ، ويقطعوه بسيوفهم ، ولما جيء بابن الملك وكان عمر جعله على شكله اذ كحله وطلب أن يكون مثله ، صار هذا الابن يصرخ مستغيثاً ويقول : انا ابن الملك ، ما فعلت شيئاً استحق عليه القتل ، لست انا عمر العيار ، واهل المدينة مجتمعون وبختك وكسرى حاضرين ثم امر بختك ان يقتلوه وهو لايزال يعتقد انه عمر العيار فلما قتله الجند زال اثر الكحل ورجع الى شكله وعرفوا انه ابن الملك وما هو بعمر العيار ، فانقلب فرح المدينة الى غم عظيم وقال كسرى لبختك : كلما خطوت بنا خطوة اوقعتنا في مصيبة وليتني اسلمتك الى العرب واسترحنا من شؤمك ، فما كنت الا نكبة علينا فقال : وما اعلمني ان عمر سيفلت ويضع مكانه ابن الملك ، قد كنا جميعاً نعتقد انه عمر ، وما ارتاب احد منا في ذلك ، وبات كسرى ورجاله واهل المدينة وحاكمها وزوجته في غم عظيم .

اما عمر ومحبوب فانهما دخلا معسكر العرب ، وما كادوا يرون عمر حتى هاجوا فرحين واقبلوا اليه من كل ناحية مهنئين ووصل الى الامير حمزة فنهض اليه وقبله ثم جلس الى جانبه وقص عليهما فعله وقال : وهذا محبوب النار اكبر العيارين في خراسان قد جعلته رئيساً للعيارين عندي وقد آمن بالله وعاهدني على ان يخدم العرب في امانة وصدق .

ولما انفض المجلس انصرف كل الى مقره ونام الى الصباح ، اما عمر فانه صار يطوف بالليل حول المعسكر لعله يجد عياراً اجنبياً او غريباً ، وبينما هو سائر وجد رجلاً وامرأة فامرهما بالوقوف وسألهما قائلاً : من انتما ؟ فقال الرجل : انا الملك شمهور وهذه زوجتي تريد الامير حمزة في امر هام . فقال : انا اخوه ورئيس عسكره ، فقل ما شئت فاني اقضي لك ماتريد . فقال : اريده في سر لا احب ان يطلع عليه احد ، فقال : ان لم تطلعني عليه فلن تطمع بالوصول اليه ، فقال : قتل الفرس ابننا الوحيد بدلا من عمر العيار وما عرفنا بذلك الا بعد موته ، وتلك المصيبة حلت بنا من اجل كسرى ووزيره الخبيث بختك ، فجئت لأعرض عليه ان افتح له المدينة ليدخلوها على شرط ان يدوم لي حكمها واكون ملكها ، وان لاينهب العرب شيئاً من المدينة اذا دخلوها . فقال : تعال معي ، واخذه الى صيوان اخيه وايقظه من نومه ، فقص عليه شمهور ما جاء من اجله

فجمع الامراء وعرض عليهم ما يقترحه شمهور من فتحه المدينة ، فوافقوا على ذلك واتفقوا على ان يكون موعد فتح الباب قبل الفجر بساعة ، ومن باب معين ذهب معه عمر العيار وعرفه .

استعد العرب لدخول المدينة قبل الفجر في الموعد المتفق عليه كان العرب امام الباب ودفعوه بايديهم فانفتح ودخلوا الى المدينة واهتزت بالجنود من جميع نواحيها وارتفع الصياح وجرت الدماء واحس كسرى بتلك الجلبة فقال لبختك : ان العرب دخلوا المدينة ، فقال لاتخف فان المدينة حصينة ولايقدر العرب ولا امثالهم ان يقتحموها ولكنهم يصيحون امام ابوابها وسيرحلون عنها اذا ما يئسوا .

دام القتل والذبح حتى وصل الفرسان الى القصر الذي فيه كسرى وبختك فايقن كسرى انه وقع بيد العرب وفار غضبه على وزيره بختك ولطمه على وجهه وقال . هلكتنا وخربت ديارنا ، وكنت شؤما علينا، وما اتم شتمه حتى دخل عليهم عمر العيار وجماعته ، فقبضوا على كسرى وبختك واوثقوهما ، وقال عمر لبختك وسأريك الصلب الذي اقمته للأمير والبناء الذي انشأته لي .

وفي الصباح جلس الامير حمزة في دار الحكيم وامر ان يقف القتال، وان تبدأ المدينة وان يخرج الجنود الى خيامهم ولايبقى في المدينة الاكبار الفرسان وجلس الامراء في مجالسهم ، ثم دخل عمر العيار ومعه كسرى وبختك ؛ فلما راى حمزة مقيداً امر ان تفك قيوده ثم نهض وسلم عليه واجلسه بجانبه وقال له : لا بأس عليك . فلاتزال ملكاً وسيداً في قومك ، ولا نريد لك الا الخير والعافية ، ولو انك عصيت وزيرك لرايت العرب جميعاً في طاعتك ، فقبله كسرى بين عينيه وندم على مافعله ، وشكر لهم هذا الخلق الكريم والمروءة العالية فقال حمزة: انا نصونك ونحميك بأرواحنا، ولك منا كل اجلال ومحبة اما وزيرك فانه مقتول لا محالة .

فقال كسرى الامر لكم ولا راد لما تقولون ، فاضطرب بختك وقال: انه ايها الامير الكريم النفس وقد عفوت عن الملك فاعف عن وزيره، قال حمزة لم تكن عدواً للعرب فحسب ، ولكن عدواً للانسانية .عدواً للخير ، عدواً للفضيلة ، فوجب اقتلاعك من بين الهيئة الاجتماعية لان العفو عنك جريمة لاتغتفر ، خذه ياعمر واقتله شر قتلة تليق به، فقال كسرى : لقي جزاءه الا وفى ، وطهرت البلاد من فساده وخبثه، ثم استأذن حمزة في العودة الى المدائن ، لانه لايحب ان يرى وجه بختك لاحياً ولا ميتاً ؛ فاذن له وودعه خير وداع .

اما عمر العيار ، فانه طلا جسم بختك بالكبريت وصلبه على خشبه في الساحة العامة للمدينة ، ثم اشعل فيه النار في يوم مشهود وحفل جامع ، وبذلك خمد بركان الشر الذي املك العباد وخرب البلاد ، واعلن حمزه الرحيل الى مكة حيث توزع الغنائم ويعود كل امير بجنوده الى بلده ، ثم ودعوا اسمنهور حاكم خراسان ، وتركوه فيها ينعم بملكه وان كان قد خسر ابنه .

وانتقل العرب عن مدينة خراسان وساروا في تلك البراري متجهين حول مكة البلد الامين . وفي اليوم الثاني نزل الامير بالعرب وامرهم ان يضربوا خيامهم ويرتاحوا في تلك الارض مدة يومين ، ففعلوا، وضرب له صيوان اليون شاه فجلس فيه وبعد ان جاء بالطعام واكل وشرب وشكر الله وقد اجتمع عنده سادات العرب وجلس كل واحد في مكانه وفيما هم على ذلك اذ بعمر اليار وقد دخل ومن خلفه رسول من الاعجام فشعر الامين بخفقان قلبه وسار الرسول عن حاله فتقدم منه وقبل يديه ثم ناوه رسالة بأسمه ففضها وما اتم قراءتها حتى اخذت الدموع تنهمر على خديه، فسأله الامراء عن سبب ذلك ؟ فقال لهم : ان هذا الكتاب هو من فرمزتاج ابن كسرى يخبرنا بان اباه مات اثر مرض اشتد عليه ويطلب الينا أن نسير اليه لنقره على كرسي ابيه ونحضر حفلة تلبيسه التاج وهذا الذي ابكاني ، لان قلة حظي سبب موت الملك الاكبر ، فتأسف كل العرب على الملك كسرى وعزوا الامير به وسألوه اذا كان يريد الذهاب الى المدائن فأجابهم ان هذا لا بد منه لان فرمزتاج يدعونا اليه ، وان ذهابنا لا يعيقنا زمناً طويلاً، فبعد ان نقيمه ملكا على المدائن ونجدد العهد والسلامة بيننا وبينه ومن ثم نرجع من هناك على طريق العراق ، فوافقه جميع سادات العرب على المسير الى المدائن لانها كانت قريبة من هناك .

وفي اليوم الثاني حمل الاحمال وركب على اليقظان ومشى الى المدائن بجميع العرب فوصلها بعد يومين وامر ان تضرب الخيام حول المدينة وان تنكث الاعلام حزناً على الملك ففعلوا .

ولما راى الاعجام قدوم العرب خرجوا لملاقاتهم وفي اولهم فرمزتاج واخوه فروخ ، فخرج الامير وتلقاهم خارج الصيوان وادخلهم اليه وعزاهم بالملك واجلسهم الى جانبه وقال لهم : ان موت الملك من اكبر المصائب علينا غير ان حكم الموت لايرد ، وبعد ساعتين من الزمان ودعوه وطلبوا منه الذهاب الى الايوان ، فقال لهم : هذا لا يكون الابعد

ثلاثة أيام فآتي الى الايران واقيم الملك عليكم واجدد العهد معه ليكون السلام دائماً ، فرجع الاعجام وهم يعرفون من ابني كسرى يريد الامير ان يقيمه على كرسي الاكاسرة .

وبعد ذهابهم سال الامير الملوك والسادات من نقيم من ولدي كسرى على التخت لان كل منهما يؤمل ان يكون له ، فقال له الجميع عن صوت واحد : ان الكرسي يكون للاكبر منهما ، قال هكذا نويت وبعد ثلاثة ايام ننزل الايوان ونجلسه على العرش ونرجع حالا .

وكان لبختك ولد اسمه بختيار لم يكن اقل خبثاً ودهاء من ابيه، بل كان يزيده في كل شروره ، وقد تربى على عداوة العرب وعرف انهم قتلوا اباه شر قتلة وان الامير لا يقبل ان يكون هو وزيراً مكان ابيه فاراد ان يحتفظ بالوزارة لنفسه ليتمكن من اخذ ثاره من العرب.

صبر بختيار الى غروب الشمس وركب بغلته وتوجه الى قصر قرمزتاج واستأذن بالدخول عليه فأذن له فتقدم منه وبكى بين يديه وقال : انت تعلم ياسيدي ما كان لابي من المقام عند ابيك وما كان بينهما من الحب لانه كان يخدم الدولة الكسروية بكل امانة واخلاص حتى قتله العرب جزاء عن ابيك الذي مات حسرة عليه ، وانت تعلم ان للامير حمزة مقاصد ومآرب وانا اخاف ان تخطر له اقامة اخيك على كرسي الاكاسرة وان يعين له وزيراً عربي فنكون قد خسرنا مركزنا لانه يخاف ان اقامك انت تعود الى عداوته كما كان ابيك او ربما اتفق مع اخيك بعد ان يشرط عليه طاعته للعرب ، اما سمعته يقول : انه يجدد معه عهداً على الحب والسلامة . فقال قرمزتاج : انا خائف من ذلك وانا في شتات عقل لا اعرف كيف اقدر ان اجلب الامير الي ، قال : اني اعرف ان الامير لايخالف ابنه بديع. فيمكنك ان تذهب اليه سراً وتقع عليه فاذا وعدك ان تكون انت الملك كان ذلك لامحالة ، واكون وزيرك ولاشك ، لان ماكان بين ابائنا سيكون بيننا ، فقال : انت تعرف حبي لك ولايمكن ان يكون وزيري او مستشاري غيرك ، واني في الصباح اذهب الى بديع وارجو معونتي.

ثم ان بختيار ودع قرمزتاج الى اخيه فروخ شاه فاستأذن ودخل عليه فتلقاه بالترحاب ، فقال بختيار : اعلم اني ما جئت اليك الالامر خطير واريد ان اشور عليك به حباً بصالحك ، فاني اريد ان تكون انت الحاكم على كرسي المدائن . ويرفع تاج الاكاسرة على راسك. وبذلك احفظ لنفسي حق الوزارة لما بيننا من الحب والمودة . فقال:

وانا اريد ذلك لكن من اين لي هذا ونظام بلاد العجم قد اختل واصبح تاج الاكاسرة الآن بيد الامير حمزه فالذي يريده هو يكون الملك عليك، قال بختيار : اني اشور عليك ان تتخذ من العرب سنداً ومعيناً فتكون انت الحاكم المالك على العجم وصاحب الامر والنهي . قال من ايـن اقدر ان اتخذ لي سنداً وكيف ذلك ؟ قال اذهب الآن تحت الظـلام وادخل على الامير رستم ابن حمزة البهلوان وتوقع عليه واسأله ان يكون لك سنداً ، لان العرب لا يتركون نصرة مستجير . فاذا قدرت أن تجلبه اليك وتحمله على أن يقسم لـك باعانتك تكون انت الملك لا محالـه .

فاستصوب فروخ شاه هذا الراي واقسم له انه أصبح هوكسرى لايكون وزيراً سواه فاطمأن بانه وتأكد من الاثنين ان صار احدهـم كسرى كان هو وزيره ، ثم ودعه وذهب الى حاله ، وبعد ذهابه نهض فروخ شاه ولبس ثيابه ولم يكن ممنوعاً عليهم الدخول الى معسكر العرب بل كانت السلام موجودة والاختلاط متواصل فبقي سائراً حتى وصل الى صيوان الامير رستم فوجده لايزال في صيوانه فدخل عليه فترحب به وتلقاه بالبشر والاكرام وسأله عن سبب مجيئه ؟ فقال له . وقد أذرف دموع الانكسار اعلم أيها الامير والسيد الخطير ان أبـي هو كسرى كما تعلم واني ورثه وكما ان اخي ايضا ورثه ولي الحـق أن اطلب الملـك لنفسـي كما يطلبه هو لنفسه ، فاذا ملك اخي اذلني وقهرني وانا اعرف ان اباك يقيـم على كرسي الاكاسرة وأن الفرس جميعهم يريدونني دون اخي الا ابوك فانه لايرجع عن عزمه فأردت ان اتخذك لي سنداً فاكون لك عبداً ، وقد جئتك بالسر راجياً ملك ان لايعلم احد محضوري ، واسألك بالله ان تكون لي مساعداً فاغثنـي وارحمني فاني وقيع عليك .

فتحركت مروءة رستم ولعبت النخوة العربية براسه فقال له لقد اجرناك واعناك ، وسأقول لابي ان يقيمك ملكاً ولا يمكن أن يكون سواك ، فكن مرتاح البال ، فاطمأن بذلك خاطر فروخ وتيقن بالنجاح، وبعد ان اقام مقدار ساعة عند الامير رستم رجع الى المدينة مسروراً وهو يقول في نفسه : لابد لي من ان اجلس على التخت واكيد في أخي الذي يظن نفسه ان يكون على بلاد الفرس ودخل الى قصره ينتظـر فوات الوقت بفروغ صبر .

اما فرمزتاج فانه في صباح اليوم الثاني ذهب الى معسكر العـ

ووقف امام صيوان بديع الزمان فعرف بديع بوصوله فخرج وتلقاه بالترحيب والاكرام وبعد ان جلس سأله عن غايته ؟ فقال له : اني اتيتك مستجيراً ؟ قال : اخاف ان اباك يميل الى اخي فروخ شاه نيقيمه مكان ابي واخسر انا حقي اذا خطر لابيك هذا الخاطر ، فارجوك ان تسأله ان يرجع عن فكره لان جميع الفرس يريدونني ، فقال له : كن مرتاح البال ، فأن ابي قال : لابد أن تكون على تحت ابيك وانا اساعدك على ذلك ، فشكره فرمزتاج وعلق كل آماله بوعده ، ثم ودعه وخرج مسروراً .

هذا ولم يكن بديع قد عرف بمسير فروخ الى رستم ولارستم عرف بمسير فرمزتاج الى بديع بل كل واحد من الاثنين نوى على مساعدة صاحبه الى ان كان اليوم الثاني كانت العرب مجتمعين في صيوان اليون شاه فقال لهم الامير : اعلموا ايها السادة انه لم يبق لنا في الارض غير هذا اليوم : وفي الغد ندخل المدينة وتليم ملكاً عليها ونرحل الى مكة بسلام .

فقال له الجميع اننا مطيعون لامرك ، فاي متى شئت سرنا ، فعند ذلك سأل رستم اباه ؟ على من اعتمدت ياابي ان نقيمه على تخت كسرى ؟ فاجابه بديع في الحال ، وهل يوجد غير فرمزتاج يستحق هذا التاج لانه كبير اخوته والشعب الفارسي يرضي به . فنظر رستم الى اخيه نظرة غضب وقال : كيف يكون فرمزتاج وانا لا اريده ، وجل ما اريده هو ان يكون فروخ شاه لان الناس تميل اليه ولايمكن ان يكون غيره قال بديع : هذا لايمكن ابداً ، لان فرمزتاج هو البكر ودائمايكون الكبير حاكماً على الصغير ، فقال رستم اني لااقبل الا بفروخ ولايمكن ابدا سواه ، فالتفت حمزة الى العرب ليأخذ رأيهم في ذلك ؟ فقالوا قلنا ولا نزال نقول : ان حق التملك يكون لفرمزتاج ، فقال قاسم : لايمكن ان نرضى الا بفروخ ، فقال الامير حمزة لابد ان كل واحد من الاثنين قد وقع على واحد منكم حتى تجهدوا نفوسكم على مساعدتهما فقال بديع : نعم ياابي ، ان فرمزتاج جاء الي فوعدته بالمساعدة ، وقال رستم وانا أيضا وعدت فروخاً ولا ارجع بوعدي ، فقال حمزة : ان هذا الامر لايعنينا فاننا غرباء عنهم ، فاي منهم يتولى الملك ، ولو لم يكلفونا الى هذا الامر لما جئنا هذه البلاد . ونحن لم نرغب في طيلة الوقت . وعلى ما ارى انهم يقصدون النزاع بيننا على غير قصد منهما . فان الاول لم يعرف ما فعل الثاني . واما نحن فاننا ننظر في

الحق والعدل . فقد اتفق الجميع على تولي فرمزتاج ولا يمكن العدول عنه .

وفيما هم على ذلك وحمزة مع اولاده في جدال وخصام الا ويد انحطت على الامير رستم واقتلعته من بحر سرجه وسمعوا صوتا يقول : الى كنوز بهزاد الى عند الكهينة داجوره .

قال ولما راى الامير ذلك لطم على راسه ووقع الى الارض مغميا عليه فاحتاطت به الفرسان واخذوا يرشون الماء على وجهه حتى افاق وهو ينادي واولداه ، من الذي اختطفك يارستم ياعز من عيني ، وعم العرب الحزن ودار البكاء وفيماهم على ذلك اقبل الوزير بزرجمهر وقال لهم : لاتتكدروا ولاتحزن ايها الامير على ابنك فانه لابد أن يرجع اليك سالما فخفف عنك فان الله معه ، واماالامير قاسم فانه لما راى ما كان من امر ابيه اخذ عساكره ورحل عن العرب وفي نيته ان يغتنم فرصة مناسبة ليوقع بعمه ، وترك العرب الكلام بشأن كسرى وداموا على ذلك مدة سبعة ايام حتى قال لهم الامير : اني عزمت أن انزل في الغد الى المدينة وننهي عطلنا بها ونرحل عنها ونبعد عن الشر ، ثم ارسل خبراً الى المدائن ان حمزة وجماعته سيدخلونها في الصباح .

فاعدوا لهم كل ما يليق بشأنهم واحتشد الناس عند الباب للتفرج على حمزة وابنه بديع الزمان الذي كسر الفرس وانزل عن المصلب ، وفي الصباح دخل سادات العرب المدينة فتلقاهم اهلها بالترحاب والاكرام ومشوا امامهم الى الايوان ودخلوا الديوان وجلسوا في اماكنهم وكان الامير تذكر الايام الماضية وبكي على كسرى وبعد شرب الشراب واستقر بهم المقام امر حمزة باحضار تاج كسرى الصولجان والخاتم . فاحضرت بين يديه . فاخذ التاج وتقدم من فرمزتاج وهو بين سادات الفرس والشاهات والى جانبه اخوه ووضع التاج على راسه والبسه الخاتم في اصبعه وحمله الصولجان في يده وامر ان يرفع الى التخت فرفع واشتد فرح الناس بذلك . ثم ان حمزة قال للملك الجديد اعلم ايها الملك العظيم اني اريد منك امرين سهلين وهما ان تكرم اخاك وتشاركه في الراي لانه بن ابيك ووريث مثلك ولو لم تكن اكبر منه سناً لما جلست على هذا العرش العظيم . وان تعقد شرطا مع العرب

ان لانحاربهم ولايحاربوك فيبقى السلام محفوظاً بيننا وبينكم فاجاب فرمزتاج الى سؤاله ووافقه عليه .

ثم قال : مرادي أن اقيم وزيراً يمكنني ان اركن اليه في بعض الاحيان. فقال حمزة اختر لنفسك ماتشاء من قومك فانك اخبر فيهم منا وفي الحال دعا بختيار ابن بختك وقال : هذا الذي اختاره ان يكون وزيرا ، فلما سمع الامير بذكر بختك اضطرب في داخله فقال لكسرى: لايمكن ان يكون هذا وزيراً لك لانه بدون شك يكون متشرباً اخلاق ابيه ، واذا جلس في مكانه يتبع آثاره فتعود الى الشر والعناد ، فقال كسرى : اعلم أيها الاميراني لاارى احسن منه بين الفرس ، واما العلاقة بيننا باقية على الحب والسلام واذا رايت مثل ذلك خالفته ومانعته فكن في راحة من هذا القبيل ، فارجوك ايها الامير ان تقبل سؤالي ، فقالوالامراء العرب : نحن مالناولهذا الامر فان كسرى يختار لنفسه من يشاء ونحن سنرحل الى بلادنا ، وقد وقع بيننا شرط على الولاء والوفاء .

فسكت الامير عن غير رضاه وقد صرف العرب باقي النهار على المسرة والحبور وفي المساء خرجوا الى خيامهم هذا وقد اقاموا في ضواحي المدينة مدة خمسة ايام بعد جلوس كسرى ومن ثم حملوا احمالهم وساقوا انعامهم مقدار اربعة ايام ثم امر الامير ان ينزلوا للراحة فقطعوا ذاك النهار وتلك الليلة ولما كان صباح اليوم الثاني اجتمع الامراء في صيوان ليون شاه ليسألوا الامير ان كان في خاطره ان يرحل في ذاك النهار ، ولما تكامل جمعهم نهض بديع الزمان وقبل يد والده وقال له : اعلم ياابي اني لما فارقت مدينة زوال وكيوال لم اقم عليها حاكماً ولا ملكاً فاريد منك الآن ان تسمح لي ان اذهب بقومي واقيم ملكاً على المدينة وارى الذي رباني واعود اليك ، فقال له : هذا لايمكن ياولدي لاني أخاف من وقوع حادث جديد لم يكن في الحسبان فقال بديع : اعلم ياابي ان المدينة قريبة من هنا فلا اغيب كثيراً فقال الامير : ان كان ولابد لك من الذهاب فاننا كلنا نسير معك وبعد ان تنتهي من عملك نعود حالا ، فقال بديع لالزوم لذلك فلا يحتاج الامر لثقلة العرب اجمع فاذا شئتم ان تسبقوني الى مكة المشرفة او تنتظروني في هذا المكان ، فالامر بسيط ولا يشغل بالك من هذا المكان الى ان ترجع ولايمكنني ان اغادر من هنا ما لم تاتي بقومك سالما من نوائب الدهر .

ثم ان بديعاً ودع أباه وقبل يديه وامر عبد الله مهرين ان يركب بالرجال ويقصدون مدينة زوال وكيوال ، فركبوا وساروا وبقي الامير حمزة في ذاك المكان بانتظارهم ، وما برحوا سائرين مقدار ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع تقدم بديع أمام المعسكر واوسع في الفلاة لن يدخل المدينة قبلهم ومابعد الا القليل حتى خرج اليه فارس من جانب الطريق وهو راكب على جواده مدجج بالسلاح فصاح فيه وانحط عليه وقال له : سلمني تسلم والا أعدمتك الحياة .

فلما سمع بديع الزمان منه هذا الكلام طار الشرار من عينيه وصاح صيحة ارتجت لها الجبال وانحط عليه وضايقه كل المضايقة ومد يده الى صدره واقتلعه من بحر سرجه وضرب به الارض واراد ان يكمل عليه فصاح به اجرني ايها الفارس واعف عني ، فقال : كيف اعفو عنك وانت من قطاع الطريق ؟ فقال له : اعلم ياسيدي اني لست من قطاع الطريق ، وما انا لامظلوم طردت من وطني واضطررت ان اقف في البراري واسلب المارة لكي اعيش واجد لي معيناً ينصفني من الظلم الذي انا فيه .

فقال له : من الذي ظلمك ، ومن انت ؟

قال : اما انا فاسمي كرمان شاه صاحب مدينة المعادن وقد جلست على تخت تلك المدينة بعد وفاة ابي غير ان عمي واسمه معدن شاه كان اكثر نفوذاً مني فخرج علي وانا لم يكن لي طاقة على محاربته فهربت منه وملك الكرسي وجلس عليها ، وانا اتيت الى هذه النواحي خائفاً وقد خطر لي ان اقصد احد الملوك العظام استجير به ليرجع لي حقي من عمي ويكسب الاجر والثواب ولما رايتك طمعت فيك لانك وحيد فجازيتني على عملي ، وها انا بين يديك فان شئت اقتلني والا فاتخذني لك عبداً فاخدمك طول حياتي .

فرق له قلب بديع الزمان وقال له : اني عفوت عنك وسأنصفك من عمك واعيد لك ملكك .

فقال : ان كان لك اعوان تقدر على ذلك ، والا فلا مطمع لنا الآن الجيش كثير فضلاً عن ان المدينة حصينة وانا وانت لانقدر على الاتيان بعمل قط ، قال : اعلم ياكرمان شاه ، ان بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان مذل الجبابرة والفرسان ، فما انا ممن يعجزهم فتح المدينة ، فلما سمع انه بديع الزمان ركض وتمسك بيديه وقال : انا بجيرتك ايها الامير اجرني ، فانك وحدك الذي تقدر أن ترفع عني ظلم عمي وتعيد الي ملكي .

فطيب بديع بخاطره ووعده بالخير وانــه يسير به الــى مدينــة المعادن ويسترجع له الملك من مفتصبيه ، وبعد ذلك بقليل وصـــل عبد الله مهرين بالعساكر فرأى مع بديع الزمان الفارس فسأله عنــه فاطلعه على أمره وانه وعده بانه يسير الى مدينة المعادن وعرجوا عــن الطريق ولا زالوا في مسيرهم حتى اقبلوا عليها وكان قد بلغ معدن شاة قدوم ابن اخيه مع الأمير بديع فخاف جداً واقفل ابواب المدينة وعول ان لا يسلم ما لم يجبر على التسليم .

وعند وصول العساكر كتب بديع كتاباً الى معدن شاه يطلب منــه التسليم الى ابن اخيه فأجابه بانه لايسلم ولايخرج الى الحرب وانــه يبقى على الحصار الى حين الفرج ، عندها امــر بديع العساكــر لن تحتاط بالمدينة وتحاصرها .

ولما كان اليوم الثاني نهض عبد الله مهرين وتقدم من صيوان الامير بديع فدخل عليه لكنه لم يره ولم يقف له على خبر فخاف كل الخوف وفتش عليه في كل المعسكر فلم يقدر احد أن يعرف مكانه فزادخوفه فجمع قواد العساكر واستشارهم في ماذا يفعلون ؟ فقالوا ان مــن الصواب الرجوع حالاً الى الامير حمزة وعرض هذا الحال عليه فيسعى في خلاص ابنه والا إذا تهاملنا نلام .

فاستصابوا رايه وركبوا من ساعتهم وتركوا مدينة المعادن وعبـد الله بحزن عظيم ولا زالوا في مسيرهم حتى وصلوا الى واد هناك واذا بعمر العيار قد خرج من ذلك الوادي وهو ينهب الارض جرياً كأنــه السهم الطيار ولما وصل سألهم عن بديع فحكوا له عن كل ما كان من امره فقال : هذا خوف ثم انه تركهم وانطلق الى مدينة المعادن ودخل على معدن شاه وسأله عن الامير بديع ؟ فقال ان الامير اتى الي وطلب مني تسليم المدينة الى ابن اخي فامتنعت عن التسليم وقد امر رجاله بمحاصرة المدينة ومن ثم رحل بديع بقومه ولا اعلم لرحيله سبب .

فقال عمر : ان بديع مفقود ولذا رحل قومه ولابد أن يكون عندك علم به فأقسم له انه لا علم ولا خبر له بذلك فتأكد عمر صدقه وخرج من عنده وهو محتار في أمره اين يذهب وفيما هو يفتكر اذ خطر على باله المرآة فاخرجها من جراب اسماعيل واقسم عليها أن تظهر غايته ونظر اليها فرآها قد دارت على جهة قلعة تتصل بالطريق وهي خربة قديمة فانطلق اليها كالنسيم حتى وقف في ابواب تلك الخرابة وفتش بها ولم يرى احداً وقال لاريب ان بديع داخلها فدخل وجعل يفتش

فيها الى ان اهتدى الى دهليز ضيق فدخل فيه فراى في نهايته تراب واحجار داخل قبو قديم مظلم جداً فأوقد شمعه كانت معه فسمع هدير ماء فمال الى جهة الهدير ودخل من باب ضيق كان للقبو فراى فسحة ونهر يجري وفي وسط النهر سد فقفز عليه ونظر فيه فراى بديعاً ملقى على ظهره وحجراً كبيراً فوق صدره فطار من عيني عمر الشرار ورفع الحجر عنه واراد ان يرفع بديع من الماء فوجده مربوطاً بحبال واطراف الحبال مربوطة بحجارة ثقيلة في الماء فحالا نزع ثيابه وغطس في الماء واخذ سكيناً بيده وقطع الحبال وحمل بديع وصعد فوجده كالثلج من شدة البرد فوضعه في جراب اسماعيل وهو باكي العين ، فاخذ يقفز كالغزال ويقطع الارض ركضاً حتى كاد يهلك وبساعات قليلة دخل بين العرب وكان الوقت ليلاً فلم يرضى ان ينبه احداً لكنه قصد صيوان الوزير بزرجمهر فايقظه من النوم واعاد عليه ما كان من امر بديع واخرجه من الجراب وقال :

انظر ياسيدي هل فيه بقية من الحياة ؟ فنظر فيه الوزير ووضع المرآة في فمه قال لعمر : لاتخف عليه فهو بخير ، عجل واضرم النار بكثرة واحضر الآجر واحمه فان البرد كاد يميته ، ولم يتم الوزير كلامه حتى كان عمر احضر كل ما طلب وصار الوزير بدلك جسم بديع ويسكب في انفه المنبهات الحارة وقد امر ان يلف بقطع من الصوف السميك وبقيا هكذا حتى دبت الحرارة في جسمه ومااشرقت شمس النهار التالي حتى فتح بديع عينيه فسقط الهم عن قلب عمر وثبت لديه نجاح عمله وجعل يطمن بديع عن حاله ، فسأله بديع اين انا الآن ؟ فقال له لاتخف انت في معسكر العرب عند ابيك . وبعد قليل [illegible] ، وانطلق عمر الى صيوان اليون شاد ليجتمع بأخيه ويطلعه على القصة بتمامها .

وبعد ان اجتمع عمر العيار بأخيه حمزة واطلعه على جلية الامر قال : كيف يجسر كسرى على ذلك بعد ان عاهدنا على الولاء وان لانضر بعضنا فضلاً عن انه قليل الجند فقال عمر : لقد قال لي الوزير بزرجمهر ان عمله هذا كان الهاماً من الله تعالى لان المدائن سيكون خراباً على يديك وتهدم من اساسها وحاشا ان تبطل ارادة الله ، فقال حمزة : لقد خطر لي ذلك ولكن يلزم ان نتحققه كي لا نندم فيما بعد على عمل نعمله .

فقال عمر : أني سأسير الى المدائن واقف على حقيقة الخبر واعود سريعاً فاذن له حمزة بالمسير ، فانطلق مسرعاً حتى جاء المدائن فتزيا بزي حجابهم ودخل الايوان ووقف بين الخدم دون ان يسمع احداً يذكر العرب وبقي واقفاً الى ان خرج كسرى من الايوان وبختيار الى جانبه فتأثرهما عمر فسمع بختيار يقول لكسرى : اني ادعوك ياسيدي في الغد الى وليمة عندي وهي وليمة اخذ الثأر . قال : ممن اخذت الثأر ، فهل قتلت الامير حمزة ؟ قال : قتلت من هو اعظم مئة وهو ابنه بديع ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : ان دم ابي لا يذهب هدراً ولا يمكن الآن ان أشرح لك كيف قتلت بديع خوفاً من انتشار الخبر .

قال كسرى : انعم بك من وزير عاقل . فلو كان ابوك مثلك لما وصلنا الى هذه الحالة ، فلما سمع عمر هذا الكلام قال : ان هذه المرة ستكون آخر ايام الاعجام ، ولا داع اخي يفارق هذه المدينة حتى يهدم اسوارها ويدك حصونها ، ثم قفز قفزة مثل هبوب الريح حتى وصل معسكر العرب ودخل اخيه في صيوانه وبجانبه ابنه بديع وباقي السادات ولما راوه فرحوا به وسأله الامير اذا كان وقف على الحقيقة ؟ فقال لقد وقفت على عين الحقيقة واعاد عليهم كل ماسمعه حتى شعر الامير بان الارض قد مادت من تحته وكذا بديع فانه صمم على الانتقام من عدوه فقال : والله يا ابي نحن قتلنا الحية وابقينا راسها فما من امل بالرجوع من هنا الا بقتل بختيار .

فقال الوزير بزرجمهر : ان الراي الصائب الذي اراه هو ان تكتبوا كتاباً الى كسرى تطلبوا به ان يسلمكم بختيار في الحال ، فاذا اجاب قتلتموه ولكن ارى انه لايمكن ان يسلمه فتسيرون عليه بحجة انه خرق العهود ولابد ان كسرى يدعي بانه لاعلم له بما جرى على بديع ، في الحال كتب الامير كتاباً وارسله مع الشاه ذئب يسأله فيه تسليم وزير بختيار ، وصل الكتاب الى كسرى وقراه شعر برجوع العداوة بينه وبين العرب ثم اعطى الكتاب الى بختيار وقال له : لماذا ياترى يطلب العرب تسليمك وهم لايعلمون بانك حاولت قتل الامير بديع! قال بختيار كلا ياسيدي فليس اناقصدهم ، وجل قصدهم نزع الملك منك ، فالتفت كسرى الى الشاه ذئب وقال له : خبر مولاك بانني لا اسلم بوزيري بختيار . واذا اراد ان يأخذه جبراً وقدم علينا سندافع عن انفسنا ونتركه عبرة لغيره فقد طال امره ولم يحفظ زمام الوفاق الذي بيننا .

خرج الشاه ذئب وسار في طريقه حتى وصل معسكر العرب ودخل على الامير واخبره عما قال كسرى تزاد غيظ الامير وقال : لقد اخطأ كسرى واني اقسم بالبيت الحرام وبالله العظيم اني لا انفك عن المدائن ما لم ادمرها من اساسها ولابد من قتل بختيار ، ولكن قبل كل شيء يلزمنا ان نختار ملكاً من العرب نقيمه عليكم لتكونوا تحت راية واحدة ، فقال بزرجمهر : هذا لابد منه فاختاروا لكم ملك منكم ، فقال الامير عمر : لايمكن ان يكون ملكاً إلا الذي استحق الملك بالهام منه تعالى ، لان اخي لما كان على المصلب يقاسي نزاع الموت قال : اني اهب مملكة العرب لكل من يصرخ الصوت الاول تحت المصلب لخلاصي.

فاول من صاح تحت المصلب الامير سعد ابن الامير عمر اليوناني،

ثم قال العرب : اعلم ايها الامير اننا كلنا نرغب في الامير سعد لان بديع لايرغب ان يكون ملكا ، فقام حمزة في الحال ونادى بامير سعد اليوناني ونشر ذلك في كل المعسكر وعين قاضياً عليهم الوزير بزرجمهر وسالوا سعد ان يختار وزيراً آخر من العرب ، فقال سعد : من كان وزيراً في زمن عمي قياط ؟ قالوا عمر العيار ، قال : لااريد سواه ، فقالوا : لقد اصبت ، وفي الحال وضعوا التاج على راس الامير سعد والبسوه الثوب الملكي فصار يجلس على التخت مكان الملك قياط .

ثم قال الامير : الصواب نركب الآن ونقصد المدائن ونهجم على المدينة دفعة واحدة : فاجابوا الى ذلك فركب الامير وباقي الامراء والجيش وساروا حتى وصلوا الى المدائن ونصبوا خيامهم .

اما النجاشي فانه ظل سائر الى ان وصل الى المدينة انزل عساكره في خارجها ودخل على كسرى ووقف في حضرته وقال له : اعلم ايها الملك اني رايت عمل حمزة وتعدياته تركته وجئت اليك لانضم الى عساكرك واقاتل العرب معك ، فقال بختيار : اعلم ايها الملك اني رايت عمل حمزة وتعدياته تركته وجئت اليك لانضم الى عساكرك واقاتل العرب معك ، فقال بختيار : اعلم ايها الملك العظيم : يجب ان نقيم الملك النجاشي خفيراً لبلادك وتكسب عليه انعامك فاستصوب كسرى هذا الراي وانعم على الملك النجاشي وخلع عليه الخلع السنية وجعله خفير او حارساً لنفسه وعين له الرواتب الباهظة وجعل الفرس يخدمونه ويعظمونه .

وفي صباح اليوم التالي نهض الامير وتقدم بقومه وفرسانه فالتقاهم رجال الفرس وكثر القيل والقال واتسع سوق المجال وما جاء الظلام

وفي المتقاتلين بقية رمق ، فتوقفوا عن الحرب والقتال وقد اشفى الامير قلبه من اعاديه وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وكذلك بديع الزمان وهو يود ان يصل الى كسرى وبختيار غير ان العساكر والفرسان كانت تمنعه لازدياد المدد وتكاثر العدد .

وقد دامت الحرب بين الفريقين في ذاك المكان مدة خمسة عشر يوماً على التمام ، وفي اليوم الخامس عشر وهو اليوم الاخير الذي ستنقرض فيما بعد دولة الفرس وتهدم المدائن ، اجتمع السادات صيوان ايوان شاه عند الامير حمزه عندها نهض بديع الزمان وقال: ياابتاه : لقد طال علينا المطال وقد اخذني الضجر ، فاريد ان تجعل في الغد القادم النهاية ونهلك هذه الطائفة الكافرة بدين الله سبحانه وتعالى ونهدم المدينة على رؤوسهم فقال الامير : هذا لابد منه لاني اقسمت بالله اني لاارجع ما لم اهد المدينة واقتل بختيار ، قال :الراي عندي ان نقسم الفرسان والابطال حول معسكر الاعجام ، فيحملون من كل جانب دفعة واحدة ، قال لقد خطر لي ذلك مراراً ، ولكني اخشى انهم عندما يرون الغلبة يدخلون المدينة ويقفلون الابواب ، ولذلك ارغب في مطاولتهم .

فقال بديع : اني اقسم بالله العظيم ان لااترك احداً يدخل المدينة فاني اسير في هذه الليلة برجالي على مؤخرة جناح الفرس الايمن وعندما تحملون من كل الجهات ، احمل انا من تلك الجهة فلا ارجع حتى اقف عند باب المدينة وامنع العجم من الدخول ، وقبل ان يتمكن كسرى من الدخول اكون ملكت الابواب فلا تعود تقفل في وجهنا ، فاستصوب الامير هذا الراي وقال له اختر رفيقاً من الفرسان ليساعدك على ذلك ، فقال : اني لا احتاج الى مساعد ، ثم ان بديع الزمان نهض وركب بقومه تحت ظلام الاعتكار واقام في تلك الناحية وبعد ذهابه امر الامير حمزة الفرسان ان يتفرقوا على الترتيبحول معسكر الاعجام ، وقال لهم : لما تروني حملت في الصباح على معسكر الاعجام تحملون من كل ناح . فلا تتركون من الاعداء واحداً وتنهون العمل في ذاك النهار ، فأخذ كل واحد من الفرسان قومه واقام في ناحية ، وقد احاطوا بعساكر الفرس على شبه دائره ولم يبق الاجهة المدينة فقط .

ودامت الحرب على هذه الحال مدة ثلاثة ايام ولما راى كسرى وبختك ان الفرس قد احيط بهم خافا ان يمسكها العرب ويقتلوهما

نفرا الى الخلاء ، وتشتت على اثرهما جيش العجم ودخل العرب المدينة وبحثوا عن الملك ووزيره فلم يجدوهما وسقطت المدينة في ايدي العرب ، واصبحوا ملوكها واصحاب الامر فيها ، وغنموا ما في الاموال والكنوز، ثم امر حمزة ان يعلن في المدينة ان العرب سيدمرونها وان حمزة امهل الاهلين خمسة عشر يوما يرحلون فيها ومعهم ما يشاؤون من اموالهم ، فأخذوا يرحلون كل الى جهة ، ثم امر العرب بعد ان خلت المدينة ان يهدموها ولايتركوا فيها منزلا الا ايوان كسرى للناس عبرة وبعد ان انتهوا من هدمها وتدميرها قال حمزة : لا اريد ما لم ابر بقسمي واقتل بختيار وملكه ، واحب ان اعرف اين هربا، فقال بزرجمهر : لا يعرفهما الا عمر العيار فقال عمر : سمعاً وطاعة، ثم ودعهما وانطلق يمشي في مناكبها حتى وصل الى مدينة فدخلها متنكراً ، فوجد أهلها منقسم ثلاثة اقسام ، فالقسم الاول يلبس ثيابا بيضاء ، والثاني ثيابا خضراء ، والثالث ثيابا حمراء ، وليس فيها لون آخر الا للغريب .

فسأل احد شيوخ المدينة عن ذلك فقال : هذه مدينة « شتمفال » اغار على ملكها السابق امير اسمه الصدام فقتل الملك وحاصر المدينة، واصر على ان لايتركها حتى يفتحها ، فاجتمع اعيان المدينة واعلنوا ان من بارز الصدام وقتله وليناه ملكاً علينا ، فتقدم رجل اسمه بلكان الهطال ، وبرز اليه وطرد جيشه ، ولما رجع نادى به اهل المدينة ملكاً عليهم ، وخاف ان يرجعوا في قولهم فوزعهم الى ثلاثة اقسام كل قسم مستقل عن الآخر وله زي يعرف به ، وحكم وزادت قوته واشتدت سطوته حتى فاق كسرى في المال والرجال .

ذهب عمر الى ديوان الملك بلكان الهطال فوجده جالسا وعن يمنه فرمز تاج وعن يساره بختكان ، وهما يثنيان عليه فوعدهم انه سيقتل حمزة ويبيد العرف .

فرجع عمر الى اخيه حمزة وأخبره بما راى وسمع . فامر بالرحيل الى مدينة « شتمفال » فنزلوا اتجاهها ، ثم ارسل الملك سعد كتابا الى بلكان الهطال يطلب منه تسليم فرمز تاج وبختكان حتى لاينشأ بينها عداوة ولا قتال ، واعطى الكتاب الى سيار ابن عمر العيار . فأخذ سيار الكتاب وسار حتى وصل ديوان الملك بلكان واعطاه الكتاب ، فلما قراه فقال ارجع الى مليكك وبلغه انه طلب المحال ،

وغداً سأخرج اليه بجنودي ليحكم السيف بيني وبينه ، فرجع سيار واخبر الملك سعيد بما قال الملك بلكان .

وفي الصباح راوا المدينة فتحت ابوابها وخرج منها الجنود وضربوا خيامهم فرسل الملك بلكان الى ملك العرب يسأله ان يجعل القتال مبارزة فقال حمزة : لقد انصف بلكان وعدل ، فاجابه ملك العرب ما طلب وفي صبيحة اليوم الثاني برز بلكان كأنه الاسد الضرغام وطلب من العرب ان يبرز اليه من يشأ منهم .

فبرز اليه اربعة من كبار الفرسان فارس بعد فارس فاسرهم جميعاً فبرز اليهم قاسم ابن رستم وبدأ الكفاح بينهما حتى قرب الزوال فوثب عليه بلكان وثبة حاسمة ، واقتلعه من سرجه واخذه اسيراً ورجع الى الخيام .

فكدر حمزة وقال : لن يبرز اليه غدا غيري ، فتقدم اليه ابنه بديع الزمان وطلب منه ان يأذن له بمبارزته : فلم يجد الامير بداً من السماح له وبات العرب على ان المبارزة غداً لبديع الزمان .

وفي اليوم الثالث نزل بلكان الى الميدان وبرز على اثره بديع الزمان والتقيا كأسدين ضرغامين ، فقال له بلكان : اراك حديث السمن فمن انت ؟ فقال انا بديع الزمان ابن حمزة البهلوان ، وان ابي وصاني ان لاأؤذيك لانه معجب بشجاعتك ، ولكنه في عجب لما لاتسلمه بختكان وملكه ، فقال لانهما استجارا بي واجرتهما ، ولا افرط بهما الا قهراً ، فكان لزاما على ابيك حمزة ان يبارزني فان اسرني يأخذهم قهراعني ، فقال بديع الزمان ان ابي لايبارز احدا طالما عنده من الفرسان من يغلب عشرات من امثالك وستقع اسيراً باذن الله ، فتصاولا وامتدت الاعناق اليهما ، فلقي بلكان من خصمه تعباً شديداً ، فمد بديع الزمان يده واختطفه من بحر سرجه ورجع به العرب فاسرع اليه عمر العيار واوثقه كتافاً هذا وقد اجتمع الامراء في صيوان الملك سعد فدعا حمزة بالملك بلكان فاحضره وهو ضاحك السن وصار يلتفت يمينا وشمالا وهو ثابت الجأش فاغتاظ منه حمزة وقال : اراك غير خائف؟

قال : وممن اخاف ؟ قال : ممن اسروك وكتفوك ، قال : لم يدخلوا في حسابي ، لان ورائي من يحميني ويقطع كل يد تمتد الي بسوء ، فقال حمزة : ومن هذا الذي تعتمد على حمايته ؟ .

قال : اعلم ياسيدي ان لي جداً اخضع بسيفه كل جبار ، وان لي ابا تخافه الاسود في مرابضها ، وان لي عما تسجد لسيفه الملوك وكيف

اي خافكم او اهتم بشانكم ؟ فقال : ومن هم جدك وعمك وابوك الذين تفتخر بشجاعتهم وبطولتهم فقال اما جدي فهو حمـزة البهلوان ، وعمي هو بديع الزمان ، وابي هو رستم فرتم ، فاشتد عجب حمزة وقال : ومن هي امك ؟ عندها دخلت عليهم امراة وقالت :

العفو ايها الامير ، فلا تمدن يدك الى حفيدك بالاذى ، هو ابنـي وابوه ابنك رستم فرتم ، فقال لها مـن انت ؟ فقالت حسانة بنت هندام ، وزوجة ابنك رستم فرتم ، فامر في الحال ان تفك قيوده وقام اليه واحتضنه، ثم قال : ولم فعلت هذا وعرضت نفسك للشر والاذى ؟ فقال : اردت ان ابارزكم جميعاً ومن ثم اعرفكم بنفسـي ولكني وقعت اسيراً في يد عمي بديع الزمان .

عندها اقبل الامراء عليه يهنئونه فرحين به وكان سرور العـرب به عظيما ، وطلبوا منه ان يمضي الى المدينة ويقبض على ملك الفرس ووزيره قبل ان يهربا ، فنهض يلكان مسرعاً ودخل المدينة وبحث عنهما في كل مكان فلم يجدهما فعرف بأنهما هربا لينجوا بانفسهما فتاسف غاية الأسف وقال ليتني قبضت عليهما من قبل ، ولكن القدر لامـرد منه ، ثم حكى قصته لاهل المدينة ففرحوا عظيماً واخذوا بتزيين المدينة احتفالا لدخول العرب مدينتهم ، ثم رجع الى العرب واخبرهم بهرب ملك الفرس ووزيـره ، فقال حمزه : لابـد مـن المسـير حيـث رحلا ، ثم دعاهم الى المدينة فاجابوا دعوته وساروا معـه فوجـدوا المدينة مزدانة بابهى زينة واستقبلهم اهلها استقبالا باهراً واعدوا لهم المآدب الفاخرة وفك ملكان الاسرى واعتذر لهم وعرفهم بنفسـه، ثم دعى حمزة اخاه عمر وكلفه ان يبحث عن فرمزتاج ووزيره بختكان، فسار من وقته وقد اشرف على مدينة اسمها البرازين على شاطىء البحر وحاكمها اسمه طر البرازيني ، فاختلط بأهلها وعطفوا عليه لانه غريب ، وسألوه عن حاجته ؟ فقال لهم اني من العجم وقد خـرجت افتش عن ملكنا فرمزتاج ووزيره بختكان ، فقالوا : لقد مر بيننا وهما الآن في مدينة السبائل وهي قريبة منا وطريقها هذا ، واشاروا اليه ثم قالوا : وقد ذهبا ليستمدوا المعونة والبركة من الخوند آلهنا الذي يعبده حاكم المدينة .

فقال عمر : وهل الخوند آلهكم هذا انسان ؟ فقالـوا : نعـم هـو انسـان مثلنا ولكن له قدرة عجيبة استحق بها ان نعبـده . فرجـع عمر الى اخيه حمزة واخبره فتعجب حمزة وقال لبزرجمهر : هـل

سمعت عن هذا الانسان الذي ادعى الالوهية فقال سمعت ان الخوند ملك مدينة السبائل ادعى انه خالق الوجود ، وصدقه قومه لجهلهم وعبدوه ، واتخذ لنفسه سماء من البلور ، وروضة ذات اشجار وازهار ، واعد مقومه ناراً يلقي فيها من يغضب عليه منهم .

فقال حمزة : نعوذ بالله من جحود الانسان وكفره ، فلا بد لنا من ان نُخرب جنته وآثاره ونقتله . ونخرج قومه الجهلاء من الظلمات الى النور . وكان فرمزتاج وبختكان قد هربا الى الخوند فقال له بختكان : اعلم ايها الاله الاعظم انك لابد قد عرفت ما فعله العرب بالعجم وانهم هدموا المدائن وفررنا من وجوههم ، فقلت لسيدي فرمزتاج : هيا بنا الى الاله الاعظم في مدينة السبائل لنستمد منه المعونة ، ونعتصم بقوته وعظمته حتى اذا جاء العرب ابادهم بكلمة واحدة .

فقال الخوند : صدقت يابختكان فقد عرفت من الوهيتي ان العرب هدموا ، وانكما هربتما وجئتماني لاحميكما ، فقال بختكان : نعم يا الهي فقد عرفت ما حصل لنا قبل أن نخبرك به ، فانتفخ الخوند كبراً وقال : لابد من هلاك العرب وفنائهم اذا جاءوا في طلبكما ، ولبثا عند الخوند ينتظران مايكون .

سار العرب الى مدينة السبائل ، وبعد أيام وصلوا الى ضواحي مدينة برازمين . وكانت طيبة الهواء كثيرة المياه ، فنزلوا فيها للراحة ، وكتب الملك سعد الى طر البرازيني يطلب منه ان يسلمهم المدينة والا فتحوها عنوة وملكوها غصباً ، فأجابه امهلني قليلا حتى استشير الخوند وهو الاله الذي نعبده وكتب الخوند يقول : ان العرب يطلبون مني تسليم المدينة وانذروني باخذها غصباً أن عصيتهم ، وقد ارسلت استشيرك فيما أفعل .

فكتب اليه الخوند : لاتسلم اليه المدينة واخرج لقتال العرب ، وسأنصرك عليهم ، فلما جاءه الكتاب بلغ ملك العرب ما فيه وخرج بجنوده لقتالهم ، فلما قرأ العرب الكتاب ضحكوا وقال الملك سعد ارحموا هؤلاء الجهلاء في قتالكم فهم معذورون ، ونحب ان نهديهم الى عبادة الله ، ونتخذ مدينتهم مقاماً لنا في هذه الغربة ، فقالوا سوف لا تقتل احداً الا مضطرين .

كان جيش طر البرازيني كثير العدد ، ولكنهم جبناء ضعفاء في القتال ، فما لبث القتال بينهم وبين العرب غير ساعة حتى اسر ملكهم

واستسلموا ، فدخلوا المدينة وجلس ملك العرب وامراؤه في دار الحكم ، وامر ان يعامل اهل المدينة بالحسنى لهديهم الى الهدى ودين الحق ، ثم امر ان يحضر اليه ملك المدينة ومن اسر معه من كبار قومه فلما حضروا امر ان تفك قيودهم ، وان يجلسوا معهم ، فعجبوا من اكرام العرب لهم وكانوا يظنون انهم سيقتلونهم ، وقال ملك العرب: لقد وجدناكم تائهين في ضلالة من الكفر ، وتعبدون انساناً لايختلف عن أحدكم ، يأكل كما تأكلون، وينام كما تنامون ، ويموت كما تموتون وقد وجب علينا ان نرحمكم ونهديكم الى عبادة الله الذي خلقكم وهو الذي يحييكم ويميتكم ، وجعل لكم النهار معاشا والليل سكنا ، وأيد عباده المؤمنين بنصر منه ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الارض .

فاستيقظوا من سبات جهلهم وقال ملكهم اني آمنت بالله الذي آمن به العرب " وتبعه اكابر قومه ، واعلنوا ايمانهم بالله وحده ، وانقاد اهل المدينة لهم واختلط العرب بهم فعلموهم كيف يعبدون الله ويؤمنون به ، وخلصت المدينة من الملك الخوند وضلاله .

وتعلم أهل المدينة من العرب ركوب البحر فكثرت المراكب ، وكان على الشاطىء الثاني قصران ملكيان ، أحدهما لفاتنة ابنة الملك سنجاب صاحب مدينة السنجاب ، والثاني لجهانة ابنة الخوند ، اعدا لهما للاقامة فيه بعض الشهور من كل سنة ، وكان قد وصل اليهما نور الايمان من مدينة البرازين ، وان اهلها صاهروا العرب ووجدوا انهم عشرة طيبة ، ومعاملة حسنة ، ورغبت فاتنة وجهانة في الاختلاط بالعرب فكانت كل منهما تجري بمركبها في البحر شاركون العرب في الصيد والمسابقة حتى اغرمت فاتنة ببديع ، وجهانة بقاسم ، وكانت الرغبة في الزواج من الجانبين ، فتزوجت فاتنة بديع الزمان بن حمزة ، وتزوجت جهانة ابنة الخوند من قاسم بن رستم ، كما تزوج كثير من العرب كثيراً من فتيات المدينة ، ورزق بديع الزمان بغلام سماه « نورالدهر » ورزق قاسم بغلام سماه «الخواجه فرج» .

سار العرب بعد ان مكثوا مدة طويلة في مدينة البرازين الى مدينة السائل ونزلوا في سهولها ، وفي اليوم الثاني راوا جنود الخوند قادمين من المدينة وضربوا خيامهم تجاه العرب ، ومن بينها صيوان حريري محلى بالذهب للخوند صاحب المدينة .

وكان مع الخوند خاتم مرصود له مارد من مردة الجان ، وقد اخفاه عن قومه ليوهمهم ان ما يفعله المارد من فعله وبقوته الالوهية،

ولما تأهب الجمعان للقتال فرك الخاتم فجاءه المارد قائلا : لبيك يا سيدي لبيك فقال له : اريد ان تقتل حمزة وتحارب العرب في صورة عملاق من الانس فقال : سمعاً وطاعة ثم اعلن هو في جنده انه سيرسل قوته الالهية في صورة عملاق انسي يحارب معكم ويؤيدكم ، وبدا القتال في الصباح وسالت النفوس على شفرات السيوف واسنة الرماح ، فما كنت ترى الا رؤوساً طائرة ودماء فائرة ، وقد قتل العرب من اعدائهم خلقاً كثيراً ولكن المارد كان يجزهم جزاً دون ان يؤثر فيه رمح او سيف ، وكان كلما قرب حمزة منه بسيفه المرصود فر هارباً ، واضطر العرب أن يرتدوا مهزومين وهم يكافحون كفاح الابطال ، ولولا المارد لاهلكوا اعداءهم وابادوهم ، واستمر القتال على شدته حتى بعد الزوال فمرت بالجو حينئذ اسما بري ورات العرب يلوذون بالفرار من فتك المارد ، فسقطت على العرب وصرخت في المارد صرخة اخفته من الميدان ففر هارباً منها ، وداب العرب على كفاحهم فرجحت كفتهم ، وشعر الاعداء انهم هالكون فارتدوا على ادبارهم واسرعوا الى مدينتهم فدخلوها واغلقوا ابوابها وغنم العرب اسلابهم وكان النصر في النهاية لهم .

واجتمع ملك العرب وامراؤه يحمدون الله ويشكرونه وقال حمزة: من القتال هذا اليوم . فقد كنا في حالة شديدة من الضيق والخوف حتى ارتد العرب من القتال هذا اليوم ، فقد كنا في حالة شديدة من الضيق والخوف حتى ارتد العرب الى الوراء ، ثم تغيرت الحال فظهرنا على الاعداء . فقالوا : كان في الاعداء علاقاً يحصدنا بسيفه ، ولاتؤثر فيه سيوفنا ثم اختفى فجاة ، ولاندري اين ذهب ، فدخلت عندها اسما بري وقبلت يد زوجها الأمير حمزة وتلقاها لقاء جميلا، وقال لها : متى جئت ؟ فقالت : جئت وقت ان كان المارد من الجن يقطع منكم الرقاب . فقال اي مارد هذا ؟ قالت كان يقاتلكم مارد من الجن وانتم لاتعرفونه .

فلما رايته نزلت اليه وصرخت فيه صرخة ففر من بين يدي واختفى واستعصم بعد ذلك انتغلبوا اعداءكم وتطردوهم الى مدينتهم اذلة خاسئين . فقال حمزة : نشكر لك هذا الصنيع الجميل ،وارجو ان تساعدي عمر العيار وجماعته في دفن القتلى من الفريقين ، قالت سمعاً وطاعة ، ومضت الى الميدان وسلمت على عمر العيار وقصت عليه ما فعلت في المارد الذي سخره الخوند للقضاء على العرب ،

فشكرها واثنى عليها ، وبينما هي تساعده في دفن القتلى قالت له : أريد منك ياعمر ان تساعدني وتجعل الامير يقيم عندي ويكون لي من عشرته وصحبته ما لزوجاته ، فقال عمر : ان الامير لا يفكر في النساء بعد موت زوجته مهردكار ، ولا اظن يستمع لاحد في امرهن.

فقالت بلغه ان زوجته مهردكار لم تمت ، وانها لاتزال تنعم في الحياة في سلامة وعافية فاعتدل واقفاً ونظر اليها قائلا : ويحك يااسما بري ! اتكذبين على الامير وعلينا ؟ لقد ماتت مهر دكار ودفنت في حلب وقبرها لايزال هناك . فقالت : قلت لك هذا واني لصادقة ، فقال : ولكني لا أجد مسباغا لتصديقك . فقالت سأقص عليك قصتها فقال لها : تكلمي يا اسما بري ، فقالت جئت مدينة حلب فوجدت مهر دكار تعاني سكرات الموت والامير بجوارها ، فلم تطاوعني نفسي رحمة به أن اتركها للموت ، وانا قادر على انقاذها فاستدعيت بجنية على وصيفاتي وامرتها ان تكون على هيئة مهر دكار وتتظاهر بالموت ، ثم سرقت مهر دكار بجانب الامير ، ولما انتبه وافاق وجدها ميته ، فلم يشك في انها زوجته ، ثم حملت مهر دكار وطرت بها الى بلاد الغرب عند حكيم ماهر في معالجة المرضى والمسمومين ، ثم وضعتها بين يديه وحكيت لها قصتها في ايجاز وسرعة ، ووعدته بالمال الجزيل ان شفاها ، فنهض من فورة وباشر عمله وما هي الأ لحظات حتى ابتسم وخبري بسلامتها وقال : اذا جئتني بعد شهر وجدتها في اكمل صحة وعافية .

فعلت اليه بعد ثلاثين يوماً فوجدتها في اكمل صحة واتم سلامة ، فجزيته بالمال والجوهر وقد اوصيته ان يبقيها عنده ويكرمها حتى اطلبها منه ، وذلك ما فعلته ، فقال ولكنك لم تذكرتني بخير ولم تنفعيني ولا مرة ، ولا قدمت لي هدية اذكرك بها الى الابد ، فقالت مقصرة معك ، وما قدمت لك شيئا من ذلك ، ولكني هذه المرة جئتك بهدية تنفعك في عملك ، وتفوق الدنيا في نفسك ، فقال : وما هي؟ قالت : « قلنوسه الاخفاء » فقال : واين هي ؟ فناولته اياها وقالت اذا لبستها اختفيت عني العيون وما رآك احد ، فأخذها ولبسها وقال : اني ذاهب الى الامراء لاختبرها فان وجدتها كما اخبرتني ارغمت أخي ان يعاملك معاملة الزوج لزوجته ثم انه لبسها ومضى الى الامراء ودخل عليهم وتقدم الى اندهوق وكان جالساً بجانب هارون فامسك اذنه ثم تركها ، فظن ان هارون هو الذي امسكها ،

فالتفت اليه مستنكراً ما بدر منه وسكت ، ثم كرر ما فعل حتى غضب وقال لصاحبه ماذا تريد مني ؟ فنظر اليه مندهشاً وقال : لا اريد منك الا كل خير ، ولما تسألني عن ذلك ؟ فادرك انه لم يفعل شيئاً وسكت في حيره ، ثم امسك عمر اذن هارون وتركها ، وفعل في هارون ما فعله في اندهوق ، فثار وقال ذلك لا يليق بك في مجلس الامراء ، ولاينبغي ان تعبث فيه ، فقال الامير : ماذا حدث ياهارون؟ فحكى له وقال : اندهوق : ذلك ما فعله باذني وآثرت السكوت على الكلام ، فقال الامير : لاتزعلوا ، ويبدو لي ان هذه من عمل الجن الذين يحسون اسما بري .

فعرف ان القلنسوة اخفته وخرج عازماً على ان يذهب في الصباح الى مجلس الخوند ، وفي الصباح لبس القلنسوة ومضى الى المدينة فوجد ابوابها مغلقة ، فدخل من منفذ صغير في احد ابوابها وكانوا قد اعدوه ليرى الحرس الذين خلف الباب وما يجري في ظاهر المدينة وقد مرق بينهم وسيوفهم في ايديهم وما رآه احد منهم ، وذهب الى قصر الخوند ودخله سائراً بين صفين من الحجاب ، وهو غير مكترث بهم لانهم لايرونه ، وانتهى الى رودهة فسيحة لها عشرة ابواب لعشر غرف فرشت بالبسطت الوثير ، وسقحت جدرانها وفي كل غرفة امرأة جميلة ومعها ثلاث من الجواري ، فادرك ان هذا مسكن نسائه ، ورجع من حيث اتى ، فوجد امامه بابا كبيراً ارخى عليه شنارة حريرية منقوشة بالذهب والفضة فرفعها ودخل الى دهليز طويل انتهى منه الى روضة فسيحة تتجاوب طيورها ويداعب النسيم العليل اشجارها ، ورأى في وسطها قبة من البلور ؛ فذهب اليها فوجد الخوند جالساً على كرسي من الذهب المرصع بالجواهر النفيسة ، وجلس الى جانبيه وزيراه ورأى كسرى وبختكان في مجلسه .

وقف عمر خلف الخرند وقص خلصة من لحيته ، والخوند لايرى احداً فعرته هزة من العجب والحيرة وكان الحاضرون اشد عجباً وعمر يضحك منهم ، فامتدت الى القلنسوة يداً واختطفتها فرآوه الجميع وفي يده الشعر الذي اخذه من لحية الخوند ؛ وفي الحان صلر عمر يفرك وجهه وصدره بالشعر ، فقال الخوند : من انت ياهذا ؛ فقال عمر : اعلم ياسيدي بانني من العرب واعتقد انك الاله الحق ، ولهذا كنت اعبدك خفية ؛ وافكر فيك دائماً ، وانت بالوهيتك تعرف ذلك ، فقال : نعم اعرف ذلك ؛ فقال عمر ؛ ومرضت منذ ايام وخفت

ان اموت قبل ان القاك وانال منك البركة ، وفي الصباح كنت رايت في نومي اني دخلت مدينتك وتزلت من سمائك حتى وقفت جانبك وسمعت قائلا يقول : خذ هذا المقص واقصص من لحية الآله خصلة من الشعر وافرك وجهك وصدرك ففعلت فاذا انا بينكم على هذه الحال التي تعجبون منها ، ولاريب قدرتك الآلهية هي التي فعلت ذلك رحمة بي ، وسأرجع الى العرب واقص عليهم ما حصل ، واعلمهم انك الآله القادر الرحيم بعباده .

فقال الخوند : صدقت ياهذا ، فاني اعلم انك مريض ، وانك تؤمن بي وتعبدني ، فاحضرتك بقدرتي وانا راض عنك وقد شفيتك من مرضك ، وكان بختكان في عجب من ظهور عمر بينهم بغتة وهم لايرونه وقد تولاه الخوف حينما رآه قد غش الخوند وخدعه فقال : انه كذاب ياسيدي فهذا عمر العيار وما جاءنا الا لشر يريدنا به ؛ فالتفت اليه عمر وقال : من انت ايها الانسان ؟ وكيف تشك في قدرة الآله الاعظم الذي يعلم الغيب وما في الصدور ، ويعلم ان كلامي حق لا كذب فيه !. وكيف تحط من قدرة الاله الاعظم ، وتقول بانه لا يعلم ما في قلبي ؟ ! فقال بختكان : انك كذاب وما جئت الا لتقتل الاله وتقتلنا ، فصفق عمر بيده وقال : ارايت ياسيدي كيف يرميك بالعجز وعدم المعرفة وقد خلقت هذه السماء ، وهذه الجنة وخلقت الجحيم لمن عصاك ، اني مصر علي عبادتك ، واحب ان اخدمك لتجعلني من هلائكتك فأمر الخدم ان يضربوا علي عبادتك ، واحب ان اخدمك لتجعلني من ملائكتك فأمر الخدم ان يضربوا بختكان على لحيته عشرين ضربة بالحذاء وقال : انا الاله الاعظم ، وما انت باله ياجاهل ، وانا الذي اعرف هذا الانسان وصدقه ، الم تر ايها الحمار الجاهل اني احضرته بينكم بغتة وانه لم يدخل من باب ولا من نافذة ؟ الم تر انه قص لحيتي دون ان يراه احد منكم ، وانني شفيته من مرضه ؟ فاذا اعدت الى قولك هذا القيتك في ناري ، او طردتك من بلادي ، وقد امرتك ان تلبس منذ الآن لباس ملائكتي وجعلتك رئيساً لهم ، والبسه الخوند ثوبا من الحرير الابيض وعلق في رقبته عقداً من الحجارة الكريمة ، اما بختكان فانه قال لفرمزتاج : لابد من أن تغير مكاننا هذه الليلة ، فاننا ان بقينا هنا قتلنا عمر العيار .

فدخلت اسما بري على الامير ومن معه فسألها : هل احضرت معك ارهاطاً من الجن ؟ فقالت : لا ، فقال : لابد ان يكون معك عدد منهم

لانه حصل مع اندهوق وهارون وما هو كذا وكذا فقالت : ذلك من العيار ، لاني اعطيته قلنسوة الاخفاء فجاءكم بها ، ثم ذهب الى الخوند في مدينته وقد كنت اعطيته القلنسوة ليكون شفيعاً لي عندك حتى ترضى عني وتقيم عندي ، ولكنه اخلف وعده واهمل شاني الذي كلفته به ، فقال : وهل انا تحت امر عمر يأمرني كما يشاء ؟ اني رجل كبر سني ومضى شبابي ولاينبغي ان اخاطب في امر النساء، فقال اني زوجتك ولي زوجتك ولي حق العشرة في ظلك ، فقال : ان اردت ان تعيشي معي كما يعيش الضيف فلا مانع لدى ، فقالت مادمت مصرا على هجرك فاني سآخذ القلنسوة من عمر فقال غاضباً ، لارجعت انت ولارجعت القلنسوة، فخذيها واذهبي الى حيث تشائين . فطارت الى عمر واختطفت القلنسوة من على رأسه والقتها في النار، ولو لا الحيلة التي عملها على الخوند لكان الآن من سكان القبور .

ذهب الخوند الى فراشه ، ودخل ملك الفرس الى غرفة واغلقا عليهما الباب ولبثا ساهرين طيلة ذلك الليل خوفاً من عمر ، اما عمر فانه وضع في جراب اسماعيل كرسي الخوند وكل اثاث فاخر وخرج في منتصف الليل الى باب المدينة وقال : ان الخوند ارسلني الى العرب الآن في امر سري ، فتركه الحراس وخرج من المدينة وانطلق الى معسكر العرب وانتظر حتى يستيقظ الامير ويجتمع بالامراء وملك العرب .

ولما تم جمعهم في الصباح دخل عمر عليهم ، ورأى اسما بري بينهم يبدو على وجهها سحابة من حزن اليم ، فادرك ان الامير غضب عليها وانها هي التي خطفت القلنسوة ، فاخرج خنجره وهم ان يقتلها به ، فضحكت واحتمت بالامير حمزة ووقفت خلفه ، فقال له الامير :

لم فعلت ذلك ياعمر ؟ فقال : هذه اوقعتني في تهلكة محتومة لم ينجني منها الا ربي وحيلتي ، قال الامير : اهدأ يا عمر واخبرنا ماذا فعلت ، فجلس وحكي لهم حكاية القلنسوة ، فانكر الامير وجميع الحاضرين فعلتها ، فسأله الامير : وكيف نجوت بنفسك ؟ فاتم لهم قصته واخرج من جراب اسماعيل ما احضره ، ففرحوا به وزادت منزلته في نفوسهم ، وجعل الكرسي للملك ووزع الباقي على الفرسان وعياريه .

اعتذرت اسما بري بان الامير حمزة هو الذي امرها ان تأخذ القلنسوة اذ قال لها : خذيها فلا رجعت انت ولا رجعت القلنسوة،

فقال الامير كان من الواجب ان تصبري حتى يأمن على نفسه ، ولا يكون عرضة للهلاك ولهذا فانت مذنبة آثمة ، فاما ان ترحلي فوراً واما قتلتك ، فنهضت وخرجت من عنده وهي ساكنة وقالت في نفسها : لابد ان يخبره عمر بأمر مهردكار ، فحينئذ سيطلبني هو ويسعى في الحضور الي بجبال « قال » وطارت الى قصرها .

ندم عمر على فقد القلنسوة ندماً عظيما وقال : كنت انفهكم بها نفعاً عظيما ، ولكن هذه ارادة الله ، وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .

استيقظ الخوند في الصباح وانتظره الوزير في روضته للجلوس معه في قبته وتحت سمائه ، فلما حضر سجد له ، وفيهم فرمزتاج وبختكان ثم سار بهم الى القبة البلورية ، ولما دخلوها كان في ظن الخوند ان عمر سيلقاه ويسجد له ، ولكنه اندهش اذ لم يجده ، ولم يجد كرسيه وكثيراً من فاخر الاثاث وجواهر الزينة ، فصاح متألماً : من فعل هذا وما خاف سطوتي وغضبي ؟ فقال بختكان : الم اقل لك ياسيدي : ان هذا عمر العيار ، وقد جاءنا لشر يريده بنا ؟ فغاظه قول بختكان وقال : مازلت تتعرض الى ما لايعنيك من شأن الاله الاعظم فاضربوه فقال له فرمزتاج : تستحق اكثر من هذا ، فالزم الصمت مثلي ولا تدخل فيما لايعنيك من امرهم ، فحلف الا يتعرض لهم ، وان دمرت مدينة السبائل .

وكان للخوند ابن اسمه ياقوت فصادقه بختكان وتودد اليه حتى اطمأن ياقوت اليه والفه فقال له ان اباك لايستمع لنصح ولاينظر الى العواقب وان السبائل واقعة في يد العرب لامحالة ، لنا ان نحذر ونعد العدة للنجاة بانفسنا عند الخطر ، فقال ياقوت ان مع ابى خاتماً مصوداً ان يخدمه مارد من الجن وقد اطلعني عليه ، فلاذا وجدت الخطر احدق بنا اخذت الخاتم من ابي وكلفت المارد ان يحملنا الى أرض قاصية ، لايمكن للعرب ان يصلوا اليها ، فاطمأن بختكان وملكه وانتظرا في السبائل معتمدين على الخاتم ومارده .

وبعد حصار دام طويلا وجد العرب المدينة قد فتحت ابوابها وتدفق منها الجنود كانهم الجراد وضربوا خيامهم تجاه العرب فتبين عمر العيار امر هؤلاء وسبب فتح المدينة وطلبهم للقتال ، فوجد انه قد جاءهم مشاهد ابو الخنجر بجنوده وهو فارس قوي يؤمن بالخوند ويتخذه آلهة ولما بلغه ما فعله العرب بالخوند جاء ليدافع عنه ويطرد

العرب عن المدينة ، وبعد يومين من قدومهم انحدر مشاهد ابو الخنجر الى الميدان طالباً البراز .

فهم بديع الزمان ان يبرز الى مشاهد فصاح فيه قاسم ابن رستم وقال: ارجع يا ابن الصياد فليس هذا مجالك، فلا تحاول ان تكون من علية الناس وأمراء العرب ، فالتهبت نخوة العرب في راس بديع الزمان ، وجرد سيفه واصر على قتله ، ونشب بين قاسم وعمه مبارزة حامية ، فاسرع الامراء الى حمزة وقالوا : ادرك ولديك فانهما في مبارزة لا مخرج منها الا بقتل احدهما، فاسرع حمزة اليهما ووقف بينهما وقال: ماهذا يابديع ؟ وكيف تنتهك حرمتي وحرمة ابيه في غيبته ، ان كنت نفذ صبرك ولم تعد قادراً على احتماله فارحل عنا فلسنا في حاجة اليك، فقال بديع الزمان : سمعاً وطاعة وترك قومه بينهم وسار لوحده الى حيث اراد له القدر .

وجد بديع الزمان امامه قرية فدخلها ولقيه اهلها بالحفاوة والفرح وذهبوا به الى شيخ القرية ونزل عنده ضيفاً ، على ان ينزل كل ليلة ضيفاً على رجل من هذه القرية حسب عادتهم ، واكرمه شيخ القرية اكراماً زائداً ، وفي الصباح ناوله بديع الزمان خمسين ديناراً وقال : هذه القيمة الزهيدة كهدية لتستعين بها وتنفقها فيما تريد من شؤون المعيشة ، فقال : ياسيدي ، لانأخذ اجراً ولا ثمناً لما نقدمه لضيوفنا، فقال : ماأعطيتكها لتكون اجرة وثمناً ، ولكنها معونة من انسان لاخيه، فقال : لانرد لك معونتك وسندفعه جزية عن كل اهل القرية وهو المطلوب مناهذه السنة وكنا عاجزين عن دفعه ، فقال : ولمن تدفعون الجزية ؟ فقال : للامير ضامر ، فقال : وزعوا هذا المال عليكم ، وحين يأتي ضامر لأخذ الجزية اخبروني لادفعها عنكم ولارده راضيا مسروراً واضمر في نفسه ان يقتله ويبطل الجزية عن هؤلاء الفقراء المساكين، وانتظر في القرية حتى يأتي ضامر .

وذات يوم دخل على شيخ القرية ــ وبديع الزمان معه ــ رسول ضامر يطلب الجزية : فسأله بديع الزمان : واين سيدك ياهذا ؟ فقال: بظاهر المدينة في جماعة من رجاله ، فقال له : ارجع الى سيدك وقل له : لاتدفع القرية جزية لاثنين . وفي صباح الغد يبارزني ، فان غلبني كانت الجزية له ، وان غلبته ترك الجزية لمن غلبه ، فرجع الرسول الى سيده واخبره بما سمع ، وبات ضامر وهو عازم على قتل الذي اعترضه وتحداه ، اما بديع الزمان فانه قال للشيخ : مر

اهل القرية ليخرجوا من خلفي باسلحتهم فقال الشيخ : ليس عندنا سلاح ، ولايملكون الا فؤوساً ومعاول وعصي فقال بديع الزمان : لااريد منهم ان يقاتلوا ولكنهم يخرجون ليأخذوا المغانم والاسلاب ، فاني سأقتل ضامر وابدد جماعته .

وفي الصباح خرج بديع الزمان ومن ورائه اهل القرية يحملون الفؤوس والمعاول والعصي ولقيه ضاهر في الميدان يبغي قتله ، وقامت بينهما مبارزة اثارت المخاوف وازعجت القلوب ، وانتهت بان ضرب بديع الزمان ضامراً بسيفه فسقط على الارض يتخبط في دمه ثم هجم على رجاله هجمة الاسد الكاسر فشتت شملهم وارغمهم على الفرار ، وانهال اهل القرية على اموالهم واسلابهم فاخذوها ورجعوا فرحين ، واستقبل نساء المدينة وصبيانها وشيوخها بديع الزمان بالزغاريد ومظاهر الحفاوة والفرح واارادوا ان يقيموه شيخاً عليهم فقال :

اني بديع الزمان بن حمزة البهلوان ، وما انا بحاجة الى قريتكم ، ولكني مررت بكم في طريقي فاضفتموني واكرمتموني فرايت من الواجب ان ادفع عنكم ظلم الظالمين ، واني راحل عنكم ، وان ارادكم احد بسوء فقولوا انكم تابعون لي ، وان اصر في عناده فارسلوا لي ، وانا آتيكم واكشف الضر عنكم ، ثم ودعهم ورحل ، وسار في القفار لايدري أين يسير ، وفي اليوم الثاني راى شيخاً من خلفه ينهب الارض ركضاً ، فوقف ينتظره ليعرفه ، فلما بان لنظريه عرف أنه عمر العيار ، وظن ان اباه ارسله خلفه ليدعوه اليه ، فسأله لما جئتني ؟ فقال عمر : جائنا رسالة باسمك من الامير ليث صاحب مدينة السنجاب وحماك فكلفني ابوك ان ادفعها اليك فجئتك بها وهاهي : وناوله اياها فاخذها وقرأها فاذا فيها :

من ليث صاحب مدينة السنجاب الى الامير بديع الزمان .

بلغنا من قوافل التجار ان بهرام قادم الينا في جيوشه الجرارة لسبي زوجتك كوهين ، ونحن لاقدرة لنا على صده ، وان لم تدركنا مزقنا شر ممزق ونال بغيته هنا .

فقال لعمر : هل قرأ ابي هذا الكتاب ؟ فقال : قراه وكان يريد ان يحضر ليدافع عن زوجتك ومدينة ابيها ، ولكن منعته الحرب القائمة بينه وبين الخوند ، ثم ناولني الكتاب وقال : ابحث عن بديع في كل مكان واعطه كتابه ليدافع عن زوجته . فقال بديع الزمان : بلغه سلامي وقبل يديه عني واساله ان يدعو لي ويرضى عني ؟ وقل له ان ابنك

سيقتل بهران ويمزق جيشه ويحمي زوجته ومدينة ابيها، وسيجدني عنده وقت الشدة والحاجة الى سيف ابنه بديع الزمان ، ولولا قاسم ابن اخي ما فارقته .

رجع عمر وبلغ حمزة ما قاله بديع الزمان ، فالتهبت احشاءه حنا، وقال : اما طلبت منه أن يرجع الى أبيه ؟ فقال عمر : مادمت قد طردته فاني لا احب ان يعود اليك الا وانت في اشد الحاجة الى سيفه فقال حمزة : لا انسى لانني بديع الزمان طاعته ورعايته حق الابوة غائباً وحاضراً فقال عمر : لاعجب فهو عربي كريم وابن كريم .

سار بديع الزمان حتى وصل الى مدينة السنجاب فوجدها مغلقة الابواب وجنود بهران مرابطون بظاهرها ، فطرق بابا من ابوابها وعرف الحرس بنفسه ففتحوا له ، فدخل المدينة ومضى بعضهم الى ليث واخبره بحضوره فنهض الى لقائه فرحا وسأله عن قدومه وحده فقال : ان العرب يحاصرون مدينة السبائل ، وساطرد عنكم اعداءكم خائبين، فأصدر امرك الى الجنود ان يعسكروا خارج المدينة تجاه الاعداء ، وانتظر ما يكون باذن الله تعالى ، فصدع ليث بمشورة بديع الزمان .

وبعد يومين فتحت ابواب المدينة وخرج جيشها واصطف امام الاعداء لقتاله بعد اختفائهم وراء الاسوار خوفاً منه ورعباً .

استعد الفريقان للقتال ، ودقت الطبول الآذنة ببدئه ، وانطلق بهران الى الميدان على جواده طالباً براز الفرسان ، فنزل اليه بديع الزمان ونشبت بينهم مبارزة الى ما بعد الزوال في اخطر كفاح وجلاد ثم اصاب بديع الزمان بهران بجراح بليغ في فخذه فركن الى الهرب ولكنه قبل أن يفر رماه بعمود حديدي فرض فخذ عظم بديع الزمان وكان هذا سبباً في رجوع كل فارس الى جيشه .

اما بهران فانه اضجع في فراشه وقام الحكماء بعلاجه ، واما بديع الزمان فانه لبث الى قصره وكلف الحكماء ان يقوموا بعلاجه ، وانتظر الجمعان ما سيكون من امر هذين البطلين ، واراد ليث ان يخبر الامير حمزة بما وقع لابنه ولكنه منعه قدوم عمر العيار .

كان الامير قد قلق على ابنه بديع الزمان ، وخاف أن ينال منه بهرام فارسل اليه عمر العيار ، ولما وجده قد اصيب برض في عظم فخذه واطمأن عليه ، تنكر في زي الدراويش ودخل على بهران في صيوانه ، وعرف انه سيشفى قبل أن يشفى بديع الزمان ، وربما

آثار الحرب قبل ان يغادر بديع الزمان فراشه ، فاسرع الى ابيه الامير حمزة وقص عليه حكايته ، فدفعه الحنان الى ان يعلن المضي بالجيش اليه قبل ان يتمكن الخصم منه .

فقال ملك العرب : ليكن للجيش بقية هنا حتى تعودوا الينا ، وفي الحال ركب حمزة في جيش يهد الارض ، ويزلزل الجبال الى مدينة سنجام فوصلها والحرب قائمة ، وذلك ان الفارسين بديع الزمان وبهران ساعة ان احسا القدرة على ركوب الخيل نهض كل منهما الى جواده وهجم بهران وجنوده على المدينة فلقيه بديع الزمان واستمر القتال الى الزوال وكان بديع الزمان قد ضرب بهران على كتفه ضربة اسقطته عن جواده فاسرع اليه وكتفه ، وشعر اذ ذاك ان اباه قد اقبل بجنوده فقال : ما كنت احب ان يحضر وانا في تلك الحال ، وفكر بالخروج من المدينة وذهب الى زوجته وكانت قد جاءها المخاض فرجته ان ينتظر حتى يرى ولده فقال لها : ان ابي قد حضر وهو ارحم ب فاطلبي منه ما تشائين ، ثم اخذ ما يحتاج اليه وخرج من المدينة من ناحيتها الاخرى . .

خاض الامير حمزة المعركة هو وجنوده ، وكان عمر العيار يبحث عن بديع الزمان فلم يجده بل وجد بهران مكتفاً فسأله : من كتفك يابهران ؟ فقال : بديع الزمان ، فقال : واين هو ؟ لا ادري اين ذهب فعاد عمر ونادى باسر بهران . فاستسلم جنوده وخضعوا ووقف القتال ، ومضى الامير حمزة الى ديوان الحكم فاتاه عمر ببهران مكتفاً ، واخبره ان بديع الزمان قد خرج من المدينة لانه كريم النفس عالي الهمة ، ولايحب ان تراه في موقف لايعجبه ، وكانت زوجته قد وضعت غلاما يشبهه ، فحزن الامير حمزة وقال : لنا في ابنه بعض السلوى حتى نلتقي به . ثم التفت الى بهران وقال : وجب علينا قتلك لانك اعتديت علينا ، وطمعت في انتهاك حرمتنا . فقال بهران . انني لااكره الموت لانه واقع لا محالة ، ولكنني احب الحياة من اجل سيدي بديع الزمان ، فقد شغفت بخدمته ، وان اكون من رجاله واعوانه ، فقال الامير : اننا لانرد احداً يريد مصادقتنا ، ولكننا نقبله عن ان يكون واحداً منا له منزلته وحرمته ، وعلى ان يكون على ديننا ، فقال بهران . انني على دينكم وامن بالله الذي آمنتم به ، فامر حمزة ان يعتق من قيوده واجلسه بينهم كواحد منهم .

وقد مكث الامير حمزة شهراً وبعد ذلك ودع الامير زوجة ابنه وودع ابيها وقد وصاه بابنته وولدها وان يحكم بين الناس بالعدل والرحمة، ثم مضى بجنوده الى مدينة السبائل ، وكان معهم بهران ورجال بهران ورجال بديع الزمان . اما بديع الزمان فسار تتقاذفه القرى والنواحي حتى دخل مدينة اسمها القمام ، وهي لقوم يعبدون الله ، وملكها اسمه سندروس ، فاتوه بينهم ضيفاً كريماً ، واسبغوا عليه نعمهم وكرمهم وسألوه عن اسمه فقال : اسمي عبد الله اجول في البلاد ابتغي الرزق ومعرفة الناس ، وذات يوم سمعهم يشكون من انهم حرموا اثمار الاشجار والفواكه التي لهم ، ويسألون الله ان يقيض لهم من يقتل هذا الاسد الذي حرم عليهم دخول الارض التي فيها اشجارهم وثمارهم ، فسألهم بديع الزمان عن امرهم هذا فقالوا : ان للملك سندروس بستاناً واسعاً عرضه مسيرة ثلاثة ايام . وهو غاص باشجار الفواكه المختلفة ، ولكن فوجئنا باسد قام فيه ويفترس كل من دخل البستان وحاولنا قتله فما استطعنا ، وقد افترس كثيرا من ابنائنا ورجالنا ، وحرم علينا الفواكة ودخول البستان لست سنوات .

فقال بديع الزمان : اطمئنوا فقد تفس الله عنكم هذه الغمة ، فسأقتل الاسد واجعل البستان مكان من امن وهناء ، فقال للملك انا نخاف عليك من الاسد ياعبد الله ، واذا افترسك كان علينا اثم قتلك ، وسألنا الله عنك يوم القيامة ، فقال بديع الزمان : لا تخف ياسيدي، أنا الآن مكلف بقتل الاسد مادمت قادراً عليه، وسيحاسبني ربي ان تركتكم دون أن اقتله ، فارسل معي من يدلني على البستان .

ركب الملك وبعض الاعيان وساروا يتقدمهم بديع الزمان حتى قربوا من البستان ، فوقفوا وقالوا : لا نستطيع المسير معك ياعبد الله ، فان البستان امامك وأشاروا اليه ، فقال لهم : انتظروا هنا واطمئنوا .

دخل بديع الزمان البستان شاهراً سيفه ، واخذ يمشي هنا وهنا باحثاً عن الاسد حتى رآه قريباً من الباب . لأنه كان يربض على مقربة منه ليفترس الداخل اليه ، فزار الاسد حين رآه زئيرا اهتزت له الاشجار وانخلعت له قلوب الملك واعيان قومه . وصاح بديع الزمان على اثره صيحة اهتزت لها الجبال وبادر الاسد بضربة من سيفه شقته نصفين . وسقط على الارض جثة هامدة . فتقدم منه بديع الزمان وأخرج قلبه واكله ، ثم سمع صوتاً فوقه يقول : انزع عنك شعارك يابديع الزمان فوجد نفسه مطيعاً من حيث لايشعر،

ونزع ثوبه الاعلى ، ثم وجد نفسه قد ارتفع في الجو ، وبعد نصف ساعة وجد نفسه على قمة جبل وليس معه احد فنزل الى سفح الجبل ومشى الى الوادي في حالة ذهول وحيرة لعله يجد اناساً او طعاماً ، وبينما هو سائراً سمع صوتا ينبعث من مغارة في ذلك الجبل، فدخلها فوجد شيخاً امامه غلام وهو يقول : اصبر يابني فعسى ان يبعث الله من ينصفك من عمك ، فحيا الشيخ ورد التحية باحسن منها وسأله: من انت يا هذا ؟ فقال: انا من بلدة القمام ، وصاحبها الملك سندروس، فهل هي قريبة منها ؟ فقال الشيخ : انت يابني في بلاد بملكها ، فقال: وفي اي البلاد انا الآن ؟ فقال الشيخ : انت يا ابني في بلاد الظلمات وهي عامرة بالسكان ، فقال وماذا تفعلان في هذه المغارة ؟ وهل هذا الغلام ابنك ؟ فقال ابن سيدي الملك سليم وانا وزيرا له ، فجار الزمان وجعلنا في هذه الحالة التي تراها ، وكنا ذاهبين الى هرزان الظلماتي نشكو اليه امرنا ، ونستنجده ليكشف منا مصيبتنا ، فقال : وما مصيبتكما ؟ فقال الشيخ . اعلم ياسيدي ان بلاد الظلمات ستة اقاليم ، وكل اقليم فسيح الارجاء وله ملك يحكم فيه ، وكان والد هذا الغلام ملك الاقليم الاول ، فلما توفي وليناه خلفاً لابيه ، واقامني الاهلون وصياً عليه الى ان يبلغ رشده ، ولكن عم هذا الغلام طمع في الملك واحتال على قتله ولكن الله نجاه من يده ففررت به الى هذه المغارة لنخرج منها الى هرزان ملك الاقليم الثاني لنستنجد به على عمه لانه كان صديقاً لابيه .

فقال بديع الزمان : اني ذاهب معكما الى حيث شئتما ، ولكن ارجو أن تعيروني ثوباً من فضل ثيابكم ، فقال له : ومن انت ؟ ومن اخذ منك ثوبك ؟ فقال اني من بلاد العرب، ودخلت مدينة القمام ، وجرى لي فيها ما هو كذا وكذا ، وحكى له قصته حتى وجد نفسه معه في المغارة ، وكان الذي رفعه من البستان وامره ان ينزع عنه الخضر عليه السلام لأمر يعلمه الله : فاعطاه الشيخ ثيابا مما كان قد حمله معه .

اما الملك سندروس والاعيان فانهم انتظروا عودة « عبد الله » بديع الزمان بعد أن سمعوا الزئير والصيحة ، فقال : ان الاسد افترس عبد الله ، واري أن نرسل من يمشي في خفة وحذر ليرى ماذا فعل الاسد به فمشى رجل منهم ونظر من الباب فرأى على مسافة منه الاسد ملقى على الارض وراسه قد شق نصفين ، فاطمان وتأكد ان



(بديع الزمان يطير في الجو)

الاسد قد قتل، فرجع مسرعا الى الملك والاعيان وبشرهم بقتل الاسد، فسأله الملك : هل رايت عبد الله بجانبه ؟ فقال ما رايت عبد الله ابداً ، ولكني وجدت الاسد مقتولا ، فقال : ربما دخل البستان واخذ ينعم باشجاره ويأكل من ثماره ، فلما دخلوا البستان وجدوا ثوب « عبد الله » وسلاحه وادوات حربه مبعثرة من حوله . فحزنوا حزناً شديدا ثم رجعوا الى المدينة واذاعوا نبأ قتل الاثنين . الاسد وعبد الله ، فأمر الملك ان يعلق ثوب « عبد الله » وسلاحه على باب المدينة تخليدا لذكره ، وطمعا في ان يعرفه اهله من ثوبه وسلاحه ، واطمأن الملك واهل المدينة ، وصاروا يذهبون الى البستان ويأكلون من ثماره وهم آمنون .

اما الامير حمزة فانه بعد ان رجع كان لايزال يذكر ابنه بديع الزمان نادماً على ما فعله من اغضابه وطرده ، ورأى ذات ليلة في منامه كانه في برية قفراء ملقى على ظهره وليس معه احد يأتنس به فانقض عليه طائر وحط على فخذه وضرب بطنه بمنقاره فشقه وجعل يأكل من احشائه وهو خائف متألم ، فانتبه من نومه فزعاً ، فقص رؤياه على قاضي العرب لتفسيرها فقال : ربما كان هذا رمزاً لما يصيب ابنك بديع الزمان من مكروه ، وارى ان ترسل اخاك عمر اليه ليسترضيه ويرجع الينا به والامر بعد ذلك لله الذي بيده كل شيء .

فأمر حمزة اخاه ان يبحث عن ولده في مخابيء الارض قاصيها ودانيها ليأتيه به وقال له : وان عصاك فقل له : ان اباك يود ان تنتظره في مكانك هذا فان وعدك ارجع الينا حالا .

انطلق عمر وهو في شوق الى لقاء بديع ، وجعل يتنقل من مكان الى آخر في اسرع من لمح البصر ، وهو يسأل ويستقي الاخبار عنه حتى دخل مدينة القمام التي ملكها سندروس ، فرأى ثياب ابن اخيه وسلاحه وادوات حربه معلقة على باب المدينة فبكى وقال: ويل لكم يا اهل هذه المدينة ان كنتم قد آذيتم صاحب هذه الثياب والادوات المطلقة، فلما سمعه الحراس اسرعوا اليه وقالوا: نسألك بالله ونستحلفك به ان تعرفنا بصاحب هذه الثياب ، فقال : هو فارس الفرسان ومذل الاكاسرة والقياصرة ، وابوه من انتشر صيته في كل مكان ، وخدمته ملوك الجان حمزة البهلوان . فاندهشوا وقالوا تعال معنا الى الملك سندروس ليخبرك عن هذا الرجل الذي قتل الاسد . فلما دخل على الملك حياه وقال : اني جئت اسألك عن بديع الزمان بن

حمزة البهلوان ، فقال : ما جاءنا رجل اسمه بديع الزمان ولا رايناه، فقال عمر : انه صاحب هذه الثياب المعلقة على مدينتكم ، فعجب الملك وقال : أصاحب الثياب المعلقة ابن الأمير حمزة ؟ اني والله ما عرفت ذلك الا منك الآن ، فاستأذن الملك واخذ الثياب والادوات لفحصها ومعرفة ما نزل بصاحبها غير القتل ، فقال الملك : خذها ، ونرجو الله ان تبشرنا بانه حي لم يمت .

فأخذها عمر وكر راجعاً بها الى مدينة السبائل ، وقال له : هاك يا مسكين ثياب ابنك وادوات قتاله ، فنظر اليها واجماً كأن به مساً من الذهول وشاع النبأ بين العرب فعمت الاحزان ولكن الوزير بزرجمهر جعل يطمنهم ويعدهم انه سيعود اليهم سالماً حتى عن نفوسهم الجزع والهلع ، ثم قال : ان بديع الزمان لم يقتل ، ولكنه اخذ من غير ثيابه الا مكان لايعلمه الا الله ، ومع هذا فاني ابشركم بعودته اليكم سالماً ، فاصبروا واسلموا امركم الى الله اللطيف الخبير ، فاطمانوا لما عهدوا في بزرجمهر من الحكمة والصدق .

اما بديع الزمان فانه سار والشيخ والغلام سليم حتى وصلوا الى مدينة هرزان الظلماتي، فوجدوا الرعاة ترعى بقراً وغنما لايحصى عددها ، فسألهم بديع الزمان : لمن هذه البقر والغنم ؟ فقالوا للملك هرزان الظلماتي صاحب هذا الاقليم ، فقال نحن جائعون فاعطونا شاة نذبحها ونأكلها ، فقالوا اذهب لشأنك والا قطع راسك ، وعدمت حياتك ، فقاظه قولهم ومد يده الى شاة وعزلها خلفه ، فصاحوا واسرعوا الى رئيسهم فاخبروه ، فأتى مسرعاً وضربه بالعصا ، ولكن بديع الزمان مال عنها فهوت الضربة على الارض ، فاجتمع الرعاة يريدون قتله ، فخرج منهم كثيرين ، ثم اسرعوا الى مليكهم واخبروه فغضب وركب جواده وخرج اليه في جماعة من فرسانه حتى وصلوا الى بديع الزمان ، فراى بديع الزمان ان يخاطبهم باللين والحكمة حتى يصل الى عرضه فابتدره قائلا :

اهلا بالملك العظيم والسيد الكريم ، هل أزعجك شاة اكلها ضيوف جياع في بلادك ومن مالك ؟ انك ان سمعت قصتي وجدت الذنب على رعاتك الذين سودوا ببخلهم وجهك ، وما رضوا ان يعطونا مالك الذي غمرت به القريب والبعيد ، فخجل الملك وقال في نفسه : لا ريب ان هذا الرجل كريم ، وما كان لي ان اخرج في هؤلاء الفرسان من اجل

شاة اذبح العشرات منها كل يوم ، ثم قال لبديع الزمان : اذكر قصتك فاما اعفو عنك او اعذرك ، او قتلتك فقال بديع الزمان :

انا بديع الزمان بن حمزة البهلوان الذي اذل بسيفه الجبابرة ، فقاطعه الملك ونزل عن جواده وتقدم اليه قائلا : اهلا بالسيد الكريم ابن الامير العظيم لقد جاءتنا اخباره بانه يقاتل في سبيل الله ، وتمنينا ان نكون من رجاله ، ولعلك تكون الوسيلة الى تحقيق ما تمنينا ، وانت الان اعز على اولادي ، وما املكه بين يديك ، وهذه جنودي ورجالي طوع يمينك .

فقال بديع الزمان : لست الا خادماً لك ، وارجو ان تتخذني ابناً وعوناً حتى يأذن الله بالعودة الى بلادي وقومي ، ثم حكى بديع الزمان قصته من اول ما غادر وقال : قد حصل لي ما هو كذا وكذا حتى وجدت في المغارة هذا الشيخ وهذا الغلام ، واخبراني انهما قادمان اليك في امر يهمهما ، فجئت معهما وكان مجيئي مباركا لانه كان السبب في هذه المحبة الصادقة بيننا ، فقال : وما حاجة الشيخ والغلام ؟ فقال بديع الزمان : قل ما عندك ايها الشيخ ، فقص الشيخ قصة الغلام وعمه « طوخان » فغضب هرزان وقال : اعلم ياسيدي ان ملوك الاقاليم تعيش في جو صاف كله محبة ووئام ، وما اعتدى احد منهم على الآخر ، ولما كان ابو هذا الغلام صديقاً لي وواحد منا وظلمه عمه فلا بد من الذهاب معه لتوليه ملك ابيه ، رغم انف عمه فهيا بنا الى المدينة لنجمع الجنود وتمضي بهم الى الاقليم الاول بعون الله تعالى .

سار هرزان وبديع الزمان في جيش كبير . وكان « طرفان » قد عرف مجيئهم ، فهرب الى هارون ابي العمد واستجار به ، وقال : اخي مات وترك ابنه صغيراً فاجتمع اهل المدينة وولوني عليهم ملكا حتى يكبر ابن اخي ، ولكن الوزير اخذ الغلام واجتمع برجل اسمه بديع الزمان فسارا بهما الى هرزان وحرضوه على قتلي او طردي ، وقد جئتك مستجيراً ، فقال : لقد اجرتك وسأردك الى المدينة ملكا .

وصل المدينة وعلم ان « طرخان » قد هرب ، فارسلوا الى اهل المدينة يخبرونهم بقدوم ابن ملكهم ، ففرحوا لانهم كانو يحبون اباه لعدله ويكرهون عم الغلام لظلمه ، وخرجوا الى لقائه والاحتفاء به ، ثم اوصلوه المدينة واجلسوه على عرش ابيه ، واقاموا الشيخ وزيراً له ووصيا حتى يبلغ رشده ، فقال بديع الزمان . لابد من اقتفاء

اثر « طرخان » وقتله حتى تأمن منه على ابن اخيـه ، فقال هرزان : انا معك بجيشي حيث تريد ، وبعد أيام قضوها في المدينة رحلـوا الى هارون ابي العمد وعسكروا على مقربة من مدينته ، وارادوا ان يرسلوا اليه كتاب فسبقهم وبعث اليهم الكتاب الآتي :

من هارون ابي العمد الى هرزان الظلماتي .

ما كنت اصدق ان تجيئني بهذا الجيش الجرار وقدعشنا متحابين لم يعكر صفو المودة بيننا خلاف او شقاق ، فكيف يخدعك هـذا الغلام الصغير وكيف تطيع هذا الرجل الغريب الذي ما جاء بـلادنا الا ليشعل نيران الفتنة بيننا ، ويسفك الدماء ويخرب البلاد ، فاذا جاءك كتابي هذا فاقلع عن عزمك وارجع الى بلادك السلام بيننا ، وما ارسلت اليك هذا الكتاب عن خفية فانت تعلم مبلغ شجاعتي وقوة رجالي ، فاحذر ان تسمع لهذا الغريب المفسد قولا ، وحافظ على حياتك وحياة رجالك بالعودة الى بلادك والسلام .

فلما قرأ هرزان الكتاب على مسمع من بديع الزمان قال لبديع . اسمح لي أن اكتب اليه . فقال : اكتب ما شئت ، فكتب له . من بديع الزمان بن حمزة البهلوان الى هارون ابي العمد .

ما أردنا بالمجيء [illegible] لا ولاحربا ، ولكنا أردنا أن ترد الحق الـى اهله ، ونعيد الملك [illegible] وراثة ، ولو عرفت الحقيقة لشكرتنا ومـا اغضبك قدومنا واذا شئت الحرب فنحن لها ، وان رغبت السلام فنحن ارغب منك فيه ، ولعلك عرفت من كتابي هذا ما قصه عليك « طرفان » كذب وبهتان ولا اخالك تؤيد كذاباً وتعين ظالماً ، وماكان هذا الغريب ضالا ولا مفسداً ، ولكنه يبغي الحق الـذي تبغيـه ، ويمحو الظلم الذي لا تطمئن اليه .

عجب هارون أبو العمد اذ كان الكتاب من بديع الزمان ، ولم يكن من هرزان ، وغضب من انذاره بالحرب فامر الجنود ان تخرج للقتال ، فخرجوا وعسكروا اما جيش هرزان ، وفي صبيحة اليوم الثـاني من نزولهم تأهب الفريقان للحرب ، وخرج الى الميدان هارون ابو العمد ليبارز من يخرج اليه من الفرسان . فاسرع اليه بديع الزمان وقال له .

اجعل القتال بيني وبينك . فان غلبتني رجعتم الى السلم والوفاء وا غلبتك عفوت عن قومك وحقنت دماءهم ، لاني لا اريد الا ان اضرب على يد الظالم الغادر ، وارد الملك الى وراثة الشرعي سليم ، فقـال هارون لقد ظلمتنا يابن حمزة ، ودفعتنا الى الشقاق والخلاف

بتدخلك فيما لايعنيك ، ولو انك اقمت فينا ضيفاً لاكرمناك ورفعنا شأنك فقال :

ما كنت ظالماً في يوم من ايام حياتي ، ولكن الظالم هو الذي اجرته معتمداً على كذبه ، ولو انك عرفت الواقع لقتلته حقناً لدماء الأبرياء من عباد الله ، وما اجدى هذا الحوار شيئاً ، وانقض كل منهما على صاحبه يتصاولان ويتجادلان، ودامت الحال بينهما الى مابعدالزوال ورجع كل الى فريقه من غير ان ينال من خصمه شيئاً ، بل كان في نفسه من صاحبه اعجاب بشجاعته وقوته ، وقال بديع الزمان: لقد طالت المبارزة بيني وبينه لاني اريد اسره لاقتله ، وقد تمكنت من قتله ثلاث مرات ، ولكني امتنعت راجيا اسره ، وطامعاً في أن يكون عونا لنا وصديقاً ، وهذا ما جعلني امهله، فشكروا له حسن عمله وكراهيته لقتل النفس الا للضرورة . وفي اليوم الثاني قامت بينهما مبارزة اعنف من الاولى . وقرر بديع الزمان على أن يكون هذا اليوم فاصلا ، وأن تكون المبارزة حاسمة ثم حمل على هارون حملة قاسية واقتلعه من سرجه وضرب به الارض ليكتفه فقال له :

مهلاً يابن حمزة ، فاني لا ارحب انَ تحط من كرامتي باسري ، واود منك احد امرين : اما ا نتقتلني . واما ان تبقيني اخا وفياً . لأكون لك الساعد الايمن في حياتك . فقال بديع الزمان : ما اردت بك شراً . ولو اردته لانتهيت منك في المبارزة الاولى . واذا سمحت انت ان يكون هذا الغريب لك صديقاً حميماً . ومعيناً مخلصاً . كنتلك من الشاكرين . فقال هارون : لقد جمعت بين الشجاعة والاحسان وكرم النفس وعلو الهمة وها انذا بين يديك ولاابغي من حياتي الا ان اكون لك اوفى صديق واكرم رفيق . ثم تعانقا وتصافحا . ومشيا الى جيش هرزان حيث قوبلا بالحفاوة . والفرح . ووضعت الموائد فأكلوا وشربوا . وجاء سليم الفلام وقص قصته على هارون فقال له :

ان عمك غشني وكذب علي . وسأرجع الى المدينة لاكتفه واسلمه الى بديع الزمان يفعل به ما يشاء . ورجع هارون الى قومه فرجد طرخان قد هرب الى ملك آخر ليستجير به . فعاد واخبر بديع الزمان بقراره فقال : حسبت هذا الحساب ، واحب ان ينتقل من اقليم الى آخر حتى اغشى تلك الاقاليم واخرج منها صديقاً وفياً لاهلها وملوكها ، وكان ما اراده بديع الزمان فقد اصبح ملوك الاقاليم

له خير الاصدقاء واقوى الاعوان ، وفي الأقليم الخامس امده الله من عنده بالخير العميم والنعمة السابغة ويسر له السبيل الى العثور على اخيه .

وذلك انه قضى اياماً في مبارزة ملكه بهران ابي الزنجير : ووجد ان هذا الملك لايؤثر في جسمه سيف ولا سنان ، فحار في امره ، لقد ضربه بالسيف غير مرة فما اثر فيه ، وضربه بالسنان مرات فما اجدى شيئاً ، ان في الامر سراً خفياً لايدرك كنهه ، فالح عليه هذا الفكر ليلاً وحرمه لذيذ النوم ، فتسلل من صيوانه الى الخلاء طالباً الهداية من رب السماء فمشى قليلاً فلاح له نور من فوق الجبل ، فمشى حتى كان عنده فوجد بابا من النحاس اللامع قد كتب عليه هذه العبارة (يا من وقف امام هذا الباب ، ان كنت بديع الزمان ابن حمزة ، فاقرا نسبك ثم ادفع هذا الباب بيدك فانه يفتح ، وستجد المارد ينتظرك ليعطيك الكنز الذي يحفظه لك، فوقف امام الباب وذكر نسبه ثم دفع الباب بيده فانفتح وسارحتى دهليزطويل وخرج منه الى مكان فسيح وبعد خطوات معدودات فوجىء بمارد طويل قد انتصب امامه ثم هوى على يده فقبلها وقال : اني في انتظارك ياسيدي منذ زمن بعيد لاعطيك نصيبك الذي وكل الي الملك بهزاد حفظه وتخلي سبيلي ، فقال بديع : ارني نصيبي حتى اخلي سبيلك ، فقاده المارد الى غرفة من الرخام الابيض فيها صناديق من النحاس المنقوش نقشا بديعا ، وفتح المارد صندوقا منها واخرج منه قباء ورداء من الذهب المرصع بالجواهر وقال : خذها ياسيدي فهذه حلة بهزاد التي كان يلبسها في المواسم والاعياد، فلبسها بديع واصبح فيها اعظم ملك وقال : هل هذه كل ما عندك لي؟ فقال : امهلني قليلاً ، ثم اخرج تاجاً مرصعاً بالجواهر وناوله اياه ثم اعطاه حذاء وسيفاً وخنجرا وبقية آلات الحرب والجلاد ، ثم اخرج له من صندوق آخر صيواناً من الحرير الاحمر منسوج بأيدي نساء الجان ، وكانت اعمدته من الذهب وفي كل عمود جوهرة تلمع كأنها الكوكب . وله كراسي من الذهب وآلة موسيقية تعزف متى اردت فقال بديع الزمان : وكيف السبيل الى عتقك ايها المارد الامين؟ فقال المارد : صبرا ياسيدي ان لك عندي اربعمائة بدلة مرصعة كانت لقوات بهزاد وعظمائه ، وسبعة صناديق مملوءة ذهبا ، وها هي

ذي فخذها ، وهذا خاتم اسري فاطبعه على جبهتي وبذلك يخلي سبيلي ، فقال بديع الزمان : لكن اريد منك شيئاً ، وذلك تنقل هذه الاشياء الى الاقليم الخامس ، فقال لك ذلك ياسيدي ، واريد ان اطلعك على امر يسرك ، قال : وما هو ؟ قال : ان بهزاد ياسيدي كان قد بنى في هذا الكنز القاصير الكثيرة ولما مات اتخذت امراة عجوز ساحرة كاهنة اسمها ديجورة احدى المقاصير مقاماً لها ، وخطفت اخاك رستم واحضرته عندها وارغمته على ان يتخذها له زوجة وهو يقاسي العذاب عندها ، وكلما طالب العودة الى دياره توعدته انتهلك اباه واهله فيلتزم السكوت .

فاغتاظ بديع الزمان وقال : اين هذه الساحرة لاقتلها ؟ فقال : مهلاً ياسيدي فلا تكن عجولا ، فانها اذا راتك اهلكتك بسحرها ، فسأذهب بك الى غرفتها وهي غافلة لاتشعر بك ، وحينئذ تضربها بسيفك ضربة قاتلة ، فقال : شكراً لك . وساعده المارد على قتلها بما دبره من تلك الخطة وماتت وخلص اخاه من يدها ، ونظر بديع الزمان الى اخيه فوجده قد حال لونه وذهبت نظرته وهزل جسمه، واراد ان يخفي نفسه من اخيه ، ووصى المارد الا يخبره انه اخوه بديع الزمان .

فرح رستم واثنى على الانسان الذي خلصه من يد الساحرة وسأله : من انت ايها الانسان الكريم ؟ فقال : انا بهزاد صاحب هذا الكنز ، وقد غبت منه مدة في بعض شؤوني ، فسكنت هذهالعجوز فيه دون إذن مني ، فجازيتها بالقتل ، ثم امر بديع المارد ان يلقي العجوز في الخلاء فرماها في مكان سحيق، وامره ان يضرب الصواوين عند الاقليم الخامس وينقل جميع الذخائر ففعل، ثم مضى هو ورستم ووضعه في صيوان من الصواوين ، اما صيوان بهزاد فتركه له ، وبقي المارد عند بديع الزمان لانه لايزال محتاجاً اليه ليحمل اخاه الى ابيه حمزة عند مدينة السبائل .

نهض ملوك الظلمات في الصباح فلم يجدوا بديع بينهم ، وارسلوا من يفتقده في الخلاء فراوا صواوين كثيرة من الحرير مضروبة وفي وسطها صيوان كبير يدل على انه لاحد الملوك العظام ، فذهبوا اليه وهم يعجبون من جماله ودقة صنعه ، ولما دنوا منه وجدوا بديع الزمان جالساً فيه على كرسي من الذهب ، وبجانبه ثمانون كرسياً فيه على كرسي من الذهب ، وبجانبه ثمانون كرسياً من العاج وهو

في حلة بهزاد . فوقفوا غارقين في ذهولهم ودهشتهم ، فناداهم قائلا : تعالوا يا اصدقائي ، فانا اخوكم بديع الزمان ابن الامير حمزة البهلوان وهذا عطاء الرحمن ، فاقبلوا اليه فرحين وجعلوا يهنئونه والبشر يلمع في وجوههم ، ثم اجلسهم وسرد عليهم قصته وقصة اخيه رستم وقال لهم : اوصيكم ان تدعوني امامه « بهزاد » لانـي لا اريد ان يعرفني قبل ان ارسله الى ابيه ، ثم احضر اخاه رستم واجلسه بين الملوك وقال : هل تعلم يارستم اين ابوك حتى ارسلك اليه ؟ فقال : لاادري ، لاني فارقته منذ مدة طويلة ، فقال : لقد سمعت انه عند مدينة السبائل يحارب ملكها الخوند ، وسارسلك اليه بعد سبعة ايام حتى يكون قوي جسمك وتعود اليك نضرتك ، فقال : جزاك الله خيراً أيها الانسان الكريم .

كان بديع الزمان لايزال في عجب من امر ملك الاقليم الخامس اذ ان السيوف لاتؤثر في جسمه ، وبينما هو يفكر ليلا وهو على فراشه في صيوانه سمع وقع اقدام فرس بجانبه ، فالتفت الى مكان الصوت فاذا به يسمع قائلا يقول : لاتخف يابديع الزمان ، فانا الخضر ، وقد عرفت ماأحزنك ، اعلم ان هذا الملك طلت جسمه ساحرة بطلاء مسحور جعل السيوف لاتؤثر فيه ، ولكنها ماتت قبل ان يطلي راسه بهذا الطلاء ، فاذا بارزته لاتضربه الا على راسه ، فحينئذ سيخضع لك ويدخل في طاعتك ، ويكون من جملة اصدقاؤك وهذا ما حصل وانتهى امره من هذا الاقليم ولكن « طرخان » هرب الى الاقليم السادس .

ومضت الايام السبعة فقال لاخيه : اتحب ان ترجع الى ابيك ؟ فقال اذا تفضلت علي فاني في شوق اليه والى اهلي ، فقال : اذا رجعت الى ابيك حمزة فقل له : ان الملك بهزاد الذي خلصني من يد الساحرة يقول لك : احفظ جميع ما غنمته من الاموال في حروبك واحفظ اليقظان جوادك ، فاني قادم اليه وسآخذها منه طوعاً اوكرها وان كذبك في هذا اوشك في قولك فقل له : اسأل حكيم العرب الوزير بزرجمهر فانه يعرف ان الملك بهزاد اقوى من حمزة واشد منه بأساً ، ثم قال : واريد الآن ان تعاهدني على الا تشهر في وجهي سلاحاً ، فعاهده رستم على ذلك ، ثم امر المارد على ان يحمله فحمله وطار به حتى وضعه قريباً من معسكر ابيه ، ثم قال له : امضي انت الى ابيك فلا خوف عليك . وكان حمزة لايزال يحاصر مدينة السبائل . ولايعرف سبلاً الى فتحها . والحزن على بديع ورستم يملأ صدره .

وراه بعض الفرسان الذين يجولون حول المعسكر فعرفوه واسرعوا اليه وسلموا عليه . ثم انطلق بعضهم الى ابيه وبشره بعودة رستم. وذاع النبأ في المعسكر فكان يموج من الفرح موج البحار . وبتوائب تواثب الامواج . ونهض حمزة الى لقائه . فاحتضنه وذرفت عيناه دموع الحنان . وبعد ان هدات عاصفة الفرح سأله ابوه عما وقع له في غيبته . فحكى له حكايته الى ان قال : وان الملك بهزاد الذي قتل ديجورة الساحرة وخلصني سياتيك وينزع منك اموالك وجوادك اليقظان وما غنمتموه فيحروبكم طوعاً او كرهاً وقال: ان لم يصدقك ابوك فقل له : اسأل الوزير الحكيم بزرجمهر فانه يعرفني ، فسال حمزة الوزير فقال: ان ما قاله حق لامرية فيه، فغضب حمزة وقال: لو لم تكن رجلاً جليلاً ولك منزلة في نفوسنا لغضب عليك . واني لاستحق الغضب ان لم يكن قولي حقاً ، واني ساعتزل ديوانكم حتى يتبين لكم ان بهزاد اقدر منكم واقوى سلطانا ، وانه مثلك شرفاً ونسباً .

وخرج الوزير بزرجمهر واعتكف في صيوانه . وكان الملك والامراء في الم شديد لان حمزة اغضب رجلا له فضل عظيم على العرب بما افادهم من تدبيره وحكمته ومعونته لهم مدة حياته . ولكنهم سكتوا حتى لا يشتد غضب حمزة ويعظم الامر ويستفحل .

انعقد مجلس العرب في الصباح عند الملك سعد كعادته ، ودخل عليه بلكان الهطال يبكي ، فسألوه عن ذلك فقال : ذهبت الى بهران لاجيء به الى المجلس فوجدته جثة هامدة لا راس لها ، وما عرفت من قتله . ولكن الظن يتجه الى قاسم بن رستم لانه كثيراً ما هدده وتوعده بالقتل .

فقال الامير حمزة : لابد من قتل قاسم لاريح العرب منه ، فاني ما رايت منه الا الشر ، وقد كان السبب في رغبة عمه بديع الزمان ، فقال الملك : يا جدي لا تعجل بقتل قاسم حتى نتبين الامر ، فربما ظهرت براءته بعد قتله فلا ينفعنا الندم فقال : الامر واضح : وهل نزل ملك من السماء قتله ؟ وهل في العرب من يثير الفساد ويجري وراء الشر غيره ؟ ثم نادى الذئب وامره ان يأخذه ليقتله . فاقبل الذئب وكتفه ، وقاسم يستغيث ويحلف الايمان انه لم يمد اليه يده بسوء ، ودخل عمر العيار اذ ذاك وفهم الامر . فضرب الذئب بيده على صدره وقال له : اترك قاسم وفك قيده ، ثم التفت الى

حمزة وقال : الى متى هـذه الاخطاء التي ستؤدي بـك ؟ بالامس اغضبت الوزير بزرجمهر الذي عالجك وشفاك وانقذك من الموت غير مرة ، والذي لولاه لكان العرب قد هلكوا جميعاً ، واليوم تريـد أن تقتل ابن رستم ظلماً وعدواناً ، الم يأن لك ان تهدأ وتلزم الحـزم والحكمة في أمرك ؟ هذا راس بهران ، وهذا راس قاتله ، واخرجهما من جرابه ووضعهما في المجلس بين يدي الامير حمزة ، فنظر اليهما ملياً ولم ينطق بكلمة .

وكان عمر العيار جريئاً في مخاطبة اخيه حمزة ولأيلومه على شيء من جراته ، فعجب الحاضرون فقالوا : وكيف كان هذا ياعمر ؟ فقال: قتله عيار عياري الخوند، وكان قد امر بختكان ان يقتل الامير حمزة، فتسلل الى معسكر العرب وقتل بهران وقطع راسه وقتلته وفصلت راسه وجئتكم به ولولا حضوري الان لنفذ امر حمزة وقتل ابنة ، ثم التفت اليه وقال : قم الان الى صيوان الوزير بزرجمهر واعتذر اليه وصالحه وارجع به الى مجلسنا ، فقال حمزة : ذلك حق يا عمر ، ولابد من الاستجابة اليه ثم نهض وذهب بصحبه الامراء وذهبوا الى صيوان الوزير ، فلما رآهم قادمين عرف غرضهم فخرج واستقبلهم ، وقبل الامير حمزة يده واعتذر اليه وسأله ان يعفو عنه ، فقال الوزير: لقد غفرت لك قبل ان اغادر الصيوان ، لاني احبك محبة اولادي ، وما فارقتكم الا امتثالا لامرك ، وان كنت تريد ان اعود اليكم عـدت طائعا راضيا ، فلم ينطق حمزه بكلمة ، وقال الامراء . هيا لنعـود الى مجلسنا فسار معهم واخذ مجلسه بينهم وباشر عمله فيهم كمـا كـان .

انتظر بديع الزمان حتى رجع اليه المارد واخبره ان اخاه قد وصل الى ابيه ، فطبع جبهته بالخاتم ليخلى سبيله ، ففرح المارد فرحـا عظيما وقال : اشكر لك أيها السـيد الكريم كرم نفسك ، اذ اطلقتني وربما كنت في حاجة الى خدمتي ، ولو كان غيرك لآثر اطماعه علـى اخلاء سبيلي ، وتقديراً مني لكرم نفسك فاني احب ان اكون تحـت امرك ، فدلني على مكان اجيئك فيه لاقضي لك ماتريـد ، فقـال : شكراً لك ؛ لسـت الآن في حاجة اليك ، ولكن اريد أن تأتيني عنـد

مدينة السبائل بعد ان ارجع اليها ، فقال : سمعا وطاعة وودعه وانصرف. ثم امر بديع الزمان بالرحيل الى الاقليم السادس للقبض على « طرخان » .

وكان طرخان قد هرب الى اسحق ملك الاقليم السادس. وكان معروفا بالعقل النافذة ، والراي السديد، ولهذا اتخذه ملوك الظلمات قاضياً لهم فيما يعرض من الشؤون ، وكان مسموع الكلمة نافذ الحكم فلما جاءه طرخان وحكى له ماحكاه للملوك السابقين من عدوان ابن اخيه ووزيره وافساد بديع الزمان وظلمه ، وطلب منه ان يجيره فقال له ، ان كنت على حق فيما تقول نصرناك واجرناك ، وان كنت كاذباً جازيناك ، ولننتظر حتى يأتي ابن اخيك والوزير وبديع الزمان ونتبين الامر ، ونعرف ان كنت ظالماً او مظلوماً كما تقول ما طلبت اخلاء سبيلك في الوقت الذي وعدتك فيه بمعونتك ما دمت مظلوماً. ويبدو لي من طلبك هذا كذبك ، وتريد أن تخدعني وتغشني ، كما خدعت الملوك من قبلي ، ولهذا فاني لا اخلى سبيلك حتى انظر في امرك بعد ان يحضر خصومك ، وامر رجاله أن يحبسوه عندهم ويحافظوا عليه ويكرموه لانه لا يزال بريئاً حتى يثبت ذنبه .

وسار ملوك الاقاليم وجنودهم يتقدمهم بديع الزمان في حلته الملوكية الجديدة : وامر ان يضرب الخيام وينزلوا في الخلاء فلما استقروا وجدوا ان اهل المدينة يأتونهم ويختلطون بهم ، وعرفوا ان الملك يحب السلم والحزم في الامور ، وانه لايرغب في القتال ، فقال بديع الزمان ارى أن نرسل اليه كتابا لطيفاً نبين فيه اننا لانبغي حربا ، وما أردنا الا الحق والعدل ، فان احب ما احببناه ذهبنا الى ديوانه واجتمعنا به ونظرنا في الامر نظره الحق ، فقال الملوك : حسناً رايت ، وكتب اليه بديع الزمان كتابا بين فيه ظلم ذلك العم الهارب وعدوانه وغشه وكذبه ، وانهم يريدون على قدمهم الا دفع الظلم ومعاقبة ظالم . ولهذا اردنا ان نلقي هذه المسألة بين يديك ونحن راضون بما تحكم به فينا والسلام .

بعث بهذا الكتاب رسولا من خدم الملوك ، فوجد الرسول الملك خارجاً من باب مدينته في جماعة من اعيانها وكبرائها فناوله الكتاب

فلما قرأه قال : ان بديع الزمان من أوفر الناس عقلا واكرمهم نفساً وأن رسالته هذه لتحملنا على محبته ، ثم قال للرسول : عد الى بديع الزمان وبلغه اننا قادمون اليه في اثـرك ، فرجع الرسـول وبلغـه رسالته ، فنهض بديع الزمان والملوك وخرجوا من الصيوان لاستقباله ، وبعد قليل وصل اليهم فاستقبلوه ودخلوا به الى الصيوان فهالـه ما فيه من الكرسي وعمد الذهب ، وعظم بديـع الزمان في عينـه ، فتقدم بديع الزمان اليه ليجلسه على كرسيه الخاص في صدر المجلس فامتنع اسحق فالح عليه بديع الزمان قائلا انك سيدنا الحاكم فينا ، ولك حق التقدم علينا لاننا نعتبرك سيداً وسنداً تتطأطأ الرؤوس بين يديـك .

فاعجبه كلامه وزادت محبته في نفسـه وقال : ان الله حباك بهذه العزة والسعادة ، فانعم بفضل الله عليك واجلس على كرسيك ، ولو استطعنا ان نجعل من قلوبنا مجلساً لك لفعلنا ونحن فرحون بـك وبقدومك الميمون .

وبعد ان انعقد المجلس قال بديع الزمان : اننا لانريد شرا لاحـد من عباد الله ، وهذا الغلام له ظلامته سيذكرها لتنظر بها ، ومانريد الا الحق سواء اكان له ام عليه ، فقال : هذا جميل ، فما ظلامتك ايها الغلام .

فقص عليه قصته وظلم عمه وعدوانه وقتله امه ـ لانه كان قـد هجم على ابن اخيه بخنجره فحالت امه دونه وجاءت الطعنة اليهـا فماتت ـ ولما اتم كلامه قال اسحق : لله در بديع الزمان فهو نصير الحق ، ولايحب الكذب والخديعة ، وهو اعقل رجل رايته في حياتي ، فقد استطاع ان يجمع الملوك اليه دون ان يريق قطره من دم ، وقـد بان لي وجه الحق ، ولكني ارجيء الحكم حتى يقف طرخان موقف المحاكمة ، فربما كان عنده من الحجج ما يدافع به عن نفسه ، فقال بديع الزمان ، لاينسى السيد العظيم انه قتل ام هـذا الغلام وان القتل يستوجب القصاص ، ومع هـذا فاني سأجعله يثبت عـلى نفسه ما قاله الغلام ، وتكون البينة عليه ماتراه منه في المجلس ، ثم

اتفقوا على ان يذهبوا في الغد الى ديوان الملك اسحق في مدينته لمحاكمة طرخان الخائن القاتل .

وفي الغد ذهبوا اليه ، واحسن لقاءهم واكرم نزولهم ثم احضر طرخان فقال له بديع لزمان :

لماذا هربت من وجهي واتعبت الملوك ؟ فلو انك جئتني من اول الامر لاعدتك الى الملك لانك رجل عاقل والاقليم في حاجة الى رجل مثلك .

فقال طرخان : ظننت انك تنتصر لابن اخي فهربت من وجهك فقال : لو كنت انتصر لسليم ابن اخيك لرجعت معه ووليته الملك وما كنت في حاجة الى ان اسير وراءك ، ولكني رغبت فيك وفي حداقتك، فقبضت على الغلام وجريت خلفك لاجعله خاضعاً لك ومطيعاً، ولتكون انت من رجالي الذين اعتمد عليهم في شدتي ، والحمد لله الذي سر لي لقاءك ، وقد اعدتك الى الملك فكن مطمئناً ، ونحب ان تكون لنا عونا .

فقال طرخان : شكراً لك ياسيدي ، فتلك نعمة كبرى اسبغتها على اذا اعدت الي الملك، ولكن اخاف ان يكون ابن اخي مصدر المتاعب والقلاقل ، فلا يجعلني اطمئن في الملك يوماً لكثرة ما يشكو ويستجير ويستنجده ، فقال : الحق بيدك ، الآن افضل ان نقتله ونريحك ونريح الناس منه ، فخذ هذا الخنجر واقتله حتى ننتهي الامر ويصفو الجو ويستقر الامن والسلام .

فاسرع اليه واخذ منه الخنجر ومضى الى سليم ابن اخيه لقتله، فنهض الملك اسحق وامسكه وجره من عنقه . قال :

ويل لك ايها الظالم الخائن ، لقد صدقت بعملك هذا ما قيل فيك ، وعلى كل فقد قتلت ام الغلام بغير حق ، وكنت تريد قتل ابنها الآن لولا ان منعناك ولهذا فقد حكمنا عليك بالاعدام .

فقام بديع الزمان وجره الى خارج الصيوان وضربه بسيفه فشقه نصفين واقام الملوك الغلام ملكا على الاقليم الاول خلفاً لابيه وكان نصر الله لعباده المظلومين نصراً عزيزاً .

فقال الملك اسحق لبديع الزمان لقد وزعت في قلوبنا محبتك واهنئك بانك سيد الاقاليم وفارسها ، فان شئت الاقامة فينا فنحن اخوان لك ، وان اردت الرحيل الى بلادك فنحن اخوان لك ايضاً ، فاننا من قوم جبلوا على فعل الخير ، واغاثة المظلوم ، وحماية الضعيف ، ومثلك من يتخذ ملاذاً وسنداً .

وحكى لهم بديع الزمان حكايته مع ابيه وما جرى حتى اجتمع بهم وقال : واني اريد ان ترجعوا معي الى ابي لاني ابغى ان احاربه باسم الملك بهزاد لامر في نفسي ابغيه ، فقالوا : نحن معك اينما حللت فقال : ليكن رحيلنا بعد يومين ، فأعلنوا ذلك في جنودهم ، وفي اليوم الموعود بدأ سيرهم ، وكانوا يسيرون بالنهار وينامون بالليل حتى اعترضهم سد في طريقهم عالي البناء كأنه الجبل ، فامر اسحق ان تنزل الجنود امامه حتى يأتي الله بالفرج ، ونام بديع الزمان ليلتين الليالي وكانوا قد يأسوا وفكروا في ان يعودوا فرأى الخضر عليه السلام يقول له : انهض من نومك يابديع الزمان ، فانا الخضر رسول الفرج ، فانتبه من نومه يبحث عنه فقال له خذ هذه الورقة والزم مكانك ، واذا صحوت في الصباح فاجمع الملوك وقل لهم : ان الذي يرفع هذا السد نحلف له يمين الولاء والطاعة ، ويكون ملكنا والحاكم علينا ، وستكون الطاعة لك يابديع الزمان ، فاذا اقسموا فمرهم بالركوب ثم ضع هذه الورقة في كفك وارفع السد فانه يرتفع في يدك بقوة الله تعالى ، ثم اختفى .

وفي الصباح جمعهم وعرض عليهم ان يحلفوا اليمين ، ويجعلوا الملك عليهم لمن يرفع السد ، فقال اسحق : نحن عاهدناك ان تكون ملكنا ولا مانع من تأكيد ذلك اليمين وحلف له اولا ، ثم حلف بقية الملوك والقواد ، وبعد هذا امرهم بالركوب والاستعداد للمسير ففعلوا . ووقف هو امام السد ودعا الله ان يرفعه ، ثم مد يده اليه والورقة في كفه ، فارتفع عن الارض مقدار ثلاثة امتار او ازيد فمر الجيش كله ثم مر بديع الزمان وهو رافع السد بيده ولما خرج من تحته ورفع يده عاد السد كما كان واحدث ضجة زلزلت لها الارض وكان هذا

من عوامل احترام بديع الزمان والاستمساك بطاعته اذ وجدوه مؤيداً من الله بالمعونة والرعاية . ثم استمروا سائرين حتى وصلوا الى ارض السبائل ، فضربوا خيامهم فيها وكانوا لاينادونه الا باسم بهزاد كما اوصاهم ، وقد بث الامير حمزة الذئب ليعرف لمن هذا الجيش ؟ فذهب اليه ثم رجع وقال هذا جيش بهزاد ملك الظلمات وقد جاء ليحاربك ، فتذكروا قول الوزير بزرجمهر فقال الأمير حمزة : وكيف يكون اشرف الملوك وليس هو من العرب ؟ فقال الوزير : لان نسبه يتصل بنوح عليه السلام ، وهو وجيشه مؤمنون وقد منحه الله التأييد والرعاية ، فقال الامير حمزة : ماداموا مؤمنون فلن نجرد في وجوههم سيفاً ، ولكن اصراره على اخذ اموالنا وما ملكت ايدينا سيضطرنا الى ذلك .

وقد ظن الخوند أن بهزاد اتى الى معونته ، وكان قد عرفه عياروه ، فأمر الجنود ان تضرب خيامها بظاهر المدينة استعداداً للقتال ، ورأوا بعد هذا شرذمة من الفرسان قادمة من خلف المدينة ، وضربت خيامها بين جيش الخوند وجيش بهزاد ، ولكنا لم نعرف لمن هذا الجيش الصغير ؟ فقال الذئب : سآتيك بخبره حالا ، وانطلق الى قائده وقال : اني رسول الامير حمزة وقد بعثني لاعرف من أنت ؟

فقال : لست فارساً ولكني فتاة ، وهؤلاء جميعهم بنات تلبس ملابس الفرسان ، واسمي سرخابة ، وامي قاطر ، وابي يسمى الخوند في بلاده وقد اتصل بنا خبر العرب وما هم عليه من الشجاعة والاقدام والنخوة والمروءة ، فاحببنا ان نرى قتالهم مع الخوند ملك السبائل ، وجئنا لنكون في حماية الامير حمزة وتحت امره ، فقال لها : اطمئني فلن يجسر احد ان يتعرض اليكن بسوء .

وقد شك بديع الزمان في هذا الجيش الصغير ايضاً ، وعرف رسوله الحقيقة كما عرفها رسول الامير حمزة ، فوعدهن الحماية والصون والاطمئنان . ولما رجع اليه عرض عليه ان يتزوج الفتاة القائد فقال : ذلك ما سيكون ولنتركه الى حينه ، ثم كتب الى ابيه يقول :

بسم الله العزيز القدير الذي لاتخفي عليه خافية ، والذي ينصر المظلوم ، ويكبت الظالم ، ويشفي المريض ، ويرد الغريب الى وطنه .

« بهزاد ملك بلاد الظلمات الى الامير حمزة سيد الفرسان ، لقد سمعت في بلادي انك قد هدمت تخت كسرى ، وغنمت كثيراً من الاموال ، وملكت اليقظان ، وقد جئتك لانزع ما ملكت يمينك ، فاذا اعطيته رجعت دون اشهر سيفاً او اريق دماً ، وان ابيت فقد وقعت بنفسك الى الذلة والهوان ، ولاتغرنك كثرة الجنود ، فاني بعون الله قادر ان افنيكم وحدي، واني لااضمر في نفسي لك الاكل تجلة ورفعة واتمنى لك علو الكعب وسمو المنزلة . ولهذا اود ان تبعث الي بما طلبته منك ولاترغمني على قتالك والسلام . »

واخذ الملك بهزاد الكتاب ومضي به الى حمزة لانه احب ان يرى العرب واحوالهم ، فلما قدم اليهم قال : اني رسول بهزاد الى الامير حمزة . فأخذوه الى الملك سعد فناوله الكتاب . ثم امر الملك ان يجلوه ويكرموه ، وقرأ الكتاب على الحاضرين . فغضب الامير حمزة وقال : لقد ظن بهزاد أن حمزة كغيره من الفرسان . ان دون ما يطلبه قطع الرقاب . وستريه الأيام ما يجهله فقال الملك سعد : مهلا يا جدي . ا الملك بهزاد بلغنا في رسالته ما يريده . وهو ملك عظيم . ومن الواجب أن تكتب اليه بما تشاء كما كتب الينا ويفعل الله بعد ذلك ما يريد . فقال حمزة : اكتب ما شئت ولاتلن في القول . وطلب اليه أن نلتقي غداً في ساحة القتال . فكتب اليه :

« من الامير حمزة فارس الحجاز . ورافع شأن العرب ودين الحق . ومذل الجبابرة . الى الملك بهزاد صاحب بلاد الظلمات .

لقد طلبت في رسالتك ما احرزته وجمعته من الاموال وقلت انك ماجئت من بلادك البعيدة الامن اجلها . فكان عجبا أن تجمع الجنود وتلقى المتاعب من أجل مال عندك منه اضعاف مضاعفة ، وهل من عظمة الملوك ان يسوقهم الطمع الى طلب مافي ايدي غيرهم وهم في غير حاجة اليه ؟ كان ذلك موقفك من نفسك ، وسترى غداً في ساحة القتال موقفك مني والسلام » .

ثم اخذ بهران الكتاب ورجع الى بديع الزمان فلما قرأ الكتاب التفت الى الملوك وقال : لاتظنوا اني جئت بكم للحرب والقتال ، فاني لن اريق دم احد منكم ولا منهم ، ولن ينزل ساحة القتال احد غيري لأمر اردته في نفسي فقالوا : افعل ما تشاء فنحن طوع يمينك .

اما حمزة فانه قال بعد ان خرج بهران بكتابه : يخيل الي ان حرباً طاحنة ستقوم بيننا وبين الملك بهزاد ، وقد رغبت في مبارزته لاخفف وطأتها بقتله ، فتنافس الامراء في مبارزته وكل منهم يطلبها لنفسه، وان يكون اول من يبارز الملك بهزاد ، وما سكتوا حتى اشار حمزة عليهم بالقرعة ، ثم قال لاخيه عمر اذهب الى معسكر بهزاد وتبين احوالهم، واعرف من بهزاد اهو ينوي ان تكون الحرب حملة بالجنود، ام ينوي ان تكون مبارزة بين الفرسان ؟ وعد الينا سريعاً .

فانتظر عمر حتى مضى من الليل اكثره ، ثم تنكر ودخل معسكر بهزاد وجعل يطوف هنا وهناك وهو في عجب من انهم ينامون مطمئنين وليس بينهم من يحرسهم ، وعلل ذلك بأنهم قوم لايعرفون الغدر والخيانة ، ويحسبون ان غيرهم من الناس مثلهم في ذلك ، ثم ظهر فجأة رجل من خلفه وامسكه ومضى به الى الصيوان ، وعجب عمر ان كان هذا الرجل بهزاد، وانه عرفه وانه يقوم هو بنفسه بالتحسس والحراسة وجنده ينامون مطمئنين ، ثم قال الملك : ويل لك ياعمر، ظننت ان الملك بهزاد لايعرف مكرك واحتيالك فاقتحمت معسكره للتجسس ، وربما اضمرت له الغدر ، ولكني لن اعاملك بما تستحق ، وسأسبغ عليك نعمتي حتى ترضى ، فهل تقبل ان اعطيك الف دينار على الا تدخل معسكري متنكراً ، والا تسطو علي ولا على احد من اتباعي او اقتلك الساعة واستريح منك ؟ فقال عمر : كيف لا اقبل منك تلك المنة وقد تبين لي انك ملك كريم اذ رغبت في اخلاء سبيلي واعطيتني هذا المال الجزيل ، واني اقسم لك بأني لا اسطو عليك ولا اضمر لك شراً : فأعطاه الف دينار والبسه ثوباً من ثياب الكنز مرصعاً بالذهب واعتقه . فرجع الى عمر مسروراً وهو في عجب من حلمه وكرمه ، ودخل على اخيه وقص عليه ما حصل . وذكر له انه يعرف كل صغيرة وكبيرة فعلتها ، وانه منحه المال والثوب ،

ثم عاهده على الا يسطو عليه ولا يضمر له شراً ، فقال الامير حمزة : يبدو لي انه كريم النفس نقي الطوية لايضمر شراً لاحد ، فلا تطرق معسكره بعد ذلك ، فاني لا احب ان يكون اكرمنا ولا اكثر وفاء .

وارسل بديع الزمان الى ابيه يقول : ان ابغض الأشياء عندي ان تراق الدماء وتقتل الانفس ، ولا احب ان يقتل احد منكم ومنا ، ولهذا فلقد رايت ان يكون القتال بيننا مبارزة ، وموعدي معكم صبيحة الغد ، فاقترع الامراء وبات من يبارز بهزاد غداً عارفاً نفسه.

ولما جاء الغد وبدات المبارزة واستمرت الى الزوال وقد اسر بديع الزمان ثلاثة من الفرسان ، ثم رجع الى صيوانه وجلس على كرسيه ومن حوله ملوك بلاد الظلمات ، فقال علي بالاسرى فلما حضروا بين يديه امر ان تفك قيودهم وان يجلسوا ويطعموا ، ثم البس كلا منهم ثوباً من ثياب الكنز وقال لهم : اريد ان تحلفوا لي انكم لا تقاتلونني مرة ثانية . فحلفوا له . ثم اخلى سبيلهم وامرهم ان يعودوا الى معسكرهم فودعوه وانصرفوا وهم في عجب عظيم مما فعله معهم . وهناك قصوا على الامير حمزة والامراء ما فعله معهم فاندهشوا وحاروا ولم يعرفوا غرضه من ذلك العمل ولا ما يريده .

وفي اليوم الثاني برز بديع الزمان الى الساحة فبرز اليه قاسم بن رستم دون أن يجيء دوره ولما دنا منه جعل يسبه ويشتمه فقال له بديع الزمان من انت ؟ والى من تنتسب من العرب ؟ فاني اراك سفيها كان بك مساً من الجنون ، فقال قاسم : وماذا يعنيك من معرفتي ؟ انا الذي سأقتلك واجعلك عبرة لغيرك ثم زاد في سبه وشتمه وحمل عليه فتلقاه بديع الزمان واخذ يجالده حتى ارهقه . ثم اقتلعه من سرج جواده ومضي به الى جماعته . فأخذوه منه وقيدوه ، ولما جلس واستراح امر ان يحضر اليه. فلما حضر امر الخدم ان يضربوه ثلاثين جلدة . فضربوه واوجعوه ، ثم امر ان يفك قيده ، وقال بهزاد المجانين لولا انه ابن حمزة لقتلته ، لانه قذر اللسان ، يجهل نفسه ويعتدي على اقدار غيره ، فذهب بهران الى ابيه وكان في غيظ الم من قاسم لانه خرج للمبارزة دون استئذان فلما بلغه رسالة

بهزاد زاد غضبه والتفت الى ابنه وقال : ليته قتلك ، فقد اخذلتنا وحططت من قدرنا ، وهنيئاً لك ثوب الجلد الذي منحك اياه .

فقال قاسم : والله يا ابي لولا جواده الذي يركبه لقتلته والايام بيني وبينه ، فضحك الامير وجماعته وقال : شفاك الله يابني .

انفض مجلس العرب وذهب كل الى صيوانه ، وبعد قليل ذهب قاسم الى عمر العيار ورجا منه ان لايسرق جواد الملك بهزاد ، فقال ذلك محال ، لاني اقسمت له الا اسطو عليه ، فقال قاسم : ولن تحنث في يمينك لانك ستسطو على جواده لا على الملك ، وما زال قاسم يتدلل اليه حتى وعده بسرقة الجواد .

لم يخرج بديع الزمان للمبارزة بعد هذين اليومين ، وشغله التفكير في زواجه من سرخانة بنت قاطرة ، لان بهران لاينفك يلح عليه ويرغبه به ، حتى اذا راقت في عينيه واطمأنت اليها نفسه تزوجها .

ولما جاء الليل وهجع الناس ذهب وحده الى معسكر سرخانة فوجد البنات غارقات في نوم عميق ، وعرف صيوان سرخانة من بين الصواوين فدخله يسترق الخطا حتى صار امام سريرها ، فمد يده ورفع غطاء السرير فوجدها نائمة وعليها سترة تغطيها فاعجبه جمالها وارخى غطاء السرير وهم ان يخرج فرأى افعى تمشي على عمود السرير ، فاسرع الى خنجره وغرزه في جسمها فنفذ منه الى عمود السرير وسكن فيه ، ومشى حتى وصل الى صيوانه ونام وهو موقن انها ستقوم في الصباح وتجد الافعى والخنجر مغروزاً في عمود سريرها ، فتعرف ان احدا فعل هذا وهي نائمة ، وتحاول البحث عنه لتشكره .

استيقظت سرخانة ونزلت عن سريرها فحانت منها التفاتة فرأت الافعى مدلاة على العمود ميتة والخنجر تمسكها ، فنزعت الخنجر فسقطت الافعى على الارض فقالت : لقد دخل صيواني الليلة رجل وقتل الافعى وهذا خنجره ، ولكنه لم يمسسني ولم يوقظني ، ولا بد أن يكون سيدا من العرب ، فالخنجر مرصع بالذهب وليس في معسكري خنجر مثله فلا بد لي ان اعرفه .

فكتبت الى الامير حمزة تعلمه بالحادث وطلبت اليه ان يرسل اليها ذلك الرجل النبيل الذي قتل الافعى لتكافئه ، على ان يكون معه قراب الخنجر الذي تركه، فلما قرا الامير كتاب سرخانة اخفى قاسم خنجره وابدى قرابه فارغاً وقال : انا الذي قتلت لافعى : واهذا قرابي فارغاً من خنجره ، فاغتاظ جده وقال له : اذهب اليها لتكافئك .

لبس قاسم احسن ما عنده وتطيب ومضى الى معسكر البنات ودخل صيوان سرخانة فاستقبلته واكرمته وسألته عن اسمه فقال: قاسم ابن رستم بن حمزة البهلوان ، فقالت هل انت الذي قتلت الافعى ونجيتني من الموت ؟ قال : نعم فعلت ذلك وانت نائمة، فقالت: ضع هذا الخنجر في قرابه امامي فاخذه منها وحاول ان يدخله في القراب فلم يستطع فقالت: أعطني الخنجر ياقاسم ، فناولها اياه ، ثم قالت ارجع : الى جدك فما أنت بصاحب المعروف : فقال : انني صاحبه، فقالت : سأنظر في أمرك في وقت آخر، مع السلامة، فخرج مغتاظاً وقال في نفسه : لابد ان اقنعها بأني صاحب المعروف .

كتبت سرخانة الى الامير كتاباً تلومه ، لان ابنه كذب عليها وادعى بانه هو الذي قتل الافعى ، فزاد غيظه من قاسم وصار يعنفه وقاسم لايزال مصراً على انه صاحب المعروف .

عرفت سرخانة ان الذي جاءها ليلاً ليس من رجال حمزة ، فظنت انه من رجال الملك بهزاد ، فكتبت اليه وقصت عليه القصة وطلبت منه ان يأتيها بالرجل الذي قتل الافعى ومعه قراب خنجره الذي تركه ، فلما قرا الملك بهزاد الكتاب احضر اليه بهران واطلعه على ما حصل وقال له : خذ قراب الخنجر معك ، وعرفها انني صاحب هذا المعروف ، ثم ائتني بخنجري .

ذهب بهران ولما وصل اليها اكرمت لقاءه وظنت انه صاحب الحادثة فقالت : انت الذي قتلت الافعى ؟ فقال : لا ياسيدي ، ان الذي قتلها سيدي بهزاد ملك بلاد الظلمات ، وقد جاء لزيارتك فوجدك

نائمة ، ولم يشأ ان يوقظك ورأى الافعى تنساب على عمود السرير فقتلها بخنجره وتركه مغروزاً في العمود، فقال : ها هو، وناولها اياه، فوضعت الخنجر فيه فوجدته قرابه الذي صنع له ، فقالت ما صنع هذا القراب الا لهذا الخنجر ، فشكراً لسيدك ، ولولاه لكنت الآن جثة هامدة ، فبماذا اكافئه ؟ فقال : انه في غير حاجة الى المال والجواهر ، وهو الآن اعظم ملك واكرم رجل ، فبماذا تكافئيه يا سرخانة ؟ الا تجدين لديك مكافأة تليق به وهو جدير بها ؟ فقالت: لا اجد شيئاً لانه فوق ما اجد ، فقال : ولكني اجد شيئاً يسرك ويسره .

فقالت : دلني عليه حتى افعله ولك مني الشكر الجزيل ، فقال : انه بين جوانح صدرك وعلى لسانك ، فقالت : صرح عما تريد فاني فاعلته ما دمت قادرة عليه ، فقال : ان تكوني له زوجة ، فابتسمت واشرق وجهها وقالت : رضيت به ، فقال : سأعرض عليه الامر وارجو ان اعود اليك بالبشرى .

ثم ودعها بهران واخذ الخنجر وانصرف الى الملك بهزاد وقص عليه الحديث برمته، فقال بهران : لامانع لدي من الزواج منها، ورضي أن يتزوج ويتفقا على موعد العقد، وعلى أن يتخير الفرسان من يريدون من البنات اللائي معها ، فعليك ان تتصل بها وتتفقا على موعد العقد، وعلى ان يتخير الفرسان زوجاتهم من بناتها ، فرجع بهران اليها وبشرها بما رغبت وتمنت ، وعرض عليها زواج الفرسان من البنات فقالت : ذلك ما اتمناه ، واتفقت على ان يكون موعد الزواج بعد ثلاثة ايام ، كما رضيت ان يدخلن في دين الايمان بعد ما يتبين لها مما وجدت انه الحق ، ثم رجع بهران يحمل منها كثيراً من الهدايا ، واخبره بما حصل ، فقال بديع الزمان : اذهب الان الى الامير حمزة وقل له : ان الملك بهزاد عزم على ان يتزوج سرخانة ، كما سيتزوج الفرسان من جيشه جميع البنات اللائي معها ، لانهن دخلن في دين الايمان ، فابعث اليه الوزير بزرجمهر لتولي عقد الزواج .

فذهب بهران ودخل مجلس العرب وبلغ الامير الرسالة فقال : وكيف ابعث وزيري لعدو يحاربني ويروم اخذ اموالي ؟ ان هذا الملك اوقعني في حيرة من امره ، فهو مصر على اخذ اموالي ، ثم هو يأسر فرساني ويردهم الينا وقد انعم عليهم واكرمهم ، ثم يمنع القتال الا ان يكون مبارزة ! ! فلست ادري هذا الملك عدواً لي ام صديق ، فارجع اليه وبلغه اني لست راضياً بارسال الوزير فقال الملك سعد كيف تمنع القاضي ان يؤدي عملا دينياً اليس ذلك يغضب الله ؟ وقد علمت ان بهزاد ملك عاقل حكيم يحب الناس ويكره ان تراق دماؤهم ، فما علينا الا ارسال الوزير ، ومالحال بيننا وبينه كما هو حتى يقضي الله فيه امره ، فمن العدل والمروءة ان ترسله ، فقال الامير : الامر للوزير ، فان رضي ان يذهب اليه فلا مانع عندي ، فقال بزرجمهر : وكيف لا ارضى وهذا عمل ديني يرضى الله عنه ، وفيه تمكين للدين الايمان في نفوس جميع من البنات لايستهان بشانهن ، وان امتناعي عن المضي اليه لاجزاء له الا نار جهنم ، لانه قد يكون سبباً في ترك الايمان وعودتهن الى كفرهن : فاني ذاهب اليه اذا امرتني ، فقال الامير الحق معك وقد كنت مخطئاً ، فاذهب مصحوبا برعاية الله وتوفيقه .

سار الوزير وبهران الى معسكر بهزاد فاستقبله هو والملوك ، ورجال ديوانه واقام فيهم معززاً مكرماً ، وفي اليوم الموعود ذهب بهزاد والوزير وملوك الظلمات الى معسكر البنات فوجد الارض مفروشة بالازهار وصيوان العروس مكلل بالورد وانواع الزهر فجلسوا فيه وهي جالسة معهم في ناحية منه ، ومن حولها جواريها وبعض بناتها ، فسألها الوزير هل رضيت بالزواج من الملك بهزاد ؟ فاشارت براسها اشارة القبول ، وابرم الوزير العقد وشربوا شرابه .

وبعد ذلك سأل بهزاد زوجته ان تذهب البنات الى معسكره ليختار كل فارس منهم من تعجبه فيتزوجها ، فامرت في الحال ان تنقل الخيام الى معسكر زوجها الملك بهزاد ، وما مضى غير قليل حتى كانت خيامهن مضروبة هناك ، وكن قد لبسن ثياب النساء ، وما مضى اكثر من يومين حتى اختار كل فارس زوجته ، وابرم الوزير عقدها

واقيمت الولائم وعمت الافراح وفي تلك الاثناء تسلل عمر العيار وسرق جواد بهزاد وسلمه الى قاسم ، ففرح به وعزم ان يبارزه على هذا الجواد ويقتله ، وفي صبيحة اليوم الذي سرق الجواد في ليلته ودخل الخادم على بهزاد وقال : ذهبت اليوم لاطعم الجواد فما وجدته ، فادرك بديع الزمان ان عمر العيار سرقه ، فامر في الحال ان تدق طبول المبارزة والكفاح ، وركب جواد غيره وانطلق به يجري الى الميدان ، فبرز اليه قاسم على جواده الذي سرقه عمر ، فلما رآه بديع الزمان ونوى ان يقتل من تحته ، حتى يقع قاسماً فيه، وبخط من قدره لسرقة الجواد ، ثم جال بهزاد بقاسم جولات وطعن الجواد برمحه ، فسقط قتيلا واسرع الى قاسم فهجم عليه وامسكه وكتفه ورجع الى معسكره وقال : يكفيني اليوم هذا الاسير ، وامر ان يضرب بالسياط حتى يسيل دمه ، فجعلوا يضربونه حتى اشفق هو عليه ، وامرهم ان يكفوا عن ضربه وان يأخذه بهران الى حمزة ويقول له : صعب علينا ضربه ولكن قذارة لسانه وضعف عقله وخبث نفسه ساقته الى ما نزل به فامنعه من المبارزة ، وان لم يكن عندك فرسان غيره فأعطنا ماعندك من الاموال والذخائر وبذلك يكون السلام .

وصل بهران الى قاسم وبلغه ما قال بهزاد . فقال الامير : اما الاموال والذخائر فدونها حرب الرقاب ، واما الفرسان فعندنا منهم من يبارزون مردة الجان ، واما قاسم فانه برز اليه دون علمنا وساعده على ذلك عمر العيار الذي سرق الجواد ، واخجلنا من سيلك الذي ما راينا منه الا الخير ، فقد اطلق الاسرى ومنحهم الثياب الغالية اما قاسم فقد منحه ثوباً من دمه ، وفي رايي انه يستحقه ، ثم التفت الى قاسم وقال : وان برزت اليه مرة اخرى قتلك ، وليتني قيدتك وشددتك بالاوتاد كما تشد الجمال ، فسكت قاسم ولم يتكلم .

وجاء دور الامير حمزة ونزل الميدان ليبارز ابنه بديع الزمان وهو لايعرفه ولكن يعرف انه يبارز الملك بهزاد ، فلما التقيا واراد الامير ان يحمل عليه قال له : ان قلبي يميل اليك ميلاً فيه الحنان والرحمة ولا اعرف لذلك سبباً ، ولهذا فاني غير راغب في مبارزتك خشية

ان أجرح قلبي بايذائك ، وهذه أول حالة اجدها في نفسي عند لقاء الإبطال والخصوم ، فان شئت الصلح ارحت هذا القلب الذي احمله في صدري ، ويحمل لك حناناً كحنان الوالد ، وعطفاً كعطف الابوة، وما قلت ذلك عن عجز أو خوف ، فربما سمعت عني مالا يدع في نفسك مجالا للشك في قولي .

فقال بديع الزمان : اني أعلم حنو الوالد لا يموت ، وان نظرة من الوالد الى ولده جديرة بان تنبه خامدة وتسعر لهيبه ، كما اعلم ان قلوب الناس تتجاوب حباً وكرهاً ، ولهذا فاني احس في قلبي ميل اليك وعطفاً ، وغاية الامر في نفسي أن تعطيني ما ملكت من الاموال وذخائر ، فان اعطيتنبها قويت ما بيني وبينك من محبة وسلام .

فقال اما الاموال والذخائر فقد أعلنت فيها رايي وعرفه الصغير والكبير من قومي ، والرجوع فيه لغير سبب لا يليق بكرامة عربي مثلي ، واما تركك اياها وتنازلك عن طلبها فلا شائبة فيه ، وربما كان ذلك مرجعه الى نبل في نفسك ومحبة للسلام تزيدها منزلتك ولست ادري غرضاً تنشده بطلبها حتى يكون لك عذرك ، فقال هكذا اردت ولا بد مما اردت .

فقال حمزة السيف امضى منك حكماً ، ثم حمل كل منهما على الآخر حملات لاينتظر منها المشاهدون من الطرفين الا الموت الاحمر، ولما جاء الزوال رغب كل منهما ان يرجئان المبارزة الى الغد رحمة بالجوادين ، واراد حمزة العودة فناداه ابنه وقال : قف ياحمزه ، فوقف ينتظر ما يريده ، ثم نزل بهزاد عن جواده وامسك بلجام جواد حمزة وقال : انك كريم وابن كريم ولا اخالك الا مستجيباً لسؤالي.

فقال : قل ما شئت ولك ما تريد ، فقال : اريد أن تزورني في صيواني وتأكل من طعامي ، فليس بينادم يطلبه أحدنا ، ويمنع زيارتك لي ، فزاد عجب الامير من بهزاد وامره معه ، فهو شديد الاصرار على المبارزة ، وفي الوقت نفسه حريص على الاخذ باسباب الوفاق والمودة ، فقال حمزة : ان من عادة العرب اذا اكل احد طعام الآخر حرم عليه قتاله ، فقال : اعلم ذلك ولكنه بين الاعداء ، ونحن لاعداوة بيننا ، وغاية ما ابغيه من المبارزة ان تستولي على أملك ان

غلبتني ، واستولي على ما تملك ان غلبتك ، وحرام علي ان اريق قطرة من دمك .

فقال حمزة : ازورك على شرط ان تزورني في الغد ، فقال نازورك وارافقك الى حيث شئت ، فنزل عن جواده واشار الى فرسانه وجنده ان يرجعوا ، ثم سار هو وبهزاد الى صيوانه ، وكان الملك والامراء صفوفاً يستقبلونه ، ولما دخل الصيوان ادهشه وفاق في نظره صيوان كسرى وغيره من ملوك الارض ، ثم جلسوا واعدت المائدة فاكلوا وشربوا ولبث معهم الى ان مضى من الليل جزء غير قصير ، واحب العودة الى معسكره فقال بديع الزمان : لاينبغي ان ترجع في هذا الوقت من الليل ، وستنام آمناً مطمئناً مستريحا في صيوان خاص حتى الصباح ، تعود الى قومك غداً فقد جعلته يوم راحة لا مبارزة فيه .

فقال حمزه ان اردت ان ابيت عندك الليلة، فلتسر معي لزيارتي على ان تقضي النهار كله، وماشئت غيره، ولكنك كمازرتني وحدك فأزورك وحدي ، فسكت الامير ونام الليلة عند بهزاد وهو لايزال تائه الفكر لا يعرف لبهزاد غاية ولا هدفاً .

واجتمعوا في الصباح في صيوان بهزاد واكلوا وشربوا ، ثم صحب بهزاد الامير ومضيا الى معسكر العرب ، وظنوهما قد اصطلحا فاستقبلوهما فرحين، وكان حمزة قدحرم الجلوس على كرسي بديع حتى يحضر ، فلما دخلوا الصيوان وجلسوا كان جلوس بهزاد على كرسي بديع الزمان ، فتذكر حمزة ابنه وبكى ، واغرورقت عينا بديع الزمان لبكائه وقال : ما يبكيك ايها الامير ، وما حصل شيء يدعو الى البكاء ؟ فحكى له قصة ابنه بديع الزمان فقال : ان جلوسك على كرسيه الذي حرمت الجلوس عليه ذكرني واثار الحنان اليه فبكيت، فقال بهزاد : اصبر وسيعود اليك قريباً ، وما جلوسي على كرسيه الا فال حسن ، فلم يجد الامير الا ان يسكت ويصبر ، ثم قضوا يوماً في هناء ومسرة ، وودعهم آخر النهار على ان تكون المبارزة غداً .

وفي الصباح التقيا في الميدان فقال بهزاد : ارى ان تترك الجلاد بالسلاح وان نجعل المصارعة بالايدي فليس الفرض منها الا ان يعرف كل منا مبلغ الآخر من القوة والشجاعة ، فقال حمزة كما تريد يابهزاد ، ونزل كل منهم عن جواده وتصارعا بالايدي مصارعة حادة دامت ساعتين ثم امسك بديع الزمان حمزة وكاد يلقيه على الارض، ولكنه لم يرد ذلك وقال : مهلاً يا ابي ، فان الذي امامك ابنك بديع الزمان ــ وكان ملثماً فنزع اللثام عن وجهه ورأسه ــ فانكفأ حمزة على ابنه وجعل يقبله وصاح ملوك بلاد الظلمات : بديع الزمان ! بديع الزمان ! .

ثم انهال الجمعان عليهما يهنئونهما وهم في فرح عظيم ، وقد اخذوا بديع الزمان الى معسكر العرب وكلهم مشرق الوجه باسم الثغر فرحاً ببديع الزمان ماعدا قاسم بن رستم فانه كان في غم وهم عظيمين ، وامر بديع الزمان ان ينضم معسكره الى معسكر العرب ففعلوا .

كان الخوند ينتظر ما يكون بين حمزة وبهزاد فلما عرف ان بهزاد هو بديع الزمان بن حمزة خاف وفزع وامر ان تدخل الجنود المدينة فدخلوا واغلقوا ابوابها عليهم في انتظار الفرج .

وسأل حمزة ابنه عما جرى له في غيبته ، وبينما هم جالسون دخل عليهم عمر العيار وهو يتصبب جبينه عرقاً وقال له : كنت امشي في الخلاء فرايت غباراً كاد يبلغ السحاب فاسرعت اليه ووجدت تحته فرساناً كالجراد المنتشر، وامامهم فارس طويل القامة يحمل ساطوراً على كتفه طوله عشر ذراعاً ، ومن ورائه قومه يحملون اسلحة مختلفة كالفأس والمنجل ، فسألت عنه فقيل : انه طهماز ابو الساطور من بلاد الكلبة وقد جاء ليساعد الخوند، فتركتهم واسرعت اليكم لاخبركم .

فقال حمزة: تلك الفرصة لفتح المدينة وخروج الخوند منها، وعسى الله ان يعيننا على دخولها بعد فتحها .

وصل طهماز ابو الساطور وجنوده وضربوا خيامهم امام المدينة وعجب العرب أن وجدوا اجسامهم نصفها حيوان ونصفها انسان، وعلم الخوند بقدوم طهماز لمعونته، فخرج من المدينة وضرب خيامه في مكانها وجلس بينهم في صيوانه، فجاءه طهماز وقبل اقدامه وقال: لقد حلمت كثيراً على العرب، وكان عليك ان تخبرني لاجيء وافنيهم، قال: لقد حلمت عليهم كثيراً طمعاً في ان يؤمنوا بي ويعبدوني فلما وجدتهم عصوا الهمتك ان تجيء لبيدهم . فقال طهماز : شعرت بالهامك واريد الآن أن تمنحني القوة وتحفظني من كل نكبة انتهي من العرب والقضاء عليهم . فقال بختكان بن بختك ــ وكان حاضراً ــ اعلم ياطهماز ان بين العرب فرساناً يحاربون الجن . فاذا تركتهم دون ان تقضي عليهم قتلوا كثيراً من جندك . ولكنك ان عجلت بقتلهم هان عليك امر العرب فقال : سأبرز اليهم واقتلهم . واذا امتنعوا عن ..زة حملت عليهم حملة واحدة واهلكتهم .

وجاء الصباح ودقت طبول الحرب . فانطلق طهماز الى الميدان على جواد ضخم وفي يده الساطور . ونادى من يبارزه من العرب فبرز اليه الامير رستم بن حمزة وناضله نضالا ارهق طهماز واتعبه. ..ـ معه زمناً طويلاً وهو يحاول أن يضربه بذلك الساطور الذي يبلغ ..له خمسة عشر ذراعاً . ثم لاحت له فرصة وضرب رستم بساطوره فشقه وسقط قتيلا . وثارت ثائرة حمزة والعرب وجد فيها قوم طهماز من الفتك والقتل ما لم يخطر على بالهم . ولولا ..طهماز واعتمادهم على ساطوره لفروا من وجه العرب مذعورين وحزن الامير والعرب على رستم حزناً اليما . هذا وقد حملوه ودفنوه .

وجاء اليوم التالي وبرز طهماز الى الميدان فخرج اليه بلكان الهطال وفعل به ما فعله باخيه فضربه بساطوره ضربة اردته قتيلا واتهال اذ ذاك الجمعان وكانت معركة كانها ثورة البركان . وكثر القتل في رجال طهماز حتى جاء المساء وهم يتنوامن هول ماوجدوا . ويأسفون على من قتل منهم . وباتوا الى الصباح وفي نية الامير حمزة ان يبرز الى طهماز ويعجل بقتله .

واشرقت الشمس لتنظر ما يجري بين الفريقين من ضروب الفتك والطعان وبرز طهماز الى الميدان وجاءه الامير حمزة يحمل له الموت في صفحات سيفه وتجاولا وتصاولا الى الزوال . واصاب الامير حمزة وضربه من الساطور فجرحت راسه واتكفأ على سرج جواده الذي احس بذلك فانفلت الى قومه وتدفق العرب اذ ذاك تدفق السيل والتقى الجمعان وقامت حرب طاحنة كانت شديدة الوطأة على طهماز وجيشه ثم انفصلا عند المساء .

وفي اليوم الثاني بدات الحرب ، وكان طهماز قد سبق الى الميدان طالباً من يبارزه فنزل اليه بديع الزمان وبعد جلاد عنيف ضربه بالساطور فجرحه جرحاً بليغاً واراد ان يقضي عليه واذا بفارس هجم عليه وصاح به امسك ايها الخائن فقد جاءك حمزة البهلوان، ونزل عليه نزول الصاعقة واسرع العرب الى بديع الزمان واخذوه الى بزرجمهر ليعالجه وراى جيش طهماز ان ملكهم في خطر فهجموا ليخلصوه ، وهجم العرب عليهم ليدفعوهم ويحملوا اميرهم ، ودارت الحرب دورتها العنيفة ولكن الامير حمزة قد اصاب طهماز والقاه من جواده فاسرع العرب وكتفوه واخذوه اسيراً ، واستمرت المعركة على اشدها حتى ذهب الليل وافترق المتحاربون ورجعوا الى خيامهم .

واجتمع مجلس العرب وهم ينتظرون ان يأمر الملك سعد بقتل طهماز للاخذ بثأر بلكان الهطال ورستم ، وامر حمزة عمر اخاه أن يأتيهم بطهماز فجاءهم به مقيداً بالاغلال ، يقوده الذئب بن عمر كما يقود البعير ، فقال له الأمير : حان موتك والانتقام منك فقال طهماز: لااصدق ان الامير حمزة يقتلني لانه يأنف الغدر ، ويحب الانصاف والعدالة ، واذا كنت انا قتلت اولادك فاني قتلتهم في ساحة القتال، وما في ذلك غدر ولا خيانة ولا ظلم ، ولكنك انت ان غلبتني ، لانك لاتكون اذ ذاك ظالما ولا غادراً .

فتأثر الامير من هذا القول وامر ان يعتق من اسره ، وان يعطى ساطوره ويذهب الى قومه ، فثارت ثائرة الامراء اذ ذاك انكار لما فعل

الامير حمزه ، ولكنه لم يحفل بثورتهم واصر على اطلاق سراحه ، واخلى سبيله ورجع طهماز الى قومه .

كان بزرجمهر لايزال يعالج بديع الزمان ، وقال لهم : ان جرحه وان كان بليغا فان الامل في شفائه قريب ، وقال عمر لحمزه : انك جرحت في راسك جرحا ابلغ من هذا ورجعت الى الميدان ثاني يوم كانك لم نصب بشيء فكيف شفيت من جرحك ؟

فقال : لقد ذكرتني وان الذي عالجني سيعالج ابني بديع الزمان ليرجع الى حالته وعافيته في اسرع وقت واقصره ، فقال : ومن عالجك؟ فقال الامير حمزه ، لما جرحت طار بي الجواد الى الخلاء ووقف عند سفح الجبل ، وهناك شعرت بالالم قد اشتد فالقيت نفسي على الارض وكنت اذ ذاك في يأس من الحياة ، فعندها رايت غلاما امردا على وجهه لثام رقيق خارجاً من مغارة في الجبل فاسرع الي وكانه كان يعرفني .

فسألني كيف جئت هذا المكان ؟ فلم استطع النطق واشرت بيدي الى راسي ، فنظر الى الجرح وقال : ان دواءك عندي ، ثم اسرع الى المغارة ورجع ومن خلفه شيخ كبير ذو لحية بيضاء ، فحملاني وادخلاني في المغارة وجعل الشيخ يأتي بدواء من هذه الزجاجة ودواء من هذه وخلط الادوية والف منها مرهما وضعه على جرحي ، فشعرت بالراحة التامة ، واخذني نوم عميق استيقظت منه فلم اجد للجرح اثر ، ومن عجب اني حين استيقظت وجدت الغلام نائماً بجانبي على فراشي . ولما استيقظ سألني ، انت حمزة العرب ؟ فقلت : نعم انا حمزة العرب ، ومن اين عرفتني ؟ فقال : اتذكر انني رايتك في المدائن حين كنت تريد الزواج من مهردكار . فزاد عجبي لان هيئة الغلام تدل على انه ولد بعد ان كنت في المدائن بمدة طويلة وسنوات عديدة ، فكيف رآني قبل ان يولد؟ ولكني لم ارد ان اجادله واعترض على قوله ، على ما انعم علي به من اللاج . فقال : ان الذي فعلته معك واجب لايمكن ان اتخلى عنه . فاني حين رايتك عرفتك فاحضرت ابي وهو كبير الاطباء فداواك حتى شفيت باذن الله . واحب الآن ان

اسالك عن زوجتك مهر دكار هل لاتزال تنعم بالحياة؟ فاغرقت عيناي بالدموع وقلت للغلام : لاتذكرني بايام سعادتي . فقد عزيت عني منذ فارقتني مهر دكار . فوا اسفاه على جمالها وادبها وعقلها وحكمتها. ومن الغريب كنت اتكلم والغلام يبكي كأنه شريكي في الحزن والالم على فقد مهر دكار . قلت للغلام : انك في رايي لم تبلغ العشرين من العمر وقد تركتها منذ مدة تزيد عن العشرين بكثير . فكيف رايتني في المدائن قبل ان تولد ؟ فقال لا تسل عن ذلك الآن وساحدثك به في وقت آخر، وان حديثي غريب ويهمك ان تعرفه، وسألزم صحبتك من الآن ، ولن افارقك مدى الحياة ، ولكني احب ان اتذكر امرك وكيف جرحت واتيت هذا المكان ؟ قال حمزة : فحكيت له قصتي في ايجاز ، وقلت هلم بنا الى المعسكر فاني في خوف على فرساني ؛ فاستشار الغلام والده في أن يذهب معي ، فقال : لاتذهب ياولدي وان الامير سوف يأتينا في مكاننا هذا، ونحن مقيمون فيه ،وسننتظره حتى يأتي لنذهب معه في غير هذه المرة فتركتهما وجئت مسرعاً فوجدت طهمار قد جرح بديع الزمان ، فهما بنا الآن لنأخذ بديع الزمان ونمضي به الى ذلك الغلام ليعالجه الشيخ كما عالجني .

حمل حمزة وعمر بديع الزمان ومضيا الى الشيخ في مغارته فدخلا عليه فوجداه قائما يصلي ، فانتظره حتى فرغ من صلاته ثم سلما عليه ، وكان الغلام نائما ، فلما احس بقدومهما استيقظ وسلم عليهما ، فقال الشيخ : ما الذي جاء بك في هذا الوقت ؟ فحكي له قصة ابنه وجرحه وقال : قد جئتك الآن به لعلاجه وجزاؤك عند الله ، فقال الغلام : ومن بديع الزمان هذا ؟ فقال حمزة : انه ابني من سلوى ، وهو فارس لا نظير له ، وليس لي الآن ولد غيره ، فقال الغلام : وجب علينا أن نعالجه ليشفى باذن الله لانك تقاتل في سبيل الله ونشر دينه .

ثم تقدم الغلام من بديع الزمان وحل رباط جرحه وقال لأبيه : هلم يا ابي فان الجرح عميق ، فتقدم الشيخ رغسل الجرح ووضع عليه المرهم وربطه ، فأحس بديع الزمان بالراحة التامة ونام نوماً

هادئاً ، فجعل حمزة يتحدث هو والفلام ، أما عمر العيار ، فانه حين راى الفلام تذكر كلاماً كانت اسما بري قد قالته له ، فسكت ولم يرد أن يظهر شيئاً ، وفي آخر النهار امر حمزة عمر أن يذهب الى المعسكر ويعرف ما جرى للعرب في هذا اليوم .

كان العرب قد نهضوا في الصباح وتأهبوا للقتال ، وكان طهماز قد ذهب الى الخوند يطلب منه البركة ، فقال الخوند : إذهب وقاتل فاني ناصرك على العرب ، وان وقعت في ايديهم ارسلت اليك ملائكتي لتنقذك منهم ، كما الهمت الامير حمزة لمن يطلق سراحك مع انك قتلت ولده وحفيده فقبل طهماز يديه وانفلت الى الميدان منادياً من يبارزه من العرب ، فلم يتقدم الى مبارزته الا اندهوق ، وطالت مدة المبارزة على شدتها ، الى ان فر اندهوق من وجه طهماز خوفاً من ساطوره ، فجرى خلفه ليدركه ويميته ، ولكنهم راوا حينئذ في البرية رايات تخفق وسيوفاً تبرق ، وفرسانا تسرع في سيرها وتتقدم وامامهم فارس امرد .

فانتظروا ليروا ما يكون من امر هذا الجيش القادم ، ولما كانوا عند ساحة القتال نادى ذلك الفارس وصاح : ابشروا يا فرسان العرب فقد جاءكم نور الدين ابن بديع الزمان بن حمزة البهلوان ، ثم انفلت مسرعاً الى طهماز واطلق الرمح من يده فخرق صدره ثم هوى عليه بسيفه فقطعه نصفين وسقط طهماز على الارض جثة هامدة ثم احتدم القتال بين جيوش طهماز والعرب وكأن كارثة احطت على رؤوس الاعداء .

ولما راى الخوند وبختكان طهماز قد مات وان القتل استمر بجيشه ورجاله وانه لا مفر له من سيوف العرب ان استمر القتال ، انتهز فرصة الهدنة وامر جيشه ورجاله ان يدخلوا المدينة ويعتصموا بها لتحميهم من الفناء الذي يرى طلائعه في سيوف العرب فدخلوها واغلقوا عليهم ابوابها .

قضى حمزة عند الشيخ في المغارة ، ومعه بديع الزمان الذي قام الشيخ بعلاجه حتى شفي من جرحه ، فجاءهما الخبر ان نور الدين

ابن بديع الزمان ادرك جيش العرب في وقت شدته ، وخاض المعركة وسقى بسيفه موتا زؤاماً وقتل طهماز شر قتلة ، وخشي الاعداءعلى انفسهم فلاذوا بمدينتهم واغلقوا ابوابها .

فقال حمزة : حمداً لله وشكراً ، فقد جعل قتل طهماز بسيف ابنائي ، ليعلم الرب اننا لهم في الضيق والشدة ، نفرج عنهم كربهم ، ونكبت اعداءهم واننا آفة لكل من ارادهم بسوء .

واستاذن حمزة الشيخ ان يعود هو وابنه بديع الزمان الى الجيش وود لو رافقه الشيخ والغلام ، ووعده الشيخ ان يأتيه هو والغلام بعد ايام ، وقال : اني الآن في آخر حياتي ، وربما اقرب اجلي ، وسآتيكم قريباً لاترك عندكم هذا الغلام واوصيكم به ، واقص عليكم قصته ، فرجع حمزة وبديع الزمان في صحة وعافية ، وفرح العرب بهما ، كما فرح بديع الزمان بلقاء ابنه نور الدين ، وما فعله بالاعداء بالفتك بهم وقتل طهماز حتى ارغمهم على ان يلوذوا بالمدينة ، وقرر حمزة أن يحاصرها ويضيق على اهلها حتى يأتي الله بالفرج .

كان حمزة مشغولا بالغلام الذي بالمغارة مع الشيخ ، حريصاً على احضاره فقال لعمر العيار : هيا بنا الى المغارة لنحضر الغلام بأية وسيلة فقال عمر : ان الشيخ وعدنا ان يجيئنا به خلال الايام المقبلة فلا حاجة بنا أن نعجل بأمر لم يحن اوانه فقال لابد من ان اذهب اليه الساعة ، فنزل عمر على ارادته وذهب معه الى المغارة ولكنهما لم يجدا فيها احداً ، فبحثا في مغارات الجبل هنا وهناك فلم يعثروا على احد ، فوقف حمزة في شبه ذهول واجماً لايتكلم ولا يتحرك ، فقال عمر : ربما كان للشيخ امر ، فأخذ الغلام ليقضيه ، فلنرجع وقد وعدنا الشيخ بالمجيء الينا ومعه الغلام غريب عنا ولا يهمنا امره ، سواء اجاءنا أم لم يجيئنا ، فرجع والاسى يملأ صدر حمزه.

كان عمر العيار قد عرف هذا الغلام حين رآه ، وقد تذكر قول اسما بري ان مهر دكار لاتزال حية لم تمت ، وثبت لديه أن مهر دكار هي التي مع الشيخ متنكرة في شكل الغلام ، وان ذلك الشيخ شفاها واواها عنده واخفاها في صورة الغلام حتى لايعرفها احد.

كان قاسم بن رستم لايزال يبغض بديع الزمان عمه ، ولا يفتأ يجد ويسعى في كيده والغدر به ، وكان لقاسم ابنة فتانة اسمها هند من زوجته بنت الخوند ، فرآها نور الدين فاحبها حباً جماً ورغب في ان تكون له زوجة ، وكانت هذه الرغبة فرصة سنحت لقاسم ، وفتحت له باب الغدر بعمه بديع الزمان ، وان يفجعه في ابنه نور الدين ، فاظهر لنور الدين عطفه وحبه ، وفرحه العظيم برغبته في الزواج من ابنته ، ودعاه الى بيته ، ووصى به زوجته واخبرها انه يحب ابنته وانه يطلب يدها ، وقل ان نجد فارساً مثله يكون لنا الفخر بمصاهرته ، والح عليها ان تغلو في اكرامه والحفاوة به ، ولم تكن الزوجة تعرف ما وراء هذه الوصية من غدر زوجها ، وانها حيلة لصيد نور الدين وقتله ، ونكاية في ابيه بديع الزمان الذي لا يزال يكرهه ولا يود ان يرى وجهه .

كان نور الدين يختلف الى منزل قاسم ، فيجد من زوجته وابنته حفاوة بالغة وكرما فياضاً واعزازاً كانه اعزاز الام لوحيدها الذي تحبه اكثر مما تحب نفسها ، فغرق نور الدين في بحر من الهوى ، وبزق له نجم الامل في حياة زوجة سعيدة ، وهو لايدري ما يضمره له قاسم من الغدر والكيد .

وذات يوم قال قاسم : بودي لو اراك في معركة لافتخر بشجاعتك وسيفك ، فقال : ان الاعداء لأذوا بمدينتهم فوقف القتال ، ولاندري متى يبدأ ، فقال : لنخرج الى الخلاء ونجوس خلاله فعسى ان نعثر على جماعة من اعدائنا فنثيرها حرباً طاحنة تأكلهم ونغنم اسلابهم ، فقال : اني معك حيث تريد .

كان قاسم لايبغي من وراء قوله هذا الا ان يلقي بنور الدين في التهلكة ويجعله لقمة سائغة للسيوف ، ثم يعود بدونه مظهراً اسفه على فقده دون ان توجه اليه تهمة ، فخرج معه الى الخلاء فوجد عصبة من الاعداء فاغراه بهم ونزل نور الدين بساحتهم وجعل يجزهم بسيفه جزاً ، وفي اثناء تلك المعركة دنا قاسم منه ورفع سيفه وضربه به ، ولكن نور الدين كان شديد الحذر فانحرف عن ضربه

قاسم ونجا منها ، ورأى الاعداء والمعركة حامية خيلا قادمة في نشاط وسرعة وما لبثوا أن وجدوهم قد خاضوا المعركة بسيوفهم فمزقوهم شر ممزق وفروا من وجوههم مشردين ، وكانت هذه الخيل لحمزة وابنه بديع الزمان وجماعة الفرسان ، وذلك أن عمر العيار ذا الحيل الخارقة رأى المعركة دائرة وايقن انها من تدبير قاسم وكيده ، فاخبر حمزة وبديع الزمان وقال لهما ادركا نور الدين فانه واقع في شبكة من كيد قاسم ، وعرفهما ان المعركة قائمة في مكان كذا من الخلاء فخفوا مسرعين اليه وعمر يتقدمهم الى مكان المعركة .

ولما خمدت المعركة وفروا الاعداء قال نور الدين لقاسم : كيف اقدمت على ضربي بسيفك ؟!! فقال : وهل يضرب الأخ اخاه ، انسيت انك خطيب هند ابنتي ، وانك ابن عمي ، وان افعالك المجيدة الشهيرة الهناء في افواهنا ، ان كنت قد رايت شيئاً مما تقول فلا بد ان يكون اختلط علي الامر ، فكنت اضرب بسيفي كالمصروع دفاعاً عنك ، وما كنت ادري اين تقع الضربة ، والحمد لله الذي نجاك ودفع عني فجيعة ينوء بها ظهري ، فصدقه نور الدين ولم يخالج نفسه شك أو ريبة .

سأل بديع الزمان ابنه : ما الذي جاء بك الى هذا المكان ؟ .

فحكى له ما قاله قاسم ، فقال له أن قاسماً هذا يبغض ابائي وهو يتمنى له كل سوء ، وقد احتال عليك وجاء بك الى هذا المكان ليقتلك ويفجعني بك ، وقد رأيناه ونحن قادمون اليكم انه ضربك بسيفه ولولا انك حذر لكنت الآن من الهالكين ، فاحذر منه يا ولدي ولا تأمن له ، واعلم انه ماكر غادر ، لايحبك ولايحب اباك ، وما تفتح صدره لك الا ليصطيدك ويقتلك تشفياً من ابيك .

اخفق قاسم في هذه المكيدة وباء بالفشل ، ففكر في مكيدة أخرى لعلها تحقق له امله ، انفرجت امواج تفكيره عن حيلة اطمأن اليها ، وايقن انها لنور الدين القاضية ، فقال له ذات يوم : انني سعيد بمصاهرتك فخور بانك ستكون زوجاً لابنتي هند ، وانك تعلم ان جدك حمزة يحبك وهو حريص على أن يعجل بزفافك ، فوافق هذه الامنية في نفسي ، ولكنك تعلم ان المهر مناط الفخر للزوجة ، فسله

يرضيك أن يكون مهر زوجتك هند من ايدي العرب يمدونك بمعونة وكرمـا ؟

فقال : ذلك لا يرضيني ، ولن يكون مهر ابنتك الا من كسب يدي وتابعاً من ظلال سيفي ، فاطلب ما شئت وستجده حاضراً وان كـان بين انياب الاسود ، فقال : اذهب الى امها وتذاكر معها في امر المهر ، فقد جعلته لها حتى اشبع رغبتها ، وكان قاسم قد قال لزوجته من قبل : اذا جاءك نور الدين وسالك عن مهر ابنتك فقولي له : ان أبي كان قد وعدني الا يزوجني الا ممن يحضر لي ثريا الجواهر من مدينة الدواليب مدينة الملك كاروس ، ولما لم يوفق الى تحقيق ما وعدني جعلت مهر ابنتي هند ثريا الجواهر ، فقالت : كأنك تريد موت نور الدين ولاتحب أن يكون زوجاً لابنتك فقال : لاتخافي على نور الدين ، ان له قلباً وسيفاً يحارب بهما الشياطين . ولو كنت ارتاب في قدرته على احضارها لما طلبتها منه ولاجعلتها مهراً لهند فاطمئني ولاتقنطي . وكانت لاتعلم ماينويه زوجها من الغدر بنور الدين والسعي في هلاكه . فقالت له : سمعاً وطاعـة .

ولما جاءها نور الدين وسألها عن مهر ابنتها قالت : ان ابي كـان قد جعل مهري ثريا الجواهر . لكن الايام وحوادث الزمن لم تمكنه من تحقيق امنيته فرايت البرية ان احقق ما كان يتمناه في ابنتـي وحفيدته . فجعلت مهرها ثريا الجواهر ويقول الناس : انها فـي مدينة كاروس شاه . فقال لها : لك ما طلبت . وتركها وانصرف .

ذهب نور الدين الى ابيه بديع الزمان في مجلس حمزة واخبـره بما دار من الحديث بينه وبين قاسم وزوجته في امر المهر . فقـال ابوه : ما اراد بك قاسم الا سوء . فقال الامير حمزة : سآتيك بهـا وانت مستريح . فقال نور الدين : لن يكون ذلك . ولن يحضر المهر احد غيري . فقال الامير حمزة لوزيره : واين تكون مدينة الدواليب؟ فقال : مدينة الملك كاروس . بيننا وبينها مسيرة خمسة وعشريـن يوماً وطريقها لايخلو من مهالك ومخاوف . وقد وضع الثريـا فـي

حصن حصين وشدد في حراستها لانها من الجواهر اذا اضاءت كانها الشمس الساطعة .

ثم التفت الى نور لدين وقال : ما دمت مصرا على ان تذهب انت لأحضارها فليصحبك عمر ليكون عونا لك في حلك وترحالك ، فقال اني لا اصحب معي احداً ، فقال عمر: انك قادم على مدينة فيها سحر قد لاتنجو من شرهم فقال : لن يصحبني احد ، وانا كفيل باحضار الثريا وحدي . ولو خبئت في طوايا الارض او اقيم بيني وبينها سد من الحرس المدججين باسلحتهم .

فقال له حمزة : لك ما شئت يانور الدين ، والله يحميك وينصرك ، ثم امر عمر سراً ان يتنكر ويسير من خلفه ويعينه دون ان يشعربان احداً معه ، فقال سمعاً وطاعة .

ركب نور الدين وتقلد سلاحه وخرج يقطع الفيافي حتى دخل مدينة الدواليب ، وعمر خلفه في زي لايعرفه احد ، واختار نور الدين مكلنا نزل فيه ، ثم اخذ سيفه ودخل قصر الملك كاروس يبغي اخذها بقوة سيفه .

وكان لكاروس وزيران احدهما اسمه دوش وهو ساحر ماهر ، لا ينفتا يقول للملك ان الثريا ستسرق، وساخبرك عن كل غريب يدخل المدينة ، والاخر عبد الله ، وكان مؤمنا طيب القلب ، وفي اليوم الذي دخل فيه نور الدين قال دوش : ان سارق الثريا قد دخل المدينة فقال الملك : واين هو الآن ؟ انه في قصرك الان بين الخدم ، فامر الملك بالقبض عليه ، فثار الحرس وجعلوا يبحثون عنه بين الخدم حتى عرفوه . وكان متنكراً في زيهم . فاستل سيفه وجعل يحصدهم ولكنهم تكاثروا عليه واحضروه بين يدي الملك .

فلما مثل بين يديه نظر اليه في غضب وقال : جئت لتسرق الثريا وما جزاؤك عندي الا ان تقتل وتصلب . فقال ما جئت سارقاً ولكني اتيتك لآخذ الثريا بقوة سيفي . وما السرقة الا من طبع اللئام . وان اللؤم تأباه نفس ابطال . وانا نور الدين بن بديع الزمان بن حمزة

البهلوان فان اتيت اصبتني بمكروه جاءك قومي فمزقوا لحمك . وخربوا ديارك . فاختر لنفسك ما شئت .

فقال الوزير عبد الله: ارى ان يلقى بالسجن ويكرم فيه. وان ننتظر ما يفعله العرب وقومه . فان كنا غالبين قتلناه ونحن آمنون . وان كانت الغلبة لهم فدينا به انفسنا واصطلحنا معهم .

فاستحسن الملك هذا الراي . وامر ان يلقى في السجن وان يكرم فيه اكراما يليق بالامراء الابطال . وعرف عمر العيار ذلك في مخبئه. فاكتحل وجعل نفسه في صورة دوش الساحر وذهب ليلا الى حجرة نومه فبنجه وسرقه وذهب به الى مخبئه ولبس ثيابه وكتفه . ثم رجع الى حجرة نومه وبات فيها . وفي الصباح لبس ملابسه وخرج الى قصر الملك وقال له : ان السحر حدثني ان مدة الخطر على الثريا ثلاثة ايام تبدأ من يومنا هذا واريد ان آخذها لاعكف على حراستها بالسحر في بيتي لتنقضي مدة الخطر . ثم اعيدها الى مكانها في قصر الملك. فامر الملك ان يأخذ وزيره دوش الثريا . فاخذها ومضى بها الى مخبئه الذي اتخذه لنفسه . وفي الليل ذهب الى السجن ورآه الحارس فعرف انه الوزير فاحترمه وعظمه . فامر عمر ان يريه هذا الذي حضر ليسرق الثريا . فدخل به اليه . وهناك قال له : احذر ان تنام الليلة لاني عرفت من السحر ان شخصا سيأتيك ويسرقه منك . فخذ هذه الشمعة واوقدها على باب السجن . فاذا انطفأت فاعلم ان السارق قد حضر . وكان عمر قد وضع فيها بنجا . فاخذها الحارس واوقدها . فخرجت رائحة البنج الى انفه فاغمي عليه في الحال . اما عمر فانه اخذ نور الدين من يده وخرج به وقبل ان يغادر السجن ذبح الحارس بخنجره واطفأ الشمعة واخذها ومضى بنور الدين الى مخبئه ، وهناك عرفه بنفسه وما فعله .

فاخذ الثريا وهربا ليلا من المدينة وجدا في السير حتى كانا في معسكر العرب . وفرح حمزة وبديع الزمان والعرب . وتم عقد الزواج وزفت هند الى نور الدين وضاعت مكيدة قاسم سدى .

اما اهل السبائل فانهم لما عرفوا انهم هالكون ان دام الحصار من حولهم . نزلوا على ارادة حمزة وسلموه المدينة ودخل كثير من اهلها في دين الاسلام كما اسلم ملكها ووزرائه .

وجاء الشيخ ومعه الغلام . ففرح حمزة بقدومهما وقال الشيخ : ما هذا غلام ايها الامير . ولكنه مهر دكار زوجتك . وقد شفيتها من علتها وحافظت عليها طوال هذه المدة . وقد جئتك بها مؤمنة تعبد الله حق عبادته . فكاد واثنى عليه . ودارت الافراح بين العرب مدة ثلاثون يوماً وبعدها رحلوا الى الاسلام في بقاع كثيرة من الارض واخرجوا اهلها من الظلمات الى النور . سبحان الحي الذي لايموت .

الى هنا انتهت سيرة هذا البطل العظيم الامير

حمزة البهلوان



عزيزنا القارىء الكريم

نهدي اليك اطيب تحية ، ونشكرك على التأييد المعنوي الذي خصصت به سلسلتينا الصادرتين بعنوان « مغامرات بوليسية للفتيان » و « أحسن القصص » ، ونعلن عن اصدارنا سلسلة جديدة بعنوان « مغامرات طرزان المصورة » تتحدث عن بطولات « ابن الغابات وربيب القرود » الجبار وسيرته الاسطورية .

ولما كانت الحضارة الانسانية المعاصرة هي حضارة علمية لا تحتمل النقاش .

وكانت المدرسة الحديثة في التعليم تهيىء فرصا تربوية وتعليمية مختلفة امام الطلاب للنمو المتكامل سواء كان جسميا ام عقليا أم اجتماعيا أم روحيا ، فمن الضروري ان تقدم لها وسائل التثقيف الاخرى كل عون ومساعدة في هذا المضمار ، طالما ان مسؤولية التعليم لا تقع على عاتق المعلمين والمدرسين فحسب ، بل ينبغي ان يسهم في ذلك الآباء والطلاب انفسهم في هذه العملية . ويكون النجاح نتيجة لتعاون المعلمين والتلاميذ والآباء والمثقفين .

لهذا السبب نقدم لك هذه السلسلة من المغامرات . فهي تضم ، فضلا عن المتعة في قراءتها ، معلومات شاملة في المعرفة مستقاة من اهم المصادر العلمية والثقافية لا يستغني عنها الجيل الصاعد في تنمية مداركه وتوسيع افق دراساته العامة ، وتوخينا ان تكون لغتها سهلة لكن سليمة . غنية بالمفردات والتعابير ، وزودناها بالصور ، واتقنا اخراجها كي تاخذ مكانها المنشود في المكتبة العربية .

دار كرم